الثرثرات المحبّبة

الرسائل

فراس حج محمد

دار الفاروق
للثقافة والنشر

الثرثرات المحبّبة

الرسائل

الثرثرات المحبّبة

الرسائل

فراس حج محمد

منشورات

دار الفاروق

للثقافة والنشر

فلسطين – نابلس

2024

الكتاب: الثرثرات المحبّبة

المؤلف: فراس حج محمد

موضوع الكتاب: رسائل

الطبعة الأولى: 2024

تصميم الغلاف: الفنانة ميسم فراس

لوحة الغلاف: الفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد "1732- 1806".

ISBN:978-9950-381-14-8

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

منشورات

دار الفاروق

للثقافة والنشر

شارع جمال عبد الناصر – نابلس – فلسطين

تلفون: 00970/9/2313969

Email: abu_rafat_be@hotmail.com

المعرض: شارع سفيان – مجمع القوقا التجاري

الطابق الأرضي تلفون: 00970/9/2338219

نابلس – فلسطين

الإهداء:

إلى كلّ امرأةٍ راسلتها ورسالتني مع خالص الحبّ والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهيَ، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله...

ف. ح

المقدّمات

لماذا توقّفت عن كتابة الرسائل؟

(1)

قرأت رسائل لكثيرين من الأدباء والأديبات شرقا وغربا. وإن مناسبة الحديث عن رسائل الأدباء عدا قيمتها الإبداعية في حد ذاتها، فإنها مصدر مهم من مصادر فهم الكاتب، ولاسيما الشاعر، كما وضحت ذلك في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية".

كم بقي من هذه الرسائل اليوم، ومن منطقية وجودها ومبرر حياتها، فقد جنت علينا التكنولوجيا بأدواتها المعاصرة، فحرمتنا المزيد من الرسائل، فكما قالت أحلام مستغانمي في روايتها الأسود يليق بك: "أية سعادة وأية مجازفة أن يحتفظ المرء برسالة حب إلى آخر العمر، اليوم "أحبك" قابلة للمحو بكبسة زر، هي لا تعيش إلا دقيقة ولا تكلف إلا فلسا". إن سهولة الوصول إلى الطرف الآخر والعبث معه قضى على إمكانية كتابة رسائل حب أدبية، فشروط نشأتها وازدهارها قد انتهت، هذا ما قاله أحد القراء معلقا على واحدة من هذه الرسائل التي أكتبها لك، متجاوزا هذا الظرف وغاضا الطرف عن هذا المنطق: "أدب الرسالة، أدب عريق وعميق في سبر أغوار النفس البشرية والتأريخ لمرحلة أو مراحل مجتمعية. هذا الفن مات، استشهد على يد التقنية الحديثة"[1]. لا تسمحي له بالموت يا عزيزتي واكتبي؛ لعلنا نساهم في جعل جذوة هذا الفن صالحة إلى أمد طويل.

على الرغم من ذلك إلا أنني في عام 2018 في شهر مايو/ أيار- ولعله في نهايته- بدأت أكتب مجموعة رسائل إلى شاعرة عربية، علماً أنني كتبت لها قبل ذلك رسائل كثيرة، ونشرتها في كتب: "رسائل إلى شهرزاد"، و"الإصحاح الأول لحرف الفاء- أسعدت صباحاً يا سيدتي"، ونسوة في المدينة" و"متلازمة ديسمبر". بل لا يكاد كتاب سردي لي يخلو من رسائل موجهة.

وفي هذا الكتاب أيضا رسائل قبل هذا التاريخ إلا أن هذا التاريخ هو بداية كتابة رسائل مختلفة في لغتها وموضوعاتها، ولا يعني هذا أيضا أنني سلمت من التكرار، بل ربما وقعت في شرَكه وأنا غير منتبه. إضافة إلى أنني في أحيان قليلة كتبت رسائل لغير هذه الشاعرة، وقد أثبت تلك الرسائل كلها، سواء تلك التي كتبتها أو تلك التي ردت هي أو غيرها من النساء الأخريات عليّ بها.

(2)

عندما أرسلت الرسالة: "أنا أكذب أكثر عندما أكتب"[2] أرسلت لي الكاتبة الفلسطينية روز شوملي تقول: "قرأت نصك الجميل وأرى أنه يصلح ليكون مقدمة رواية. أرجو أن تأخذ موضوع الرواية جديا". هذا المساء أيضا تقرأ صديقة، أكاديمية جامعية ومترجمة شهادتي التي بعنوان: "الأثر

[1] أحياناً تكون التكنولوجيا حافزا ومشجعا على الكتابة، وصرت أميل إلى هذا الرأي.
[2] رسالة الجمعة: 2018/6/1 (رسائل 2018).

السّيّئ في النّصّ للمرأة الرّديئة"، وتعبر عن افتتانها بالنص لدرجة رغبتها في أن تلعن كاتبها، وأنني أمتلك نفسا سرديا، يؤهلني لكتابة رواية. ثمة كتاب وكاتبات غيرهما منهم شاعرتي التي كتبت لها الرسائل يرون أنني سأكتب الرواية عاجلا أم آجلاً.

أسأل نفسي لماذا الرواية؟ هل واجب عليّ إذ أحسن السرد أن أكتب رواية؟ لماذا لا أصنع شكلي الخاص بي. لا أدري ما سيكون؟ هذا المساء قرأت مقالة للدكتور عادل الأسطة حول رواية أمجد ناصر "حيث لا تسقط الأمطار"، وأتى في مقالته على قضية التجنيس، والكتابة خارج التصنيف المعهود.

في كتابة قديمة لي منذ أكثر من ثلاث سنين أعلنت أنني لن أكتب الرواية، وأن هذا الجنس الأدبي الذي يتكاثر في حضنه كثير من الكتابات أكثرها لا ينتمي له. كتابة لقيطة في حصن الرواية، عدا أنني أرى أن الرواية لن تعمر كثيرا فلولا مجموعة الجوائز الممنوحة لهذا الجنس لم تجد هذه المواليد المشوهة. لماذا عليّ أن أضع نفسي في سياق ميّت؟ ولماذا عليّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما تشتهي الكتابة ذاتها؟ لماذا عليّ الخضوع والخنوع اللاواعي لفكرة الكتابة لإرضاء الذوق الثقافي العام؟ ولماذا تحوز الرواية كل هذا الألق المرَضي القصير العمر؟

كتبت كثيرا عن هذا الهوس واتخذت قراري بشأنه. مقتنع أن الكتابة الجيدة إن وجدت في كتاباتي فهي جيدة، إن كانت مقالا أو رسالة أو قصيدة أو قصة قصيرة جدا، أو ربما نصا لا جنس له يتكئ على السرد ولا يغوص فيه حتى نهايته.

أحب أن أقرأ الروايات وأحب أن أكتب عنها. وأحب أن أتأمل مشهديتها الكرنفالية الحالية التي يساهم في صنعها الإعلام والمؤسسات الثقافية ودور النشر وسيل الدولار الذي سحب الكتاب جميعا إلى ساحة الرواية، فأخذوا بالرقص، قليل منهم من أجاد وأغلبهم يتعثر ويمرض ولا أظن أن له شفاء من داء الرواية العضال. كتاب لا يحسنون من صنعة الكتابة شيئا يتقافزون كالقرود مرة يتسلقون غصن الشعر فيكسرونه وينكسرون، ومرة يتعربشون على جذع الرواية فيتزحلقون، فيرتطمون في الوحل. كتاب ضائعون في منتصف متاهة صنعوها بأيديهم، فلا يدرون ماذا يصنعون لا مشروع ثقافيا لهم ولا ما يحزنون، فقط يريدون الكتابة، والكتابة فقط.

أنا أبدو مثلهم أحيانا لكنني لا أتسلق غصنا ولا أتعربش جذعا، فقط أريد أن أكتب ما أحلم به من شيء حلمت به، لعله يكون مشروعا. أكره الانزلاق إلى ما يطلبه السوق الثقافي، لعلني لا أستطيع، فشلت في الشعر والقصة، فلا أريد أن أفشل في الرواية أيضا مع تقديري لكل من رآني جديرا بلعبة الكتابة الخطرة في الرواية.

(3)

كتبت ما يزيد عن مائة رسالة، وفي جميعها لم يدر في خلدي أنني أكتب رواية، أو أنها ستشكل مشروعا روائيا، فقد فطنت جيدا إلى أنني أكتب رسالة حب وأدب ونقد وشعر، محددة المرسل

إليه، هذا المرسل إليه الذي لم يكن يحفل بتلك الرسائل فتوقفت مرغما، وإن بقي في النفس شيء من تلك الرسائل، وأنني لم أقل فيها كل ما أردت قوله. تنازعتني نفسي لأعود لكتابتها، ولكنني ألجم رغبتي، فلا معنى لها. وأعوّض ذلك بكتابة أخرى قد تشفي هذه الرغبة. فثمة أعزاء عليك يقتلون مشاريعك أيضا، وليس فقط أعداؤك. لكم أن يتصور أحدكم أنه يكتب رسالة لا يرد عليها، فما بالكم أن تكتب أكثر من مائة رسالة؟ وخوفا من الوقوع في الشرك الروائي كان يجب عليّ أن أنهي الشوط وإن بقيت عطشانَ لما أنا عطش له.

مؤلم ما أنا فيه جدّا، ولا أقول ذلك إلا للتعبير عن هذه الحالة التي وصلت إليها بفعل كثير من الظروف، لكنّ أهمها على الإطلاق هو أنه لا فائدة مرجوة من حبيبٍ هو ليس لك، نلتقي، ونكتب، ونحب ونفترق، لتنام هيَ في حضن رجل آخر، وأنا في حضن امرأة أخرى، ولا يبقى سوى الألم، لعله هو نفسه الذي قاله غسان كنفاني يوماً: "البقاء مع شخص تحبّه، وأنت تعلم أنّك ستفارقه كاللعب تحت المطر؛ ممتعٌ، لكنّك تعلم أنّك ستمرض لاحقاً". وها أنا مريض بالفعل، ولا أظنني سأشفى، وهل يشفى من ذهبت نفسه حسرات على حبيب لم يرحمه، ولم يرأف به؟

في معنى النبل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً[1]

لم أفكّر قبل اليوم بمعنى النبل، أو كيف يمكن أن يكون الإنسان نبيلاً. الغريب أنّه لا يوجد أيّ صديق لي يحمل هذا الاسم، ربّما أيضاً لا يحملون هذه الصفة، ألم يقولوا: قل لي مَنْ صديقك أقل لك من أنت. وأنا لست نبيلاً، فلا أصدقاء نبيلون لي بالضرورة. ربّما الأصحّ من هذا وذاك هو أنّه لا أصدقاء لي بالمعنى الدقيق للكلمة.

ضربتني هذه الكلمة في مقتل هذا النهار، من بدايته، الساعة الثالثة صباحاً أصحو أفتّش البريد الإلكتروني، ثمّة رسالة بين الغضب والعتب والتهديد، تختم الرسالة "ينبغي أن تكون نبيلاً". بصفتي أحد المشتغلين باللغة، تعلُّماً وتعليماً وكتابة يجب عليّ أن أدرك معنى هذه الكلمة. ما هو النبل قلت؟ وكيف تكون نبيلاً في الكتابة؟ لأنّ الرسالة الغاضبة ربطت النبل مع الكتابة. عليّ أن أواجه مفرداتي، ومعانيها. أنا كاتب "غير نبيل" في المحصلة. كيف؟ أتخيّل ما يلي:

لست كاتباً "غير نبيل" لأنّني أفشي أسرار حياتي الشخصيّة في الكتابة، لم أترك شيئاً منها إلّا وتحدّثت عنه. لا بأس فكلّ الكتّاب على هذا النحو غير "نبيلين"، لأنّهم يكتبون مِنْ وعن حياتهم الشخصيّة. لست حزيناً لذلك إطلاقاً، بل سأكون سعيداً وأنا أصنّف كاتباً "غير نبيل"؛ فلم أختلق ولم أتخيّل، وكنت صادقاً، الصدق يتنافى مع النبل في الكتابة على ما يبدو.

تخيُّل آخر:

أنا كاتب "غير نبيل" لأنّني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفيّة، بكلّ حذافيرها، فأنا لم أقلّد أيّ كاتب في مشاعره، أو عواطفه، أو في صنعة الكتابة، صنعت لغتي من أعصابي، وحمّلتها تولُّهاتي وأحزاني، كلّ ما كنت أشعر به من حبّ ويأس وألم وفرح أودعته كما هو في الشعر والسرد والقصص، ككلّ الكتّاب الذين عشقوا فكتبوا، وتألّموا واشتهوا محبوباتهم وتخيّلوهنّ في أوضاع عشقيّة مجنونة. ألا يحقّ للعاشق أن يتخيّل اللذّة مع محبوبته؟ وهل إذا أعرب عن هذا التخيّل سيكون "غير نبيل". أنا فعلتها، وبكلّ ما أوتيت من قوّة روحيّة وجسديّة وكانت (تلك المرأة) سعيدة بذلك، وعلّمتني كيف تكون الشهوة حارقة بلذّة متناهية، حتّى أوشك الأمر أن يكون حقيقيّا. هنا أنا كاتب "غير نبيل"، للأسف عند كاتب الرسالة وعند كثير من القرّاء.

ليس الأمر تخيّلاً الآن:

كيف أكتب أنا؟ وما هي مصادري في الكتابة؟ عدا ما ذكرته سابقا بفعل الكتابة، أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر، نتشارك أنا والشخص بها لا شكّ

[1] في رسالةٍ ردا على نص "بعيداً عن الفضول" (متلازمة ديسمبر، دار بدوي للنشر، ألمانيا، 2023، ص18) طالبتني إحداهنّ أن أكون رجلا نبيلاً، فكتبت هذا الردّ على رسالتها. (يُنظر الرسالة في مجموعة رسائل عام 2021)، ص227.

في ذلك، لكنّ لي نصيباً كبيراً منها، سواء أرضي الشخص أم لم يرض؟ وسواء أذكرت اسمه أم لم أذكره؟ له عليّ فقط ألا أشوّه الجمل، وأن أكون أميناً في النقل. أخذت الكثير من الجمل والكلمات والتعبيرات والأفكار من محادثاتي مع الأصدقاء، وبنيت كثيراً من النصوص على شذرات من كلامهم، أعيد تركيبه وترتيبه دون أن أخلّ بالمعنى ليكون مناسباً للنشر.

هل هذا التصرف يجعلني كاتباً "غير نبيل"؟ لا يحقّ لأحد ما أن يعاتبني إن استخدمت كلماته لي ليصفني بأنّني "غير نبيل"، إن كان لا يثق بي لماذا يحدّثني ويصادقني، ويحبّني (إن كنت أتحدّث هنا أيضاً عن امرأة ما) إلّا إذا كان هو يضمر لي عكس ما أضمر له، يضمر لي الشرّ والخديعة والأذى، وكان طوال الوقت يتسلّى بي، وعندما وجد ما يشغله ذهب، وتركني غارقاً في وهمي الكبير، وليس هذا وحسب، بل يطالبني بأن أكون "كاتباً نبيلاً". أيّ منطق هذا؟ وأيّ نبلٍ في هذه المسألة؟

أعتقد أنّني كاتب "خائب الظنّ"، موجوع، لم يعد لي شيء، وليس معي شيء سوى أن أعتاش على ضجيج الكلمات يتردّد صداها في رأسي، لم يخسر أحد من الكتابة كما خسرت، خسرت نفسي- والمعنى هنا حرفيّ وليس مجازيّاً مطلقاً- وخسرت أن أكون كاتباً نبيلاً، لذا عليّ الاعتراف أنّه من اللازم ألّا أكون أيضاً "رجلاً نبيلاً". ولا أظنّ أنّني هنا أستدرّ عطف أحد أو أبتزّه عاطفيّاً، إنما هو فقط تحديد لمعالمي الكتابية، اللغويّة والنفسيّة.

ولا أدري، أخيراً، هل اللغة تفضحني مجدّداً أم تنبّهني وتضع لي النقاط على الحروف، عندما تقول في تعريف النبل: "خُلُقٌ حميد، يتحلّى صاحبه بالذكاء والنجابة في ذاته، والفضل والرّفق في تعامله مع الناس، مع حِذْقٍ في الرأي والعمل"؟ إنّني أؤكّد أنّه ليس لي نصيب من مظاهر النبل جميعها؛ لا في الذات، ولا في التعامل، ولا في العمل، فأيّ كاتب وأيّ رجل "غير نبيل" هو أنا إذاً؟ وعلى ذلك فمشروع "الرسائل" هذا الذي أصبح ناجزاً، هو مشروع "غير نبيل" بالضرورة، لأنّه تجسيد لكل ما سلف. فثمّة كتابة غير نبيلة أيضاً كما هو الكاتب سواء بسواء.

30 آب 2021

التصدير

- "إن حُبّاً دون رسالة هو حبّ لا يمكن أن يكون".

الكاتب الكندي جان ماري بوبار

- "الرسائل علامات انفصال، علامات نكتبها للضرورة لأننا بعيدان الواحد عن الآخر".

فرناندو بيسوا إلى حبيبته أوفيليا

- "كم خسرنا حين توقفنا عن كتابة الرسائل، لا يمكنك إعادة قراءة مكالمة هاتفية".

الكاتبة الأمريكية ليز كاربينتير

- يحكى أن رجلا أحب امرأة صادقة وجميلة، فبادلها الوفاء، وعاهدها أن يقيم على محبته لها، ولحين من الزمن مضى كل شيء على ما يرام، وعاشت الفتاة بخير ووئام، ثم حصل ما جعل الرجل ينشغل عنها فتركها، وجعلت تنتظره طويلا لكنه لم يعد، وأخذ محبوها يشفقون لها بينما يهزأ بها العذال، الذين جعلوا يشيرون إليها قائلين: "ها قد نبذك ولن يعود مطلقا". فالتمست الفتاة حجرتها، وراحت تقرأ في السر الرسائل التي كان حبيبها يكتبها لها، وكان في تلك الرسائل يعدها بالبقاء دوما على العهد، فراحت تقرأ وتبكي، لكنها وجدت فيها شيئا من العزاء والسلوى لقلبها، فكفكفت دموعها وأوصدت في وجه الشك قلبها.

وفي إطلالة يوم مشرق مفرح، إذا بالرجل الذي أحبته يعود، ولما دري بأن الناس كانوا يشككون سألها كيف حافظت على وفائها فأرته رسائله وأكدت له ثقته المطلقة.

(منقول من أحد المصادر)

رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح)

نبضٌ على نبضٍ تناغمَ عاقلاً   وسرى بعمقِ الاشتياقِ غرامُ

الثلاثاء: 2012/6/5

إليك ما زال القلب نابضا يهديك سره وآماله، ويعطيك شعوره فائضا برجاء المحبة الموصولة بنبضات الروح التي تشتاقك كل لحظة، وقتي جارح فعلا، أتذكرك في كل ثانية عند طعام أو شراب عند سماع أغنية أو مشاهدة تلفاز، عندما أمسك قلما لأخط فيه ما أخط، عندما أفتح كتاب الله لأقرأ فيه، تحاصرينني في كل دقة قلب، أتعامد مع أحزاني فلا تهدأ أو تستكين بل على العكس تسير بي نحو مهاوي الجنون، أسترجع اللحظات المقتنصة للزمن الهارب منا، أكاد أختنق، بل إنني أختنق، فيجف الريق، وتغرورق النفس ببكاء يؤلم ويحرق الأعصاب، مهما كتبت وكتبت لن تبلغ الحروف جزءا بسيطا من ألمي وشوقي، فلله در المعاني كم تخون!

سأظلّ مشتاقا إليكِ، ولن يخفت نورٌ تسلل في خاطري، ليعمرني ويغمرني بكِ، سأظل مشتاقا لصنعي بين كفيكِ طيرا يغني راقصا يشدو لك الحب ألحانا وارفة دانية الثمر، لألاءة في البهجة والحضور.

سأظلّ مشتاقا لكل التفاصيل التي كانت تسافر في دمانا، وتشرح عنا حبنا وحنيننا، وتحفر روحنا على جدار الوقت كي لا ينسى أحدنا أو كلانا تلك الروح التي اشتعلت بنا في كل لقاء، ونمت وأنبتت في الحب سبع مسافات خضر تفوح بنا كل حين.

سأظلّ مشتاق لصوتك النادي النديّ العامر بالموسيقى، يرسمني أيقونة بشكل لا يتكرر إلا على شفتيك عندما أتكور بين شفاهك كحبة من كرز.

سأظلّ مشتاقا لتلك اللمسة الحانية والنظرة الصافية، والرحيق الساحر.

سأظل أسابق الوقتَ كي أكون بين يديك طفلا يستقي من رضاب شفاهك حليبه الذي يرويه يا أنثى الحليبِ وأنثى العسل.

سأظل ماءك أتساقط ندى بين راحتيك، يا غيمة مشبعة بأنا، بماء الروح، تسكبينك فيّ كأسا من ضياء ورؤى.

سأظلّ مشتاقا لعينيك اللتين أراني فيهما نظرة شوق ولهفة من قصيدة وأغنية وضمة من ورود الصباح، أسرّح الأحلام فيها، وأقبس من شذاك العطر يا مغتسل العطور وشذاها الفائحات على جسد حريري بض ليس به غير اشتهاء وجرعة من زهر...

سأظل مشتاقا لكلمة "أحبك" خارجة من شفتيك غيمة من حياة وبارقة من نور روح.

الاثنين: 2014/3/24

صباحك سعيد وموشى بزهر اللوز بل أقرب، لا أريد لنوار اللوز أن يبتعد عن صباحاتنا الفيروزية، أعود لأكتب لك وأهنئ نفسي بالحب، لقد انتبهتِ هذا الصباح، فقلت: "من زمن لم تصبّح على أصدقائك على الفيس بوك، فلتصبح على الجميع".

إنه صباح مميز وجميل، فيه من عبق الروح ما فيه، وفيه من الشوق ما فيه، وفيه من اتصال الروح ما يجعله أبديا لا يزول ولا يحول، فيه من الهمس والنور المتسرب للحنايا ما يجعله أثيريا صافيا عاقلا ومجنونا معا، وأنتِ فيه سيدة ليس كمثلها في السيدات، آنسة الروح والفكر والخاطر، تعيشين في كل التفاصيل، سيدتي وجميلتي وحبيبتي صباحك شعر وقصيدة ضوء وقافية عطر تعطر أجواءنا المكفهرة.

لماذا قلت أجواءنا المكفهرة؟ لست أدري ولكن لن يصنع الفرح الشهيّ غير أهله العالمين فيه، ها هو آذار شهر الحب وشهر الجنون المتصل بطقوسنا الوردية الناعمة ما زال مشتعلا بوروده في لقاءاتنا وهمس حنيننا الواله المتعطش للمزيد.

لست أدري لماذا المكفهرة، ولكنها بالتأكيد أجواء سياسية غير عادية وشاذة ومقرفة، لا يمحو قطران سيئها غير الحب وجمال الحب وصوت فيروز الصادح:

مـــــــن حي لـــــــــحي عـــــم تـــــوعى البشــــــاير
وبــــــــلاد الــــــــفي فيهــــــا الفـــــرح دايـــــــر
خليـــــــــك خـــــــطي ضــــوي عـــلى الـــــداير
يــــــا شــــمس الــــمي حلفتـــــــك لا تغيـــــــبي

سيدتي وسيدة الجمال المهيب صباحك أحلى ويومك حافل بالهناءة والسعادة، أما أنتم أيها الأصدقاء فأقول لكم: أنا وأنتم مدينون لسيدة الروح بهذا الصباح، فقد جعلتني أسمعكم فيروز الحب والجمال والإنسانية.

الأربعاء: 2014/7/9

أكتبُ إليكِ الآن شيئا آخرَ، عن روايتيَ التي سأشرح فيها كلّ شيءٍ عنّي وعنكِ وعن تلك التفاصيل التي تنكرتِ لها، ولم يعد للقلبِ الواهم منها أيّ نصيب، فقد قطعتِ ما كان يجب أن يوصل، وقتلتِ ما كان يجب أن يحيا، وأحييتِ الفساد العقليّ والروحيّ لمهزومٍ خاسر لأبسط ما كان يجب عليه أن يربحه.

أكتبُ عن تلك النّصوص المؤجلةِ التي شربت من مائك ذات يوم، واغتسلت بالوقت مني في دماءِ اللحظة المنتشية، وانتبهت لأشيائنا العطشى فتحركت فيها الحياة لبعض بارقة، فوضعتِ الترابَ في فمي وفمك حتى لا تزهر النبتة على أطراف أصابعنا، وقد وجدت منبتها التي طلبته منذ سنين.

أكتبُ إليكِ عن افتعال الغضبِ دون وجه، وعن احتقارك للدلال العاطفيّ المسمّى في روايتنا الطويلة "وهم حب"، وعن تلك الفصولِ المؤلفة في هجائي وغبائي وابتدائي وانتهائي، عن كلّ شيء سوف أكتب.

فانتظري الرسائلَ القادمة فإنها باذخة المجون وحارقة للعصب ومميتة لكل وهم، ومشعلة بوارق الخوف من كل حرف لا يتقي ولا ينتقي ولا يموت به الغضب، انتظري الرسائل الناقمة الحمقاء، فإن زمانها قد حلّ، فإن وجدتِ الخيرَ فلا تفرحي، وإن وجدت الشر سيد سيدي لا تزيدي في اللهب

تلك هي الرسائل المؤجلة القاتلة ولفحها لا ينتهي فلا تتسلمي البريد وقاطعيها، وعودي حيث كنّا في الجفاء الأبدي، ولا تقرئيني.

الاثنين: 2014/9/8

كم كان رائعا لو وضعت اليوم رأسي على صدركَ الحاني، أتنفسك وجدا وتتنفسني عبقا أرجوانيا، فأنساني بينك، لأجد نفسي وقد تشكلت نقطة حب بين نقطتين هناك تشكلان نهرا من أناي وأناك المتوحدتين على صدر شهي.

كم كان جميلا لو بقيت الفرصة مهيأة لنزول غيث سحابنا بين كثبان رملك الناعم وصخوري التي أتعبها نصب الوقت وشرك المواعيد الفارّة من بين أصابعنا، لنتقد ونتوقد ونضيء كأننا شمعة في دهليز الحياة المتعبة الغشوم.

كم كانت اللحظة الآن منتشية بنا ونحن نبدأ الوقت بالعناق والقبلة الطويلة واشتباك الأيدي التي أثقلتها الحرارة المختزنة من جسد يفور بنا لنطفئ شوقا تلبدت سحائبه كثيرا، وتكاثفت، وما إن وصلت لهذيان هيمانها حتى أقلعت وخلفتنا مجانين نعاني الأمرين من كل فرصة لقاء مهدرة.

كم يشعر القلب بنزف يؤلم دون رحمة، وقد حضر الوقت ولم نحضر، وحضرت اللهفة ولم نحضر، وحضرت في قلوبنا الآه الطويلة زافرة آلام انكسار توقعاتنا.

كم تهيأتُ اليوم لأكون بينكَ في خلاياك النادية، ولتكونَ بيني في خلاياي المستطيلة المنادية، كم كنت جائعةً وعطشى ومتعبة، لألقاك فنشبع ونروى ونرتاح معا ونحن نعبّ من ذات الكأس في ذات اللحظة.

ماذا فعلت بنا الأوقات ففتت أرواحنا وشرذمت خلايانا، فرجعنا دوننا، رجعنا نضرب موعدا آخر، واستعدادا آخر لوقت جديد ومكان جديد وظرف قد يؤاتينا، فنأكله ولا يأكلنا.

ها هو الوقت يقترب، وأنظر إليه زاحفا، يفيض أسى وحسرة كلما زادت الدقائق اكتمالا للموعد المضروب... كيف تبخرتِ أيتها الأمنيات وضعنا في التصورات التي لم تتكون، تسربت من بيننا وانسلّت؟

لم نعد نرتب شيئا ولا نحلم بأكثر من قناعتنا أننا ربما التقينا، فلنترك أقدارنا تجري في أعنتها، فإننا لن نسلم من الانخفاضات الجوية المباغتة التي تدمر كل موعد في آخر محطة من كل ميعاد ولقيا.

فيا لله كم سنتحمل من اهتزازات وارتجافات وحرارة شوق! فيا ليت أننا الآن معا يا أمان حبي المطلق يا ليتنا معاً.

ش. ح

الثلاثاء: 2015/1/24

كم تؤلمني لحظة الكتابة، أشعر أن مبضعا يجوس القلب والعقل والنفس يفتش عن تفاصيل الفكرة الضائعة أو المتبقية هناك، توجعني الفكرة يا عزيزتي، وتوجعني كتابتها، ولكنها تخلف في النفس نوعا من الراحة لأجلٍ ربما لن يطول طويلا، حتى تعاود الفكرة كرّتها من جديد، لتعيد غرس أنيابها فيّ مرة أخرى، فكل نص أكتبه هو لك بشكل مباشر، ليس لخيال الكاتب أي علاقة فيه.

أعرف أن الكتابة تؤلمك، فكم أبكيتك وأنا لا أريد لك البكاء، ولكنها طريقتي في استحضارك وجعا أبديا "كالذي مضى"، وكيف يمضي وهو ما زال حيا يعتاش على أشلاء روحي، ربما تصالحت روحكِ مع فكرة التعايش بصيغة رضا وهميّ، أما أنا فلا أستطيع تخيل العالم دون أن تكوني سره، وبوح أقلامه وخيالا جَموحا لشاعر أسميتِه ذات مرة بالمجنون.

تؤلمني الكتابة ويؤلمني الصمت، وتؤلمني كل الحالات الممكنة وغير الممكنة، حالة لا تستطيع الكتابة تخيلها أو استنطاقها، ربما لأن شيئا في داخلي منكسر، أو ضائع، أو ربما أنه جبان مقيد لا يحسن صنع ما يتوجب صنعه، عاجز حد فقر الدم، حالة تجعلني أسير "الألواح الإلكترونية" وألبوم صورك المتكاثرة، وذكرياتك المتلاحقة، وأطيافك الزائرة، والنصوص المستكينة أو النافرة، كلها كانت وما زالت أنت، فلا تتبرئي مني ومنها ومن ذلك الماضي، إن ذلك "الماضي الجميل" هو أنا أنت، وأنا الآن صناعة خاصة برسم قلبك الذي احتوى وجعي وأنار بصيرة الرؤى التائهة، فلا تبرئي من دمائي ولا تتبرئي مني، ولا تكوني ذلك الغولَ الفكرةَ الذي يغتال ما تبقى من رجل لا يكون رجلا إلا بك وحدك، فلنصارع الغول معا، لعلنا نظفر بالسلامة.

أحببتك أنت

سلمتك روحي قبل قلبي لأنك حركت فيّ مشاعر اعتقدت أني قد قتلتها، أحببتك لأني جزء من روحك، أحببتك لأنك ملكتني... أسرتني... احتويتني... فجرت أنوثتي وكنت رجلي وسندي وأماني.

لست مثلك ملكة اللغة أسخرها كأداة تعكس الحب والعشق، لكن أملك بث ما بداخلي بصوتي وبنظرتي من دون كلام. تفوقت علي مرة أخرى باستشعارك ما تحتويه روحي وقلبي لك.

كن لي أنا أكون لك أنت.

ش. ح

بدأ الصباح بتحضير اللقاء، لكن جرت الرياح بما لم تشتهِ السفن، وأخذنا بتهدئة أشواقنا لعل وعسى يعود أمل اليوم للشروق. حبيبي وقلبه الحاني امتص قهري، لكنه سحب أنفاسي وسارع نبضي، فاجأني بغابته تتوسط جسمه الدافيء الحار، وأطلت من وسط غابته ألفي الغارسة، لم تكن كما عهدتها، ما ظهر اليوم هو وحش متحفز متأهب للهجوم والاقتحام ومتعطش لبلوغ أعلى قمم المتعة.

سأستلم له وسأروضه، فأنا أنثاه وأنا من تعرف كيف تظهر وحشيته التي عشقتها وكيف أظهر رقته التي تغمرني.

لن أقف في طريقك، بل بالعكس، سأفتحها لك لكن بقليل من المقاومة كي يشتد جنونك وأستسلم أكثر وأكثر.

ش. ح

رسالة من أميرة الوجد[1]:

أردنا الوصال، نهض من غابته الكثيفة الرائعة بكل قوة، اعتلى خوذته وتملكه العشق والشوق والشبق، يتنفس ويخرج زفيره قليلا مبتلا، هذه بداية السيل. يتحرك ويستعد للهجوم ولدك الحصن، حصنه القطني المشتاق، يشتاق لغمده وللاستقرار في أعمق أعماقه.

يحمل معه وردتين متكورتين، يضعهما في الأسفل تتحركان بتحركه، تمسكانه وتحدان من قوته ومن اقتحاماته، ما أجملهما!

بدأ الوصال بحجمه الكبير ويكبر ويكبر يريد غمده ليغلق منافذه يركض نحوه مندفعا بخوذته، يرتفع الصراخ وتعلو التأوهات يستمر في محاولة الاستقرار، يخرج ليتنفس ويعاود الكرة، يهتز ويهز الجسد، استقراره لا يكون سوى بتدفق الدفء وسيلانه...

ينتفض ويتدفق ويفيض وتهدأ أرض المعركة وتستكين ولا يبقى سوى التأوهات والرعشات الجميلة.

قراءتي الخاصة للرسالة:

الأنثى أجمل مخلوق خلقه الله تعالى من كلّ شيء، فما بالك بالمرأة، أنثى الرجل التي تفيض حنانا وحبا واشتياقا وألقاً...
نعم، إنها المرأة أنثايَ المبتهجة بأنوثتها السعيدة بما أوتيت من قوة وصال وشبق، تستشعر أهمية جسمها وأعضائها عضوا عضوا، وتتأمل دون خوف تلك الأعضاء الأنثوية، ما شكلها؟ ما غايتها؟

---

[1] تجربة خاصة بيننا؛ اتفقنا فيها على أن تكتب (ش. ح) نصّا في الوصف، على أن أقوم بشرح ما كتبته.

مع من تريد أن تكون؟ ما الذي يكملها؟ وما هو مكمن السر كله في جسد الأنثى الناضج الضاجّ بالحيوية الصارخة والصاخبة بلا عنف.

عندما استشعرت أنثايَ حاجتها وتفهمت جسدها ووظيفة أعضائها لا يمكن أن ترى في تلك الأعضاء مجرد قطع تؤدي وظائف ميكانيكية فسيولوجية بحتة، إن لها وظائف روحية أيضا، هكذا ترى حاجة جسمها وأعضائها لأعضاء رجلها الذي آمنت به ووثقت فيه، فأعطته مفتاح أنوثتها، وأخذت منه ومعه ولها وله في صناعة الجمال الأنثوي بالاشتراك المفضي للمتعة الكاملة الحسية، لنكونَ معا قد حققنا وصالا روحيا ونفسيا ليس جسديا فقط.

عندما تفتح المرأة جعبتها، وتفتش داخلها، وترى أنها محتاجة لعضو رجلها ليكمل عضوها الذي ينتظر وظيفته الأسمى في الوصال المشترك، عندها تكون قد وصلت إلى مرحلة من التوحد في ذات حبيبها التي ارتضت أن يشبعها ويروي تأوهاتها ويطلق صرخات شبقها الليلي والصباحي، عندها فقط يكون قد تم الاتحاد والحلول ولا رجعة عن الانفصام والابتعاد وإن عكر الصفوَ بعض خصام آني لا يدوم.

هي الآن أنثاي، تصف ما تراه من عضوي الذي سمحت له بحبها وحنانها أن يكون لها بين فخذيها راويها وساقيها وغارس ألفه فيها، تصفه وصفا يروق لها أن تراه فيه، فهي كما كتبت تحبه بكبة الشعر كأنها الغابة حوله، فهل رأته أسدا؟ ربما يعيد ذلك إلى الذهن أول مرة رأت فيه ذلك العضو، فقد كانت خائفة، لم تستطع إليه النظر بحدية، كانت تسترق إليه النظرات، حتى إذا روضته أصبح أليفها وألفها في آن.

تلتفت لكل جزء فيه، فتبدأ بوصف الرأس فشبهته بخوذة المحارب، يا له من وصف بارع، فلطلما كان الاشتباك بين العضوين معركة لذيذة الطابع.

تصف تدريجيا كيف يبدأ بمراحل وصاله، ينتفخ تدريجيا رويدا رويدا، فيسيل ماؤه قليلا قليلا، إنها لا تستعجل ذلك الاشتباك الحتمي، فتأخذ بالتأمل، فكيف يسيل ذلك الماء اللذيذ؟ ما طعمه؟ تتذوقه على مهل، وتزداد رغبة بعد رغبة.

تلتفت للوردتين المتدليتين في أسفل العضو، يحدان من تدفقه داخلا، جملة ترغب بالشرح دون الشرح، إنها الرغبة غير المنتهية في الاستزادة من كل خلية من ذلك العضو، لا تريد منه شيئا خارج وردتها، تريد أن يكون كله مع وردتيه داخلا فيها إلى أعمق أعماقها، إنها تقول أعمق أعماقها، لقد وصلت إلى ذروة النشوة واللذة والشبق الذي لا تريد له الانقطاع.

تتقدم خطوة أخرى فتصف الإيلاج وكيف تشعر فيه داخلها، وقد انتفخ العضو وامتد ليسد منافذ الوردة القطنية، يكبرُ ويكبرُ، يحشر نفسه فيها ليعطيها إحساسا بالامتلاء والانتفاض والهزة الكاوية. لتصل إلى اكتمال العملية، فذلك السيل القليل الذي سال أولا على خوذة المحارب، يتحول إلى

دفق يفيض في وردتها فيسقيها من جديد، فتعبر عن تلك اللحظة بانفعال الرعشات والتأوهات التي لا تستطيع إلا أن تطلقها احتفالا بذلك الاتصال المشترك بين ألفها الغارسة ووردتها القطنية الناعمة.

أنثاي وحبيبتي هذه التي كتبت ما كتبت تعي وتدرك أهمية أن تكون أنثى لرجل هو لن يكون لغيرها، لذلك كتبت لي، ولولا أنها تدرك أنني أهل لذلك الوصال الحنون لم تكن لتفتح مخابئها الثمينة.

فهنيئا ذلك الوصال لنا ولكل من هو مثلنا من أهل الحبّ.

الجمعة: 2016/2/12

حبيبتي التي لا أملّ منها ومن مناجاتها، أسعدتِ أوقاتاً، أيتها الطاهرة كتسبيحة قديس في ليل عميق التأمل، أمّا بعد:

لم أفكر بشيء وأنا في غمرة الصلاة هذا اليوم إلا بهذا: "ألّا تجعلني يا ربّ سببا في إزعاج أي إنسان، وامنحني القوة لأكون إنسانا جيداً، يدخل السرور على قلب كل من له علاقة معي". وكررت ذلك مرارا بسري، وأحيانا أسمعت نفسي، وأوشكت أن أتضرع وأرفع يدي، وخشيت أن يستمع من كانوا بجانبي لما أحببت أن يظلّ سراً بيني وبين الله.

تذكرت أياما سابقة، كيف كنت فيها فظّا غليظ القلب، مهووسا، أستجمع كل قدرة لشيطاني ليتغلب على ما تبقى في داخلي من نور. أحسست أن ذلك الشيء ضعيف جدا، وبدا لي متلاشيا وبسرعة، حاولت تدارك ما بقي منه مشتعلا لجعل الحياة أكثر احتمالا، ولعل ذلك الخافت من نور يستطيع تبديد سحب الظلام الكثيف في داخلي.

أنظر الآن إلى مساربي الداخلية، العتمة كثيفة، ذات نتوءات مزعجة، مصمتة لا يفلح أي معنى باختراق جدرانها المتصلبة. أحاول استجلاء روحي لعلها تنظف مما علق بها من أدران أرضيتي المتسخة بكل أنواع الهلام الحقير. أشعر أن إنسانيتي مفقودة بشكل كلي.

أستحضر صورتك البهية، وأناجي الله سبحانه، فيا ليتني أستطيع إنقاذ ما تبقى من ظلالي المشتتة بين أوهامي وتخيلاتي وواقعي الجاثم كالوحش يغرس فيّ أنيابه دون رحمة.

تنتابني رغبة شديدة بالبكاء والحاجة للصراخ والتفريغ والثرثرة ولكن مع من؟ ومن يستطيع غيركِ أن يسمعني وهذا الخواء يملأ كل كياني المتهدم؟ أرجوك لا تجعلي تسولاتي تذهب سدىً فكلي يحتاجك لأشعر بالأمان!

الثلاثاء: 2021/4/27

صباحكِ سكّر، يا أجمل النّساءِ، وأشهى النّساءِ، وأعلى النّساءِ، وأكثرْ...!

لا أدري لماذا صارت تطاردني رسائلك في ضيق الوقت. ها أنا متهيئٌ للذهاب إلى العمل، والرغبة شديدة لمخاطبتك. أتدرين أيتها البعيدة مثل نجم كم يخسر العشاق في مثل هذا الوضع الذي

نحن فيه. إن كانوا شعراء سيخسر الشعر مئات قصائد الغزل الجميلة الناعمة، وستخسر اللغة آلاف الكلمات والتعابير الجديدة، وسيفرد اليأس جناحيه ظلاماً في كل وقت. إنهم سيخسرون تلك الحرارة التي تدفعهم ليواصلوا أعمالهم بحب وانشراح، سيجدون الحياة سوداء قاتمة، والدروب مقفلة، والشمس غائمة، والبدر باك حزين.

أتعتقدين أن هذه الخسارة هي خسارة شاعر فقط؟ أم أنها خسارة شاعرية التركيب؟ أعتقد أن الخسارة أكبر من اللغة ومن النص. خسارة العاشقين في مثل هذه الحالة هي خسارة لمبرر الحياة في الزهرة وفي الثمرة وفي كل شيء. أقلّها ألما ألا تردّ الحبيبة تحية الصباح، أو أن تردّ على الرسائل ببلادة، تشعر الحبيب بأنه غبي أو مجرد كائن لا أثر له.

هل تهاجمك الذكريات كما تهاجمني؟ إنها ما زالت تحتلني، تسكن في صلب روحي، وتلفني في كل ثانية، أستعيد المشاهد كلها فأبتأس وأجنّ، أسترجع ضحكتك، أسترجع حديثك، أسترجع تأوهاتك، أسترجع نظرة المدى في عينيك، أسترجع طعم قبلتك، واللذعة في ماء شهوتك، أسترجع مناماتنا وسهرنا ومرحك في الغرفة عارية. أسترجع مشاويرنا من مدينة لمدينة؛ بحثا عن مكان نصنع فيه اللحظة التي لا تموت. أنسيت كل ذلك الجنون الذي كان يحيي نفوسنا يوماً كاملاً. يا ليتك لم تضيعي في الزحام وتتركيني عاريا تتخطفني الريح، وينهشني البرد، ويأكل لحمي الحنين.

اقتربت الساعة، عليّ أن أتوقف عن الكتابة. هل يا ترى سنعود كما كنا، نشرب شاينا في هدأة المساء في غرفة فندق ما؟ هل يا ترى سأعود أقطف القبلة على عجل ونحن في الطريق إلى شهوتنا؟ هل سأنام على ذراعك الأبيض البض الحريري وأغفو وحلمة ثديك في فمي؟ يا ليتك تعرفين كم تستعبدني تلك اللحظات التي كنت أقضيها متأملا صدرك وبطنك وسرتك وفرجك وفخذيك وساقيك وصولا لمداعبة أصابع قدميك، ورائحة الشهوة في عناقك، خسرت كل شيء، ولم يعد لي غير هذه الصورة التي تجرح الروح.

ليتك تعودين ليعود الشعر أخضر زاهيا، والورد أحمر قانيا، والوقت أقصر نلجمه ونمدد ساعاته ليكون أطول. ليتك الآن هنا، ليتك الآن تقرئين شفتيّ بقبلتك، وجسمي بحركة راحتيك، وليتني أكتب كل ما أريده على قمتك الباهرة.

أيتها الحبيبة القاسية، أحبك حتى آخر ما يجود به القدر من عمر!

المشتاق لكلّ خلية في جسدك كنت قد تحسستها فأسعدتني شهيتك فيها.

رسائل (2016 و2018)

لمّـــــا بـــــدا لي أنَّ قلبـــــكَ ملَّـــــني
وعلمـــــتُ أنَّ هنـــــاكَ مـــــا لا أعلـــــمُ
أقســـــمتُ أن لا أورد اســـــمكَ في فـــــمي
لكنّـــــني قـــــدْ كنـــــتُ باســـــمِكَ أَقسِـــــمُ

الشاعر جميل صدقي الزهاوي

الاثنين: 12-12-2016

لا أدري أي وصف سيكون مناسبا بعد النداء باسمك (العزيزة، الصديقة، الحبيبة، الغالية، الرفيقة، القريبة، البعيدة) ربما كنتِ كل هذه الأوصاف دفعة واحدة، بل إنك كلها وأكثر من ذلك. لم أنم طوال الليلة الفائتة، وأنا أفكر كيف سأحسم أمر هذا الجنون الذي لا بد له من أن ينتهي.

لا شيء سيتغير، لا أنت ستتغيرين ولا أنا سأتغير، سأظل تأكلني الغيرة كلما رأيتك وأحدا ما، وهنا لا أقول كلاما لا يليق بنا نحن الاثنين، ولكنك امرأة، كما أرى، تحبّ أن تكون لها علاقات صداقة مع الكتّاب في كل مكان، من هنا حتى أقاصي البلاد البعيدة، عربا وأجانب، حتى وصفتك بيني وبين ذاتي أنك امرأة مصابة بحب الكتّاب، ليس ذلك الحبّ العاطفي المقيت البائس بكلّ تأكيد، وإنما حبّ معرفتهم والتقرب إليهم، وصداقتهم والتصوير معهم، والسعي للقائهم. هل تصدقين أنك لم تقولي لي ولا مرة واحدة أنك التقيت بالكاتبة الفلانية، أو رأيت فلانة في معرض الكتاب أو صادفت كاتبة ما في إحدى حفلات التوقيع التي تحرصين على حضور ما كان للكتاب تحديدا دون الكاتبات، يا سبحان الله كل من يصدفونك يكونون كتّابا، وكأنهم قدرك المحتوم أو أنك قدرهم المقدور، حتى في تلك الفنادق التي تضطرك إلى المبيت فيها، ستكون الصدفة أن الكتاب هناك موجودون، وبالصدفة المحضة، حتى وأنت تجدين نفسك معهم على مائدة العشاء في مساء يوم الصدفة، كان ذلك مجرد صدفة، بالتأكيد إنها صدفة بائسة، لا تصلح لسياق روائي جيد. وليس بإمكاني تصديقها حتى وأنا أغبى مخلوق عرفته الآلة الكاتبة.

هذا أمر لا أستطيع احتماله، ولستِ على قناعة بتغييره، ولستُ على استعداد للتدجين، وقبول هذه الفكرة الخائبة جدا، لذلك لن يغيّر أي لقاء من لقاءاتنا المحتملة من الأمر شيئا سوى المزيد من النشوة الكاذبة، التي ستزول بمجرد أن نفترق، لأنك تكونين قد أدّيت واجب التعاطف الوجدانيّ البريء مع هذا الغبيّ، وهدأت قليلا على ما تظنين أن هناك عذابَ ضمير تجاه ما تعتقدين أنك سبب جارح فيما أعاني منه من أرق السهر والنحول والتشتت.

أحب أن أقول لك: إنني لست عاتبا ولا ساخطا، أخذت منك حظا ربما كان وافرا من حبّ ولقاء وشهوة ذكرى ولهفة قصيدة ماجنة، ولست نادما، فلتبق فقط ذكرى جميلة في أذهاننا عنا، أنت صاحبة هذه الفكرة المتمناة منذ زمن، وها أنا أحققها لك دون خسائر أو ألم.

عليك أن تعلمي حقيقتين إحداهما أكثر احتمالا من الأخرى؛ الأولى أنك امرأة لن تنسى، وتمكّنك في القلب لا يزول، وأما الثانية لا أحد يريد لك الخير من هؤلاء الرجال الذين يسعون إليك أو تحرصين على صداقتهم، سوى اثنين أنا وهو فقط. (هنا أنت بالتأكيد تعرفين من أقصد بالغائب الكائن بيننا). لن أنصحك، لأنك لا تحبّين النّصائح، ولن أوصيك، فأنت تكرهين الوصايا فقط أقول: "أحبك أبدا"

لا تحاولي الرد على هذه الرسالة، لأنه لا من سبيل يمكن أن توصلك إلي أو توصلني إليك. ولن آتي لأي لقاء، فلن يمنحني اللقاء أي شيء سوى المزيد من القهر. وإن التقينا ذات يوم لا تفاجئيني بالحديث، لأنني سأكون فظّا، ولستُ غليظ القلب فقط، سأكون عديم الذوق والإحساس، ولا أعرف أي حماقة ستُخْلَق ساعتئذٍ. أرجوك لا تشعري بالألم، لأنك حرّة، وأنا الآن أكثر قدرة على الاحتمال.

الجمعة: 2018/2/16

أتذكّر كأنّه الآن، بل إنّه الآن، لم يبرح نشوته الأولى في ليلة تعارفنا الأولى، كيف كنت تَزُجّين في دمي جسمك البضّ النّاضج قطعةً قطعة بصورك المشتهاة، كنتُ في تلك اللّيلة أنزف ماء مقدّسا مع كلّ صورة، وتعيدين تشكيل روحي على هيئة مخصوصة، كنتُ أراك شهوة افتراضيّة عابرة متاحة لليلتين أو ربّما هي ليلة واحدة، وإذا بك تحتلّين كلّ مساحة من كياني بعد أن عجنتِ تلك الخلايا النّاعمة بجسدي المتيبّس، فانبثقت أولى القصائد تصف ذلك المعروف لديّ المُعرّف بقطعة سُكّر وكأس سُكْر، وصفتك من علو نهديك المنتشيين المنتصبين حتّى أسفل أعضائك المبتّلة بعطر أنوثتك[1]، كنت حوريّة كاملة، وكنت مهيّئا بالقدر؛ لأحمل كلّ تلك الشّهوة كصخرة أدفعها، وتدفعني، فتقوى عليّ، لتتركني حُطاما تحتها.

ثم بعد ذلك، في تلك المجموعة القصيرة، الخاصّة جدّا الّتي أطلقت عليها "أغنيات لسُمُوّ نهدك" أتلوّى على جسدك كثعبان، وأستلقي على فراشك كعاشق مفتّت لا يراك إلّا أحلاما شهيّة تتابع كلّ ليلة، لا يهدأ عصفها، ولا يرتاح جنونها، أهديت هذه القصائد لذلك الجزء المتاح من جسمك في كلّ مرة كنّا نلتقي فيها، ليكون تحت ناظريّ، كنت ألتهب وأشقى، وكنت تحرقين كلّ خليّة فيّ. كنت قاسية كالماس، لذيذة كشهوة أبديّة.

في كلّ تلك السّنوات، حيث كنتِ بعيدة هناك في غربة مجنونة، أو حيث كنت هنا كأقرب امرأة بعيدة، تنام على ساعديّ في الحلم، لم أظفر منك بقبلة أو غمرة أو لمسة عدا لمس يديك النّحيلتين، لم أجرؤ على أن تمتدّ يدي الوحيدة لأتحسّس صدرك، أو وجهك، أو فخذيك، أو عضوك المشبوب بنار شهوة جارفة، كنت قانعا بقربك أشتمّ رائحة الأنوثة الطّازجة. كنت أعلم أنّني أدخل مغامرة ليس لها نهاية إلّا بالموت، كنت أعرف أنّ صبابتي وهمٌ وجنون، كنت على يقين أنّك حين تتمدّدين في الفراش لينعم رجلك بك، أنّك لست لي، حتّى في أحلامي المحرّمة. كنت أخون المنطق بقوّة، لكنّني كنت سادرا في الغيّ، وما زلتُ.

في كلّ مرة أحاول فيها أن أبتعد، وأتخلّص من أوهامي يعاودني الشّبق والحنين وتهجمين عليّ، أستسلم غصبا عن كلّ تلك الأيْمان الّتي أقسمتها، تُرجعينني إلى حافّة دائرتك الموجعة، فلا أستطيع الخلاص، ولا أقدر على الدّخول إليها كما ينبغي لعاشق مجنون أن يكون مع حبيبته الّتي

[1] قصيدة "دمتِ الغدير"، ديوان "وأنت وحدك أغنية"، القدس، 2015، ص 329.

حرقته، وحوّلته إلى هواء وهراء ووهم. كأنّه قدر أن أظلّ هكذا؛ أعبّ من كؤوس الانتظار حتّى دون أن أمنّي النّفس ولو للحظة أن تشفي الغليل بقبلة هادئة.

لقد أوجعتني هذه القصائد، إذ خرجت معجونة بلعاب آلهة الحبّ والجمال، من أيروس إلى أفردويت، مرورا بعشتار، وانتهاء بألم النّفس الأمّارة بالحبّ والسّوء معا، قصائد مفخّخة بألغام الشّهوة الجامحة، أحاول أن ألجمها فتستشيط جنونا، وتتفلّت الكلمات والصّور والمشاهد، وتتنازل عن استعاراتها الخجولة، كانت تريد أن تسمّي الأشياء بأسمائها كما هي (الفرج والبظر، والنّهد، وفخذاك، وأليتاك، والرّعشة الكبرى)، كانت الحروف مسامير تدقّ لحمي فأنزف من كلّ جانب.

جميلتي ووحيدتي وأميرتي وشهوتي وشهيّتي وقتيلتي، وقبل كلّ ذلك وبعده، مجنونتي وحبيبتي:

إن قرأت هذه القصائد، لا تحقدي عليّ، ولا تلعنين جنوني، ولا تسخري منّي، واغفري تولّهي وجموح الصّهوة والصّهيل في دمائي، اقرئي، وتذكّري أنّني لم أكن سوى شهيّة خارجة عن نطاق المنطق الحزين الّذي ابتلاني بهذا العشق الّذي لا يكفُّ ولا يخفُّ، ولا يرحم، ولا يتوقّف، وأعلم أنّ ما بين الوعد والموعد وقت يموت، ولكن ثمّة ذكرى تتفتّح كلّ يوم أملاً لن يموت، وأعلم أنّ ما بين الجنون والعشق شعرة، لا يحافظ عليها إلّا المحبّون، فلا طعم للحبّ إن خلا من روعة الجنون، وإن كان يقود المرء إلى الهاوية، فيا حلوها من هاوية، ويا حلوه من حبّ.

كلّ عام وأنت بخير، كلّ عام وأنت القصيدة، كلّ عام وأنت الوردة، كلّ عام وأنت الشّهوة المتجدّدة، كلّ عام وأنت الحبيبة الّتي أشتاقها بلهفة، لعلّها تطال يوما ما ليصبح كلّ هذا الوله واقعا مجنونا.

أحبك....

الاثنين: 2018/3/26

لعلّه أمر يدعو للنّشوة اللّذيذة، وأنت تعيشين في ذاكرتي، وما زالت سروتكِ تكبر كلّ هذا الوقت. أعرف أنّه لأمر مخجل ألّا نتحدّث معاً على امتداد هذا البعد الاختياريّ القاسي، لكنّ ثمّة أمراً آخر جديراً بالملاحظة الإنسانيّة الخالية من العاطفة المشبوبة الّتي لم تهدأ مطلقا منذ أن تسرّبت إلى مخيّلتي. هل تصدّقين أنّني ما زلتُ، كما أنا، هاربا منك ومنّي ومن اجتماعنا سويّة؟ أتذكرين آخر لقاء جمعنا، كم كان بائسا، كنت أقرب ما يكون وأبعد ما يمكن في الوقت ذاته. ربّما أعرف، كما تعرفين، أنّ خوض التّجربة على هذا النّحو الّذي جرّبناه لم يكن سوى شجرة ورد استطالت أكثر مما تستطيل شجيرات الورد في العادة، كيف كانت تكبر هكذا؟ إنّها تقف الآن شاهدة حزينة تحاول أن تظلّ صامدة. أشكّ في قدرتها على المقاومة، إنّها تعاني من العطش والجوع والفقر مثلي تماماً.

هنا في هذه العزلة الاختياريّة عن العالم، وتحوّلي إلى شخص غريب جدّا أكثر من ذي قبل؛ أصبحتُ أكثر واقعيّة مع هذه الافتراضيّة المؤلمة، جهاز هاتفي يحنّ لصوتك جدّا، مع أنّ أصابع يدي عاجزة عن الضّغط على الأرقام لأسمعك، فقط هو الحنين الخارق الّذي يبقى كأيّ أثر كنعانيّ قديم يأبى أن يزول.

كلّ شيء على حاله لم يتغيّر منذ عام سوى أنّك أصبحت أكثر إشراقا وزاد عمري وعمرك سنة إضافيّة، اكتملتِ وحدك، ونقصتُ وحدي، وتساقط المزيد من شعر رأسي، وما تبقّى منه استعمر الشّيب أكثره. وزاد نحولي وشعرت أنّ قامتي أقصر بخمس سنتيمترات أخرى غير تلك الّتي لفتِّ انتباهي إليها، وكلّي آخذ بالتّلاشي، وأعاني من ألم في الأسنان، وتخلّص تجويفي الفمويّ من الكثير منها. والطّعام الّذي أتناوله أيضا أصبح محدودا جدّا، أشترك مع الأطفال فيه، مقتصراً على الأطعمة الطّريّة، إنّه البذخ يا عزيزتي. إنه بذخ الشّيخوخة المبكّرة!

لا أدري كيف يغدو شخصٌ تخطّى الأربعين بخمس سنوات عجاف، طفلا نزقا سطحيّ التّفكير، تغيّرت فيّ عادات كثيرة، لم أعد أغتسل كثيرا، كما كنت أفعل، ولم أعد بحاجة إلى أن أرجّل شعر رأسي، ولا أن أتطيّب منذ فرغت زجاجة العطر الّذي أهديْتني إيّاها ذات مرّة، كلّ ما في الأمر الآن هو هذه الكتابة الّتي تشعر بالحكمة، هل تصدّقين أنّ اللّغة حكيمة أكثر من صاحبها؟ أمر غريب يدعو للقلق فعلا.

تقودني خيالاتي إلى الرّوايات، في واقع الحال قرأت كثيرا من الرّوايات هذا العام، وتقهقر الشّعر، وتعرّضت لكثير من النّقد المغرض لبعض المقاطع الغامضة المنشورة هناك في تويتر، اقتنيت الكثير من الرّوايات بديلا عن الشّعر، أنقل لك مقطعا من آخر رواية قرأتها، لتلاحظي مقدار البؤس الّذي يستوطنني، "في الحبّ البائس، نخترع شخصيّات لشركائنا في الحياة ثمّ نطلب أن يكونوا كما نريدهم أن يكونوا، ثم ننهار حين يرفضون لعب الدّور الّذي اخترعناه في الأساس". في الحقيقة كنت أكثر من ممّا قالته (إليزابيث جيلبيرت)، وأشدّ بؤسا ممّا جاء في فصول هذه الرّواية التي أشعرتني بالرّثاء والرّوعة أيضا، لكن لا بأس، ما دمتُ قادرا على التّخيّل وإدخالك في سياق روائيّ، لأرى ما قد رأيت.

مكتبتي الخاصّة أيضا تضخّمت كثيرا، حتّى اضطررت إلى استدعاء نجّار؛ لإضافة المزيد من الرّفوف لعلّها تستوعب تلك الكتب الجديدة، شعرت بفرح ربّما كان طفوليّا، وأنا أعيد ترتيب المكتبة، لكنّ الإضافات الجديدة خذلتني. إنّني بحاجة إلى المزيد منها، استدعيت النّجّار مرّة أخرى محاولا استغلال ما تبقّى من مساحات فارغة في ممرّ المنزل. نجحت في إيجاد مساحة لرفوف جديدة. إنّها جيّدة وطويلة وذات خشب جيّد، فابتلعتِ الزّائد من الكتب، إنّها تعاني من التّخمة أيضا، فالهوس بالمزيد من الرّوايات كفيل بإشباع مئات الرّفوف الإضافيّة، إنّه لأمرٌ يثير شهيّة السّرد وإعادة ترتيبه ليناسبني قليلا، لعبة قد لا تستهوي كثيرا من القرّاء.

في هذا العام زرت الطّبيب عدّة مرّات، وتدنّى أدائي الوظيفيّ كثيرا، كأنّهُ ينحدر بسرعة نحو الهاوية، أعترف أنّني أتحمّل جانبا من المسؤوليّة، ولكن ليس إلى هذه الدّرجة المفزعة. انتابتني لحظات من التّوجّس خوفا من الإحالة إلى التّقاعد المبكّر أو القسريّ على اختلاف في الوضع القانونيّ المحتمل، ثمّة أسباب وجيهة ومنطقيّة لدى صنّاع الكوارث البشريّة في مثل هذه الإحالات المُربكة المرتبكة، كنت مستعدّا نفسيّا لذلك، حمدت الله كثيرا أنّه لم يكن، ولكنّني شعرت بالخيبة، فلم تكن توجّساتي في موقعها، كنت أفكّر بالهجرة والعمل خارج البلاد. هل هذا محزن أم أنّه مدعاة لبعض فرح؟ فما زال بإمكاني أن يكون راتبي مؤهّلا لبعض المصاريف غير الضروريّة كالتّمتع بخدمتي الهاتف والإنترنت على سبيل المثال. وفي هذا العام أيضا لم أتعرّف على نساء أخريات، بل على العكس تماما تجاوزت عن كثيرات ونظّفت ذاكرتي منهنّ، لعلّ ذلك سيسعدكِ قليلا، هل تصدّقين أنّني فعلت ذلك؟ لقد فعلتها عن طيب نفس منّي، إلى الحدّ الّذي لم أعد أذكر أسماءهن وأخذتْ صورهنّ ورائحتهن تبتعد وتتضاءل. الآن أسأل نفسي كيف كان بمقدوري فعل ذلك. أشعر بلذّة التّفوّق على نفسي هنا. إنّني محظوظ.

أصارحك بسرّ قد لا يكون مثيرا للفضول؛ لقد تضخّم قلبي من الحزن، وفمي تشوّهت شفتاه، وطالت لحيتي أكثر، كلّ شيء تضخّم دفعة واحدة حتّى الدّيون والمسؤوليّات، كأنّني شخص متضخّم، كيف يكون الشّخص متضخما وهو ليس ضخما؟ سؤال تتحمّل إجابته اللّغة الحكيمة. على كلّ حال هذه هي حالي. فكيف لي أن أسأل عن أحوالك؟ ربّما هي كما أظنّها، لا تعاني من أيّ قلق وجوديّ، كما أعاني أنا. أتمنّى ألّا أكون مخطئاً.

مع كلّ ذلك، ثمّة أمر يدعو للفرح ويدعو للكتابة كذلك، فما زال بمقدوري أن أشترى علبة سجائر، وأذهب إلى العمل كلّ صباح، وأنشر نصّا قصيرا على حسابي في تويتر، بعد أن تأقلمت أكثر مع ذاكرتي في استدعائك كلّما صار البؤس أشرس، أهدّئ من روعه لعلّني أهدأ، وإلّا فإنّ مزيدا من الهواجس ستكون كفيلة بإغراقي في متاهات لا نهائيّة.

الاثنين: 28-4-2018

صباحك أظنه "جميل".

كيف لقلب أن يحتمل هذا؟ كلمة واحدة هي كل ردك على رسالة أمس! أيعقل أن تكوني بكل هذا البرود وهذا الجحود وهذه القسوة؟ كأنك ضقت ذرعا برسالة أمس، أعدت قراءتها بعد رسالتك الكلمة، لا أظن أن فيها ما يزعجك. إلا إذا كنت لا ترغبين بسماع ثرثراتي التي بدت أنها غير جميلة وغير محببة.

عندما قررت اتخاذ هذه الرسائل وسيلة لمناجاتك، لم أكن أتوقع أن تردي عليها، وهذا ما أعرفه فيك، ولن أتخذها معبرا للعتاب من أي نوع، ولكن ما حيلة القلب الذي يأتيك حاملا وجعه متحاشيا أن تسمعي أنته ومعه باقات من الورد، وإذا بالورد ملطوم به وجهه، تخيلي هذا المشهد:

شخص مسرور جدا يكاد يطير من الفرح، طفل يرقص، يركض نحو الجنة بفرح، ينزلق فتتكسر أضلاعه. هذا ما فعلته كلمتك فيّ أمس. إنها ليست جميلة بالمطلق، حتى وإن كانت كلمة "جميل".

ماذا عليك لو ضحكت في وجهي ولو كذبا؟ ماذا عليك لو أخذت تلك الباقة من الورد، ورميتها في سلة المهملات بعد أن أغادر؟ لكن لا بأس، فمهما حدث ويحدث، لن أغضب أكثر مما غضبت في سنواتي السابقة، فقد تكسرت النصال على النصال، فالشكر كل الشكر لك؛ إذ حصنتني من الوقوع في يأس جديد، فأنا يائس أصلا. هل يموت الإنسان مرتين؟ هل ييأس مرتين؟ هل يخيب أمله من شخص واحد مرتين؟ هل تكسر روحه مرتين؟ وهل يتحطم مرتين؟ هي مرة واحدة لا غير، وقد حدثت قبل ذلك، فلا عليك، ولتكوني كما أنت، إياك أن تتغيري، عيبٌ والله أن نتغير بعد هذا العمر.

أشعر أنك الآن، تعودين لذلك الكلام الذي مللت سماعه وقراءته، لا أريد أن أسمعه ولا أن أقرأه، وهنا أكرر ما سبق وقلته: لا أستعطف أحدا، كما أنني أيضا لا أهجو أحدا، ولا أعاتب أحدا، هو مجرد كلام نعقت به على نفسي القذرة أمس، ليس أكثر، ليس لك فيه ناقة ولا بعير. فقط هو هلوسة ليس لها معنى ألبتة، فلا تلتفتي إليها إطلاقا، إن شئت احذفيها، وإن شئت مزقي كلماتها في وجهي، واشتمي ذلك اليوم الذي عرفتني فيه. أعرف أنه سبق لك وسمعت هذا الكلام، كما سبق لي وعشت هذا الموقف بالذات مرات عديدة، أتعرفين لو صمتّ لكان أفضل؟ ساعتئذ أخمّنُ أنه لا وقت لديك للقراءة، وعذرت تزاحم الفروض على بوابة يومك الرائع دون ثرثراتي التي تجلب لك الوجع وتسد النفس. ستقولين ذلك أعرف جيدا هذا.

"جميل"، كم هو جميل حقا أن نختصر رسالة بذلك الطول بكلمة واحدة، لا بأس، فلتختصري الأمر تماما واكتفي بالقراءة، ولكن لا تكوني يوما نورا ويوما نارا، اثبتي أرجوك على حالة واحدة، فأنا راض بنارك مهما كانت مليئة باللهب وكثيفة في الوجع. ولكن لا تبدلي كل آونة إهابا.

لا أتمنى شيئا معك، لقد ماتت الأماني تماما، وأصبحت الأمنية الوحيدة أن أظل محتملا هذا الألم. صدقيني أكتب وأنا هادئ تماما، لأنه لا شيء أهدأ من اليأس، لا شيء أصفى من السكون، لا شيء أبرد من هذا البرود، لا شيء أنقى من هذا الحزن، يكفي أنه لا يخدع صاحبه، ليس كالفرح الخؤون، ذي الإقامة القصيرة، وعلي أن أومن بما قاله درويش يوما:

نالك حب فقير، ومن طرف واحد هادئ هادئ لا يكسر

بلور أيامك المنتقاة

ولا يوقد النار في قمر بارد

في سريرك

وأي برود تحمله كلمتك الوحيدة في رسالة منتظرة على جمر الانتظار، وإذا بها كحجر مدبب شج رأسي وثقب ما تبقى من رماد القلب.

تعبت كثيرا في هذه الرسالة، لكن تأكدي أنني والله لست محبطا أكثر مما أنا فيه أصلا، ولست سلبيا، كما ستقولين، بل إنني إيجابي جدا، فأي إيجابية أعظم من أن الإنسان لا يخدع نفسه، ويتلقى بكل شجاعة طعنة مدسوسة عمدا في صلب الروح، يتلقاها وهو مسرور لأنها من حبيب لا يستطيع أن يكرهه أو يتجنبه أو يستغني عنه، حتى وهو يموت على يديه بين يديه.

من المؤكد سأكتب لك ولن أتوقف، إلا إذا نفدت الأفكار واضمحلت، وما دامت عواصف الخريف تهب من تلقائك كما تهب أحيانا نسائم الربيع والصيف، سأكون في كل الحالات هادئاً تماما وأمارس شهوة الكتابة.

هل أزعجتك؟ تحملي قلبي المفخخ بالرسائل الميتة، والسلام الجميل، كرسالتك الجميلة تلك، فكم كانت جميلة وهي تفلطح نفسها في السطر الوحيد،،،، "جميل"، "جميل"، "جميل".

الخميس: 2018/05/10

مرحبا فراس

لا أعرف ماذا أقول لك، لكن صدقني والله العظيم أني لست بخير. أنا مريضه لن تتخيل طبيعة مرضي، خاصة لما يقترب موعد الدورة الشهرية. أعاني من ثقل في الساقين أحركهما بثقل شديد. هذا أقل عرض يمكنني أن أشرحه لك، لكني مزاجية .... أكره حالتي..... لا تهتم.

والله والله أنا لست بخير لا تعتبره عذراً.

أكلمك في يوم آخر.

دمت بخير...

ل. م

الاثنين: 2018/5/12

صباح الخير

ها أنذا فتحت عيني على انهمار المطر، نص تستعذبه روحك ليخرج مبللا بكل هذا الدفق. جميلة هي الرسائل العاطفية عندما توثق وتترك بصماتها في تاريخك الأدبي. أعرف كم هذا يعني لك لتتخلد كجبران وغسان كنفاني وغيرهم ممن تم توثيق مراسلاتهم، لكنني لست مي زيادة ولا غادة السمان. أنا إنسانة بسيطة معذبة بكل هذا الحب وأحمل وزره ما حييت.

ف. ع

السبت: 2018/5/19

عندما أرجعت صفحة الفيس بوك جزئيا (صفحة الكاتب) كنت على استعداد أن أتصالح مع هزيمة نفسي بك، ولكنني على ما يبدو لم أستطع فعل ذلك، أخاف جدا من حضورك في حواشيها لدرجة الرعب والفزع، وكنت أتمنى ألّا تعرفي بها، لكن كنت على يقين أنك ستعرفين بها عاجلا أم آجلا، ولا شك في أنك عرفت بها من أحد الأصدقاء.

مكثتُ أسبوعا بل أكثر وأنا متوجس من حضورك حتى إذا حضرت حاولت أن أمنعك من الدّخول إليها، لا أدري لماذا أكره الفيسبوك وأنت فيه، ربما لأنه يثير فيّ ذكريات مؤلمة جدا، وحقيقية، أعرف أنك كما هو استعبدتماني فترة طويلة، وعندما حاولت التحرر منك بالابتعاد عن الفيس بوك لم أفلح، شيء يشبه الصدفة ربما، أتمنى أن أصبح بلا ذاكرة فعلا، لا أريد أن أرى شيئا يذكرني بأي شيء من ماض لم يكن إلا قاسيا بكل ما فيه من تشابكات وعلاقات ومراوغات، ربما ستقولين عني إنني تافه أو غبي أو مجنون لكن لا يهمّ، فأنا فعلا كل هؤلاء. أصدقك القول إنني تعبت جدا من لحظة أن هلّ اسمك في صفحة الفيس بوك ليس لأنّني كما قد تتوقعين جنونا أنني ربما كرهتك بالعكس تماما لا أستطيع أن أكون هكذا تتذكرينني كلما صارت قائمة مواعيدك فارغة، لذلك سأحذف من جديد الصفحة وأرتاح.

طلب أخير إن لم تلبيه لي فأنت حرة، أريد معلومات مفصلة عن مسابقة إيطاليا لأنّني سأعدل المقال قبل أن يصدر في كتابي الجديد.

أرجوك سامحيني فأنا في وضع ربما لا أحسن شرحه وأنت لا تحسنين تفهمه، ومصرة على أن تجعليني هامشاً.

الله يسامحك على كل حال، أتمنى أن يأتي يوم وأشفى من هذا الداء المسمى "حبّك". تكفيني هذه النافذة لتطلين عليّ منها إن رغبت في ذلك فهي أرحم ما يكون على ما فيها من قسوة لكنها أخف وطأة، ربما ستكتشفين لاحقا أنني مريض مرضا نفسيا معضلا، أنا متيقن من ذلك.

لا تنسي طلبي أرجوك!

الاثنين: 2018/5/21

أسعدتِ أوقاتا، ها هي الساعة قد تجاوزت الخامسة صباحا، لن أقول إنني لم أكن أفكر بك، بل لم أكن مشغولا إلا بك، هاجس ألح علي أن أكتب رسالة بعد هذه الجفوة التي لم أستطع لها تفسيرا، تجاهلت نداءك من داخلي مرات كثيرة، أخذت الجمل تتقافز في ذاكرتي وتدعوني لأكتبها، إنه هاجس الانغماس والاشتعال وعدم القدرة على المقاومة والاستسلام التام. هل تعلمين أنني مررت بحالة سيئة في الفترة السابقة؟ شيء من الانعدام والتلاشي، شعرت بالفراغ على كثرة من يحومون

حولي، هنا وهناك، أستطيع أن أهرب من الكل إلا منك، ها أنا أعود مرة أخرى إليك ضعيفا عاشقا راجيا.

أعلم أنك لن تمري على هذه الرسالة إلا بعد أربع وعشرين ساعةً من كتابتها، هذا إن حالفني الحظ كثيرا، لا بأس ستكون معانيها قد نضجت في ألفاظها في مرجل انتظاري. أما إن قرأتها اليوم صباحا فإن هذا ما يشبه المعجزة فعلا.

لعلك تعلمين أن ما أصاب به أو ما أنا مصاب به من لوثة الجنون بك حقيقي ومؤلم، فالشوق المجنون ديكتاتور شرس يمنعني من النوم أياما طويلة، هذا الشّوق الذي يستعمرني ويستعبدني ولن يتركني حتى يقضي عليّ، هذا الشّوق الذي يتجلى في أحلام المنام وفي أنفاس اليقظة لا يستكين ولا يهدأ، يترك طعمك في ذاكرتي وعلى لساني وأعضائي ورائحتك على جسدي تعبق في كياني كله. هذا الشّوق الذي يستوطن الروح ويتخذ من القصائد مخادع ومن النصوص وسائد وبرية حينا وحينا حريرية.

هل تلومينني على هذا الذي أنا فيه، وأنا تجتاحني عواصف الحنين كل ثانية وتجعلني مترنحا قلقا مشتتا سارح الذهن مجنونا وجبانا، هل تعتقدين أنني أستطيع الخروج من حالة الهذيان هذه والتخلص من هذا الاحتضار الذي يميتني على نار هادئة. إن كل يوم يمضي يجعل النار أشد لتلسعني في دمي الذي يشتاق أن يغتسل بدمائك ويستوطن كل خلية من خلاياك!

لعل، بل إنك سمعت وقرأت عن الاستعباد والاستيطان والاستعمار والسيطرة، سيطرة القوي على الضعيف، إنه استعباد دولتك القاهرة لأرضي المستباحة حتى لكأنك تحرثين تربة روحي بكل محاريث الفلاحين الحادة المسنونة.

لا شيء يشبهني وأنا أتعرى بين يديك على هذا النحو من الرجاء إلا كطفل جائع للحنان، عطش لدفقة من ثدي، وَلِهٌ لليد التي كانت تمسده بحنو لطيف، لمَ جعلت هذا الطفل يتيما على قارعة القمر، تركله الكلاب النابحة في ليل طويل وتعصره الرياح الهائجة في غيومها البلهاء؟

أيتها الدولة التي أحب استعمارها لمدني افتحي لي ولو بابا صغيرا بحجم كوة في زنزانة الأسرى الانفراديين؛ لأنفرد بين يديك، على سرير عرشك البهي، ساجدا راكعا، وأنا أمجّد هذا الكائن المجنون فيكِ الذي لم يرحمني مذ سلمته كل المفاتيح وجعلته حارسا للصباح!

أتمنى ألّا يحترق الكلام على لهيب الانتظار القاسي أكثر من أربع وعشرين ساعة مراوغة.

أحبّك حتى التّعبْ

حتى الوجع

حتى اكتمال النار في أغنية الليل

وحتى أن تنطفئ الشعلة في مرايا الملائكة!

أرجو ألّا تعتبري هذا الذي مر بين يديك نصّاً وكفى، دون أن تري أنني أتقلب في الجنون في محامص غيبتك!

الثلاثاء: 2018/5/22

لم أكن أتوقع أن يأتي ردك سريعا شفافا على رسالتي السابقة، لقد كانت معجزة بالفعل، كما قلت، فما أسعدني وأنا أقرأ رسالتك على الرغم من قصرها إلا أنها تغني عن كل ما كتبته في ال (400) كلمة في رسالتي تلك، أتذكر ما كتبه فرانز كافكا ذلك النحيل الذي يشبهني إلى حبيبته ومترجمة كتبه ميلينا: "أرجوك ميلينا لا تستمعي لنصيحتي وراسيليني كل يوم، يمكنك أن تكتبي رسالة مختصرة، وحتى لو سطرين أو سطرا واحدا، فلو مضى يوم من غير رسالة منك سأعاني بشدة"، نعم لقد كنت سأعاني بشدة مفزعة لو تأخر الرد إلى أربع وعشرين ساعة لتبدو وكأنها أربع وعشرون سنة عجفاء قاحلة.

كنت أقرأ رسالتك صباحا، وأعيدها كل ساعة مستلذا بها، حتى خشيت أن تتحول كل كلمة من كلماتها إلى قطعة من الحلوى فتفسد علي صيامي، إنها بالفعل قطع من الحلوى الروحية الشهية التي تذهب مباشرة نحو دمي، فتشعرني بالدفء والطاقة والحيوية، فما أحلاها وأهداها وأنقاها من رسالة، وأنا أقرأ: "ها أنذا فتحت عيني على انهمار المطر، نص تستعذبه روحك ليخرج مبللا بكل هذا الدفق، جميلة هي الرسائل العاطفية عندما توثق وتترك بصماتها في تاريخك الأدبي. أعرف كم هذا يعني لك لتتخلد كجبران وغسان كنفاني وغيرهم ممن تم توثيق مراسلاتهم، لكنني لست مي زيادة ولا غادة السمان، أنا إنسانة بسيطة معذبة بكل هذا الحب وأحمل وزره ما حييت".

لماذا يا حبيبة القلب هذا التواضع؟ وأنت الكاتبة التي تورق الكلمات بين أناملها زهورا تفوح بالعطر، وتسكر الدماء، فتنتشي الروح ويخطر الكون بالنشيد العذب. إن فيك ما يفوق مي زيادة، ويتجاوز غادة السمان، فيك ما هو أعذب، ما هو أرق، وما هو أنبل. وحدك تعلمين أنني لا أجامل في شيء من هذا، ولا مجاملة عندي في مثل هذا لأية كاتبة، أو كاتب، شاعرة أو شاعر.

أرجوك بكل ما يحمل القلب من عناء الشوق والاشتياق، أن تكتبي لي، حتى لو سطرا واحدا أو سطرين، فهما كافيان لأشعر بلذة اللغة، وبنشوة الفرح الصباحي.

أخبرك أنني قد نشرت الرسالة السابقة، وقد أعجب بها القراء كثيرا، ونشرتها كثير من المواقع الأدبية الوازنة، أعجبني جدا قول صديقة تمر بما نمر به من وضع معقد وحب مستحيل، شاعرها يشبهني، وهي تشبهك في الكثير مما تحمله من الحب لشاعرها المجنون فيها، كتبت تقول: "لقد قرأت ما هو منشور لحد الآن ثلاث مرات، وهو في قمة الإحساس. ليس برائع بل أكثر من ذلك

فعلا، ولمست فيه إذلال الحب في قوة العشق. وتفاعلت معه لدرجة البكاء والحزن ربما لأنه أيضا يعبر عن حالتنا أنا وهو... أشكرك جداً على كتاباتك".

أتذكر يا رفيقة درب القلم ما كنت أكتبه سابقا من نصوص الحب، وكيف أن قراء كثيرين كانوا يتابعون بولهٍ تلك الدفقات المجنونة، وكانوا يصرون علي ألا أتوقف عن كتابتها، لأنها تقول ما يعجزون عن قوله. تخيلي كم تسعدين عشاقا وعاشقات يعجزون عن الكتابة، ليس خوفا أو خجلا بل لأن كلماتهم لا تستطيع أن تكون طيورا مغردة في فضاء الله، تناجى وتنادي وتصدح بما في قلوبهم.

إنني أرى فيك عظمة السعادة التي تفيض في قلوب الناس، كأنك المسيح الذي يمسح آلام المحزونين، ويشفي جراحهم، وهنا تتفوقين على مي زيادة وعلى غادة السمان، لأنك روح هذه الرسائل، ولا يعنيها الظهور والمباهاة في هذا الحب، فقط تريد أن تسعد بالحب ويسعد الحب والشعر بها.

علي أن أنام قليلا، فقد هلت تباشير الصباح، وها هي أنغام العصافير تحييك، تطل علي من نافذة بيتي وترفرف بجناحها مسلمة عليك، تقبلك عني، وتتمنى لك حبا سعيدا ويوما مزهرا بالأمل، وحياة ملؤها الأغاني.

أنتبه أنني قد تجاوزت الـ (500) كلمة، وأنا أكتب دون توقف، يا لله ما أصدق كافكا عندما قال: "يستطيع المرء أن يثرثر ما دام أنه يشعر بالسعادة"، ها هي روحك تملي علي وما زال في جعبتها المزيد من الطيور السارحة إليك حاملة أشواقي.

دمت بخير

المحب لك دائما

الأربعاء: 2018/5/23

أسعدت أوقاتا وحبا:

لقد استعجلت لقائي بك هذا اليوم، أكتب لك قبل الموعد الذي قررته بساعة واحدة إنها تقترب من الرابعة صباحا، واستعجلت تناول سحوري في الغرفة، ثمة أفكار تلح علي، أردت أن أكتبها لك وقد تهيأت لذلك، فقد اغتسلت استعدادا لهذا اللقاء، نسيت أن أذكر لك في الرسالتين السابقتين أنني قررت أن أكتب إليك بعد أن أغتسل، ثمة طقس احتفالي أحب الدخول إليه وأنا أخط لك رسائلي.

ثمة مصباح يطل من نافذة الغرفة، يذكرني بوجهك البهي، وثمة سكون يخيم على الكون ما خلا صوت القرآن الذي يملأ اللحظة رهبة وجمالا، ويغمر النفس قداسة وحبا وطهارة.

عليّ أن أخبرك أمورا مهمة، أولها فيما يتعلق برسالة السبت الماضي حول ما عزمت عليه من إغلاق صفحة الفيسبوك، أعترف أنني كنت قاسيا، وأعاتب بطريقة فظة، ولا يحسن بي أن أقول لك ما قلت، ولكنني لست كما قلت إنها مشكلتي، وإنني لا أفوت فرصة لرشق الاتهامات والعتاب المر، صحيح أنك لست مضطرة لتبرير أي موقف ما دمت لا أتفهم نمط حياتك، ولكنني لا أريد أن أثبت لنفسي أنك لا تهتمين، بقدر ما أريد أن تكوني معي بكل لحظة متاحة. فلنتجاوز ذلك إلى ما هو أهم. أعترف أيضا أنني أفهمك وأتفهم ظروفك لكنني ربما أعاند أو أشاكس، هذه هي حالتي منذ عرفتني، أليس كذلك؟

وعليّ أن أخبرك أيضا أنني عندما قررت بيني وبين نفسي أن أكتب لك هذه الرسائل لم يكن ذلك من أجل أن أكون مثل غيري من الكتاب، وليس لتكوني مثل غيرك من الكاتبات، وإنما لأنني أصبحت بحاجة لأتحدث معك، كأنك معي هنا في معتزلي الاختياري، أود أن تكوني على مقربة مني، أستحضرك في لحظات، أراك فيها مهتمة وتستمعين إليّ وتناقشين معي أحوال الناس والأدب والشعر، وتتحدثين عما يشغل أفكارك في مشروعك السردي القادم، هل ما زلت عازمة على إنجازه؟

فيما مضى من أيام منذ السبت الماضي وحتى اليوم، أفكار كثيرة تجمعت لديّ، زارني في مكتبي الصديق رائد الحواري ثمة مشكلة وقع فيها صاحبنا عندما كتب عن كاتبة ما، ستعرفينها دون أن أذكر اسمها. لقد جمع الكاتب، خطأ، بين الساردة والكاتبة في شخصية واحدة، مع أن ذلك ليس صحيحا من ناحية نقدية، فثمة فرق بين سارد الأحداث في الرواية، وبين الكاتب، ما دام أنه يكتب رواية وليس سيرة ذاتية، على الرغم من أن من يعرف بعض جوانب من حياة الكاتبة يستطيع أن يقول إنها أدخلت شيئا من حياتها الذاتية في روايتها، من مثل علاقتها بأبيها القاسي، وأنها تعيش مع أمها المطلقة، وأنه قد فُرض عليها الحجاب فرضا، وهي لا تريده، ولم تستطع التخلص من هذا الفرض بعد ذلك، لقد أخبرتني هي بذلك في لقائي الوحيد بها. ثمة وصف ذكرته الكاتبة ويتعلق ببعض ملامح الشخصية الخارجية، وهو اتساع منطقة الحوض عندها، وهذا صحيح، وهو أمر يشوه ملامح جسمها المتكوم كتلة من لحم، بدت وكأنها تضيق ذرعا بجسمها الفظ أيضا، كأنها شعرت كما قلت لرائد أنها لا تريد أن يعرف القراء حياتها ومعاناتها أو أن يلتفتوا إلى جسمها بهذا الشكل الذي بدت غير راضية عنه، ثمة فرق الآن وأنا أرى تناسق جسمك الذي خلق بجمال وحب أيضا، أستحضر صورة ولادة في شعر ابن زيدون العاشق فقد وصفها بقوله: "كأن الله أنشأه مسكا، وقدر إنشاء الورى طينا"، إنك المسك والجمال كلاهما. هل ما زلت تتذكرين كم تشبهين نجاة الصغيرة مع أنّك تميلين إلى أن تشبّهي نفسك بماجدة الرومي؟ إنك في نهاية المطاف خلقة وحدك، وسمتك وحدك، والتشبيه في الحالتين لا يشبع ولا يقنع.

لقد أساءت هذه الكاتبة بشكل سيئ جدا لصديقنا رائد إلى درجة وصفه بالحمار وأنه لا يحسن الكتابة، فيقوم كما أخبرني بحذف مقاله عن كل صفحات الفيسبوك التي نشر فيها مقاله، ثم عدل المقال وفرق بين الساردة والكاتبة، معترفا بخطئه في الربط بينهما، صديق آخر يتوسط بينهما،

ويؤنب تلك الكاتبة على سوء أخلاقها، يقبل الصديق رائد عذرها ويسامحها، فهو طيب القلب وخجول، ويكتب مقالا بعنوان "الكاتب والنظام"، يبين فيه عدم تقبل الكاتب للنقد، ويقول في مفتتح مقالته: "للمرة الثانية يتم التعامل مع مناقشة عمل أدبي وكأنها مساس بالرب/ بالإله، وكأن الكاتب إله، والنص كتاب سماوي، لا يجوز لنا أن نتناول ما لا يعتقده الكاتب/ الإله، ويجب علينا نحن القراء أن نقف خاضعين مؤمنين بما جاء فيه، هذه إحدى مشاكل الكتاب الذين لا يريدون أن يجدوا فيما يُكتب عنهم إلا ما هو مديح وتعظيم، كما هو حال النظام الرسمي العربي، فأي خروج عن النص يعتبر كفرا وخيانة، توجب الاعتذار أو النفي أو السجن، ولا مجال أو مكان لمناقشة ما جاء في هذا الرأي المخالف للتقاليد العريقة للأمة العظيمة، ومساس بالمقدسات والمحرمات". ولعلك اطلعت على مقالته تلك. أخبريني عن وجهة نظرك في هذا كله إن تمكنت من ذلك.

تبدو على لغة المقال الانفعالية، مع أن وجهة نظره صحيحة، فالكتاب مجملا لا يحبون الانتقاد، ولا يحبون إلا التعظيم والتمجيد، وقد وقعت في ذلك مرات عديدة مع كتاب شباب، ما زالوا يتدربون على الكتابة، ولعلك تذكرين قصتي مع صاحب رواية "المهزلة: وجوه رام الله الغريبة"، وما حدث معي كذلك عندما كتبت عن "الشهقة الأولى" لكاتبة مبتدئة، ما زلت أذكر ردك على ذلك المقال "يا حرامك دمرتها للمخلوقة، ستكون هذه شهقتها الأخيرة"، لقد قاطعتني وقاطعني الناشر كذلك، وكذلك فعلت أيضا الكاتبة منال دراغمة التي كانت صديقة وكثيرا ما نتحدث، وبيننا موعد للقاء ما، وإذا بها لا تعرفني ولا أعرفها، بعد أن اعترضت على ما كتبته في كتابها المشترك مع الكاتب سامر المعاني. إنه كتاب تافه في الحقيقة، وليس فقط الكتاب الشباب بل إن الصديق جميل السلحوت على ما يبدو قد اتخذ مني الموقف ذاته، بعد أن قدمت كتابه "ثقافة الهبل وتقديس الجهل"، وقلت في كتابه ما قلت. هذه هي بعض أمراض مجتمعنا الثقافي للأسف.

لقد كانت جلستنا طويلة وتحدثنا عن كاتبة رواية "توليب"، وكيف أن فيها أيضا من شخصيتها وحياتها الخاصة، وقد تفاجأت أنها تشبه شخصية "ندى عبد الله"، فهي امرأة مطلقة كذلك، ثمة حديث متشعب أيضا حول الدين والسياسة والأفكار الكبرى والأحزاب الدينية واليسارية. بالمجمل كانت الجلسة ممتعة وفيها ما يدعو المرء ليكتب أكثر وأكثر.

أثقلت عليك اليوم بحديث نقدي، ربما ليس له داع، وها أنا أنفقت الرسالة في استعراض ثقافي يجلب الوجع، ولم أتحدث عن أحوالي. أعترف أنني أحسن حالا في هذه الأيام، بعد أن وجدت الدواء لبعدك المادي المحسوس عني، بالكتابة إليك، إنها طريقة رائعة لقهر النفس وترويضها واستشفائها مما تعاني.

اكتبي لي إن استطعت، ووجدت وقتا سانحا لذلك، فأنا أحب أن أقرأ كلماتك، مهما كانت قصيرة، وضبابية غير صريحة، فلا تبخلي علي بدواء الشعر، فلا يشفي الروح المعذبة إلا الألحان الشفيفة الهادئة التي تحسنين صياغتها.

علي أن أتوقف عن الثرثرة الآن، لعلي أكمل بعض حديث في المرة القادمة، حول أشياء أخرى مهمة.

دمت جمالا للصباح، ولحنا لقصيدة لا تكف عن أن تناجي روحك العطرية، سأحدثك عن بعض أحلامي في مرات قادمة.

المخلص لك أبدا...

الأربعاء: 2018/5/23

طاب مساؤك

أولا سعيدة بهذا التحول في النظرة للأمور وأكثر سعادة وأنت تثرثر بكل ما لا يخصني، تلك الثرثرة التي تجعلني أقرب، أستمع إليك وأبتسم.

*هامش صغير *ثرثرة محببة*

أعود لموضوع الحواري واستياء الكاتبة التي أخمن أنها صاحبة رواية (.....)، لم أقرا الرواية لكنني على ما أذكر مررت بقراءة الحواري، والتي رأيت فعلا أنه لا يفصل بين الساردة وشخصها، وهذا إسقاط لا يجوز، وإن كنّا نعرف الكاتب وشخصه وحياته.

أعود إليك:

أراك تتخذ منهجا أدبيا مدروسا الآن، وليست محض رسائل تفرغ فيها جعبة روحك المثقلة بالوجع. هذا جيد وله جانبان مهمان على الصعيد الشخصي والنفسي، وعلى صعيد مشروعك الأدبي.

أنت بخير ما دام حرفك بخير لا تعكس اعتلال الروح عليه ودعه يقاوم ويتذوق شعور العافية، ليعكس ذلك على روحك التي أرى أنها تتماثل وتتجاوب بشكل مذهل.

ف. ع

الخميس: 2018/5/24

أسعدت أوقاتا وحبا طاهرا علويا

سأعود إلى رسالتك الطويلة الفارهة في رسالة مستقلة لأناقش بعض ما جاء فيها، ولكنني اليوم أقص عليك بعضا من أطراف المعاناة في أكثر من جانب. أبدأه في عرض معاناتي مع قصيدتين أُرْهقت في البحث عنهما لإتمام فكرة كتابي الجديد الذي أسميته "في حضرة الشّعراء"، هذا الكتاب

الذي جمعت فيه تسعا وعشرين مقالة[1] حول نخبة من شعراء فلسطينيين وعرب، وخصصت القسم الثاني منه لإعادة نشر مجموعة من قصائد الشّعراء الكبار الذين رحلوا وخلفوا وراءهم قصائد لم تنشر في أي ديوان من دواوينهم، مع أن تلك القصائد منشورة في مجلات وصحف، ما خلا قصيدة لعبد اللطيف عقل بخط يده تعود إلى عام 1993، ولم تنشر، يسجل فيها الشاعر موقفه من عملية السلام وقد أطلق عليها "أغاني الضفادع".

معاناة البحث كانت مع قصيدتين للدكتور وليد سيف صاحب التغريبة الفلسطينية، شاعر توقف عن قول الشِّعر وعاد إليه بعد مدة طويلة ليكتب قصيدتين وهما "البحث عن عبد الله البري" و"الحبّ ثانية"، أرهقني البحث كثيرا، والطريف أن كل تلك المعاناة ما كان لها أن تحدث لو أنني قمت باتصال قصير مع أحد أساتذة الجامعة.

بالأمس اتصلت باثنين منهما عملا على أشعار الشاعر دراسات نقدية، وإذا بالقصيدة في متناول يدي، ولكنه القدر الذي فرض علي هذه المعاناة كما فرض علي معاناة في جوانب كثيرة. انتهت رحلة البحث وتم الأمر واكتمل الكتاب. يلزمه بعض العمل ليستقر على صيغته النهائية قبل الزج به إلى ألسنة المطبعة.

هذه المعاناة ليست الوحيدة المضنية، كتابي الذي أفاخر به "بلاغة الصنعة الشعرية" وهو كتاب ضخم أرهقني هو الآخر، والمعاناة فيه معاناة فريدة وخاصة عندما عرضته على الناشرين، لم يوافق أحد على نشره واعتذروا إلا دار نشر واحدة في بيروت ولكنهم يريدون أن أتكفل بتكاليف الطباعة، ناشر آخر في مصر وهو ناشر كتبي الأولى "حسن غراب" ما زال يماطل في الشروع بنشر الكتاب، في المرة الأولى قال لي: إنه سيطبع الكتاب بعد الانتهاء من معرض القاهرة الدولي الأخير لهذا العام، وفي المرة الثانية يخبرني أنه سيطبعه في شهر أيار من هذا العام بعد انتهاء معارض الكتاب المحلية في المحافظات المصرية، وأما الثالثة فكانت عندما طلب مني مزيدا من الصبر نتيجة تعويم الجنيه المصري، ما يعني بالنسبة لي أنه تملص من الوعد نهائيا ولكن بطريقة أدبية؛ إذ إن هذه المشكلة ليست قصيرة الأمد، ولن يعرف أحد متى ستنتهي.

يذكرني ذلك بما مر به أنور المعداوي النّاقد المصري الذي كان على علاقة بالشاعرة فدوى طوقان، كان يعتز بكتاب نقدي له، وكان دائما يذكره في مراسلاته مع فدوى، لكنه توفي ولم ينشر إلا بعد وفاته بأعوام. إنه فأل سيئ على كل حال. ومن الذين تملصوا من نشر الكتاب أيضا صالح عباسي، فبعد أن استعد لنشره بعد مماطلة طويلة، لم يعد يرد على الرسائل الإلكترونية ولا على الاتصالات فنسيتُ الأمر، وقررت أن أطبع الكتاب في دار نشر فلسطينية لعله يتوفر لديّ مبلغ من المال لإنجاز هذ الحلم. إنه كتاب يساوي عندي كل ما كتبت، وربما ما سأكتبه من دراسات نقدية وفكرية، إذ وضعت فيه كل خبرتي النقدية والشعرية.

---

[1] توسّع الكتاب وضم مقالات أكثر من هذا العدد حول الشعراء.

ربما ستقولين لي: اعرض الكتاب على وزارة الثقافة أو اتحاد الكتاب. لا أظنّ أن ذلك ممكن، ليس لأنهم شلليون وتافهون فقط، بل أيضا، لأن الكتاب نقدي فيه كثير من الملحوظات السلبية على شعراء كبار ما زالوا على قيد الحياة، فلن توافق الوزارة أو الاتحاد على نشره، فهما معنيان بالدرجة الأولى بإقامة علاقات دافئة وطيبة مع الجميع، وليذهب النقد والأدب والثقافة إلى الجحيم؛ لذلك لن أكلف أحدا مهمة أن يكون محرجا من أجلي وسأوفر ماء وجوههم، وماء وجهي وأنا أطلب ذلك وأنتظر، لأنه ولانعدام المؤسساتية ستصبح كأنّك تطلب شيئا خاصا يتكرم به عليك أحدهم من جيبه الخاص، وسيحملك جميلا أنت في غنى عن حمله.

هذه فضفضة مرهقة أعلم ذلك ولكنها تريحني وأنا أسرد عليك مجمل ما مررت به في الفترة السابقة، فأنا أحتاج لمن يسمع تلك الهذيانات التي تثقل القلب بهمومها. هل هي هموم بالمعنى الوجداني؟ لا أظنّ. ولكنها على كل حال مزعجة نوعا ما. أضعها بيننا لعلّنا نخفف ألمها وهي محل الحديث عنها.

ما زال في القلب متسع من الثرثرات الثّقافيّة سأزعجك بالمزيد منها في المستقبل، ولكنني سأكون بخير ما دمت أكتب لك، وكما قال جبران لمي: اسمعيني وأجرك على الله.

اكتبي لي حول أي شيء تريدين، حتى لو جملة واحدة بكلمتين خارجتين عن أي سياق.

المشتاق لك دوما...

الجمعة: *25-5-2018*

دامت روحك نقية جميلة، وحده الحب ما يجعلنا نهزم الألم بابتساماتنا نرخي ستائر القلب على الآتي من الاحتمالات، وندوزن الحياة كما نشتهي- ولو مجازا- نحتال على ما استحكم من قيد بثقب في الجدار بوردة طاولت السياج، وبقبلة نطيرها حماما فوق الباب.

ف. ع

2018/5/25

صباحك سعيد ومساؤك أسعد:

لا أدري شعرت أنك ربما ضقت ذرعا بهذه الرسائل، على الرغم من قولك "اكتب إذا كان ذلك يريحك فأنا سعيدة". فقولك "إذا كان ذلك يريحك" عبارة قلقة، لم أشعر معها بالسعادة، لا عليك. ليس مهما كثيرا ما أشعر به. المهم أنك قد أعرتني سمعك دون قلبك لقراءة هذيان الرسالة السابقة.

أشكر لك اهتمامك بموضوع النشر، تحدثت ذات مرة مع أحد القائمين على دار طباق، ليس من ذكرت في رسالتك "ربا المسروجي" ولا "طارق عسراوي". عسرواي أعرفه جيدا والتقيت به مرة أو

مرتين. من تحدثت معه قال: "أنا مسؤول الدار"، وعرفني على اسمه، نسيته الآن، وتحدثنا قليلا حول النشر وإمكانيته، ودعاني لزيارتهم، وأعطاني العنوان، لست أذكره بالضبط، إلا إنه قال: مقابل وزارة الثقافة.

أما بخصوص اقتراحك للتواصل معهم، لا أدري، لست متيقنا من جدوى ذلك، بعض الأفكار السلبية أحيانا تسيطر عليّ، أشك أن هناك أحدا نظيفا في هذا البلد، ولا أبرئ نفسي، بل ربما أنا الوحيد غير التقي أو النقي ليس في هذا البلد السيئ وضعه، بل في العالم أجمع.

أرى انقباض ملامح وجهك وأنت تقرئين ذلك، أرجوك ألا تبتئسي، فقليل من السواد أحكه بأحجار اللغة، لعل فكرة إيجابية ينقدح زنادها من بين ذلك الضباب، فأنا أومن بأمرين على الأقل بجدوى الكتابة بعامة، والكتابة إليك خاصة: أنني أريد أن أفرغ انفعالاتي وما يضغط على أعصابي، أشعر بقلق شديد هذه اللحظة وأنا أكتب، وكلما كتبت جملة أو كلمة وكأنني أحت صدأ يعبئ روحي، صحيح أنني أتألم، ولكن، أليس في ممارسة العلاج بعض ألم؟ ولذلك كما قلت لك سابقا فأنا أمارس الاستشفاء بالكتابة، كما أمارس القراءة للغرض نفسه.

لم أنس رسالتك الطويلة، تلك التي أسعدتني، وسأعود إليها مرة أخرى عندما أكون أحسن حالا، أما اليوم فإنني ضجر جدا، ومبتئس، لا أستطيع الكتابة عن شيء أحبه بحب وأنا في هذه الحالة، أرجو أن أتجاوز ذلك سريعا.

لقد استعجلت الكتابة هذه المرة. لمجرد قراءة رسالتك، صحوت وفتشت الرسائل، فإذا رسالتك حاضرة مشعة، قرأتها، وأخذت أكتب. قمت مرتين وأنا أكتب، أشعر بالعطش، شربت، ولم أرتو، ماذا يعني ذلك؟ ربما لأنني بحاجة لمزيد من الماء، أو ربما هو الوجع الداخلي الذي يحرق أعصابي يطلب الماء ليزيد الاشتعال أو ربما لينطفئ. ولكن ما الذي يطفئ عطش الروح؟ الماء وحده لا يكفي.

لا أريد أن أنهي الرسالة وأنا لم أشعر ببعض التحسن، ولا أريد كتابة المزيد، مع أن الرأس مليئة بالأفكار الفوضوية، بعضها فوق بعض، أولها يصارع أخرها، وأوسطها يلطم أسفلها، وأعلاها يحارب طواحين الهواء. ها أنذا أخذت أثرثر. أشعر أنني فوضوي، فهلا أتيت لنرتب هذه الفوضى معا؟ يا لغبائي! كيف ستأتين؟ ألم تلاحظي هذا الهذيان المزعج؟

أرجوك إن كتبت لي في رسالة قادمة ألا تمارسي علي نصائح تخص التفاؤل واستحضار الطاقة الإيجابية، والثقة بالناس وبالنفس. كل ذلك يزيد الوجع اشتعالا، ولكن اتركي لي وحدي وجعي حتى يحترق عن آخره، وساعتئذ أشفى من تلقاء روحي مباشرة. مرري بحنان روحك على قلبي سأشعر ببعض التحسن.

دمت شفاء لروحي المعذبة.

السبت: 2018/05/26

مساكَ رضا

سعدت بما ثرثرت به وأضحكني، أحب فيك هذا، لم أطنش موضوع إيطاليا، ولكني نسيته صدقا، وحتى نسيت لماذا تسأل عنه، أنا كثيرة النسيان، ذاكرتي مثقوبة، عندي نقص حاد بفيتامين د و ب 12.

أشكرك على اهتمامك بما أنساه، أنت ذاكرتي، واغفر لي هذا.

كن بخير وأخبرني بكل ما تود أن أسمعه.

ف. ع

هل جربت البكاء لذة؟

من فرطها أبكي

أفيض استباقا للسيل

ونكاية بالعمر

أصير إلهة الجمال الخالدة

ف. ع

جربت وعشت وانحرقت كل أعصابي. أتذكرين هذه القصيدة التي كانت بعد لقائنا المجنون في نابلس، كم كنت شهية تفورين شهوة، كنت أرغب فيك رغبة مجنونةً، كنت أريدكِ، وأشتهيكِ كما لم يشتهِ رجل امرأة قط:

تماديتَ كثيرا هذا اليوم

على مهلٍ تتأملني

تجوسني "من رأسي حتى قدميّ"

تحصي الزغب الأبيض في جسمي

وتفور يداك على نهديّ

تأكل حبات القمحِ على كتفي

تسكب شهدا حلوا حيّ

تشرب ضوءا من عينيّ

تتوضأ من عرقي العطريِّ
تصلي فيَّ
تعلو في علياﺋﻲَ كلّي
تشرح لي كيف زرعت اللّيلة
وردا شفتيَّ
تماديت كثيرا هذا اليوم
شيءٌ فيكَ شهيا كان
وسماء الله لنا كانت
تظلل في الأنحاء الحيّ
تضحك مثلي أضحك مثلك
وتزقزقُ فينا الشَّهوة نشوى
والوصل تداني حدّ الرّيّ
لا شيء اليوم شهيّ غيركْ
نهرا يغسلني منّي
طهر العالم بين يديّ
يظهر أنّ اللفظة حسيّة
والمعنى الأعمق صوفيّ

ف. ح

السبت: 2018/5/26

صباحك ومساؤك الطيب:

أبدأ هكذا دون مقدمات، وبي رغبة أن أثرثر ثرثرات "محببة" طوال الوقت، كم أسعدني وأنت تصفين تلك الثرثرة بأنها "ثرثرة محببة"، وتجعلينها في سطر خاص، كأنك تمنحينها كيانا لغويا لتتمتع بمساحتها دون أي شريك.

هل يحدث أن يكون لبعض الرسائل مفعول السحر على المرسل إليه؟ نعم إنها لكذلك. رسالتك أمس كانت تفيض رقة ونشوة وصفاء، وأنت تفتتحين الخطاب بقولك: "دامت روحك نقية جميلة"، إنها ستظل جميلة ما دمت تكتبين مثل هذا الجمال الذي ينقل النفس من حال إلى حال.

وهل يحدث أيضا أن يتشابه العشاق والشعراء؟ أعتقد ذلك جازما، كيف لا وما قاله فرانز كافكا لميلينا أشعر به شعورا عميقا من أول رسالة بدأتها إلى أن يشاء الله، قال يصف شعوره وهو يكتب لها رسائله: "مجرد أن أكتب لك يهدأ عقلي"، نعم إن عقلي يهدأ بالمطلق وأنا أكتب، هذا الإحساس كم هو عميق ويفيض بالنفس روعة لا متناهية.

كم كان النص ناعما سلسا وأنت تقررين أثر الحب في الحياة والنفس، لدرجة أننا ننسى آلامنا ونواجه هذه الحياة بابتسامة، لـ "نحتال على ما استحكم من قيد بثقب في الجدار/ أو/ بوردة طاولت السياج"، إن تلك القبلة التي أنهيت بها الرسالة ستطير حماما تجعل اليباب ربيعا أخضر. هذا شعور من النشوة لم أعشه منذ فترة منذ صمت القلب واللسان عن أن يرسما الحب شفافا، كلوحة، تثمل الروح بسكرة الحب الذي غاب وتدثر بحجب من الضباب الكثيف.

كيف تثير قصيدة شاعرا عاشقا لدرجة أن يحملها وصاحبتها إلى مخدعه، فيحس دغدغتها وحرارة أنفاسها، ليصحو وهو ضاحك بعلو صوته، والنشوة تغمر كيانه كله، منذ مدة لم تزوريني في أحلامي ها أنت الآن كنت معي، أتصدقين الحلم؟ كما أنا أومن به...!

والآن، لاحظي كم أنا محظوظ، وواضح تماما، لا فكرة لدي سوى هذه الفكرة "ماذا سيخسر العالم لو كنت في حضنك الآن، ونتحدث". ولكن ربما لا أستطيع الحديث كما أتحدث وأنا بعيد عنك هنا في هذا المنفى القاسي. ستكون كل الأبجديات عاجزة في ظل وجودك، فأي هدية تبلجت بها السَّماء عليّ، لأحوز منك هذه الأمنية. يا إلهي كم هو رائع لو يحدث هذا، لأرتوي من النظر في عينيك الناعستين الضاحكتين، وتمنحني حرارة جسمك نشوة تخفف من حرارة هذا الجو. تأملي هذه الجملة الأخيرة، كيف تطفأ النار بالنار؟ لا يقلب المفاهيم والمنطق إلا منطق الحب وحده؟ هذه الأمنية قاسية ولئيمة، وتثير في النفس القلق، إنها عذاب والله، لأنه لا أمل في ذلك. "أردت فقط أن تعرفي أنكِ تنقصينني".

حبيبة الشاعر الآخر التي حدثتك عنها في رسالة سابقة، حاولت التعرف إليكِ، ولكن لا سبيل لذلك، على الرغم من أن قصتها أصبحت معروفة لديّ فقد أخبرني صديقي الشاعر عنها، ويبدو أنه أخبرها بأنني أعرف قصتهما فقد أخبرني عنها بحديث هاتفي مطول، فلذلك عندما تتحدث معي تصرح باسمه، وأنها مصابة به على نحو جنوني، على الرغم من زواجها، ومكوثها في الغربة أكثر من ثلاثين عاما. هي هناك في بلاد الغرب وهو متقلب بنار عشقه الذي لا ينتهي على الضفة الشرقية لنهر الأردن. لعلك لاحظت الشبه بيننا نحن الأربعة.

أصارحها بأمر، وأريد أن أخبرك به، هي تقرأ ما أكتبه من شعر أيروسي، معبرا عن رغبتي الجامحة كما أخبرتك في تلك الرسالة العفوية في مقدمة قصائد "أغنيات لسمو نهدك". أخبرها أننا نشتهي محبوباتنا، ومن يقل غير ذلك ليس عاشقا حقيقيا، ولكن ثمة موانع تحول بين ذلك، فالواقع يحتم ألا أقترب منها اقترابا يحرقني بنار الشهوة المجنونة، لذلك اخترت في هذه الفترة ألا أراها، أخاف من سيطرتها علي لدرجة التهور. وأخبرتها أيضا "أنني أرغب في الالتحام بها لأبعد حد، لدرجة البكاء أحيانا من شدة هذه الرغبة، ولكن لن أفعل ذلك فهي ليست لي على الإطلاق"، تصمت قليلا لترد ردا مختصرا: "الحال من بعضه"، لم تزد على ذلك وأنا فهمت الرسالة.

لذلك كنت أقرأ رسالتك وأنا سعيد بيأس كبير، متحاشيا التفكير بما أفكر فيه في أحلامي تلك التي أصبحت فيها ماجنا بشكل مرعب ومخيف، لذا من الأفضل أن أظل بعيدا وأكتب لك ليظل عقلي هادئا.

هل كانت هذه الثرثرة محببة؟ أعتقد أن فيها ما يخدش جلدة الجمال الخارجية ليتوهج جوهرك في صباح الرغبة المجنونة، ولكن عذرنا أننا لن نلتقي قريبا. سأحدثك في رسائل قادمة باستفاضة حول موضوع الرغبة والجسد والروح وكيف أن الجسد معبر حقيقي مادي للروح.

وقبل أن أنهي هذا الحديث الذي حاولت أن يكون طويلا نوعا ما، تحقيقا لتلك "الثرثرة المحببة". أخبرك أن ما طلبته منك في رسالة سابقة حول القصيدة المترجمة ومسابقة إيطاليا، وآلامني أنك تجاهلت ذلك، ولكنني وكما تعلمين، غضبي ذلك لا يؤثر في موضوعية العمل، فاتصلت بالمترجمة الأستاذة (.....) وزودتني بالمعلومات كافة، وأضافت عليها قصيدة أخرى كانت ترجمتها غير قصيدة المسابقة. لقد كفتني مذلة سؤالك مرة أخرى، لو نظرت إليّ الآن وأنا أكتب هذه الجملة الأخيرة لرأيتني باسما.

دمت جنة في أرض أشواقي، باسمة كنجمة، باسقة كنخلة، مثمرة كشجرة دائمة الخضرة.

مع أمنياتي وقبلاتي الحارة.

الأحد: 2018/5/27

مساؤك وصباحك الرضا والرضوان، (ها أنا أقتبس تحيتك الدافئة في رسالتك الأخيرة، لأحييك بها وأزيد).

أما بعدُ أيتها الحبيبة:

فكم سعدت بذلك المقطع القصيرة عن بكاء اللذة. وكم سعدت أن ثرثراتي أسعدتك، وأضحكتك، أما ما لم يسعدني وأقلقني هو كثرة النسيان، وآلمني قولك إن ذاكرتك مثقوبة، وأن عندك نقصا حاداً بفيتامين د وب12. عليك أن تهتمي بنفسك جيدا، ومراجعة الطبيب، ما زلت أذكر عندما

أضعت نظارتك، وكم استغرق منك التفكير وعصر الدماغ لتتذكري أين نسيتها، ولكن بعدها لم تعودي للموضوع ذاته، وظننت أنك قد تجاوزته، أسأل الله لك السلامة والشفاء وحضور الذاكرة. عليك أن تحافظي على الذاكرة جيدا، فأنا أسكن في جزء منها، وإن كان ضيئلا، فهذا يكفيني ويغنيني.

أما بالنسبة لقصة الشاعر وعشقه المجنون سأخبرك القصة كاملة كما رواها لي، ولكن قبل ذلك لعلك لم تركزي فيما قلته؛ هي سألتني عنك من تكونين. فلم أجبها بطبيعة الحال، وقلت لها عنك "إنها ليست من أهل تويتر"، ولم أقل لك إنها تريد التواصل معك، هي بين الفينة والفينة تتحدث معي برسائل مقتضبة على تويتر بخصوص بعض المنشورات، وعندما حدثتني بأمر الرسالة الأولى أخبرتها أنني كتبت كتابا لتلك المرأة، كله رسائل، وأسميته **"رسائل إلى شهرزاد"**، تحمستْ للفكرة، فطلبت الكتاب بصيغة إلكترونية، فبعثته لها على أمل أن تعطيني رأيها فيه، وفي حال كتبت إليّ رأيها سأخبرك بكل تأكيد.

أما قصتهما (قصة الشاعر والصبية) كما قلت، مع أنها ليست صبية الآن، فهي قصة عجيبة، كانا طالبين في الجامعة، وأحبا بعضهما، حدثت ظروف لم يقلها لي حبيبها الشاعر، بعد ذلك تزوجت وهاجرت مع زوجها حيث هي الآن. لا أدري بالضبط أين تعيش، ربما في أمريكا أو في أحد الدول الأوروبية. وعندها بنات وأولاد، وكذلك صديقها الشاعر فقد تزوج وله أبناء، وزوجته كاتبة، فازت السنة الماضية بجائزة، وهو شاعر له خمسة دواوين شعرية، أصيب هذا الشاعر بالعمى، وهو الآن كفيف وموظف حكومي، فاز بعدة جوائز أدبية أيضا، ويستخدم برامج كمبيوتر خاصة بذوي الإعاقة البصرية للتعامل مع الأجهزة والتطبيقات الإلكترونية. وبالمناسبة هو يمتلك جهاز (آيفون)، وكان يتحدث معي باستخدام (FaceTime)، وهي تقنية كما تعلمين خاصة بالآيفون، لم أكن قد جربتها قبل ذلك، على الرغم من أننا نحن الاثنين، أنا وأنت أقصد، نمتلك جهاز (آيفون)، أتذكر امرأة من أيام الفيسبوك عندما أخبرتها أن معي جهاز (آيفون)، قالت من يمتلك (آيفون) يجب أن يسجل ذلك في سيرته الذاتية! هل سجلت ذلك؟ أنا لم أسجله، اكتفيت برسم ضحكة عابرة فقط.

غابت حبيبته عنه ثلاثين عاما، ولكنها كما قال لم تنسه، وفتشت عنه حتى وجدته، وعادت تواصلت معه، وأوصلت ما انقطع من حبل الحب وجنونه، عندما كنت أنشر بعض المقاطع الجريئة من مجموعة **"أغنيات لسمو نهدك"** في تويتر كانا يتناقشان، ثم يناقشني هو، ويقول لي إن (فلانة) أعجبتها، ويقول لي رأيها، أما أغرب رسالة وصلتني عن أحد تلك المقاطع؛ امرأة تبعث لي رسالة تقول فيها: كأنني أتحدث عنها وهي المقصودة! لم أحفل بما قالت، واكتفيت برد عام حول الشعر والتجربة الخاصة وتشابهها بين الناس.

ومن طريف ما حدثني صديقي الشاعر عنهما أن أول مجموعة شعرية كتبها وهو في الجامعة، كانت لها، مكتوبة بخط اليد في دفتر أو كشكول ما زال بحوزتها منذ ثلاثين عاما، وعلى الرغم من أنه نشر

دواوين متعددة بعد ذلك إلا أن هذا الديوان بشكل خاص لم ينشره، وليس عنده نسخة منه، وصارت حبيبته تنشر من قصائده مقاطع يوميا على تويتر. هذا عينه ما حدث مع الشاعر محمد حلمي الريشة عندما كان طالبا جامعيا هو وزوجته فيما بعد، كتب لها ديوانا كاملا، باكورة شعره، وظلت تحتفظ به، حتى نشره ملحقا بكتابه "**قلب العقرب**".

خلال أحد الأحاديث الهاتفية بيني وبين صديقي الشاعر العاشق، ولعله غضب مني، فلم يعد بعد ذلك يتحدث معي، حدثته بشكل عام عما يجمعنا نحن الأربعة، فأنا وهو، كل منا يحب امرأة متزوجة، أي عذاب هذا يا صديقي، وأي صخرة نحمل على أكتافنا، في تلك الفترة أنا قررت الابتعاد فعلا، وإنهاء وهم علاقة أتعبتني حتى المرض والأرق، أخبرته أنني قررت الابتعاد، وشرحت له أسبابي، وبان ارتباكه على الهاتف، لم يعد يتحدث معي بعدها، لكنهما ما زالا يتغازلان علناً على تويتر، ضاربين بعرض الحائط كل شيء. إلى هنا انتهت قصتهما المجنونة!

ربما قلت قولا غير هذا عن السمو وحب الروح، وهذا محض وهم، لأن الحب، كحب؛ روحه حسية، وجسده روح، فلا فاصل بينهما، ولا يجوز أن يكون هناك فاصل بينهما، فالله خلق هذا الكائن البشري ليكون هكذا. ومن قال إن الحب مقسوم إلى مدنس ومقدس، فإما أن يكون كله مقدسا أو كله مدنسا، فالروح ليست ضد الجسد، فليست الأولى مقدسة وحبها مقدس، والثاني مدنس وحبه يرعاه الشيطان، الحب إن جاء في زمانه فهو مقدس مقدس، حتى وهو غارق في متعة الجسد، إنها متعة توثق الصلة، وبها تتوهج الروح، وتجعل العلاقة الحميمة ذات أبعاد روحية، فعندما يلج الحبيب إلى حبيبته عبر الرحم، في ممارسة الجنس، إنما هو يريد أن يلتحم بها روحيا وجسديا، وكأنهما يريدان أن يعودا إلى ما كانا عليه قبل أن ينفصلا، كما تقول الأسطورة أو المأثورات الدينية، فقد كانا مخلوقا واحدا، والعلاقة الجنسية تعيدهما إلى تلك الصورة الأولى، لذلك إذا لم تتجاوب الروح مع الجسد ستكون العلاقة علاقة حيوانية مقرفة، وليس لها طعم، ولا تحدث مودة أو رحمة. أرأيت مثلا لماذا الاغتصاب جريمة إنسانية أولا قبل أي شيء؟ لأنها تدمر الذات، وفيها فعل إكراه وإجبار على إدخل ما هو غريب عن الروح إلى جسد يأباه هذا الجسد، لأن الروح تأنفه ولا تحبه، هنا يصبح الأثر مضاعفا جدا، إنه هدم للكينونة، على العكس تماما لو تمت ممارسة الجنس بحب، حتى خارج العلاقة الشرعية، سيكون لها لذة النشوة غير المتناهية ما دامت الروح هي التي تطلبه، ليس كفعل انتقام، بل بوصفه فعل بناء والتحام. لاحظي مثلا اهتمام الكتب المقدسة بهذه العلاقة، ففي القرآن الكريم "**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**"، وفي المسيحية هناك نشيد الإنشاد، لو اطلعت عليه لرأيته للوهلة الأولى نصا أيروسيا، ولكنه في الحقيقة يعبر عن اندماج بين الحبيبين، وقد عقدت فصلا كاملا في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية" لمناقشة الأيروسية وتمددها في الشعر والأدب الصوفي وأعمال السرياليين التشكيلية.

هكذا هي طبيعة الأشياء، فكل الكون كما يقول السرياليون يقوم على الجنس، إلا الله وحده، فهو الإله الذي لا يَحتاج إليه ألبتة، ولا ينكر ذلك أي دين من الأديان، وتأملي ذلك وسترين، وهناك مقطع في "**أغنيات لسمو نهدك**" أشرت إلى أن الأشياء تمارس شبقها كما هو مقدر لها من قابس

الكهرباء لشاحن الهاتف النقال، إلى الأشجار والغيوم، ولاحظي حولك فإن كل شيء ذكر وأنثى، ألم يقل القرآن الكريم "**وجعلنا من كل زوجين اثنين**"، ولاحظي التأكيد في العدد "اثنين"، إذن هما ليسا ضدين، فهل الواحد ضده الرقم اثنان مثلا؟ وإنما هما جزءان ليس لهما معنى في انفصالهما، وإنما كل المعنى في اتحادهما، هكذا تقول الصوفية، وتقول نظريات علم النفس، وكذلك المأثورات الدينية والأساطير، كلها تشير إلى هذه الوحدة الروحية والجسدية لهذا الكائن العجيب المسمى "إنسانا"، ولا معنى له إن ظل وحيدا منفردا سيظل ناقصا بالتأكيد.

ما زلت أذكر إعجابك برومانسية زوجيِ الحمام اللذين يقبل أحدهما الآخر، ولا أحد يستغرب ذلك، وكنت تقولين لي لماذا إذن يستغرب هذا من الإنسان؟ كنت أصمت، ولا أدري ما الجواب.

تعرفت أخيرا على نبتة في فلسطين تسمى "**الآيروس النصراوي**"؛ نسبة لمدينة الناصرة الفلسطينية، ما أثارني فيها أنها تحمل معنى جديدا للآيروس، فلم يعد محصورا بالإنسان، بل إنه في النبات أيضا، إنها تختال مزهوة مكشوفة في أرض الله، فشكلها الخارجي يشبه تماما فرج المرأة وهو في أقصى شهوته، متهيئا للعملية الجنسية.

يا إلهي كم ثرثرت هذا اليوم، لا شك في أنني سعيد للغاية بحضورك الشفاف الندي، دمت حبرا لدواتي، ووحيا لأفكاري، ووردتك عازفة أنغامها على ناي تصبب شهوة وشجنا. بانتظار أن تهمي عليّ سحابة أفكارك في رسالة قادمة، لعلني أكتب لك أكثر مما كتبت اليوم.

أحبك حتى ينتهي الكون من محنته الوجودية.

المشتاق لك دوما.

الجمعة: 2018/6/1

تحية حيادية ضرورية

لا بد لي من أكتب متأنقا في اختيار الكلمات، وإن كان الأسلوب كما هو في العادة متواضعا، أرجو أن يكون لطيفا كحال أسلوب كتّاب الرسائل عادة الذين يكتبون هكذا دون التفات حتى لأخطائهم النحوية والإملائية والتركيبية، أحمد الله أنني أتقن نوعا ما الكتابة في مرات كثيرة، لتكون أخطائي أقل من غيري.

يتبادر إلى ذهني كثير من الأفكار، أفكار ليست مزعجة هذه المرة، متجاوزا عن قصد الوقوع في الشرك العاطفي الذي وقعت فيه مرات كثيرة، ومنها في الرسالة السابقة، سأحاول أن أنسى ما صنعت بي كلمة "جميل"، وردك على الرسالة بعد أكثر من ثمان وأربعين ساعة طويلة، وأقفز عن ذلك إلى ما هو أرحب من ردك الاستعاري الذي لم أفهمه: "إنك لن تستطيع معي صبرا"، كم كانت جملة مستفزة، لكنني استوعبتها وخبأتها في ذاكرتي أياما حتى تنضج فتتساقط كلماتها حرفا حرفا،

ويتلاشى مفعولها. أتدرين لماذا هي جملة استعارية بائسة جدا؟ ليس لأنك نقلتها من المطلق الديني إلى حضن العاطفة الميت فقط، بل لأنك لست الخضر ذلك العبد الصالح الملهم، ولست أنا بالتأكيد النبي موسى عليه السلام، ولأنه أيضا ليس بيننا اتفاق معلن أو مخفي برعاية الله، ليختبر أحدنا صاحبه. لكل ذلك تبدو الاستعارة بائسة كأقصى ما يكون البؤس. هل أنا أهجو أسلوبك الفظ؟ أبدا، ولكنني أوضح فقط عدم قدرة الشاهد اختصار الحالة التي كتبتِ عليها الرسالة السابقة.

إن نفي التشابه بيننا نحن الأربعة، لاحظي أيضا هناك أربعة، لماذا نحن محكومون دائما بفكرة الكائنات البشرية الأربعة، لا أدري. المهم. إن نفي التشابه أعلاه عني وعنك، لا يعني أننا لسنا صالحين. بالطبع إن فينا خيرا كثيرا، وهذا ليس من المدح الذاتي الزائف، وليس تراجعا عما تعتقدين أنه هجاء، بل إنه الحقيقة؛ فكل نفس بشرية فيها من الخير الكثير لو أرادت أن ترى ذلك الخير، وفيها من الشر أكثر كذلك لو أطلقت له العنان، سيكون بركانا أو عاصفة أو إعصارا مدمرا، إن لم يدمر ما حوله فإنه بالتأكيد سيدمر نقطة انطلاقه، الذات التي انبثق منها، أخذا بنظرية "الشر العاجز" الذي يأكل بعضه؛ لأنه لا سبيل إلى تجاوز ذاته إلا بإفناء ذاته.

لا عليكِ، ربما لم تدركي ماذا أردت من ذلك، وربما أنا أيضا لم أدرك ماذا أريد أن أقول. هي تدفقات من اللاوعي، شعورا بحاجتي الماسة لصنع الهذيان بطريقة غامضة.

هل أكتب لك عن الشر الذي فيّ؟ أم عن الشر الذي في هذا العالم؟ أم أكتب عن الشر الخارجي المتربص بنا جميعا؟ أراه واقفا هنا أو مقعيا على ذيله مثل كلب. يا إلهي كم مرة وظفت استعارة الكلب فيما أكتبه. فهل الشر كلب؟ هل أنا كلب؟ هل هذا العالم الممجوج كلب؟ هل هذا القلب الذي أحمله بين ضلوعي كلب؟ لاحظي لا فرق بين الكلب والقلب إلا قليلا، يا لمحاسن الصدف، إنها استعارة موفقة على ما يبدو. لا بأس، ربما لن ترقى إلى أسلوب صديقك الكاتب الذي صفعتني به ذات مرة بأنه "وحش سرد". يكفيني أن أكون كلب سرد، إنه أنفع لي، "فعلى قد ألفاظك امدد سردك". على كل حال، إنه وحده هو الكلب، قلبي، وليس صديقك طبعا، يعوي دائما في أحشائي، ينبه كل الكلمات الساكتة كشيطان أبكم أعمى، لتهرب مني إليّ، وتتحوصل على رأس القلم. هل تصدقين أنني كتبت هذه الرسالة أولا بخط اليد. أريد أن أكون سريعا مواكباً سرعة نباحها الصباحي عليّ، هذه الكلبة بنت قلبي الكلب!

لا عليك مرة ثانية، ستقرئين صورة لنباح الكلب القلب هنا، وربما ستشعرين بإيقاع الجُمَل الراكض على السطور يسابق حركة يدي المرتعشة. لا أدري إلى الآن لماذا ترتعش أيدي الكُتّاب وهم يكتبون رسائلهم العاطفية بانفعال ظاهر. هل لديك تفسير يشبه تفسيرا صالحا للاستشهاد بهذه الحالة، بعيدا عن رحلة البحر التي صحبتك على متن حكاية موسى والخضر، وأقحمتني فيها بغير أدنى مبرر؟

أحاول أن أضغط على أصابع يدي لعلها تهدأ قليلا، كيف لي أن أضغط على أصابعي؟ وبأي وسيلة أضغط عليها؟ ليس لي يد أخرى لتضغط أخت على أخت، أو لتحنو شقيقة على شقيقتها، فإحدى الأختين ميتة كما تعلمين. يا لتعاسة هذه التشبيهات هنا. إنها تثير الاشمئزاز حقا. أحتاج إلى كلاب إضافية لتنبحني وتنبهني وتزيد من سرعة جريان الكلمات. أشعر أنها تلتهم السطور واحدا تلو الآخر، ودون توقف، حال الخائف الذي بلغ قلبه/ كلبه الحنجرة وهو يلهث يسابق الريح، ويكاد يسبق نفسه، متجاوزا قطارا حديثا مهرولا نحو الهاوية وبسرعة جنونية.

لا عليك مرة ثالثة، لا تصدقيني كثيرا أو قليلا، فثلاثة لا يحسن بالمرء أن يصدقهم: المجنون والشاعر والعاشق، فأنا أكذب أكثر عندما أكتب، وأكذب أكثر وأكثر وأنا أتطلع من شباك نافذتي وأرى صورتك على الشباك، وأتمادى في الكذب وأنا أستمع لهذيان قلبي الكلب، وأبلغ شأوي في الكذب عندما أعلن أن عليّ أن أصمت وأتلاشى وأذوب في هذا العالم المتعجرف.

ليس عليك إخباري بما هو كائن حيال هذا الرقص الصباحي المجنون نحو هذه الكلمات المفخخة بالغموض ونباح الكلاب، متجاوزا زقزقة العصافير، لا أكاد أسمعها، شيء يمنع دخولها إلى مسمعي، ليست العتمة التي أخذت بالتفتق والوضوح إلى حد فضيحة النهار العارية، بل بسبب شيء أعظم من ذلك، إنه التباس العوالم وضجيجها وضجرها واستسلامها للسأم.

ليس عليك حرج بالتأكيد، إن قرأت هذه الرسالة ولم تدركي ماذا أردت أن أقول، فهي غامضة محجبة بأغلفة الدخان الكثيف، ضباب الضجيج الذي يعبئ رأسي، ويمنعني من اختيار المجاز المناسب والاستعارة المثلى.

لا عليك مرة أخيرة، إن عرفت أن الكلمات خادعة، خائنة، وربما خانعة، خاسرة، خائبة، وبغض النظر عن خاءاتي المتكاثرة ربما سيكون لها بعض نفع، فرب نافعة ضارة.

مضطر هنا لأقفل السطر وقد طبعت الرسالة، وغلبتني الشمس واستعجلت الخروج قبل إتمام المهمة، وانقطع تماما صوت العصافير، لعلها غادرت أعشاشها بحثا عن رزقها وما قدر لها، غير حاملة وزر رسائلي ولا حملها، فهي لم تسمعني كما سمعتني في مرة سابقة، رمت قاذوراتها على رأسي وذهبت تبحث عما يفيدها. فهل سيأتي يوم وأكون عصفورا مثلها؟ لست أدري، لعل جوابا سيكون لديكِ.

دمت ودامت الاستعارات غير الموفقة المحفزة على الكتابة. يومك كما تتمنين أن يكون. سلام

الواقع في أسر لغتك

الأحد: 3-6-2018

سلام من القلب

لا شيء يخيفني مثل صمتك هذا، أعترف أنني أخاف في الحالتين، إن أبرقت لي بكلمة أو جملة أخاف، ويخيفني أكثر صمتك، أظل منتظرا أن تكتبي لي مراوغة حتى ولو كلمة، أو تفضلت عليّ ولو رسالة فارغة، لكن لا يهم ذلك كثيرا، ما دام أن صمتك ككلامك دافع حقيقي للكتابة، وبهوس شديد، كأنه الجنون الحقيقي.

لقد اكتشفت سببا آخر يحفزني للكتابة إليك غير ما سبق وادعيته في رسائل سابقة، وهو أن أكون قادرا على أن أستجمع كل قواي العقلية واللغوية والثقافية لتكون بين يديك، وأطوع اللغة والسرد ليكون عبدا مطيعا في حضرة نشوتك وأنت تقرئين.

أخبرك عبر هذه الثرثرة التي يقطع هدوءها الليلي نباح الكلاب في فضاء الريف الساكن دون حراك، أصداء الرسالة السابقة، تخبرني إحداهن وهي محررة ثقافية في إحدى المجلات المحلية في رسالة عبر البريد الإلكتروني: "قرأت نصك الجميل وأرى أنه يصلح ليكون مقدمة رواية. أرجو أن تاخذ موضوع الرواية جديا."، فأجبتها بما تعلمينه من رأيي في كتابة الرواية، وقد أودعته كتابي "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية": "موضوع الرّواية حسمته منذ زمن بعيد، فأنا لن أكتب الرّواية هذه "الفاتنة اللعوب" مع تقديري لثقتك الغالية، من يقرأ بديع الكلاسيكيات القديمة من موبي ديك وجيمس جويس وبلزاك وعظماء الأدب الروسي وكلاسيكيات الرّواية العربية، وخاصة نجيب محفوظ والطيب صالح وحنا مينا وجبرا وإميل حبيبي فإنه يتصاغر ويتضاءل أمام هؤلاء القامات الشامخة روائيا، فكيف لي أن أتجاوز هؤلاء؟ الرّواية ليست عملا سهلا إنها أشبه بالخلق، بل إنها خلق حقيقي لعوالم منظمة غاية في الدقة، ولا تناسبني هذه العوالم فأنا شخص فوضوي حتى النخاع." وتبادرني بهذه الإجابة على الفور وكأنها كانت تنتظر ردا سريعا مني: "أعتقد أن أعذارك ليست في محلها، ولو كان الأمر كذلك، ما كان لإبراهيم نصر الله وواسيني الأعرج وغيرهم من كتاب الرواية الحاليين أن يبدعوا ما أبدعوا. وكلمة أخيرة، أنني لم أر فيما قرأت لك ما هو فوضوي. ربما أنت فوضوي في سلوكك اليومي، لكن ليس بالضرورة أن ينعكس ذلك على نصك الإبداعي. ولا أجد فوضوياً أكثر من حسين البرغوثي لكن نصه على عكس ذلك." لاحظي كيف تريد أن تنهي الحوار، عندما قالت "كلمة أخيرة"، وكأنها تريد أن تقول: "يكفيك هذيانا، وكف عن مناقشتي"، لكنني لم أفهم هذا الإسكات اللبق إلا بعد أن أرسلت لها ردي مطولا: "ما تفضلت به صحيح أعرف ذلك، هم تجرأوا ونجحوا، ولكن لي مشروعي الخاص، وهو ليس سرديا على كل حال، وليس شعريا أيضا، إن ما أركز عليه في قادم ما تبقى من سنوات ولعلها طويلة ستكون، تقديم شيء ولو يسيرا في النقد الأدبي."، لم تزد بعدها أن قالت في رسالة حادة وقاطعة: "كل الاحترام لخيارك".

لقد تأكد لي أكثر وأكثر أن الرواية عمل ليس سهلا، وخاصة بعد أن قرأت اثنتي عشرة رسالة للروائي البيروفي "ماريو فارغاس يوسا" يبين فيها التقنيات المعقدة لكتابة الرواية، على الرغم من أنه ليس ناقدا، ولكنه كان يقدم شهاداته الإبداعية حول فن الرواية بوصفه روائيا وقارئ روايات، وكأنه يريد أن يقول: الرواية ليست عملا سهلا، وتحتاج إلى خبرة وعلم ودربة وموهبة، مع أنه يضع الموهبة في أدنى السلم لما يحتاجه الروائي، وقد حلل من وجهة نظر إبداعية كثيرا من الروايات في رسائله المطولة تلك.

أزجي لك هذه المحاورة لعلني أقرأ لك ردا على هذه الرسالة أو تلك الرسالة التي قزمت فيها ذاتي لأكون "كلبا" و"كلب سرد"، وليس "وحشا"، أعلم أن في الأمر ما لا يروقك في هذه المعمعة كلها، لست أدري ما هو بالضبط، لاحظي هنا أنني أدخل الآخرين بيننا لأستطيع أن أكتب لك، وكأن ذلك عذر مباح، مع أنه ربما بدا لك عذرا أقبح من ذنب لكن لا يهم.

وما دمت أحدثك عن عالم الكتابة والكتاب، أخبرك أن نصك الأخير الذي وقع فيه أخطاء تحريرية كثيرة كنتُ وحدي مسؤولا عنها بالكامل، قد نشر أيضا، في غير تلك المجلة التي أرسلتها سابقا، في مجلتين أخريين، واحدة محلية، والأخرى في لندن، وقد كتب محرر المجلة اللندنية مقدمة للنص، بدت لي جميلة تناسب النص ويستحقها عن جدارة.

يحتفي المحرر بهذا النص الذي كان صادقا، ومصوغا بحرفية عالية، فيخيب مرة أخرى ظن كل أولئك الذين يحاولون النيل من شاعريتك الراسخة، ويتربصون بك عبر نميماتهم الثقافية المزعجة التي لم تكن سوى طنين أجنحة الذباب؛ أيضيرك هذا الطنين أيتها الجميلة المحلقة كشعاع نور؟

ربما ستكتبين لي كي تتعرفي تينك المجلتين، مع أنني أعلم أنك لا تهتمين كثيرا بمتابعة منشوراتك، فلست مهووسة مثلي بتتبع النصوص ومستقرات نشرها ومآلاتها، ربما لأنك أكثر ثقة مني بذاتك، ولأنك كما يقال: "تقولين كلمتك وتمضين"، ربما هذه المرة ستكونين مهتمة، ولعلك تبحثين وحدك، وستجدين تينك المجلتين.

أؤكد لنفسي قبل أن أؤكد لك أنك تستحقين ما أنت فيه من مجد أدبي آخذ في الانتشار بسرعة الضوء.

رجاء، اكتبي لي أي كلام، فقد اشتقت أن أرى حروف اسمك مضيئة في قائمة رسائل بريدي الإلكتروني، ها قد مضى ثلاثة أيام على هذا الصمت المريب المخيف، ألا يكفي ذلك؟ فكفارة المذنبين لا تتجاوز ثلاثة أيام صوما عن الكلام، وهي الحد المسموح به للقطيعة، ولا شك أنك تعلمين ذلك. أم أنك في سفر أو على سفر؟ ألا يحق لي أن أعرف إن كنت فعلا قد سافرت؟ حتى ولو، امنحيني دقيقتين، واحدة للقراءة العجلى والأخرى للرد، وإن كان من وراء القلب. دمت بكامل المجد، وحظا موفقا، وإلى الأمام دوما.

المشتاق لرائحة الجنون في كلماتك.

الأحد: *2018/6/3*

طاب المساء

سعيدة بكونك تكتب وبغض النظر عما تحمله كتاباتك من اتهامات أحيانا وتجنٍ أحايين أخرى إلا أنني أفرح بهذا الفيض الذي يتدفق، فما يهم هو القدرة على زم ما فاض وحفظه والتعامل معه على أنه كنز أدبي لا يمكن إلا التوقف عنده.

كتابتك للرواية ستحدث ولا أظنك إلا مؤجلها ليس أكثر، لديك من القدرة ما يؤهلك لكتابتها وإن بأسلوب حداثي خارج القوالب المعرفة للرواية، يمكنك ابتداع ما يخصك. أثق تماما بما تجود به قريحتك المجنونة.

لم أسافر بعد ما زلت أنتظر (الفيزا) ويبدو أنها لن تأتي فقد قدمتها بالوقت الضائع، لكنني منشغلة بالعمل، فبعد نصف رمضان بدأ الشغل بالحركة وهذا وحده يجعلني مرهقة وما بين العمل والتحضير للسفر ورمضان والتزاماته العائلية أعيش في دوامة كنت في بلدتنا وعدت بالأمس ومعي ضيوف في البيت.

ممتنة لاهتمامك بما نشرته ومتابعته وسعيدة أيضا بتداعياته التي ذكرت وإن لم أبحث عنها يكفي أنك فعلت. لن أعود للعتاب وأسلوبك المستفز في جعلي أحيانا أفقد رصانتي وأكتفي بعدم الرد تجنبا لإثارتك وإن كان ذلك حافزا لك لتكتب.

كن بخير أبدا

ف. ع

الأحد: 10-6-2018

طابت رحلتك وطابت أوقاتك كلها، أيتها العزيزة.

أعرف أنك وأنت في السفر ربما لن يتاح لك قراءة الرسالة أو أن تردي عليها، كما أنك في غمرة استعدادك للسفر لم تردي على رسالتي السابقة، هل تذكرين في كل مرة تسافرين فيها وأنا قابع في سريري منتظرا إشارة منك، تخيبين ظني؛ تنشغلين عني، ولا تحبين أن تتواصلي معي، لا أدري السر في ذلك، ربما هي فرصة لترتاحي من سماجة خلقي وكثافة دمي غير المبررة.

لكن لا بأس، سأنسى هذا الشعور المؤلم، وأفترض وجودك. أليس كل علاقتي معك هي افتراضية محضة؟ اسمحي لي أن أثرثر قليلا. أشعر بالازعاج والفراغ والوحدة القاسية، أحس بأن الوقت نحاسي وأن المكان رصاصي، وكل شيء ثقيل، لا يكاد يتزحزح، لا هواء حولي على الرغم من أن كل النوافذ مفتوحة، أليس الجو عندك لطيفا، ويميل إلى البرودة أو الاعتدال، أغبطك على هذا الحظ

الجميل، وكم تمنيت في كل مرة تسافرين فيها أن أكون بصحبتك، أمنية ربما لن تصح ولن تكون، ولكن عليّ أن أحلم قليلا.

أفكار كثيرة في رأسي يجمعها أمران: العبث والفوضى، هذان معنيان مختلفان، ليسا مترادفين، فليس كل ما هو فوضوي عبثي بالضرورة، وليس كل ما هو عبثي فوضوي، ربما يكون العبث نظاما غاية في الدقة والإتقان.

اليوم، تحاورني كاتبة، وكان الحديث متشعبا، حول الكتب، والروايات، حول كتاب إليف شفاق حليب أسود، وحول كتاب فرجينيا وولف غرفة تخص المرء وحده، وحول فن الرواية، والتهافت في كتابتها، لا أدري لماذا هي طاغية إلى هذا الحد على فكر الكتاب، الكل يكتب عن الرواية، حتى أنا، والكل يريد أن يكون روائيا إلا أنا.

نسهب في الحديث، ونتطرق إلى الإعاقة، ثمة جملة لا تعجبني في هذا السياق، "كل ذي عاهة جبار"، أرى أنها غير إنسانية بالمطلق، ماذا قدم المعاقون للبشرية، ليس بوصفهم بشرا، ولكن بوصفهم معاقين، فالحضارات كلها بنيت على أكتاف الأصحاء وجهودهم، والحالات الفردية في الإنجاز لا يقاس عليها، لأن الحضارة لم تعترف بغير الأصحاء. هذه الجملة قاسية جدا، فإذا كان المعاقون جبارين، فهل الأصحاء أنصاف آلهة؟ هنا تتدخل محاورتي لترى ذاتي متشظية إلى ستة كائنات قزمية على نحو ما هو موجود لدى إليف شفاق، ولكنني أكدت لها أنني لست قلقا ليكون لي هذا الكم من الكائنات التي تعيش داخلي.

أتعلمين كم هو مرضي أن يتحدث المعاق عن إعاقته؟ مع أنني تجاوزتها منذ كنت طفلا، لم تؤرقني قليلا أو كثيرا. لكن هذه الكاتبة تستغلني لتكتب نصا من وحي هذه الإعاقة، يا للروعة، صرت محلا للكاتبة، أي جنون وأي استغلال هذا؟

لا تبتئسي، لا شيء جديد، ها هم الكتاب دوما، "سارقو نار" كما يقول آرثر رامبو، ويصنعون من الحبة كبة، ولا يهمهم مشاعر الآخرين، كاللصوص تماما، هل فكر لص يوما بمعاناة المجني عليهم؟ لو فكروا يوما لأقلعوا عن هذه اللعبة اللا إنسانية، أو كما كتبت لي يوما الكاتبة السورية رجاء شعبان "هكذا هم الشعراء.. لا أمان لهم كالعصافير.. يهربون إلى أشجار وارفة". إنها أنانية، تشبه أنانية الصياد الذي يكون حريصا على الهدوء من أجل اقتناص فرائسه.

هل أزعجتك ثرثرتي هذا اليوم؟ ما زلت أشعر بالضيق، لم تنجح هذه الرسالة بتبديد الوجع، أحس بثقل ما جاثم على صدري، وأنفاسي غير منتظمة، وأحس بحرارة في جسدي كله، لا نسائم في الجو، ولا لطف في الناس، ولا رقة في اللغة، أي لحظة هذه؟ كأنها اللحظة التي تسبق الانفجار أو الوقوع في الجحيم.

كنت أنوي أن أحدثك عن أمور غير هذه ولكن لم تسعفني الحالة ولا اللغة. كنت في أول الليل أشعر بطاقة إيجابية قوية، تبدل الحالة بجملة، وصار الكون أضيق من "سم الخياط"، فهلا جعلتني أرى الدنيا أوسع مما هي عليها الآن؟

أرجوك إن أسعفك الوقت، وقرأت الرسالة أن تكتبي لي، لعلني أرتاح ولو قليلا، ولا تهملي الرد، فأنا أحتاج أن أشعر بقربك، وإن كان عن طريق اللغة.

أنتظرك بشوق كما أنتظر رسالتك بلهفة، دمت بخير وسلام وشعر.

المحتاج للمسة من يدك.

2018-6-10

أنا بخير، كان الأمس جميلا تم تكريمي تلعثمت قليلا لأنني قرأت التوطئة بالإنجليزية بعض الكلمات كان لفظها صعبا لكن لا بأس هم أيضا لا يتكلمون الإنجليزية إلا قليلا، مستمتعة بهذه التجربة أتاحت لي التعرف على عالم مختلف وثقافة مختلفة. أناس طيبون؛ تحيطني صديقتي وعائلتها بالرعاية الكاملة كفرد من أسرتها وخاصة حماتها، استوصت بي كثيرا بالأكل تماما كجداتنا لم تترك شيئا في جعبتها ومن كنوز الجدات إلا أخرجته لأتذوقه خاصة أن كنتها وابنها لا يقيمان عندها، إنما قدموا مثلي من الشمال الإيطالي، وبالتالي هي سعيدة بهم وبضيوفهم.

غدا مساء سأغادر إلى روما لأتعرف على معالمها وساغادرها الخميس. أعلم أن أخباري ستسرك ولذلك أسهبت فيها. نقضي النهار اليوم في التسكع في حارات ليتشي القديمةً، هي بلد قديم عريق لديّ صديقات الآن من ليتشي وصقلية وأماكن أخرى في الجنوب لدي صديقة أخبرتني أن القصيدتين قد أوحتا لها بثلاث لوحات رسمتها تأثرا. القصيدتان تم التفاعل معهما بشكل مؤثر في الاحتفال.

لا يتكلمون الإنجليزية لكن نتواصل بالمترجم الفوري على الآيفون. حسنا هذا كل شيء بالنسبة لي. لن أتطرق لما أوردته من حديثك مع الكاتبة ومآربها، أنت وحدك من يستطيع أن يتعامل مع هكذا حوارات. لقد تجاوزت إعاقتك. أفترض ذلك، ولا يحسن بك الحديث عنها مع أحد هذا شيء يخصك. وابتسم. الحياة فهي ما زالت جميلة بوجودي الافتراضي على الأقل.

شي فيديامو دوبو.

ف. ع

الأربعاء: 13-6-2018

طابت أوقاتك وأماكنك.

لا أدري بداية أي سر تمتلك تلك الأمكنة التي تكونين فيها، لأحبها على نحو عميق وحقيقي وأشعر بعاطفة خاصة تجاهها، وكم أشعر بقربك وأنت فيها بعيدة عن هذه المدينة التي تزعجني، ويثير فيّ

حساسية تقربني من الجنون، لذلك لعلك تشعرين أنني أكون أهدأ نفسا وأنت في سفر. شعور غريب لا أجد له تفسيرا.

أشعر بقربك، ويسعدني سماع صوتك الشهي على نحو استثائي، وأنسى كل ملامح جنوني وتتحول لغتي لتصبح صافية رقيقة، تحاكي نغمة صوتك الملائكي المحمل بالشجن والحب والحنان، لا سيما وأنت تهتمين بي والاطمئنان علي، وتقولين لي: "انتبه لنفسك جيدا". والآن فلأحدثك عما فعلته بي صورتاك الشهيتان اللتان كانتا غيمتين شفيفتين تظللان روحي وتحرسانني من الانزلاق في وهدة البعد عنك.

أتصدقين أن تلك الصورة لم تكن مجرد حجب ظل، ولم تكن فقط منظرا طبيعيا يحتضن امرأة جميلة بلونها الأبيض وثيابها الوردية، إنها أبعد من كونها صورة مرسلة عبر البريد. إنها أنت بكل تلك الأنوثة الطاغية، تلك المرأة التي فتنتني قبل أعوام، وما زال سحرها الغيبي يأكلني يوميا ويقتات على روحي.

يعود مع صورتك ذلك الإحساس القديم المتجدد: كيف كانت ذاتي تنسلخ من ذاتي ذاتا أخرى، بل ذوات تتقتت كائنات نشوى راقصة فرحا بذلك الجمال، وتتحول إلى كائنات عابدة مجنونة لا يناسبها إلا وصفك لي بالمجنون وأنت ترينني مجنونا بحق، فيعم كوني رعدٌ وبرق وضوء شاسع المد ليهطل المطر عاصفا، يريد أن يغسل تلك الذات المنتشية لتحيا من جديد على أطراف تلك الصور.

هل أخبرك أن صورك تلك قد غسلتني بمائها الضوئي العطري؟ وكلما شعرت بنقصي اكتملت بالنظر إلى تلك الصور، وانغرست بملامحك التي لا تنفك تفعل بي فعلها وتنفث فيّ عقد سحرها اللا نهائي، لتصبح معضلة، لا حل لها سوى أن تكوني معي في أحلامي كل ليلة امرأة باذخة تحضن روحي وتمنعني من الجنون، لتكون شفاء لهذا الشقاء الذي أنا فيه. يقولون: إن هناك علاجا بالكتب وعلاجا بالعقاقير وعلاجا بالإبر الصينية وعلاجا بالسحر وعلاجا بالرقية، ونسوا أن يتحدثوا عن العلاج بالحب وعن العلاج بالصور.

أتدرين أيتها الحبيبة ماذا تعني صورك بالنسبة لي؟

لا أريد أن أكسر نشوتي بالحديث عن الفن التشكيلي والتصوير واللوحات العالمية المشهورة، وتاريخ الفن المعاصر ومدارسه المختلفة من واقعية وتكعيبية وسريالية، وطبيعية أو أيروسية، فقط أريدك أن تعلمي أن صورتيك هاتين اجتمعت فيهما كل مذاهب الفن القديم والمعاصر.

عندما أخذت صورتك تتبلج أمامي شيئا فشيئا في رسالتك الأخيرة بتلك الهيئة من الجمال؛ مستلقية بكامل جسمك البض، بنصف ابتسامة ناعمة غامضة، مشرقة الوجه، بنظارتك الشفافة، رافعة ذراعك اليسرى، لتتحدث عن ملمس أنعم من الحرير وألين من القطن، وأشد صفاء من الثلج. بشعرك الكستنائي المنساب كلحن هادئ ليلامس صدرك الأبيض، كأنك استكملت المشهد

الساحر بتلك الخلفية للشجرة الخضراء التي تغطي خلفية الصورة، عند ذلك بدأت برحلة الخيال المحموم لأستكمل ما خفي في الصورة من جسمك الحريري الدافئ التي تسكنه النشوة بقوة روح وعذوبة موسيقى تنداح في الطبيعة الفاتنة التي تحيط بك، فتتجلين في بؤرة الصورة ملاكا فاتنا يشغل الكائنات لتحدق بك، وتجعلني في غيرة ونشوة وشهوة معا.

أخذت هذه الصورة باسترجاع ذلك الحنين الراسخ في النفس، وقد استعبدني كل هاتيك السنين، كنت قاسية جدا، أيتها الحبيبة، وأنت تقدمين لي الكأس وصورته دون أن يتاح لي أن أشرب منه ولو رشفة واحدة، أوصلتِني البحر في كل مرة، وأعود عطشا، لأبقى عطشا منذ عرفتك وحتى هذه اللحظة. أي إنسان عاشق بمقدوره أن يحتمل العطش سنوات طويلة؟ إنه عذاب مرير وطويل وأبدي كأنني أحمل قدرا لا فكاك منه.

أتصدقين أيتها الفاتنة؟ أن هذه المعاناة التي وصلت إليها، وزادت واستطالت، هي التي تغريني بالبعد أكثر، وتدفعني لئلا أتأمل صورك، على الرغم من أنني أعاند عقلي، وتتمرد روحي عليّ، وتغلبني شهوتي المجنونة، فأتأملك في اليوم عشرات المرات فلم يمض يوم دون أن أستلهم جمالك قوة روحية لبقية يومي، وزادا لإلهام الشعر والتجدد والنشاط.

أتأمل صورتيك الأخيرتين، أقف عندهما خاشعا، ليس كعاشق مهووس يشتهي جسد حبيبته فقط، بل كصوفي متبتل يريد أن يلتحم بمحبوبته فيصبحا كيانا واحدا، أقف أمام صورتيك أتأملهما كأنني أقرأ لوحتين لأعظم الفنانين؛ دقة، وجمالا، وتناسقا في العناصر كافة، أسأل نفسي والبسمة الحيرى تغمر شفتي، والذهول يملأ عقلي: كيف اتخذت الشجرة عشا لكيانك، أو سريرا يحتضن قامتك، بدوت كأنك طفل في رحم أمّ، وقفت طويلا عند ذلك المعنى لجلال الشجرة وتجاويفها وامتداد علوها وشموخها، وشخصك داخلها، فأي شموخين اتحدا في لحظة من عميق الصور؟! كم بدوت بنتا لأمّ حكيمة، وهل هناك ما هو أكبر وأعمق حكمة من شجرة مديدة العمر تختزن تاريخا طويلا من الطبيعة والبشر الذين مروا خلالها وبها؟

أيتها الباذخة جمالا كالحب، لم تكن الصورة مجرد صورة، بل كانت دافعا للغة أن تأخذ زينتها عند كل جملة تُكتب، وعند كل بيت شعر يتخلّق، وعند كل سرد من حكاية تروى في الأساطير والكتب الخالدة. وهل تنتهي حكايات الجمال أو قصائد الحب، فلن ينفد الكلام ما دام هذا الجمال أبديا، وما دمت أنت الحبيبة التي أشتاق رشفة من كأس خمرتها، لعلي أهدِّئ ولو قليلا من صهيل الجنون في دمائي المتصببة عشقا وشوقا وأرقا!

أنتظرك بشوق، مع تمنياتي لك بعودة ميمونة، راجيا أن ترسلي لي صورا عن اللوحات المستوحاة من قصائدك التي أبلغتني عنهما في رسالة سابقة، وإن أمكن أن ترسلي مزيدا من الصور، إن تكرمت على هذا العاشق البائس المسكين الذي لا ينتشله من غرق الحب إلا مزيدا من نشوة الغرق في الجمال، لعل الروح تأتلق وهي هائمة في مسارح هذه الفتنة التي لا أريد لها أن تنتهي.

أنتظرك، لعل رشفة من شفتيك تعيد لي اتزاني في مقصلة الانتظار والعطش الطويل.

الأربعاء: 20-6-2018

طابت أوقاتك يا عزيزتي.

أرجو أن تكوني بخير، لا تقلقي بشأن كثرة الأعمال وازدحامها خصوصا في شهر رمضان وما بعده من (عجقة) العيد السعيد، فكل عام وأنت تتمتعين بالجمال والأناقة والحب، فهي أوقات تتزاحم فيها الفروض الاجتماعية، ولا أحد يستطيع الفكاك من عاداتها إلا من لم يحفل بها مثلي، لقد عودت الآخرين على أن أظل وحيدا، ولا أدخل في هذه الأجواء. لقد سرني أيضا تحسن أمور العمل، فمشروعك منذ رأيتك آخر مرة في تقدم، يسعدني أنك تمنحنين جل الوقت لإنجاز أعمال ذات قيمة جمالية بعيدا عن الهوس القديم، بما ليس منه فائدة حقيقية.

وأما ما جاء في رسالتك الأخيرة بخصوص الرواية، ها أنت تدفعينني لأعاود الحديث عنها، لاسيما أنك ما زلت تظنين أنني قادر على كتابة رواية، وما هي إلا مسألة وقت كما قلت: "كتابتك للرواية ستحدث ولا أظنك إلا مؤجلها ليس أكثر، لديك من القدرة ما يؤهلك لكتابتها وإن بأسلوب حداثي خارج القوالب المعروفة للرواية، يمكنك ابتداع ما يخصك، أثق تماما بما تجود به قريحتك المجنونة". لقد أعجبني وصفك لقريحتي أنها "مجنونة"، أشتاق لذلك الوقت الذي كنت تمتدحين النصوص بقولك: "مجنون"، ها هي تعود وإن بصورة أكثر هدوءا. كم أحب ذلك منك أيتها المجنونة مثلي تماما.

والآن فلتتفضلي عليّ، وتصغي إلى ما سأقوله حول الرواية.

صحيح أن الأعمال الأدبية ليست إعجازا، وأنه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، حتى أعظم الأعمال عبقرية وبلاغة، ولكن مع ذلك يجب ألا تقع في محظورات الخطأ الذي سيكون بإمكان القارئ العادي أن يلاحظه فضلا عن الناقد المتوسط والمثقف ذي الدربة في قراءة الأعمال الأدبية.

في هذه الرسالة أحب أن أطلعك على بعض ما قيل في رواية "حرب الكلب الثانية" التي فازت بجائزة البوكر هذا العام. مقال في صحيفة خليجية يبرز فيه كاتبه أخطاء ظاهرة في الرواية، ويصف الرواية بأنها "أسوأ رواية قرأها لكتابنا الكبار". ويقارن تلك الإخلالات بروايات أخرى تدور في فلك الفنتازيا، تعد علامات بارزة في هذا الصنف من الروايات، تلك التي تحدث في عوالم خيالية وتستبق الزمن واللحظة الراهنة كحال رواية "حرب الكلب الثانية"، غير ناسٍ بطبيعة الحال تلك الموجة من الكتابات المادحة للرواية وتمجيدها، محتفلة بالرواية والروائي ومشروعه الكبير، وأنها إضافة مميزة كونها خرجت عن إيقاع مشروعيه الروائيين: "الشرفات"، و"الملهاة الفلسطينية".

لم ينتبه الكتاب الخليجيون ولا الدولة المانحة للجائزة أن في الرّواية قدرا من ذم التطور القشري لدول الخليج القائم على التطور المادي الذي لم يواكبه تطور في المعيشة والتصرف، يظهر في آخر الرّواية كثير من عناصر الحياة الخليجية، الناقة وبيوت الشعر واللغة التراثية، كأنهم ما زالوا يعيشون في القرن السادس أو السابع الميلادي!! هل لو كان هناك ناقد خليجي وانتبه لهذا اللمز هل كان نصر الله سيفوز بالجائزة؟

ناقد وأكاديمي فلسطيني يصف روايات نصر الله بأنها مملة، ويذكر من ذلك على سبيل المثال رواية "أرواح كليمنجارو" وغيرها، وأنه لم يكد يبدأ الرواية حتى يدفعها جانبا ولا يكملها، ويعيد ذلك إلى ذائقته، بالطبع هو يسخر في "خربشاته" من أن تكون ذائقته هي المسؤولة عن هذا الملل. هنا مشكلة الروايات الحديثة القائمة على التجريب، كالشعر تماما، تحتاج إلى ذائقة بمواصفات معينة بالتأكيد، وليس نصر الله وحده في هذا، وإنما كتاب روايات آخرون يشاركونه هذا الملل، ويشارك الناقد غيره في هذا الرأي بالتأكيد، وقد قرأت شيئا من هذا مؤخرا.

ما مناسبة هذا الحديث؟ لعلك ستسألين نفسك هذا السؤال، وأكاد أسمعه يرقص مع ضحكة ماكرة على شفتيك، لتظني بي الظنون؛ معتقدة أنني ذو نظرة سوداوية تجاه "الكتاب الكبار"، لا شيء من ذلك هنا، وإن كان في النفس شيء تجاههم، ولكن ليس هذا محله الآن، وأنا أكتب لك بموضوعية وشيء من الحيادية. سأحاول الإجابة على سؤالك مطولا إن استطعت، وأمدتني روحك بالإلهام اللازم والقدرة الكافية لشرح المسألة شرحا وافيا.

تؤكد لك المسألة النقدية حول الروايات الفائزة، يا عزيزتي، أن الأعمال الأدبية الفائزة في المسابقات الأدبية (شعرية، قصصية، روائية، نقدية،...) عدم إجماع الوسط الثقافي على تلك النتائج التي خرجت بها لجان التحكيم، وهذا ابتداء صحي وطبيعي، والمسألة ليست عربية فقط، حتى لا نظل نتهم أنفسنا بالتحيز والمحسوبيات والفساد، كما قال أمجد ناصر عندما خرج من القائمة القصيرة هذا العام في مقال يشنع فيه على الجائزة ولجنة التحكيم وزملائه الأدباء المتأهلين، ويكيل لهم الاتهامات غير المبررة، ونسي أنه كان يوما عضو لجنة تحكيم هذه الجائزة في عام 2010.

لقد حدث ذلك أيضا في الغرب، قبلتنا دائما في الحكم على الأشياء، فها هي (جينفر إيغان)، الروائية الأمريكية تقول: "لقد حكمت جوائز كبرى وأعرف كيف يتم هذا. فالأمر يعود إلى الذوق، ومن ثم الحظ، إذا حدث ووصلت إلى القائمة النهائية فهذا أنك محظوظ بما يكفي لتكتب شيئا يروق لحكام معينين". وبالطبع ليس (إيغان) وحدها، بل للشاعر المكسيكي (أكتافيو باث) رأي مشابه، وهم يعذرون لجان التحكيم، ويقبلون بكل روح رياضية نتائج المسابقات التي رُشحوا لها، ولا يقولون عن كتبهم أنها وحدها المقدسة، تعلو ولا يعلى عليها.

لعلنا جميعنا لم ننس تلك الهجمة الغبية على رواية "كونشيرتو الهولوكست" التي فازت بالجائزة نفسها قبل عامين، واتهام كاتبها بالتطبيع، وذلك الهراء النقدي لنويقد مصري يتدرب على الكتابة،

وهذياناته المقيتة في حقها، وقد كرهته على نحو شخصي لقلة أدبه وذوقه المحدود والمنحط وسطحيته في الكتابة الملئية بكل شيء إلا النقد، فإنه لا شك مفارقُهُ إلى الأبد، ولن تبشر كتاباته بأي مستوى نقدي محترم على الإطلاق إن بقي سابحا في جهالاته المفعمة بالزهو الكاذب، والغارقة في الجهالات كثيفة الظلام.

المسألة الثانية وهي مسألة إبداعية محضة، هنا أتذكر ما كتبتُه حول رواية "مملكة الفراشة" في كتابي "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية" وأخطاء الكاتب فيما كتبه في الرواية حول موقع "الفيسبوك". ما حدا بالكاتب أن يبعث إليّ برسالة يؤكد فيها صوابه وخطأ وجهة نظري وتحليلي. تمر الأيام وتفوز هذه الرواية بجائزة عربية، فيثور حولها اللغط، ويكتب كاتب آخر مقالاً يبين ما في الرواية من أخطاء، تلك الأخطاء التي أشرت إليها قبله، ويتهم لجنة التحكيم أنها منحت الرواية الجائزة لشهرة الكاتب دون أن يقرؤوا الرواية، إذ لو قرأوا الرواية، كما قال، لما استحقت هذا الفوز.

ماذا أريد أن أقول؟

أردت أن أقول إن هناك استعجالا في كتابة الرواية والتهافت عليها والتلبس بصفتها، وكأن صفة "الروائي" أمارة إبداع وعلامة تميز، وهي "فيزا" الدخول إلى عالم الشهرة والإبداع والجدارة الأدبية، وكأننا بذلك جميعنا نقضي، ونحن لا ندري، على فنون كتابية أخرى، جديرة بالحياة والاحتفاء كالشعر والمسرح والقصة القصيرة والموسيقى مثلا.

هل تلاحظين مثلما ألاحظ أن الحياة الإبداعية العربية والمحلية تفتقر إلى فن المسرح، ونقاد المسرح، وإنتاج المسرحيات، لقد مات هذا الفن الذي هو أبو الفنون جميعها، خلف وراءه خلفة أضاعوه وأماتوه! ولم يعد أحد يحفل به، وأنا واحد من الكتاب الجدد الذين لا يهتمون بالمسرح قراءة واقتناء ومشاهدة ونقدا، بل إنني أؤكد جهلي المطلق بهذا الفن.

تعالي نستذكر معا بعض كتاب المسرح، ولو سألتني عن بعضهم لن أستطيع إلا أن أقول اسمين أو ثلاثة كأقصى حد، وليس من هذه الأسماء أي اسم حديث، وقد أثرت هذا السؤال مرة مع صديق لي، وناقشت معه لماذا نحن، أنا وهو، لا نقرأ مسرحيات ولا نكتب في المسرحيات. ما حدا به أن أحضر لي في اليوم التالي مسرحيتين لكاتب عربي، تجاوز عمر نشرهما أكثر من (47) عاما. إنه خلل فاضح في الحياة الثقافية العربية، ونقص معيب في أبجدياتها الإبداعية بكل تأكيد. ولكن ربما هناك أسباب موضوعية لخفوت هذا الفن وتراجعه.

هل للرواية هذه القدرة من الهيمنة على الصنعة الكتابية، وتوجيه الأقلام نحوها أم أن بريق الجوائز أفسد الخريطة الإبداعية؟ أفكر أحيانا بما سيحصل بفن الرواية لو توقفت كل الجوائز التي تخصها؟ هل سيعود الكتاب إلى المسرح أم سيعودون للشعر أم أنهم سيصمتون؟ هل سنكتشف حقيقة مواهب أولئك الكتاب؟ أكاد أجزم أحيانا أن ثمة ديكتاتورية غير معلنة مسيطرة على عقول

الكتاب ليكتبوا رواية، ديكتاتورية الشهرة والمال، وأصبحت الدوافع غير بريئة، يشوبها التفكير بالدولار، قبل الرواية ذاتها، ما جلب آثارا سلبية جدا على الرواية، وضاعت روايات عظيمة بين هذا الركام الغث، ربما سيكون حكما قاسيا قول أحد أصدقائي: "إذا تحدثنا عن الكم لن يموت أي نوع أدبي. وإذا تحدثنا عن النوع فنحن لا نملك لا رواية ولا قصة ولا مسرح ولا شعر إلاّ ما ندر. المشكلة أن الكل واثق من أنه فوق الجميع، وأقسم أن 99% مصيره المزبلة".

ابتعدت كثيرا عن محور الحديث، أعود فأقول يجب عدم الاستعجال في كتابة الرواية، بل يجب على كاتبها أن يراجعها، ويتتبع كل عنصر من عناصرها، ليرى منطقيته وترابطه مع غيره وواقعيته وجماليته منفردا وبالتضام مع غيره، عليه أن يفعل كل ذلك وأكثر قبل أن يزج بمجموع أوراقه إلى المطبعة، ويشارك فيها في المسابقات فتتعاورها أيدي النقاد ولجان التحكيم. وربما سبب بعضها اكتئابا ثقافيا للجان التحكيم.

في مقابلة مع أحد الروائيين يقول إنه يضع إشارات يتتبع من خلالها عمله الروائي بحيث لا ترتكب شخصياته حماقات سردية، فيَحدُث خلل أو تناقض أو تعارض بين أول الرواية وآخرها. بلا شك في أنه عمل مرهق وصعب، ولكنه ضروري وواجب لمن أراد أن يكون كاتبا روائيا ناجحا. عليه أن يتخلص من السيطرة العاطفية لبعض سخصياته عليه، ويكون موضوعيا بدرجة فنية عالية. يُنقل عن (ماركيز) أنه خرج من غرفته وهو يبكي عندما اضطر فنيا لقتل شخصية "الجنرال" في إحدى روايته، ولكنه لا بد من أن يفعل ذلك، فلم يجعل الشخصية تقوده لكي تدمر عمله الروائي، كم كان شجاعا وناجحا وعبقريا.

بعد كل هذا الاستطراد أعود إلى ما بدأت به هذا الحديث؛ لا رواية دون ملحوظات نقدية بكل تأكيد، ولكن على الكاتب أن يتجاوز عقليات النقد المتوسطة والعالية ويتماس مع عقليات النقد الكبرى؛ لتظل الرواية عبقرية في عقول جماهير القراء الواسعة، من قراء مدربين ذوي ذائقة فنية عالية وحساسة ونقاد صحف، وهنا تحوز هذه الرواية صفة الإبداع حتما، من المثقفين والنقاد والقراء على حد سواء، ولا يستطيع أحد أن يلاحظ أخطاءها وعوارها، إن وجدت، إلا كبار النقاد، وهنا تصبح مسألة الجوائز سهلة، وستخف موجات الانتقاد الحادة لكل عمل روائي يفوز.

هل سأستطيع، كما قلت وتنبأتِ، أن أكتب تلك الرواية التي في ذهني؟ لا أدري إلى الآن هل باستطاعة قدراتي الذاتية تفتيق الخيال على تقنيات خارجة من "قريحتي المجنونة" لصنع رواية مذهلة تتجاوز عقليات النقد الصحفي لتتماس مع عقول النقد الكبرى، فما زلت مؤمنا أن للروايات عوالم سحرية، وأنها خلق من بعد خلق في ظلمات ثلاث (الشكل، والتقنيات السردية، والفكرة المدهشة)، وقليل جدا من الروائيين من نجح في أن يكون عظيما، كالشعراء تماما، فالشعراء العظام نادرون؛ ربما على طول تاريخ البشرية لن تجدي عشرة شعراء حقيقيين، وليس كتبة شعر، وكذلك هم الروائيون، فالروائيون العظماء نادرون أيضا، ولست أعني كتاب الخراريف والحكايات وأصحاب السقطات السردية. ف "الرواية ليست لعبة شكلية أو حكاية تروى بنسق

حكائي فحسب، بل هي انغماس في صيرورة الحياة وبحث في التجديد وحس جمالي في استخدام اللغة والقدرة على معاينة المعضلات المعاصرة والتوفر على معارف عدة من العلوم الحديثة والفلسفة والفكر والتاريخ والفنون والاقتصاد وعلم النفس والاجتماع"، كما تقول الكاتبة العراقية لطفية الدليمي. فإذا لم يقرأ الكاتب فلسفة وفكراً ونقداً وأساطير ولغة وعلم نفس، سيكون حكّاءً يتقن الثرثرةَ، ولن يصبح كاتبا كبيرا يوما ما، ثمة ضحالة ثقافية وفكرية، يا عزيزتي، في الروايات المنشورة مؤخرا، وسبق أن ناقشنا ذلك في بعض لقاءاتنا على قلتها.

ملاحظة أخرى: كثيرة هي الروايات العربية التي اعتمدت على تقنية واحدة ومكررة، حتى غدت كلاسيكية بسبب كثرة الروائيين الذين اعتمدوها. فأين التجديد في الشكل؟ وأين الرّواية العربية التي ابتكرت شكلها الخاص؟ بل كيف يفكر الروائيون في الروايات التي يكتبونها؟ الرّواية المكتوبة هي الصيغة الأخيرة لعملية التفكير بالرواية، لكن كيف توصل إلى ذلك وهواجسه الإبداعية فالرّواية المنشورة منجز مكتوب ونهائي بعد هذه العملية. هناك تقنيات سردية صعبة ومعقدة تحدث عنها روائيون كبار، غربيون بالطبع، ولم يستطع أي روائي عربي الاقتراب منها. ثمة استسهال في بناء الرّواية. والروائيون ليسوا معنيين بالإبداع، معنيون بالنشر والترشح للجوائز. كم روائيا الآن يكتب من أجل الابداع؟ أسئلة ستجدين إجاباتها صادمة ومحزنة إلى حد المصير الأسود للرواية المعاصرة، عربيا على الأقل.

وعلى الرغم من كل ما يقال حول الرواية ما زال هناك سؤال يدور في رأسي: هل يمكن أن يأتي يوم وتموت فيه الرّواية كما ماتت المقامات والملاحم مثلا؟ فالقصة القصيرة تحتضر وكذلك المسرحية، صحيح أيضا أن "كل فن أدبي فيه إبداع ويستطيع أن يُحدث في المتلقي الدهشه، ويجعله يحلق بالفكر والخيال، فهو لا يموت مهما ضعفت أنفاسه"، وهنا أتذكر كاتبا فلسطينيا أصدر كتابين في المقامات، ولكنني لم أستطع قراءتهما، ويجب علينا الاعتراف أن حضور القصة القصيرة في المشهد الثقافي ضعيف جدا، وكذلك المسرحية خصوصا أنه لم يعد أحد يكتبها إلا نادرا جدا، وصحيح أن هناك فورانا في الرّواية، لكنها حتما ستموت يوما لصالح فنون أخرى كما ماتت الملاحم والمقامات والسير الشعبية.

على كل حال، أشكر لك فضلك في الإسهاب في الرد على الرسالة السابقة، وأتمنى أن نلتقي قريبا، فقد حان الوقت الذي تصافح فيه عيناي جمالك البهي الذي اشتقت إليه بكل ما فيّ من قوة روحية وعقلية.

دمت بخير ومجد وألق، أرجو أن تتذكريني وأنت في معمعة العمل، وحاولي أن تكتبي لي عن أي شيء أردت، فالروح تسعد كلما نهلت من خمرة حرفك. أحبك

المشتاق إليك دوما

الجمعة: 2018/6/22

سيدتي العزيزة، شاعرة الجمال الإلهي، طبت شوقا وجمالا وحبا، أما بعد:

اسمحي لي بداية أن أستفسر عن أمورك وأحوالك، راجيا أن تكوني بخير، واسمحي لي مرة أخرى أن أثرثر ثرثرة محببة لي حول أصدقائي الجدد والقدامى، واليوم سأحدثك عن الصديق الجميل الكاتب الرائع رائد الحواري، لقد كتب عني وعن كتبي كثيرا، وأستعين به على النشر في صفحات الفيسبوك، وهو يسارع مشكورا لفعل هذا، على ما يكلفه ذلك من وقت، ويزيد إلى أعبائه عبئا إضافيا، فله مني كل الحب والمودة. إنه كاتب صديق رائع، لاحظي كم يتشابه الاسم والصفة رائد ورائع، إنها صدفة اللغة، هذه الصدفة المحببة للكتاب الذين يفرحون بها كلما صادفتهم فيما يكتبون.

صديقي رائد، يفاجئني هذا الصباح بمقالة أسعدتني، لعلك قرأتها على بعض الصفحات الفيسبوكية، كان يسترق أو (يسرق) ساعة أو ساعتين، فيأتي لزيارتي في مكتبي. دائما يحمل في حقيبته كتبا ليقرأ فيها، حتى وهو يسير على قدميه، أو في عمله مستغلا أوقات الفراغ والانتظار، أتذكر عندما أعطيته نسخة مطبوعة من مجموعتي الشعرية "أغنيات لسمو نهدك" أخذ يقرأ فيها وهو يسير على قدميه ويضحك، حتى خشي أن يلاحظه أحد، ويصفه بالجنون! هل كانت تلك القصائد مضحكة؟ لا أظن. كانت صادمة، وحشية، تشتعل شهوة ونشوة.

هذا الصديق مثقف جدا، طليعي، ذو نزعة عقلانية، لا يحب التدخل بأحد، ولا يحب أن يتدخل فيه أحد، ذو نزعة اشتراكية، يساريا كان، ولكنه ليس ملحدا، وعلى رأي الشافعي مع بعض التحريف: "يحب الشيوعيين وليس منهم"، يحب أن يكون الدين عقلانيا، يكره كرها مضاعفا بعض "الشيوخ" الجاهلين في الدين. في واحدة من أمنياته المحقة يقول: "لو كان مسؤولا لن يعين من خطباء للمساجد إلا من كان أديبا فيلسوفا مفكرا وملما بالعلوم". إنه على حق تماما، وستعرفين في هذه الرسالة لماذا هو محق تماما.

في إحدى حواراتي مع زملاء العمل، قلت له لم يخرب الدين كما خربته طائفة من الشيوخ، فهم يستعبدون أفكارنا بأحاديث غير معقولة، إنهم يقدمون صورة ماجنة جنسية للدين. الكاتبة "سحر خليفة" تعيد على حسابها في الفيسبوك نشر فيديو لأحد هؤلاء "الدعاة" يظهر فيه وهو يقول إنه لا شغل يشغلنا في الجنة عن ممارسة الجنس مع الحوريات، وكأن الجنة في هذا التصور أضحت "بيت دعارة". مع تحفظي الشديد على هذا الوصف، إن هذا الفيديو وكثير مثله هو السبب ربما في تلك الموجة الصارخة من الإلحاد التي تجتاح "الفيسبوك" على نحو غير مسبوق، إنهم مسؤولون أولا عما يحدث، ولا أبرئ قطعا أولئك الجاهلين على الطرف الآخر الذين يدعون العلم والتفكير، بل إنني أراهم أحيانا أشد جهلا من المشايخ وأشنع طريقة في الرد، إنهم رداحون كذلك، وسطحيون وتافهون سواء بسواء كهؤلاء الدعاة.

هذه الحالة من العبثية في الدين والتفكير فيه وبه ومن خلاله لها مشابه في "الفضائيات الدينية"، فقد كان أثرها أشد خطرا من فضائيات "العهر" و"الغناء" وحتى أفلام "البورنو". أتعرفين لماذا؟ لأن من يتابع تلك الفضائيات يتابعها وهو يعلم أنها ليست دينا، وربما كانت "ضلالا" أو "لهوا

مباحا" أو "غير مباح"، ولذلك من كان "في قلبه مثقال ذرة من إيمان" لا يصدقها، ولا تبقى في ذهنه؛ مجرد متعة عابرة، ينسى أمرها. وينتهي مفعولها بمجرد انتقاله لغيرها أو بمجرد مغادرتها. أما من يستمع إلى الفضائيات الدينية فإنه يستمع إليها وفي ذهنه أنها دين، على الرغم مما فيها من سخافات وخرافات وسحر لا يقبله الدين نفسه، ويحاربه، ستسبب هذه الفضائيات في نفوس المشاهدين الإحباط، وبدلا من أن تعظم الله في النفوس تكون النتيجة عكسية، فالنتجة التي ستوصل إليها المشاهد المسكين أن الله سفاح وقاتل و"سادي" لا يحب البشر، وكنت قرأت شيئا من ذلك في منشورات كثيرة. فما حاجة البشرية إذن لإله هو هكذا، ومن هنا يكون هؤلاء "الدعاة"، دعاة ضلال وتنفير، لا دعاة هداية وتبشير، لأنهم لا يعتمدون إلا على الخزعبلات والتخاريف والأوهام.

صديقي رائد وأنا ضقنا ذرعا بهذا الخطاب اللاعقلاني للدين، أتذكر عندما كنت مسؤولا في "حزب التحرير"، هذا الحزب المفترى عليه كثيرا، كنت تلقيت الإسلام تلقيا عقلانيا صرفا، ثم درّسته في "حلقات الحزب" بطريقة عقلانية جدا لمدة تزيد عن عقد ونصف، كان الإخوانيون يتهموننا بأننا معتزلة العصر الحديث، كنا نرفض نزعة الخرافة واعتماد الفكر والعقيدة على الناحية العاطفية الوجدانية وحدها، وكانوا يتهموننا بأننا جفاة، لم نلمس "حلاوة الإيمان"، حتى في الشريعة نفسها كنا عقلانيين، ملتزمين بالناحية العقلية في التعامل مع النصوص، لم نكن نقدس المذاهب الفقهية السابقة، كنا نأخذ منها ونرد حسب ما يؤدي به اجتهادنا الشرعي العقلي الصحيح، وقد تعلمنا أن "كل الناس يؤخذ من كلامهم ويرد إلا صاحب هذا القبر"، الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام. إنها في نظرنا لم تكن سوى أفهام بشرية غير مقدسة. ماتت تلك النزعة اليوم، يا عزيزتي، عند جمهور الناس، أصبحوا عاطفيين أكثر من اللازم، ومملين جدا أكثر مما ينبغي، وسطحيين إلى أبعد حدود السطحية، لا يفكرون، هؤلاء هم الكائنات الإلكترونية الشبحية التي يصدق عليها قول الروائي البيروفي يوسا: "إن الإنترنت ينمي المعرفة، لكنه يقلص التفكير". هذا حديث يوسا قبل ما يزيد عن خمسة وعشرين عاما، فما بلك اليوم، إن الإنترنت اليوم لا ينمي المعرفة ويقضي قضاء مبرما على التفكير.

كل هذه الآفاق كانت مدار نقاش مع الرائع رائد في جلساتنا اليومية، منذ رحل رمضان يا عزيزتي لم يزرني رائد في مكتبي، لا أدري ما الذي يشغله، لم أحدثه منذ مدة طويلة، ولكنه بالتأكيد مشغول، ويعاني من بعض الأرق بسبب انشغالات هذه الحياة التافهة.

إنني أحب هذا الرجل على نحو مختلف، أحبه لأنه مختلف، لا يمارس "الدعارة الثقافية" ولا "النميمة الأدبية"، إنه ليس أفاكا ككثيرين من أصدقائك الكتاب، وليس نسوانيا مثلهم، وليس حاقدا كأغلبهم، وليس ذئبا بشريا كأسوأهم ذكرا، إنه إنسان يقدس العقل والعقلاء ويحترم الفكر والأدب، ولا ينظر في جنسية الكاتب أرجلا كان أم امرأة وهو يكتب عن نصوصهم إلا بقدر ما تدفعه النصوص لفعل ذلك.

لقد طالت هذه الرسالة كثيرا، سأحدثك في مرة قادمة عن أصدقاء آخرين، لا أحب أن أثقل عليك في هذه الثرثرة، فلعلك تقولين: وما لي أنا بأصدقائك؟ إن هجست روحك بذلك، فاعلمي أنك تقولين الحق والصواب، وإن رضيت مني هذه الثرثرة فكرم وطيب أصل منك. أعرفت الآن لماذا وضعت السؤال عنوانا لهذه الرسالة؟ "من أين يأتيك الفرح؟"[1]. أتمنى أن تكتبي لي بإسهاب إن استطعت، كرم إضافي منك لو حصل ذلك.

لن أحدثك عما جرى بيننا في الفترة السابقة، ولماذا لم أتواصل معك، لا أريد أن أعاتب، لأنني أعرف أنني مهزوم جدا في عتابك، أتمنى أن نلتقي قريبا جدا، لا أدري كيف سيكون حالنا، ومتى، ولكن ربما سنكون أفضل حالا مما نحن عليه الآن. دمت بفرح وحب وخير.

الأحد: 24-6-2018

سلام عليك من الله محبة أو كارهة، مهتمة أو لا مبالية، أنانية مغرقة في أنانيتها أو كريمة مغدقة. سلام عليك في كل الحالات والأوقات، أما بعد:

سأتابع في هذه الرسالة الحديث عن الصديق رائد الحواري، هذا الطليعي النادر حدوثه في دنيا الصداقة والثقافة والوفاء، كان رائد قد كتب إضاءة حول المجموعة الشعرية الخاصة جدا "أغنيات لسمو نهدك"، ونشرها في مجموعات الفيس بوك، إدارة إحدى المجموعات حذفت المقال، لدعوى أخلاقية! يعترض على ذلك ويرسل لهم الرسالة الآتية:

"ليس من الصواب أن نمارس دور الرقيب الرسمي العربي الذي أثقل كاهلنا بالممنوعات والمحرمات التي وضعها أمامنا، أعرف أن القصائد تتجاوز المألوف، لكنها تمثل الرد الحاسم على الواقع، لكي لا نصل إلى ما وصلنا إليه من خراب وقهر وتخلف، أقول من حق أيّ منا أن يكتب الأدب الذي يراه مناسبا، وعلينا احترام رأيه حتى لو وجدناه يخالف "العادات والتقاليد والعرف"، لأن دور الأديب دائما يكمن في تجاوز السقف المسموح به. هناك ما يسمى الأيروس في الأدب، وهو الذي يتحدث بهذا الشكل، وفي المنطقة العربية لم يكتب فيه إلا القلة وفراس حج محمد منهم. لهذا أرى أن نكسر إحدى المحرمات التي وضعها النظام".

هذا الصديق مخلص لقضية واحدة فقط ألا وهي الثقافة، ولا شيء غير الثقافة. عندما نشر على صفحات الفيسبوك الرسالة التي "حول الرواية"، ومقاله القصير عني، أبلغني بالتعليقات، فأرسلها إلى بريدي الإلكتروني، وأحب أن أضع تلك التعليقات بين يديك. كنت أتمنى أن أجد لك تعليقا، ولكنك ربما استكثرت عليّ ذلك، أو لعلك لا ترينني جديرا بما قاله عني القراء، وربما لأنك كما قال عنك كثيرون "أنانية". أنا أعرف أنانيتك المفرطة بلا شك، جربتها كثيرا، لكن لا بأس، لا أريد أن أذكّر نفسي بها. فلنتجاوز عنها إلى ما هو نافع، مع أن هذا الإحساس مؤلم جدا.

[1] عندما كنت أبعث هذه الرسائل للنشر كنت أعنونها وأعطيها أرقاماً متسلسلة كذلك.

ها هي التعليقات التي وصلتني حول الرسالة والمقال القصير، لعلك تجدين فيها ما يروق لك، ولعلها تثير فيك الاشمئزاز، لست أدري، لكنها على كل حال ها هي بين يديك، مجردة من الأسماء[1]، وبغض النظر عما تقولينه فيها إلا أنها صورة من صور التفاعل الإيجابي مع ما يكتب الكاتب، وهنا أتذكر ما قاله فارغاس يوسا: "أن تكتب فهذا يعني أنك تذهب نحو الآخرين". وها هو رائد ذهب بي نحو الآخرين، وها أنا أذهب بي إليك. هات يدك النحيلة، لنذهب سوية إليهم، فإلى هناك[2].

إلى هنا تنتهي التعليقات، امنحيها جزءا من الوقت لعلك تريني بعين الرضا، هل عليّ دائما أن أتوسل الآخرين لأكون جميلا في عينيك. يبدو أن الأمر سيئ إن كان كذلك. كذبي الظن في أنانيتك واكتبي لي، ولو سطرا واحدا.

الاثنين: 26-6-2018

سلام من القلب أيتها الناعمة، الطيبة، النسمة الهادئة، أما بعد:

منذ هذه الرسالة لن أنتظر بريدي الإلكتروني ليحمل رسائلك إليّ، سأعفي نفسي من الانتظار، وأعفيك من "ثقل الرد"، ولكنني لن أنقطع عن كتابة الرسائل؛ أتوهم أنني أكتب إليك، أتوهم أنني أحدثك، لكنني لن أتوهم أنني أرسل إليك هذه الرسالة والرسائل القادمة، أو أتوهم أنني سأقرأ منك ردا على تلك الرسائل المتوهمة، وإن حدث لن يضيف جديدا ولن يكسر قاعدة.

اليوم قادتني الصدفة إلى قراءة رسائل قديمة، تعود إلى عام 2013، وأقارن بين تلك الحال وهذه الحال. فرق شاسع بين الحالتين، وبون كبير بين الكائنتين؛ أنت في تلك السنة وأنت الآن. هل يحدث ويتغير الحال الآن كل هذا التغيير؟ لعلك ستقولين: "التغيير سنة الحياة". أتذكر ما قاله درويش: "أنت منذ الآن غيرك" و"أنت منذ الآن أنت"!

لم أشعر بالتعب وأنا أقرأ، ولذا قررت ألا أحذف تلك الرسائل، أستبقيها كلما شعرت بالحنين لتلك المرأة التي كنتها يوما. ولذا فقد قررت ألا تمتلئ لغتي بالحنين الساذج، وأن أتجاوز عن تلك المرحلة. سأتخذ زينتي عند كل رسالة أكتبها، سأغتسل، وألبس ملابسي الأنيقة، وأتطيب، وأسمع قدرا كافيا من الموسيقى، وأدخن، وأشرب فنجانا من القهوة بلذة النشوة الأولى. وأجلس إلى مكتبي وحاسوبي الشخصي، وأبدأ بالهذيان وثرثرة الكتابة كأنك هنا. منذ الآن، منذ هذه الرسالة لن أنتظر شيئا. الانتظار يا عزيزتي قيد الزمن. يسلبني حريتي. أظل مرهونا بالتوقع كل لحظة، أشعر أنني الآن حر.

[1] في الفصل الخاص بالتعليقات أعدت إثبات الأسماء.

[2] أفردت لهذه التعليقات وغيرها فصلا خاصاً في نهاية الرسائل.

هل تعتقدين أن الأمر سيزعجني؟ ولماذا سيزعجني؟ لا شيء سيحدث من ذلك. كل ما في الأمر أنه لا بد من أن نشعر بالحرية. إنها أجمل ما وهبه الله للإنسان، ليكون ذا كرامة، فلا كرامة دون حرية، ولا حرية دون كرامة، متلازمتان، كتلازم الحب والوفاء، وتلازم الروح والجسد.

هل سبق وقرأتِ القرآن كاملا؟ لا أعتقد ذلك، فأنت لست من أهله، ولا من خاصته. أنا كنت قبلك شغوفا بالقرآن وبقراءته وتأمله. هذا أمر تم القضاء عليه قضاء مبرما بسبب أنك سلبت مني حريتي. قد أكون مخطئا في أنك لم تقرئي القرآن كاملا. ولكن هذا توقعي، فكما قالوا البعرة تدل على البعير، ولا أثر يدل على أنك قرأت القرآن. هنا ضحكتُ ضحكة صفراوية، وربما أنت كذلك الآن. أتدرين لماذا؟ لأنني شعرت بالسذاجة من السؤال، ولكن لا يهم ما دمت أثرثر. وحتى لو أنك قرأت القرآن كاملا وكل الكتب المقدسة، ماذا يعني؟ أظن الإجابة غير مشجعة على أن أقولها، لذلك سأحتفظ بها لنفسي.

لعلك تقولين لماذا تحدثني عن القرآن؟ ولماذا تسأل عن القرآن؟ أوليس غريبا أن تسألني عن القرآن؟ نعم أسألك عن القرآن وقراءتك للقرآن، لأن الأغرب من السؤال هو عدم السؤال، ولأن القرآن أكد فعل الحرية للبشر، ومنح النفس أقصى مشتهاها، ولم يحُل بينها وبين شهواتها، وممارسة أفعالها بحرية إلى درجة الاستعباد التام! ربما ستقولين يا لك من متفلسف ساذج! سأقبل منك هذا الوصف ما دمنا قد اتفقنا على أن نكون أحرارا، ونتحمل نتيجة أعمالنا التي استعبدتنا يوما ما.

القرآن الكريم حرر العقول والنفوس والأرواح وربطها بالمطلق الكوني، هذا حكم ساذج جدا؛ لأنه بدهي ولا جديد فيه، والأشد سذاجة هو أن أرشدك إلى ما في القرآن من حِكَم أهم من كل مقتبسات "يوسا" و"سارتر" و"جبران" و"درويش"، وكل الفلاسفة والشعراء الذين أستشهد بأقوالهم. تذكري مثلا: "إنك ميت وإنهم ميتون"، ولاحظي المساواة بينهم، المساواة اللغوية، المساواة في الجُمل، المساواة في التركيب، وفي عدد الكلمات، هذا التساوي اللغوي يقابله التساوي في واقع الموت الذي يجعل الإنسان حرا من كل قيد. كيف يكون الإنسان حرا بالموت؟ فلسفة زائدة عن الحد. أليس كذلك؟

اللغة في القرآن ذات هندسة عجيبة، وكما قال البلاغيون: الألفاظ على قدر المعاني. المساواة في الواقع تفرض المساواة في الخطاب، إنه وجه آخر من وجوه الحرية. هل أقول عليك بقراءة القرآن وتأمل محطات الحرية البشرية. حوار البشر للبشر، حوار الله للبشر، حوار الله للشيطان وللملائكة؟ الحوار أيضا فعل حرية عميق الدلالة. هنا تجاوزت حدود السذاجة قليلا، فالفكرة نوعا ما طريفة.

أتظنين أنني ابتعدت عن الموضوع؟ لا أبدا، فأنا أولا وأخيرا أثرثر، ولا أكتب بانتظام، أمارس حريتي في هذه الثرثرة، لذلك سأكون حرا أكثر. أنا أكتب دون أن يستعبدني الظرف والحب والحاجة والانتظار واللغة والمنطق والهذيان.

هل حدث وفكرت يوما بالحرية على نحو أعمق من حرية شخصية وحرية دين ومعتقد وسلوك؟ هل فكرت بأبعد من حرية القشرة الخارجية إلى حرية أعمق "الحرية الداخلية". أن تشعر أنك وحدك وحدك، أن وحدك من يسيطر على نفسك. هل حدث وتخلصت من أن يستعبدك جمالُك. أوقاتك. عملك. أصدقاؤك. كتبك الرابضة في عقلك وتنهش جزءا من حرية تفكيرك؟ تخلصي مني. منك. من أنانيتك المفرطة. من كل شيء لتشعري بالحرية، ولكي أشعر أنني حر أيضا، ولأجل هذه الحرية والتمتع بها، فأنا مجاز هذا اليوم!

المشتاق لحريته...

الأربعاء: 27-6-2018

الجميلة والعزيزة الغالية، مساؤك الشعر، وصباحك الأغاني، أما بعد:

ما زلت أذكر مقطعا شعريا لدرويش من قصيدة "يطير الحمام، يحط الحمام"، وأحب أن أردده كلما تذكرتك:

"أعدّي لي الأرض كي أستريح

فإني أحبّك حتى التعب

صباحك فاكهةٌ للأغاني

وهذا المساء ذهب"

قبل أن أحدثك عن الكتابة أود أن أحدثك عن القراءة قليلا. ففي هذه الأثناء منشغل كثيرا بقراءة الكتب المترجمة، أحب جدا أسلوب الكتاب الأجانب في الكتابة، على الرغم من أن الترجمة قد تذهب بعض المعنى وألق الأسلوب، ولكنني أختار كتبا لمترجمين مبدعين في الترجمة أولئك الذين يهمهم المحافظة على حرارة النص الأصلي. أقرأ حاليا كتاب الرسائل المتبادلة بين الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر والفيلسوفة اليهودية حنة آرندت، قصة حب طريفة في غرابتها، إذ كيف يجمع الحب بين يهودية صهيونية (تخلت عن الصهيونية بعد ذلك)، وبين فيلسوف نازي هتلري التوجه والنزعة؟ وإن دافع عن نفسه في إحدى رسائلة لحنة أنه ليس ضد اليهود، وأنه قدم مساعدات لطلاب يهود، سواء في مناقشة أطروحاتهم للدكتوراه أو توفير منح للدراسة.

والآن، أصغي إليّ قليلا، سأحدثك عن الكتابة.

لم أعد أكتب شعرا كما كنت أكتب في السابق، أشعر أنني في ضمور مستمر، لعلك أنت السبب. فكم أشتهي أن تشتعل قريحتي لأعاود كتابة الشعر، اليوم القصيدة لا تطاوعني ولا تزورني بتاتا، كأنها هجرتني هجرانا قاسيا، ليس فقط القصيدة، بل المقال والقصة أيضا يتراجعان. هذه الرسائل هي آخر إمكانياتي اللغوية. ما العمل؟ هل لديك حل لهذه المشكلة؟ هل ما زلت تعانين مثلي من صعوبة الكتابة؟ المشكلة في الكتابة أنها كائن حرون، أو أنها كحلم عزيز شهي، لا تحضر بسهولة،

إنها مشكلة كبرى. حتى هذه الرسالة أكتبها وأنا أجر الكلمات جرا، وأكرر المعاني تكرارا ساذجا، لا رغبة لديّ في الكتابة. أراها أمرا تافها أحيانا.

ما فائدة الكتابة؟ أظن أنه لا فائدة منها حاليا، وخاصة بيننا؛ فلا شيء مشترك يجمعنا لنعبر بها عن هذا المشترك الفكري أو العاطفي، ما بيننا حالة من الهدوء المشوب بالحذر، حالة تشبه اللاسلم واللاحرب، اللاصداقة واللاحب، حالة غريبة، تجعل الكتابة عبثا مطلقا. هذه الرسائل أراها بلا قيمة؛ ما جدوى أن تقرئي مني رسالة كل أسبوع أو يومين أو ثلاثة أو شهر أو سنة؟ هل عندك حل لمشكلة الكتابة؟ كنت أظن سابقا أن قبلتين خفيفتين منك تجعلان الوحي ملاكا نشطا. لم أحظ بهاتين القبلتين حتى الآن، ولكنني كتبت شعرا كثيرا ومقالات في السابق. كيف تقييمين ما كتبت؟ لعل أكثره بسيط عادي لا يثير الدهشة، ولو سألتك أن تتذكري شيئا مما كتبته من شعر فإنك لن تتذكري أي جملة أو عبارة أو بيت. أتذكر ما قاله صديقك الروائي متوصلا إلى قناعة أنني لست شاعرا جيدا، وقد وافقته يومئذ على ذلك. أليس كذلك؟ ولست ساردا جيدا أيضا، وأخيرا لست كاتب مقالات جيدا بالتأكيد.

هل سبق وقلت لك إنني بعثت مقالات كثيرة لعدة صحف ومجلات، ولم ينشروا شيئا منها، إنها تافهة ولا تصلح للنشر، هذا مؤكد أيضا. صحيفة الرأي الأردنية لم تعد تهتم بما أرسله للمحرر الثقافي. كان ينشر لي أسبوعيا، ثم كل أسبوعين مرة، ثم كل شهر مرة، وتوقف أخيرا عن النشر. يبدو أنه قد مل أسلوبي السقيم في الكتابة. صحيفة القدس الفلسطينية لم تعد تنشر لي منذ ما يقارب العامين، لا مقالات ولا أخبارا ثقافية، لا أدري ماذا دهاني أو دهاهم، لا أفكر بمراجعتهم، فهم على مستوى عال من الذوق، سيقولون لم يصلنا منك شيء يا أستاذ، كما فعل معي أحد محرري المواقع الإلكترونية، عندما راجعته، فقال لم يعد يصلنا منك شيء، وعندما سألته هل تغير البريد الإلكتروني قال لي هو هو لم يتغير، رجعت لقائمة الصحف في البريد الإلكتروني ها هو بريدهم، وأرسل لهم. في النهاية ليس لي عليهم ضربة لازم. أحرارا كانوا عندما نشروا وأحرارا عندما امتنعوا وتمنعوا.

صحف أخرى هي أيضا لم تعد تنشر لي، القدس العربي، والعرب اللندنية، والأيام الفلسطينية والحياة الجديدة، عدا أنهم نشروا رسالة "**إنك تحرثين تربة روحي**"[1] فقط ومنذ مدة طويلة لم ينشروا. صحيفة الوطن العمانية هي أيضا لم تعد تنشر لي، خسرت الكثير من المنابر الصحفية، مجلة شؤون فلسطينية توقفت زاويتها الثقافية عن الصدور لصالح السياسية فخسرتها أيضا. هناك مجلة عربية تصدر في منطقة الأهواز (المداد الثقافية) اتصل محررها بي، واتفقنا على أن يكون في كل عدد مادتان لي، مقال ونافذة، توقفت المجلة عن نشر الموضوعات التي أرسلها على الرغم من أنهم هم من اتصلوا بي، كما فعلت بي محررة موقع "الصدى نت"، لم تنشر لي وهي التي

---

[1] رسالة الاثنين: 2018/5/21.

اتصلت بي وكان يسرها أن أكون ضمن أسرة كتّاب "الصدى نت"، لقد خاب ظنها وخاب ظني بالتأكيد.

هذه أسباب تحبطني كثيرا، لا تخلق فيّ حافزا ضروريا للكتابة، لذلك أتراجع عندما تأتيني فكرة مقال ما. أكتب المسودة أو بعض الأفكار على الأجندة، ثم أتكاسل كسلا شديدا. مات الكثير من المقالات، وقبر العديد من بنات الأفكار. فكرة أن تكتب لنفسك فكرة سقيمة جدا، لا بد من أن يكون هناك قراء، ومحفزات ودوافع (هناك فرق بين الدافع والحافز في علم النفس)، فما بالك إذا كل ذلك قد تبخر: القارئ والحافز والدافع، حتى أنت، وأشك أنك تقرئينني، فهل يمكن أن تضحي بفخامتك من أجل سطحيتي؟ لذلك أتوقع أنك لم تعودي تقرئين لي. إذن لا قراء ولا دوافع أو حوافز، فلماذا يكتب الكاتب إذن؟

أيتها العزيزة، عندما يمر الكاتب بأزمة مثل هذه يلزمه الراحة والاستجمام، وأنا ليس عندي المال والوقت الكافيان لمثل هذا، النتيجة الطبيعية ما تشاهدينه من تعثر وتخثر في الكتابة. أتدرين ما هي أكبر مشكلة قد يمر بها الكاتب؟ أن يتوهم أنه كاتب وهو لا يعني شيئا للآخرين؛ قراء وناشرين. ولا لأقرب الناس إليه، كحبيبته مثلا، أن تكتشف ذلك بعد ربع قرن من ممارسة الوهم، أتصور كم أهدرت من مال، ووقت، وحبر وورق وأعصاب وراحة بال. يا للخسارة العظمى! ما الفائدة؟ ما النتيجة؟ إنها صفر.

ما الذي يرجع لي حيويتي في الكتابة حتى وإن كانت وهما كبيرا؟ هل باستطاعة قبلتين خفيفتين منك ستجعلانني قادرا على استعادة نفسي على الأقل أمام نفسي لتعود مقدرتي على الكتابة؟ إن استطعت أن تكتبي إليّ فاكتبي، لعلي أتقوى على كلماتك ما دامت قُبلتاك الخفيفتان أمنيتين بعيدتين.

وأخيرا أعرّج قليلا على رسائلك القصيرة الأخيرة، رسالتك الأولى: "مرحى لهذا التحرر اللامشروط، أغبطك صراحة"، لا أدري على ماذا تغبطينني لم تكوني واضحة، على الرغم من فهمي لعبارتك على هذا النحو: "ماذا ينقصك لتتحرري منكِ أولا حتى تستطيعي رؤية من يحبك بعين الحرية. المشكلة أنك لست حرة ومشكلتي أيضا أنني أحاول أن أكون حرّاً".

أما مسألة الانتخابات وحضورك، فهي مراوغة؛ لأنك "عضو عامل" كامل الأهلية ليس في ممارسة حق الانتخاب فقط، بل في الترشح كذلك، وانسجاما مع ما أسلفت من سقم أسلوبي في الكتابة، فمن الأفضل ألا تنتخبينني، بما أنني لا أصلح للكتابة أساسا، وأعفيك من واجب اختياري، بل لا يصح أن أجعلك تختارينني، فأنا بالتأكيد لست كفئا لهذه المهمة، هناك من هو أكفأ مني من وجهة نظرك، أعفيك من هذه المهمة، لكن لن أعفيك من أنعم برؤيتك بين جموع الكتّاب يوم الانتخابات.

أراك في الخامس من تموز، فهو شهر عيد ميلادي الذي تنسينه دائما.

الجمعة: 29-6-2018

مساؤك كما ينبغي أن يكون.

أشعر بالتعب، والضيق، لا أدري لماذا. ربما لأنني لم أسمع صوتك منذ مدة طويلة، إنك تنقصينني على نحو حقيقي. أكتب لك مباشرة على الحاسوب، لأنني أخشى أن أتكاسل في طباعة رسالة مخطوطة بخط يدي غير المقروء. أجد صعوبة بالغة في قراءة خطي بعد مرور وقت على الكتابة.

منذ الرسالة الأخيرة قبل يومين كتبت ثلاث مقطوعات شعرية، أحدثك عنها بما يتسع به الخاطر وتسمح به القدرة. المقطوعة الأولى كانت هكذا:

أحتاج لأكثرِكْ

أحتاج دفء يدكْ

أحتاج بحراً هائجاً كيما يغرغرني الموجُ بعمق شهيتكْ

أحتاج ليلاً كاملاً كي تنبت الأشجارُ أوراقاً على ضفافِ رهافتكْ

أحتاجُ ضوءاً هارباً من زرقة الأفلاكْ

لأشاهد الأسماءَ تتلى في اكتمال محارتكْ

أحتاج سمرتك الشّهيّة في دمي

كأساً لذيذاً في طقوس غوايتكْ

أحتاجني وتراً ونايْ

أحتاج أكثر أكثرِكْ!

أعود إلى المقطع أردت أن أغيّر فيه قليلا، غيرت بطبيعة الحال، أحد القراء لم تعجبه كلمة "تغرغرني"، لكنه لم يفهم عميقا ما قصدته فيها، حتى اضطررت أن أشرح له شيئا من مدلولها النفسي، فالكلمات ذات بعد نفسي عاطفي، وهي ذاكرة لهفة ووجع. قلت له: "اتركه (يغرغرني) الموج، ألا تجد التكرار في المقطع والتكرارية الداخلية التي يمنحها حرفا الغين والراء التكرارية إنها تناسب المعنى جدا ولا لفظ يصلح دونها". ربما اقتنع بهذا التفسير، ولكنه على كل حال لم يناقشني. هذه المقطوعة مكتوبة يوم الأربعاء، يوم أرسلت لك الرسالة الأخيرة.

ثمة كلمة أخرى وقفت عندها مرات كثيرة، "سمرتك". لست سمراء لأكتب هذا التعبير. وودت لو كنت سمراء ربما. لم أفلح في تغييرها فأبقيت عليها. السطر "كأساً لذيذاً في طقوس غوايتكِ"، هممت في تغييره على النحو الآتي: "كأساً لذيذاً من نبيذ غوايتكِ"، لم تعجبني كلمة (النبيذ). خصوصا أنني لم أشرب في حياتي أي مشروب كحولي. أحسست أنني سأوقع نفسي قبل القارئ في الوهم والتصور غير الحقيقي.

وقبل أن تقرئي المقطوعة الثانية شعرت أن هذا النص ذو شهوة روحية وليست جسدية، فيه رغبة مدفونة لشيء ما. أترك لك التوقع إن أردت الكتابة في ذلك فسيسعدني بكل تأكيد.

ما رأيك الآن في هذا المقطع:

بعدُ

لم تقرعِ الجرسَ امرأةُ الجرسْ

الصوتُ ما زال شهيّاً كامرأةٍ شربت من الحبّ صوتاً وهمْسْ

النوم شهيٌّ هذا اليوم

كاد الصباح ينتصف

فاقرعي جسد الجرسْ

ولتقرئي صوتي المعلّق ههنا ما بين جملة حبّ ودفقة حدسْ

يا امرأة الجرس الشّهيِّ يرقصُ الإيقاع فيّ بشهوة الماءِ

موسيقى وأنفاساً وحسٌّ.

وقعت على استعارة بديعة، **"المرأة الجرس"**، كيف تكون المرأة جرسا؟ في الواقع المرأة كلها جرس، وإن لم يكن في الواقع، على الأقل في التصور الشكلي للمرأة، وخصوصا عندما ترتدي فستانا قصيرا، يبدو ساقاها متحدين كلسان الجرس. وذلك الفستان كأنه قبعة الجرس الخارجية، فم المرأة أيضا جرس، أسترجع زغاريد النساء، وكيف يبدو اللسان مترددا في جوف الفم. يتحول المشهد كله إلى قرع الجرس. والأدهى من ذلك، فرج المرأة جرس، عند الممارسة جرس وعند الاشتهاء وتفتّحه شعورا بالرغبة أيضا جرس، فيه ما يشبه اللسان، إنه يتخذ موقعه فيه كأنه الجرس. وأخيرا الثديان جرسان متماثلان حجما، كل ما في الجرس التقليدي النحاسي الذهبي يماثله في الثديين الناعمين المتلألئين. إذن المرأة هي مجموعة أجراس في جرس أكبر. هل تثير الصورة سخرية أو امتعاضا ما؟ لا أدري أشعر أنه كذلك.

كانت المقطوعة السابقة ذات بعد شبقي كما تلاحظين من شرح الاستعارة، والآن إلى المقطوعة الأخيرة التي كتبت صباح هذا اليوم:

أريدكِ امرأة تجلس عند رأسي تكتب فيه جملة من فلسفة

تشبع الأفكار فكرا فلسفيا جائعا لكينونة الحبّ العظيم

أفكّرُ فينا عندما يجتمع الفلاسفة الأنقياء على مائدة الكتب

ينتظرون تحقق المعضلات الفلسفية في رحيق الفكرة الأخرى

يا امرأة النداء الأخيرْ

كوني اشتهاء السَّماء الآخرة

واحتدمي كشمس تغسل نفسها في النّهر كلما لاحت تباشير الصباحْ

أفكر مليا فيما قلته، أراه غامضا قليلا، أترك لك التعليق، إن رغبت في ذلك.

أمر آخر أود أن أقوله لك في هذه الرسالة، أجد صعوبة بالغة في الاستماع إليك عبر الهاتف، لا أدري لماذا؟ لأجل ذلك لم أردّ على اتصالك أمس، ثمة شيء داخلي يشعرني بالوجع. أرجو أن تتفهّمي ذلك. وأكون لك ممتنا، لا أعرف إلى متى ستظل هذه الحالة مصاحبة لي. لكنني بالفعل أرغب في عزلة تامة إلا عن قراءة رسائلك أو النظر إلى صورك. رجائي الأخير اكتبي كأنك تتحدثين إليّ، لعل ذلك يُقطّع جسد اليأس ويذيب جليد روحي.

تحيات حارة وقبلات أرجو أن تكون دافئة.

السبت: 2018/6/30

العزيزة الغالية تحية ود ومحبة.

ما زلت أشعر برغبة شديدة في أن أتحدث إليك وبثرثرات محببة وحميمية، أحب أن تكوني بقربي دائما. أقرأ في هذه الأثناء في ثلاثة كتب معا، كتاب مترجم بعنوان "الأيروسية" لجورج باتاي، كتاب فلسفي مرهق، لذلك أقرأ فيه ببطء شديد، على الرغم من أنني معتاد على قراءة كتب الفلسفة، وأقرأ في أغلب ساعات الفراغ الرسائل المتبادلة بين حنة آرندت وهيدغر، علاقتهما رائعة وجميلة جدا، أنهيته اليوم صباحا، قبيل البدء بكتابة هذه الرسالة. وأعرج أحيانا على القراءة في العدد الأخير (عدد حزيران) من مجلة العربي الكويتية، أحب قراءة موضوعاتها الثقافية، فهي تمنحني الاتصال المباشر بكل جديد، وعموما أحب قراءة المجلات وأحرص على اقتنائها.

ما زلت أتابع الشأن الثقافي العام، ألاحظ أن صحيفة القدس الفلسطينية لم تعد تنشر صفحةً أدبية منذ مدة طويلة، في العادة كانت تصدر صفحتها الأدبية كل جمعة، وأحيانا تصدر مع عدد يوم السبت. الآن لم تعد تنشر هذه الصفحة لا في عدد يوم الجمعة ولا في عدد يوم السبت. الصحافة الثقافية في فلسطين تعاني من خلل كبير، سواء في انتظام صدور الصفحات في الجرائد والمجلات أو في المادة المنشورة، ثمة مافيا ثقافية تسيطر على الصحف. عقلية الاستحواذ والديكتاتورية واضحة أيضا في الثقافة يا عزيزتي، ولعل لك بعض الملاحظات، وانتبهت لبعض مشاكلها. عموما لا شيء يسير كما يريد المرء في هذا البلد أو أي بلد.

اطلعت أخيرا بحكم متابعتي الثقافية على ما نشر من مقالات أدبية، مقال صحفي حول تخريب الفيسبوك للأدب العربي الحالي، ولي في ذلك قول موسع، نشرته سابقا، وتوسعت فيه في كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية"، وتحقيق صحفي حول القصة القصيرة جدا، وأثر الفيسبوك فيه وفي شروط إبداعه وتكوّنه، من شارك في هذا التحقيق لا يظهر أن لديهم قدرة على معرفة ما هو فن ال (ق ق ج) وتغيب عن أذهانهم الكتب النقدية التي تناولت هذا الفن. حتى الكاتبة التي أعدت التقرير ينقصها الكثير من المعرفة. لكن لا بأس هذا هو حال الصحافة الثّقافيّة: الابتسار والاختصار المخلّ، فـ "إلى الجحيم أيها الليلك"، على رأي سميح القاسم. تجربتنا المشتركة في هذا الفن متواضعة، أقلعت أنا عن كتابتها قصصا ونقدا، وانتهت بالنسبة لي مع ما كتبته في كتاب "دوائر العطش" وكتاب "ملامح من السرد المعاصر- قراءات نقدية في القصة القصيرة جدا".

ومن المتابعات الأدبية، قرأت مقالا حول رواية "اليد الدافئة" كتبه واسيني الأعرج ونشره في "القدس العربي"، وألاحظ كيف يكتب الروائي عن الروائي والصديق عن صديقه، وأتابع بشغف ما يكتبه الدكتور عادل الأسطة حول رواية واسيني الأعرج عن مي زيادة، وتحليلاته للرواية وأفكارها، وأعجبني ما تحدث به عن المثلية عند مي في وقفتين منفصلتين، وعرج كالعادة على المثلية في الأدب العربي قديما عند أبي نواس وغزله بالمذكر وفي كتاب أبي حيان التوحيدي "الإمتاع والمؤانسة" ويذكر بيتين من الشعر منقولين من كتاب التوحيدي ويحذف الكلمات العاهرة! أتذكر هنا كتابا مهما كنت قرأته سابقا وموجود لديّ "المتعة المحظورة".

ثمة أخبار ثقافية شتى أيضا اطلعت عليها؛ "سامي مهنا" يفوز بجائزة اتحاد الكتاب العرب لهذه السنة مناصفة مع الشاعر "معين شلبية"، أثار هذا الفوز أسئلة كثيرة لديّ فما هو أثر هذين الشاعرين في الساحة الشعرية والأدبية، ثم اعتبارات لا أدبية لهذا الفوز من وجهة نظري.

وحول الإصدارات الجديدة، هناك العديد من الإصدرات شعرية ونقدية منها صدور ديوان للشاعر عمر شبانة في مصر، وكذلك ديوان جديد صدر في مصر للشاعر موسى الحوامدة، وثمة خبر حول تكريم إبراهيم نصر الله في باريس، نظمه معهد العالم العربي، وذلك لفوزه مؤخرا بجائزة البوكر. وأتابع من انتقل من الكتاب إلى الرفيق الأعلى. على الرغم من عزلتي الثقافية إلا أنني ما زلت متابعا

لتجليات الحركة الثقافية، هناك لوم من الكثيرين عن تقصير المثقف الفلسطيني وتراجع دوره، ليس غريبا هذا، فالمثقفون إجمالا يميلون إلى العزلة والابتعاد عن وجع السياسة.

في حمأة الانشغال بانتخابات اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين، ثمة (كوتة) فصائلية تفرض أن يكون ضمن الهيئة الإدارية للاتحاد كاتب واحد فقط من المرشحين المستقلين، وعلى ذلك فأنا أتنافس مع الدكتور حسن عبد الله. سيكون واحد منا عضوا في الهيئة القادمة عن المستقلين، إن الحزب الحاكم ومرشحيه والقائمين على أمر الانتخابات يفضلون الدكتور حسن عبد الله، فهو دكتور أولا وثانيا مقرب من الحزب الحاكم. مهزلة أليس كذلك؟ طرح اسمي صديق على اللجنة المتابعة للانتخابات وله أسبابه الوجيهة، كما قال لي، أولا أنني كاتب ذو توجهات إسلامية في العمق، وكل أعضاء الهيئة هم إما علمانيون أو يساريون، ما يعني أنني سأحدث فرقا في الهيئة الإدارية التي يجب أن تراعي جميع التوجهات. وذكر أيضا أنني مطلع ومتابع جيد لحركة الثقافة المحلية والعربية، وهذا كما قال ضروري جدا لأعضاء الهيئة الإدارية، وأخيرا ذكر أن لي مؤلفات تؤهلني لأكون "بروفسورا". أشك في هذه الثالثة بالتأكيد، ولكن ما دام هو يراني هكذا فليكن مع تقديري لشخصه وحبه. وأضاف خلال الحديث أنني معروف لدى جمهرة الكتاب والمثقفين، إذن له أسباب وجيهة جدا. أتمنى أن أنجح في الانتخابات، فثمة برنامج مبلور في ذهني لتنشيط الحركة الثقافية وربط الاتحاد بوزارة التربية ووزارة الثقافة، ورغبتي عارمة في تعديل القانون الأساسي للاتحاد، فثمة مستجدات كثيرة حدثت لا بد من أن يكون هناك تعديل في القانون الأساسي لاستعيابها، سأحدثك عن الفكرة لاحقا. الأمر كله ليس بسيطا بالتأكيد ولكنني سأحاول عبر الطرق القانونية اللازمة في هذا المجال، إن قدر الله أن أكون عضو هيئة إدارية للاتحاد.

كم كنت أتمنى لو أنك أرسلت لي رسالة أو سطرا، أو لو تفضلت عليّ بكلمة واحدة، ردا على الرسالة السابقة، لكن ربما تكونين غضبى عليّ قليلا، لما جاء فيها. اليوم السبت سأكون مشغولا بعزاء أحد أقاربنا فقد توفي أمس، وهو جارنا أيضا، واليوم سيكون الدفن، ولا بد من المشاركة في المراسيم كلها، والمكوث في بيت العزاء، وربما تمكنا كذلك وصديق لي زيارة أحد الأصدقاء في المستشفى اليوم عصرا، وزيارة الفنان الكبير (أبو نسرين). ضربنا معه موعدا هذا اليوم، فهو يبحث عن كلمات جديدة بمزاج جديد، لعله يختار بعضا من قصائدي لتغنى، سيكون ذلك فتحا كبيرا بالنسبة لي. لا تنسيني من دعائك.

أحييك تحية خاصة، متمنيا لك بكل ما أملك من قوة الصحة والسلام والحب الدائم وتفتح الشعر وبساتينه لتورق القصائد على شفتيك حلوة نضرة. تذكري بعد شهر بالتمام والكمال من الآن هو عيد ميلادي الخامس والأربعون، هل ستتذكرين أم ستنسينه كما حدث ونسيته العام الماضي ما أشعل خصومة قصيرة الأمد بيننا؟

وإلى لقاء...

الأحد: 2018/7/1

أسعدت أوقاتا، وكللك الله بالصحة والجمال ومتعك بالحب.

ذكرت لك في الرسالة السابقة أن هناك موعدا مضروبا مع الفنان أبو نسرين، صاحب التاريخ الفني الطّويل والمتنوع. فقد حظينا بشرف لقائه يوم السبت 2018/6/30 في منزله في مدينة رام الله، بيت هادئ تسوده روح الفن، كل شيء فيه بدا متناغما كلحن سلس، ثمة أعواد ثلاثة وربما أكثر مركونة في زوايا غرفة الجلوس، شهادات تكريم ودروع وصور، عندما دخلنا كان يستمع إلى الفنانة الفلسطينية الأصل ماجدة الرومي، وهي ابنة الملحن الكبير حليم الرومي، كان التلفاز على كل حال صامتا، كنتُ مسرورا بهذا اللقاء وكان أبو نسرين مبسوطا كذلك. تعرف إليّ وعلى عملي، يبدو أنه يعرفني من خلال صديقي إسماعيل مهندس هذا اللقاء، وحديثه عني.

كان حديثا طويلا شائقاً، مكثنا في بيته ما يقارب الأربع ساعات، مرت كأنها لحظات، أتينا فيها على موضوعات متعددة، سياسية وفنية وثقافية، وأحوال البلاد والعباد، وحدثنا كذلك عن قصة اغتيال الفنان ناجي العلي، وكانت تربطه به وهو في الكويت صداقة متينة، وذكر الشّاعر أحمد مطر وقصة مسرحية سرحان سرحانة سرحان، والأزمة التي حدثت جراء إدخال (أبو نسرين) لقصيدة أحمد مطر "الثور والحظيرة" لتكون ضمن سياق المسرحية وانتهت الأزمة بعدم أدائها على المسرح وقد عرضت المسرحية في الكويت بمشاركة فنانين كويتيين.

وتحدث أبو نسرين عن أعماله الأخرى المهمة من مثل: يويا يا ولاد حارتنا، وصعد يا شعبي صعد ثورة الحجار، والعرس الفلسطيني، وكذلك مشاركاته في المهرجانات بجانب أساطيل الفن العربي في جرش والمغرب وأمريكا وكندا. وحدثنا كذلك بحب عن عشقه للتراث وكيف كان يجمع أغاني التراث من الناس مباشرة ويوثق كل نص من ثلاثة أشخاص بأسمائهم الرباعية وبلدهم.

أبو نسرين كان يبحث وما زال عن الكلمة والنص الخالدين، لأنه ذو رسالة فنية خالدة، وقد حظينا منه بأن أسمعنا نصوصا جديدة عن الأسرى وكيف جدد في ألحان التراث الفلسطيني .

أبو نسرين علامة فارقة في الفن الملتزم وشرف لنا أنا وصديقي إسماعيل حج محمد أن التقيناه، سيكون لنا عودة أخرى بعون الله.

الاثنين: 2-7-2018

أيتها العزيزة الغالية.

أسعدك الله وكلل رحلتك بالنجاح، وعدت إلى ربوع الوطن والأهل والأصدقاء بالسلامة.

لقد سرتني رسالتك بالتأكيد، كانت نابضة برقصة النشوة، مع كل كلمة من تلك الكلمات الحلوة السلسة، تتابع دون انقطاع للحديث عن الرحلة، يا لله كم أن اللغة حاملة لنفس كاتبها! وهنا

بدوت مفعمة بالفرح والحب والحياة واستخدامك للألفاظ مشع كالبريق في سماء زاخرة بحدائق الورود، بكل تأكيد أيضا تستحقين التكريم، رغما عن التلعثم بالكلمات، إنه يزيدك جمالا على جمال! فلا تبتئسي.

تدفعني رسالتك الشهية تلك أن أتحدث لك عن السفر، وأهميته للكاتب. يعترف الكاتب الأمريكي جون هوبكنز أن السفر مكون ضروري للكتابة، ويقول: "لو أني بقيت في الولايات المتحدة الأمريكية لن أكتب أبدا، وجب عليّ أن أسافر، أن أتعلم، أن أعرف العالم، هذا أمر ضروري وجوهري"، في رسالتك صدى لقول هوبكنز "مستمتعة بهذه التجربة، أتاحت لي التعرف على عالم مختلف، وثقافة مختلفة". صديقي الكاتب رائد الحواري أشار عليّ يوما ألا أظل حبيس غرفتي، قال: "يجب عليك أن تخرج من معتزلك لترى الطبيعة والناس ومشاهدة الأشياء والعيش معها".

يبدو "أن السفر مدرسة ثانية، فالرحلة تخلق الكاتب حين تجد التربة والمناخ وهي رحلة في الذات أيضا"، كثيرون تحدثوا عن السفر يا عزيزتي، فالشافعي رحمه الله يعدد ست فوائد للسفر، ويشبه ذلك بجريان الماء الذي "إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطبِ". الرحالة كتبوا أعظم كتاباتهم وآثارهم نتيجة أسفارهم، الرحالة المسلمون والغربيون، كانوا يدركون أهمية السفر. والأساطير كذلك تجدين فيها موضوع السفر؛ في أسطورة جلجامش وبحثه عن الخلود ثمة سفر، رحلة الأوديسا كذلك، ودينيا كذلك أعظم ما يشار إليه رحلة الإسراء والمعراج. فالسفر مهم تماما كالعزلة، والقراءة والانفراد بالذات لسماع صمت العالم.

أعود لما كتبته إليزابيث جيلبيرت في روايتها السيرية "طعام، صلاة، حب"، أعود إليها لأنها قائمة على السفر، سافرت إلى إيطاليا، حيث غرقت في شهوة الأكل حتى زاد وزنها عشرين كيلو غراما، ثم إلى الهند حيث غرقت في التأمل الروحي والصلوات الروحية، وأخيرا تتوجه إلى أندونسيا حيث توجت رحلتها بالحب، فتغرق في شهوة الحب إلى أقصى حد، زاد وزنها، ثم فقدت تلك الزيادة، واستقرت نفسيتها بالحب، ثلاث جغرافيات، كانت مهمة لتنضج التجربة.

تدفعني رسالتك لأقارن بيني وبينك، أنا شخص متقوقع على ذاتي، افتراضي، لا أعرف من العالم سوى الأسماء والصور، وأغرق في القراءة. ويدفعني ذلك للمقارنة أيضا بين القراءة والسفر والاستمتاع بالطبيعة. قد تقرأ قصيدة جميلة عن الطبيعة كقصيدة البحتري مثلا "أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا"، فيصلك شيء بسيط من تأثيرها، ولكن لو أنك عشت هذا الربيع وتماهيت مع الطبيعة وتعمقت فيها، وأحسست أنك جزء مادي ومعنوي منها، ستبدو قصيدة البحتري وكل قصائد الطبيعة على جمالها والنشوة فيها، باردة باهتة، لأنها كما يقول أفلاطون محاكاة، والمحاكاة أضعف أثرا من الأصل، سيتعمق في داخلك شيء لن تجده في القصائد، ولن تستطيع اللغة أن تحمله إليك، وأنت تشعر أنك تلامس الجمال الإلهي بكل رقة ووجدانية وجاذبية.

أغبطك أيتها الغالية على أسفارك الكثيرة، فقد زرت الأردن ومصر والسعودية والإمارات وتركيا وتونس وإيطاليا، وربما أيضا دولا أخرى لا أعرفها، وتتمتعين بشبكة علاقات واسعة وممتدة وقوية

من كل الأعمار والجنسيات، مع أنها تشعرني بالضيق والضجر، وأنت تعلمين لماذا، كل ذلك يؤهلك لتكوني كاتبة من طراز خاص.

ربما أنك تقرئين أقل مما أقرأ في الكتب، لكنك تقرئين أمورا لم يحدث أن قرأتها أنا، الثقافة الأخرى والناس والنفوس والأرواح والجغرافيا، أنا جاهل في كل تلك القراءات وما زلت أميا، إن أقصى مكان ذهبت إليه هو عمّان، ولم أخرج من بيتي إلا للعمل، ولا أحب صداقة الكتاب إلا القليلين منهم. قراءاتك تلك أهم من قراءة الأفكار المجردة الذهنية تلك القابعة في بطون الكتب، جامدة تتحرك كأطياف من المعاني المحتملة، فثمة فرق بين من يغرق في الصور الذهنية للأفكار وبين من يعيشها حية بشكل طبيعي ويومي. هذا فرق كبير بيننا يا عزيزتي، لذلك أنا أغبطك، فيا ليتني كنت مثلك، "فأفوز فوزا عظيما"، ولكن "ما كل ما يتمنى المرء يدركه". ولذا لم تجر بي السفن إلى أي مكان.

كنت أبغي أن أحدثك عن قضايا أخرى، يبدو أن الرسالة قد طالت كثيرا، لا يحسن أن تزيد عن ذلك، فأنت في متعة روحية خاصة وفريدة، يا ليتني كنت معك، ولكنها الأمنية التي لن تكون.

استمتعي بما تبقى لك من وقت، متنميا أن أراك على خير وأنت تزهين بحلة الفرح والسعادة، هل أعيد عليك أن ترسلي لي بعض الصور، فأنا لم أنعم برؤيتك منذ زمن طويل. فهلا أنعشت الروح بمرأى محياك البهي؟

دمت ودامت عليك الصحة والعافية وألق الكتابة.
المشتاق لرؤية بسمتك الندية

الثلاثاء: 3-7-2018

طبت شهوة وجنون حب، أما بعد:
هل أرهقتك رسائلي السابقة وما فيها من حديث عني وعن الصحف وعن المتابعات الثقافية التي تبدو أحيانا بلا هدف أو معنى، إنها مجرد روتين يقتل الوقت، ويزجي وقت الفراغ، لا شك في أنه كان حديثا مملا، ولعلك قد شعرت بالضجر أو الملل، أو التثاؤب والتمطي، أراك وأنت تتثاءبين كقطة لا تشعر إلا بالكسل، أكاد أجزم أنك ربما لم تنهي قراءة الرسالتين السابقتين إلا بعد الكثير من المغالبة والصبر والتجلد والجلد. لا بأس، كأن هذه الرسائل هي مظهر من مظاهر كاتبها.

أحب الثرثرة، أبدو أنانيا، وأنا أجبرك على أن تسمعي هذا الضجيج، أدرك كم أنا جاف وقاس حيالك، لم أعد أشعر بالشهوة تجاهك مثلما كنت أشعر سابقا، كانت هذه الرسائل مهدئا للأعصاب بطريقة عجيبة، ولكنْ، دوام الحال من المحال، ولا بد من أن تعود العاصفة من جديد، وها هي تضرب شواطئ روحي هذا اليوم، بعنف شهواني لا قبل لي به إلا بتمريره إلى شواطئك الساجية، وأمواجك الهادئة، لعلها تثور ثورتها الجميلة.

تذكري بشيء من العطف أن هذه هي الرسالة الثالثة التي لم تردي عليها، امنحيني طاقة لأكون أكبر ظلا في المستقبل، بيديك موت هذه الرسائل أو حياتها، لا تنظري إليها بعين التفاهة والاحتقار وامنحيها بعضا من الاهتمام.

أتركك مع هذه الرسالة التي لم تكن سوى منبها صباحيا جامعا بين اللذة والوجع. كنت ما بين الصحو والنوم، أحس بجسدي يلامس جسدك، عبرت رائحتك في أعماقي، تنفستك بعمق وصحوت، ووجدت نفسي أهذي...

بي رغبة شديدة في مضاجعتك هذا الصباح، أستحضر رائحة أنوثتك كما أتصورها وأنت للتو مبتلة بماء الشَّهوة الدافئة، أقرأ ملامحك ككتاب مقدس. كل خلية في جسدك آية محكومة بإيقاع الجمال وموسيقى الجنون، أصحو وأنت كاملة فيّ وأكتب وأنت تقفين بعريك الضوئي الكامل على رؤوس أصابعي وتدلفين إلى السطور كلمة كلمة وعضوا عضوا وشهية تلو شهية، تخلقين فيّ شهوة لا تعادلها شهوة الآلهة لمتعة الخلق. ها أنت الآن على سريرك تضاجعك شهوة الليل وتفيض فيكِ الأحلام أغاني الرعاة في جبال الآلهة.

أيتها المنحوتة من صخر صبري فتتي الكلمات في لغتي، أعيدي اختلاق الزمن، واكتبي الحكاية من جديد. كل مرة هي المرة الأولى وإلا لا فائدة من التكرار. أنا وأنت لا نكرر الفعل وليست المرة الألف هي المرة الألف هي طعم الدفقة الأولى، هي شهوة الابتكار الأول لطعم ممارسة الحب بعنف.

بي رغبة كبرى لأسكر فيك، لأسكر منك، لأسكر كلما انغرست بلحمك. تشفيني الحمرة في أعضائك، شفتيك، وحلمتي نهديك، وفرجك، أغيب في وعيك الحيّ وأصحو راغبا من جديد في رحلة تيهٍ أو سطوةٍ في سفينة الشَّهوة.

أيتها الكائنةُ الداخلية فيّ، اخرجي مني قليلا قليلا كي أرى نفسي لأعرفني أعرّف حدّ حدي، تائه في كل هذا الالتحام. أين أيني يا أنا؟ لم أعد أعرف شيئا تهت عني فعرّفيني كي أرى نفسي شهيدا أو شهيّاً.

أيتها الفائرة كأشعة المصباح، مدي الأشعة في مداي، اسكبي الضَّوْء في عينيّ، احملي عني الظلام لخطوتين بعيدتين، مزقي حجبي، لأصير أوضح في عيون الآخرين، أشياؤك الأخرى تنام على جفوني، نصف شهوة منك تكفي في هذا الصباح لأكمل يومي، نصف فرحة، أو ضحكة، أو نظرة أو نصف لحن ناشزٍ أو بعض أغنية نشاز! نصف طيفٍ، نصف صورة، نصف أي شيء يجعلني أكثر قدرة على الاحتمال.

ظل ظلك في الظلال ضوءٌ يثير شهيّتي. يعذبني الشّوق والانتظار، وهذا المستحيل، وجذور أشجاري تموت لا ماء في تربتها، ورائحة الجنون في عينيك نار، أحرقي هذه الكينونة الصغرى وانثري ذاك الرماد في عمق بحرك كي أنبت من جديد في تربة لحمك!

يا متعة في السَّماء البعيدة قربي الغيمة كي يظللني وجودك، يبس الماء في عيوني وأنا أحدق في الصور.

أشتاق إليك بكل ما ملكت قواي.

الأربعاء: 2018/7/4

يسعد أوقاتك

أتمنى من الله أن تكون كما ينبغي لك ولروحك.

هذه الأيام لا أستطيع التواصل لديّ ظروف عائلية فراس وضغوط عمل.

بتمنى أشوفك الخميس ونحكي.

ف. ع

السبت: 7-7-2018

الغالية المحبة، الناظرة إلى هذا الأفق، أسعدت روحا ووقتا وجمالا وشعرا وشعورا. أما بعد:

فقد كانت فخامتنا تعتقد أن فخامتكم في شغل عنّا، ولذلك اقتضى الصّمت لحين الفراغ من بعض أعمالكم. هنا صار التقدير غير صحيح بالمطلق وخسرنا حديث فخامتكم. لكن لا بأس سنعوض هذا الآن، فهيا... كنت معتقدا أن الصمت حاجة ضرورية، وإذا بالصمت موجع كالكلام سواء بسواء، إذن فلنتحدث، لعل وجع الكلام أقل شرا من وجع الصمت.

هذه هي المحاولة الثالثة التي أهمّ فيها لكتابة رسالة أخرى. منذ الرسالة الأخيرة، وأنا أشعر بعدم الرغبة في الكتابة، حاولت أمس كتابة رسالة لم تكن جيدة ولا سلسة، كتبت فقرتين، شعرت بالتعب، حذفت الرسالة، ولذتُ إلى الصمت.

بي رغبة بين الحين والآخر في الحديث إليك عن نفسي، ولكن ما جدوى ذلك، وأنت غارقة فيما أنت غارقة فيه، كما أخبرتني في الظروف العائلية والعمل؟ ربما ستقرئين، أما أنك ستكتبين ردا، فقد غدا نادر الحدوث. ليس الأمر مقلقا، ولكنه مرحب به بكل تأكيد لو حدث وكتبت.

مرّ أسبوع شديد القتامة والبؤس، مرت زوبعة انتخابات اتحاد الكتاب، لم تخلف كثيرا من الغبار، رأي هنا ورأي هناك، ولكن بالمجمل انتصر المتنفّذون وأصحاب القرار التنظيمي في فرض القائمة الموحدة لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفشل المستقلون جميعا، لقد كنا كأننا مكمّلون للعبة الديمقراطية الشكلية، فُرض على المقترعين من الكتّاب أن يختاروا واحدا وعشرين مرشحا من أصل ثمانية وعشرين، وإلا فإن الصوت لن يحسب، وستلغى الورقة، كما حدث وتم إلغاء أحد عشر صوتا انتخابيا، لهذا السبب، وبالتالي سيكون سلفا فوز القائمة الموحدة. بعض المرشحين انسحبوا بعد إنجاز القائمة، وحدي ربما الذي كنت أراهن على اللاشيء في تلك المعمعة كلها. انتهت الانتخابات، وسقطنا، ولله الحمد والمنة.

لست نادما بالتأكيد، إنها تجربة، عرفت فيها الكثير من الخفايا عن قرب، وتعرفت أكثر على الكتاب، وتعرفوا عليّ، بدوت معروفا قليلا في أوساط كتاب الضفة الغربية، وحصلت نتيجة جيدة

على الرغم من أنها لا تؤهلني للمنافسة، حصلت على (32) صوتا من أصل (62) صوتا معتمدا، ولكن الفشل الحقيقي جاء من غزة، إذ لم أحصل على أي صوت من هناك. هل يعقل أن كتاب غزة لم يسمعوا بي، وسمعوا بكل المرشحين الآخرين، وخاصة المستقلين، إذ أمر كتّاب القائمة فقد غدا محسوما أصلا قبل الاقتراع. ثمة خلل بالتأكيد، فالمستقلون أيضا حصلوا على أصوات من كتاب غزة إلا أنا. ما الذي جرى؟ لست أدري. على كل حال، فإنني لو حصلت على أصوات من هناك ستظل النتيجة هي هي، فشل المستقلين جميعا. حيث حصل أقل مرشح في القائمة على مئة صوت من أصوات الناخبين هنا وهناك.

لم تزعجني بالتأكيد هذه النتيجة، فهي معروفة سلفا، وقد انتهى الأمر بالنسبة لي، وستكون المرة الأولى والأخيرة التي أترشح فيها لأي انتخابات قادمة، تدخل فيها الفصائلية اللعبة فتفرض عبر الديمقراطية الشكلية ما تريد، لنصبح شهاد زور ليس أكثر. ما أزعجني جدا تشفّي بعض الكتّاب، أحدهم جاءني مزهّوا كمراهق سخيف، قائلا لي بعبارة تنضح بالغباء: (Hard Luck)، أعاد عليّ العبارة مرتين في زمنين متقاربين، وأنا أيضا كنت غبيا، وقد انتظرت حتى صدور النتائج. كاتب آخر، جاءني وقال: "يكفيك شرف المحاولة". بالطبع يكفيني شرف المحاولة. هذه المواقف هي التي جعلتني أقول: لا فائدة من الانتخابات إذا كانت العقلية ما زالت عقلية قبلية، فقد حل الحزب والتنظيم محل عبس وذبيان وتغلب، وصار منطق الانتخابات عينه هو ما قاله المثقف والشاعر القديم: "وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشدِ"، هذا هو ما التفت إليه الدكتور عادل الأسطة وقد شارك مؤخرا في مؤتمر بعنوان "ما بعد في الأدب والنقد واللغة"، كتب لازما غامزا هذه الإحالة على الحداثة وما بعد الحداثة: "كيف نناقش ما بعد الحداثة في مجتمع بلا حداثة؟ كنا نناقش "ما بعد" ونحن نرسخ في "ما قبل الماقبل" -إذا صح التعبير-".

لم ينتبه الدكتور عادل إلى الانتخابات في منشوراته السابقة، لعله أعطاها ظهره، لكنها لن تخرج عما قاله، فهذه الطينة من تلك المطينة، كما يقول المثل الشعبي. ولو أعارها شيئا من الاهتمام في خربشاته الفيسبوكية لقال فيها ما قاله سعد زغلول لزوجته وهو على فراش الموت: "مفيش فايدة يا صفية".

العزيزة، الغالية:
كنت متوترا بعض الشيء يوم الخامس من تموز، لم أستطع أن أكلمك أو ألتقي بك، كنت متوقعا رؤيتك، لكن على ما يبدو جرت الرياح بما تشتهي سفن الفصائل، فتهنا عن أنفسنا وضاع منا أمل الحداثة وما بعد الحداثة، فلا تطمحي بكبير تغيير في حياتنا العربية، فيكفي أننا إلى الآن لدينا القدرة على أن نكتب، مُتَحدّين أقدارنا التي وُضعنا في سياق رياحها العاتية التي تدفع السفينة كل يوم خطوتين، بل عشرا إلى الوراء، أرجو ألا نموت غرقا في وحل "ما قبل الما قبل". هل كنت سأغير؟ أي حلم يقظة كنت أغرق فيه؟

رسائلك الثلاث الأخيرة، كانت مُشَفّرة، لم أستطع فكّ رموزها، لا أدري أين الخلل، حاولي أن تكتبي لي، طمأنة عنك وعن أحوالك. دمت بألق وحبّ وجمال. أُقَبِّلُكِ لِأَحْيا.

الاثنين: 9-7-2018

أسعدت حبا وأواقاتا أيتها الفراشة المتقافزة بين الحقول، أما بعد:

فإنه ليحلو لي على نحو استثنائي الحديث عن المحبين، فهم أصدقائي وعشيرتي، وتربطني بهم أكثر من رابطة، فهم مرهفون، رهافة تبدو طاغية ومؤثرة. الشاعرة فدوى طوقان تعبر عن حبها لسامي حداد، وقد تجاوزت الستين من عمرها في رسائلها المتبادلة مع ثريا حداد، والفيلسوف الألماني مارتين هيدجر يحب الفيلسوفة اليهودية حنة آرندت، وفرانز كافكا يقع في غرام مترجمة كتبه ميلينا، عدا غسان كنفاني وأنسي الحاج وحبهما للكاتبة غادة السمان. كل هؤلاء كتبوا رسائل حب وغرام، لكن أكثر الأدباء تطرفا في الحب كان هنري ميلر الذي لم يتخل عن الحب، حتى وهو في الثمانين من عمره.

أفكر وأنا أكتب لك هذه الرسالة كيف ارتقى هؤلاء إلى مراتب عليا في الحب، وظلوا مخلصين لمحبوباتهم، وخاصة هيدغر الذي ظل على حبه وتبادل الرسائل مع حنة حتى الموت الذي غيبهما في أقل من عام.

لم يتخل هنري ميلر عن الحب حتى وهو في الثمانين من عمره، هذا الكاتب العنيف الغارق في مداراته، حتى عرف عنه أنه كاتب الأيروتيكية التي أكسبته صفة الكاتب المجنون، لقد عاش حياة التشرد والجوع في أقصى حالاته، ولكنه ظل وفيا لاقتناص لحظات السعادة، فمن وجهة نظره أن "الحبّ مثل السعادة، يجب التشبث به في أي وقت، وضرب عرض الحائط بالفضائح ومنطق الآخرين". فكم عاشقا مثل ميلر؟

في الحوار الأخير لهنري ميلر قبل وفاته في عام 1980، يترك ميلر محاوره عندما زارته برنتا في بيته، ما اضطر محاوره أن ينسحب ويتركه مع حبه، وكأنهما عاشقان فتيان، هي كانت في الثلاثين وهو شاب في الثمانين، لقد عاش هنري ليلته كعاشق مجنون، يمارس حبه كما يحلو لعاشقين أن يكونا في التحام كامل على سرير الشهوة الممطرة ندى وعطرا.

أيتها الغالية:

لماذا نخاف من الحب إلى هذا الحد؟ ألأنه لا بد من ممارسته؟ يبدو ذلك حتميا وإلا لم يكن أكثر من صداقة، فها هي مليكة مقدم الكاتبة الجزائرية تفرق بين الحب والصداقة على أساس ممارسة الجنس، فترى أن "الصداقة هي الحب محروما من الجنس". إذن فإننا أصدقاء رغما عما يدور في ذهني من تمنيات مجنونة، تفيضين فيها شهوة، كأنها حقيقة واقعة.

كنت أرغب أن أحدثك عن أشياء أكثر أهمية من هذا الحديث الذي لم يعد يروق لك على ما يبدو، غارقة في الصمتين. تعبت كثيرا من هذه العلاقة التي غدت أشبه بالعلاقة من طرف واحد. أخاف أن أنزلق إلى المراهقة مرة أخرى، فأكتب كلاما سخيفا، لم يعد مناسبا لرجل تخطى الأربعين،

موجها لامرأة هي أيضا تجاوزت الأربعين. لماذا لم نتعلم من دروس الكتاب العاشقين ميلر وهيدجر وكافكا وغسان؟

هل تصدقين أنني في الليلة السابقة هجمت علي فكرة هجاء نفسي بكلام بذيء جدا. لا شك في أنني أستحقه عن جدارة. كنت كسولا جدا، وأخذت أهذي. لم أرغب في كتابته، استسلمت للنوم، لعلني أصحو وقد تخلصت من ذلك الشعور المميت.

في الصباح كنت أشعر نفسي كجمرة منتهية، فيها بعض حرارة. اغتسلت بسرعة، وتناولت فطوري بصعوبة وشربت فنجان قهوتي بلا لذة، تفقدت البريد الإلكتروني. لا شيء جديد؛ كل شيء يعاني من البرودة القاسية. تذكرت بيتا كنت كتبته ذات مرة محاكيا الشاعر القديم: "وأحبها وتحبيني، ويحب جملتها بريدي". على ما يبدو صار كل شي صامتا باردا جافا، حتى هذا الصباح الذي لطمني فيه مشهد حادث مروري عرقل السير، ولوّن اليوم من بدايته بلون قاتم أسود، فكل شيء سيئ في هذا الكون يتجمع أمامك دفعة واحدة، هنا تبدو نظرية كتاب "السر" لروندا بايرن صحيحة فقانون الجذب والتفكير الإيجابي يمكن أن يأتي بنتائج تجعل الحياة أفضل، وتجلب الحب والسعادة كما جلبته لهنري ميلر. أو العكس كما يحصل معي هذه الأيام، مع أن هذا الكتاب غير المنطقي في المطلق، لكنه أحيانا يصدّق نظريته فيّ.

في كل مرة أكتب فيها أكتب لأرتاح، ولكنني كتبت اليوم فخرجت متعبا ومرهقا وحزينا، أكاد أنفجر من سوء ما أنا فيه. كم مرة مع هذه الرسالة طلبت منك أن تكتبي لي؟ إنها المرة الرابعة التي أقول لك فيها: اكتبي لي ولو سطرا واحدا. لا تحققي فيّ سلبيا نظرية قانون الجذب والأفكار السلبية. واخرجي عن هذا الخوف وهذا الصمت لعلني أحيا في حدائق روحك الزاهية. فلو كان هنري ميلر حيا لم يكن ليتراجع أو يصمت أو يموت وهو حي دون أن يعشق كفتى يافع في الثلاثين على الرغم من سنوات عمره التي تجاوزت المئة الآن.

صباحك سعيد

الخميس: 12-7-2018

تحية ملؤها الشوق والحب، أما بعد:

فقد سرتني رسالتاك القصيرتان في الرد على مقالة "ريتا على الحاجز"، إذ جاءتا بعد صمت طويل وقاس، ولم أكن أتوقعهما لما خبرته فيك من عدم المبالاة وقلة الاهتمام، فكيف تهتمين بهذه المقالة ولم تعيري الاهتمام نفسه أو بعضه للرسائل السابقة. لكن لا يهم ما دام الحال هو الحال الذي أعرفه، وأصبحت متيقنا منه تيقنا تاما.

أعيد لك القول إن رسالتيك قد أدخلتا السرور إلى نفسي وحركتا فيّ القدرة لأكتب رسالتي هذه، فقد كنت عازما على ألا أكتب لك، إذ لا مبرر لأن أكتب وأكتب ولن يكون منك رد، ولكن فلتسمحي لي

يا عزيزتي أن أقول لك إن خطأك في القراءة واضح فادح، وقد أخطأت مرتين، الثانية أفظع من الأولى وأشنع، فإذا ما كانت رسالتك الأولى تقول: "جميل من زاوية مختلفة وإن كانت الغريزة هي المحرك"، فهل كانت الغريزة محركا لي وأنا أرى تلك اليهوديات الإسرائيليات صباحا ومساء؟ فهل أنا اشتعلت وجدا بهن أو بإحداهن؟ إنما المشهد كله كان التقاطة خاصة نابعة من تجربة حية ذاتية، ذات منطلقات فلسفية وفكرية أبعد من التفكير بامرأة يهودية واقفة على الحاجز واشتهائها، إذ لا مجال فعلا لتأمل تلك اليهوديات، وليس كما قلت في رسالتك الثانية متمادية في الخطأ الأشنع: "تحاول محاكاة من سبقوك من أدباء تناولوا هذا الجانب الإنساني لفكرة التعايش مع الآخر المعتدي وتحييد كونه كذلك، أنا لا أرى الفكرة قاصرة ولا الرؤية، أنت رأيت مجندة إنسانة وجردتها من عتادها، لكني رأيت جنودا مدججين في مدخل إحدى قرى رام الله وشبابنا عليهم بحرارة في دخولهم وخروجهم. هناك قرى ذات احتكاك مباشر مع المستوطنات، والعلاقة عادية بينهم أو على الأقل هذا ما رأيته وإن استهجنته ولم أستوعبه".

فليس صحيحا إطلاقا أنني أكتب مجرد "محاولة"، ففي هذا الادعاء انتقاص من قدرتي التي تعلمينها، فليس بعد خمس وعشرين سنة من الكتابة والقراءة والحوار مع الذات والآخرين، توصف مقالتي بأنها "محاولة"، ولست بالطبع مقلدا غيري، وإن استدعت الكتابة استحضار من كتبوا في الموضوع من باب آخر وزاوية مختلفة، تختلف باختلاف التجربة الشخصية والأسلوب.

عدا أنك وقعت في وهم القراءة المبتورة، فأنا لم أجردها من عتادها، بل كان عتادها هو الأساس الواقف بيننا وبينهم، فقد صنعوا كما قلت غابة من البنادق وأجروا من دمنا أنهار دم. هل يعقل أنك لم تقرئي ذلك؟ يبدو أنك كنت ذاهلة أو غارقة في بعض العمل، أو أنك كعهدك معي انتقائية لا تحسنين قراءتي. وهذا ليس استنتاجا على كل حال. إنها الحقيقة.

لا شك في أن الآخرين ممن تلقوا المقالة كانوا أفضل تلقيا منك، فقد تعاملوا معها أفكارا، ولم يتعاملوا مع الكاتب من أجل أن ينقصوا من شأنه ويرونه محاولا غِرا مراهقا يتابع أجساد اليهوديات ويتلصص عليهن، أو أنه يقلد الآخرين ويسرق أفكارهم. تذكري أنها ليست هذه المرة الأولى التي تتعاملين بها معي بهذا الأسلوب من التهوين والتحقير، حدث ذلك كثيرا في الشعر أيضا. فأنت أيتها الشاعرة الكبيرة صديقة الكتاب الكبار لا ترينني صالحا لأكون كاتبا، ولكن لا يهم.

والآن فليسمح قدرك الجليل أن أثبت لك في سياق هذه الرسالة التي تعاني من القلق والتشنج بعضا مما كتبه الأصدقاء الحياديون عن المقالة.

في أول رد على تلك المقالة، جاءني هذا الرد: رائع هذا العرض والتحليل. كان لي صديق له مغامرات فاحشة مع نسائهم وكان يقول لي "يا رجل مش طالع بأيدنا عليهم ليس أقل من أن ننتقم منهم بآلاتنا الجنسية". هل ذلك يعكس الشبق والاشتهاء الشرقي للمرأة الغربية كجزء من عقدة الغالب والمغلوب أو تعويض عن عقدة النقص؟ في أدب الاستشراق الآية معكوسة حيث الرجل الغربي يقابل المرأة الشرقية الشبقة. هي استخدامات وتوظيفات متنوعة للجنس والمرأة ودورها

في الصراعات المختلفة". إنه يدخل إلى صلب الفكرة وليس مجرد أنني أكتب بدافع الغريزة التي ماتت بفعل أسباب متعددة، ليس أولها حضرتك، وربما للعمر والظرف دور في ذلك.

وفي ذات الفكرة، يكتب أحد الأصدقاء: "ربما كلهن "ريتا".. ولكن يبقى السؤال: هل خان درويش قضيته عندما أحب "ريتا"؟ وهل نسير على نفس الدرب عندما نتوه في تضاريس أجساد أولئك وهن مزروعات على الحواجز لإذلالنا. يا إلهي هم يفكرون بنا كعبيد، ونحن نفكر كيف يمكن لنا مضاجعتهن. يا لعهرنا". ويسترسل في تعقيب آخر، متحدثا عن عقلية المثقفين النتنة الذين أنا منهم، حتى لا تسخري مني: "نعم والغالبية العظمى كذلك. تصور بعض الكتاب (الذكور) عندما يخابرون بعضهم أنه في يوم كذا سيكون هناك الكثير من (المزز) عند توقيع كتاب (أبو العُرّيف). المسكينات يعتقدن أنهن سيأخذن فرصتهن من خلال وجودهن في هذا المكان المفروض به أن يكون (للثقافة)". إنها إذن عقلية ونمطية تفكير غير خاصة بالتفكير في اليهوديات، بل إن للعربيات نصيبا كبيرا من ذلك، بصفتهن أقرب مأخذا وأسهل فريسة، فعلى الأقل المجندة تحميها بندقية أما هؤلاء فإنهن مكشوفات لأعداء الجمال المستهان به في حضرة الثقافة وأدعيائها.

وأما ثالث التعليقات فكان كالآتي: "النص مبدع، وربما يستدعى إلى الذهن ما يعرف بمتلازمة استكهولم حيث تقع الضحية فى غرام الجلاد فتعتنق أفكاره وتتقبلها كنوع من أنواع الدفاع عن النفس بتبنى مفاهيم الآخر المعتدى.. وربما هى النزعة الذكورية الطبيعية للاشتهاء يخالطها شيء من الماسوشية الناتجة عن استعذاب الألم من خلال التعايش اليومي المعتاد مع العدو". وليس بعيدا عن ذلك ما قاله صديق آخر: "إن الأستاذ فراس كان الأقرب للمعنى، إنسان ذكر، شرقي أو غيره، أمامه مجندة بتنورة، في سياق كولينيالي، مشفوع بتناص درويش.... إنه سردية جميلة عميقة تثير الدهشة والتفكير في علاقات البشر والرجال والنساء والحروب، وقضايا المرأة والجندر..".

ولتقرئي على مهل هذا التعقيب أيضا: "على أرض الواقع قد اغتصب فينا الأشقر والأحمر والغربي والشرقى والآتى من بلاد الواق واق جميعهم. اغتصبوا فينا كل مملوك لنا. الذات أولنا والفكر آخرنا. ضاع منا كل شئ وذهب إليهم. ما فرقوا بين الذات والأرض والشرف والعرض والمال والولد. دعونا نشتهى فيهم الثأر، وننهم وننهل من أجسادهن وشهواتهن وأردافهن وأفكارهن وننتقم فى كل شئ منهن". إنه منطق مصطفى سعيد بالضبط الذي جاء في رواية الطيب صالح "موسم الهجرة إلى الشمال" التي أشرت إليها في المقال، وأشار إلى ذلك دارسون كثيرون لافتين النظر إلى علاقة الأنا بالآخر، أو إشكالية تلك العلاقة.

إن كل هؤلاء لم يكونوا قراء عاديين إنهم كتاب ومثقفون، وأدركوا الدلالة للمقالة، وأنها ليست محاولة أو محاكاة، وليس لي علاقة معهم ليجاملوني، بل عندما كتبوا آراءهم لم أكن حاضرا، لتفكري بي تفكيرا سطحيا بأنني منتش بمثل هذه التعقيبات. كل القراء يرونني كاتبا وجميلا، حتى وإن لم يعرفوني، إلا أنت، لقد أفسدك الحب وأفسد ذائقتك الآخرون، ولكن لا بأس يكفيني هذا الاهتمام، متذكرا ما قاله الشاعر القديم:

لئن ساءني أنْ نلتني بمساءة   لقد سرَّني أنّي خطرت ببالكِ

على كل حال، فإن كان الكلام موجعا، فالصمت أكثر وجعا، ويكفي أنك قادرة على أن تجعليني أكتب حتى وأنا أدخل دون تخطيط للدفاع عن نفسي، ولكن ما حيلة الإنسان إن فقد أعز أحلامه، فلتبق له الكلمات يطلب عزاءه فيها. فهلا رأيتني جميلا ولو في نص واحد أيتها الممتدة كشعاع في الأفق البعيد.

دمت بكل خير.

الأحد: 15-7-2018

العزيزة الغالية كفكرة ناضجة وامرأة عبقرية، أسعدت روحا واكتملت حبا وفكرا طيبا متفتحا، أما بعد:

تلتهمني الأفكار فكرة من بعد فكرة. وسؤال تلو سؤال، ولا أحسن الإجابات، ما زلت باحثا عنها تماما كما يبحث الأثريون عن قطع التاريخ المدفونة في أرض ما، وكلما وجدوا أثرا حفزهم للبحث أكثر. هذه هي حالي، لا أهدأ ولا أستكين. ما زلت أقرأ وأقرأ. أثرّت فيّ كثيرا حياة هنري ميلر وأثرّت فيّ من بعده أشعار ت. س. إليوت، قرأته مترجما. ثمة شيء غائب عنا. ما زلنا نبحث عنه. هل سنجده؟ أشك في ذلك.

اطلعت على ما كتبه الصديق رائد الحواري عن الشاعرة جمانة حداد وكتابها الجميل الصادم "هكذا قتلت شهرزاد". صديق لي قال: "أنت أحييت شهرزاد، وجمانة قتلتها"، لذلك حرصت على اقتناء كتابها، عندما وجدته في معرض الكتاب الأخير في رام الله أيار الماضي. كثيرون منا لا يعرفون جمانة حداد، ولا يعرفون أفكارها الصادمة. لماذا تعد أفكار جمانة أفكارا صادمة؟ ربما لأن الناس كما هم لم يتغيروا، ولن يتغيروا.

أتذكر ما قاله المتنبي: "أنا من أمة تداركها الله، غريب كصالح في ثمود"، هكذا كانت جمانة، وهكذا كان صديقي رائد، وهكذا كل طليعي متنور. سيظل الناس على ما هم عليه، يعمهون في التيه، ينطبق عليهم قول القرآن الكريم: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون". بل إنني أعتقد أنهم لو لم يولدوا مسلمين ما كانوا مسلمين، ولو وجدوا في زمن قريش لكانوا من أتباع أبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة. ما خلا الشيوعيين؛ فإنهم وحدهم سيكونون أول المؤمنين. لقد ضحك صديقي رائد من قولي هذا وانفرجت أساريره. لماذا الشيوعيون؟ إنهم ومعهم كل العقلانيين من يفكر بطلاقة وحرية دون أن تكبلهم أفكار الآباء والأجداد. فالناس فاسدون جدا هذه الأيام وفي كل زمان.

لماذا أتحدث إليك بهذا الحديث؟ لعلك تذكرين قصة المقال الذي أثار حوله الأغبياء والمتربصون زوبعة فارغة. إن الأمر كما هو، لا أسمع ولا يتناهى إلى مسمعي إلا أنني أتحدث عن النهود والجلود. وما زلت لا أزور مدارس البنات منذ آذار 2013 وحتى آخر هذا العام الدراسي. لقد فقدت بسبب

هذه التقوى البائسة أصدقاء كثيرين وعاداني الأنبياء والقديسون الجدد، وامتنعت عن محادثتي وصداقتي صحابيات جليلات. أعود وأنشر مقاطع شعرية أيروسية، فتنتشر بين الجهلة انتشار النار في الهشيم. والتعليقات هي التعليقات، والأفكار هي الأفكار. أي بؤس هذا الذي يعيش فيه الناس؟ أصبحت شاعرا "فاجرا"، "فاسقا"، "ماجنا"، "كافرا"، "ميؤوسا مني".

شاعرة عربية ذات قلم ذهبي ترغب في أن تكتب شعرا أيروسيا فلسفيا، ولكنها لم تستطع نشره، تخاف مما أنا لست بحافل فيه. هل ستنشره باسم مستعار؟ تخيلي لو أنها تنشر شعرا أيروسيا فلسفيا باسم مستعار. شاعرة وكاتبة عربية في القرن الواحد والعشرين تكتب شعرا باسم مستعار. ما التقدم الذي جناه المجتمع؟ ليس بمقدورها أن تجابه أو تقاوم أو تصمد أمام التيار الصاخب اللاهب، كما فعلت جمانة حداد، كتبت، قاومت، جابهت، وانتصرت أخيرا في معركتها التي كانت طاحنة. مع أنني لست موافقا لها في كل ما قالته إذ خلطت الحرية في الكتابة والتصرف والمعتقد بالإلحاد الفظ. لكنني بالتأكيد معها حول ما كتبته حول الحرية وحرية التعبير عن كل ما يخطر ببال الأديب وضميره، فلولا الحرية لم توجد كتابة ناضجة. فأدبنا الحديث في مجمله يعاني من الإعاقات والتشوهات الفكرية نتيجة تلك الأفكار التي تحصر الكاتب في خانة المقدس الوهمي الذي يفتت الأفكار ويجعلها رمادا لا تنفع أمة ولا تغير مجتمعا. فاقدة لحرارة النضج الفكري، فما زلت تمشي على السطح، وتحذر من انفجار الألغام الفكرية المتعفنة هنا وهناك.

هذا هو زمن الفيسبوك والثورة العلمية والتكنولوجية وانفتاح الأفكار وتلاقحها وحرية التفسير والتأويل والعقلانية. إننا نخدع أنفسنا يا عزيزتي خدعة كبرى، أين التقدمية؟ هل هذه الأجهزة والوسائل المريضة هي كل تقدمنا وعقولنا ما زالت تسبح في أوهام الظلام من عصر الكهوف؟ لعلك تتذكرين قصة ذلك الرجل الذي عاش في الكهف المظلم حينا من الدهر، فألِف الظلام، واعتبره النور المبين، حتى إذا خرج إلى العالم والفضاء الرحب، آذته الشمس بنورها، والحرية بنسيمها العليل، فعاد إلى كهفه راضيا مرضيا. إننا لم نتقدم أبدا ولن نتقدم أبدا، وسيولد ألف كوبرنيكس ليقتل أو يصلب على مذبح الأفكار، أو لينتظر أن يكون على فراش الموت لتأتيه الشجاعة الكافية لنشر أفكاره التي ستؤلب الدنيا عليه. هل سننتظر مئتي سنة أخرى ليقتنع الناس بأفكارنا؟

عزيزتي المتمردة:
أمامنا الكثير من القلق، والسلم ما زال طويلا، ولكن علينا ألا نتراجع ونكتب لعلنا نفوز بشرف التعبير عن أفكارنا، حتى ونحن نفشل في التغيير. ولتعلمي أن العشاق وحدهم من يحق لهم ألا يتغيروا، وأنا لن أتغير سأظلُّ مشعا بك كما عرفتك أول مرة.

دمت بود وأيامك حرية ونقاء. راجيا أن تكتبي لي، سلمت لقلبي حياة، ولفكري ملهمة في كل صباح جديد، ولحن جديد. تذكري أن عيد ميلادي قد اقترب، فأي رسالة يمكن أن تصلني منك في ذلك النهار البهيج؟

المشتاق لنسائم روحك.

الثلاثاء: 17-7-2018

العزيزة المبجلة معنى وروحا، صديقة روحي وعقلي:

فلا داعي لكل هذا الاحتجاب، لقد اشتقت لك شوقا فاض عن قدرة روحي على الاحتمال، وامتلأت به النفس، فصارت أطيارا تتقافز بمخيلتي ووسائد أحلامي. فهذا الكون ناقص وأنت تحتجبين عني.

الصديقة والحبيبة، أتخيلك معي في هذا الصباح، نجلس إلى طاولة صغيرة، في مكان هادئ ولطيف، ونسائم الهواء الخفيف تداعب خصلات شعركِ الكستنائي، نجلس فتبتسمين، وتفيضين عطرا ساحرا. أحب أن أثرثر في حضرتك، فيمضي الوقت كأنه على عجل، يلملمنا بسرعة ويمضي، ويذهب كل منا إلى غايته، إنه الزمن السيكولوجي الذي قال عنه "يوسا" في رسالته السادسة إلى روائي ناشئ زمنٌ "ينقضي بسرعة كبيرة جدا. عندما نكون نستمتع ومستغرقين في تجارب انفعالية حادة ومهيجة". إنه شعور نفسيّ فخم، جميل، يتوه الإنسان فيه عن نفسه ليصبح الزمن ذا حسابات خاصة، إنه ذلك الزمن الذي نشعر بالمتعة فيه مع الحبيبة أو الصديق. فاسمحي لي الآن أن أحدثك عن واحد من لقاءات الأصدقاء، ولك الفضل والمنة وأنت تصغين باهتمام إلى هذه الثرثرة المحببة التي تقطع الوقت بي فتغدو المسافة بيننا صفرا.

كم عظيم هذا الرجل الصديق، يمتلك روح الشباب وحكمة الفلاسفة ورقة الشّعراء وانسياب الرواة والحكّائين العظماء. إنه الكاتب والصديق الشاعر إبراهيم مالك أبو مالك، علامة بارزة في تاريخ الثقافة الفلسطينية في المناطق المحتلة من فلسطين عام 1948. يحمل درجة الماجستير في الاقتصاد العملي، وخلال حوارنا الرباعي (معنا زوجته وصديقه أبو عروة)، يفرق بين هذا التخصص وتخصص الاقتصاد السياسي، عمل إبراهيم مالك في صحيفة الاتحاد أول صدورها في حيفا وكان أحد محرريها، ولبعض المصالح الشخصية للقائمين على الصحفية تم استبعاد إبراهيم مالك من هيئة التحرير.

التقيت بإبراهيم مرتين، يقول صديقه ورفيق دربه أبو عروة إن إبراهيم يحبني، ونحن لم نلتقِ إلا على متون النصوص والرسائل الإلكترونية، حتى إذا هاتفني وأبلغني أنه سيلتقي بي، التقينا مرتين في نابلس، أعجبت بحماسته المنقطعة النظير، وبشفافيته وحبه للأدب والأدباء.

إبراهيم مالك ذو الأصول الجزائرية عربي حتى النّخاع وفلسطيني حتى آخر قطرة في دمه وشيوعي يساري حتى آخر قطعة من فؤاده وإنساني حتى آخر جملة من فيض عقله وروحه، منفتح على الثقافة الإسلامية، حافظا للشعر، ويبدو مستمتعا وهو يعيد علينا مقاطع شعرية أو أبياتا قديمة، يقدم فيها رؤيا عصرية حداثية.

كم هو هادئ وخفيض الصوت، كيف له أن يشبهكِ في ملامحك تلك؟ أحببته وأحببت فيه تقديره للأدب والأدباء والانتماء للنص الجيد وحرصه على التواصل مع المثقفين؛ إعلاء لقيمة الحوار الخلاق بينهم، ويطلب مني دائما أن يتعرف على الأصوات الجديدة لينشر لها في مجلته

"كِتابنا كُتّابنا". هذه المجلة الكتاب التي تضم في كل عدد من أعدادها مادة زاخرة مفتوحة الآفاق على متنوع السّرد والشِّعر والفن عربيا وعالميا. في آخر اتصال هاتفي، بدا مسرورا وقد اكتملت مواد العدد القادم. إنه هاجس كثير من رؤساء التحرير الذين يظلون في توتر دائم حتى توفر المواد الصالحة للنشر وإنجاز العدد ومراجعته والاطمئنان على سلامة مادته، لغة، وتنسيقا، وإخراجا جيدا. كم كنت فرحا إذ ضم واحد من أعدادها أحد نصوصك الجميلة، فكنا كأننا على مائدة ثقافية واحدة.

صديقي إبراهيم مالك له آراؤه التي تقترب من آرائي حول الأدب والأدباء والمثقفين، ونتخذ المواقف ذاتها حيال كثير من القضايا التي نناقشها معاً. فعندما كتبت مقال "الشعراءالمدجنون" من سلسلة مقالات "ظواهر سلبية في مسيرة الشّعراء"[1] يهاتفني مسرورا على ما في هذا المقال من جرأة؛ إذ لا تأخذني هيبة الشاعر العظيم لأكتب فيه ما رأيت أنه يقدح في مسيرته كشاعر. وليس هذا وحسب، بل إن له وجهة نظر متطابقة مع وجهة نظري في توزيع الجوائز ومنحها لفلان أو فلانة. إنه مرض آخر يستشعره أبو مالك، ويرى فيه رأيه، لكنه لا يهتم، مثلي تماماً، بمن يفوز بهذه الجائزة أو تلك، وإن كنا نتابع الساحة الثّقافيّة لمعرفة ما يدور حولنا في هذه الساحة التي تعج بالأمراض. فليست الجوائز هي التي تصنع المبدعين أو تخلق الإبداع. تداولنا كثيرا تلك الأسماء المعلن عنها هنا وهناك، ضحكنا بسخرية، وباركنا لهم بحسرة واضحة لما آلت إليه أوضاع الثقافة على أيدي الأدعياء المشوهين.

صديقي الجميل سيظلّ الأنقى والأجمل، ومن القلائل الذين عرفتهم ممن يستحقون صفة الأديب الإنسان. كم تمنيت أن أكون مثله، فعلى الرغم من وضعه الصحي، إذ نتشابه في هذا الأمر أيضا، وعلو سنه، إلا أنه ذو طاقة إيجابية تملأ النفس أملا وقوة لا تجعل الحياة مادة صراع كوني، ولكن مجالا للعيش والتأمل والحب والعطاء، ومعينا ثريا للكتابة والتقاط الأفكار وتحويلها إلى أدب خالد يدل على قيمة الإنسان والحرّيّة وجمالية أن تكون متمتعا بالحيوية قاهرا ظروف الحياة مهما كانت قاسية. فهو الحكيم الذي لا يضعف! والشاب الذي لا ينحني.

إنه يشبهكِ أيضا في هذه القوة الإيجابية التي تمتلكينها، فبعد كل لقاء أو رسالة أو محادثة، لا شيء كان يُسرّي عن نفسي التعب سوى صوتك، ورقة روحك، ووجهك الملائكي الساحر البهي، وعطرك المتغلغل في أنحاء أنحائي. هكذا هم الأنقياء دوما تعاليل مبهجة وسر من أسرار الحياة الراضية.

دمت للقلب بهجته، على أمل أن نلتقي ولو على متن الرسائل، وتحية وفاء لهذا الصديق المناضل.

الأربعاء: 18-7-2018

صباحك الأجمل دائما.

[1] نشر في كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، روافد للطباعة والنشر، القاهرة، 2020.

لك أن تتخيلي ما أحدثته رسالتك فيّ هذا الصباح، بعد أن عشت ليلة قاسية من القلق المقض للمضجع فعلا. أوهام كثيرة ركبتني، وآلام، لا أعرف كيف نمت، وهل أنا نمت فعلا أم لا. يصر الآخرون دوما على أن يحملوني همهم، وكأنني ناقص ومحتاج لهموم جديدة. اجتمعت عليّ مسؤوليات كبيرة، لو قلت لك إن الجبال تنوء بحملها فأنا صادق ولا أبالغ. أخي الأصغر مني يعاني من مرض نادر جدا، لا أعرف اسمه ولا هو يعرف، حدثني أنه يقضي أغلب الوقت في المشافي، ولك أن تتصوري رجلا عاطلا عن العمل، مريض، ذا مسؤوليات كيف هي حالته ووضعه النفسي، حدثني وهو في أقصى حالات يأسه، ويفكر بالانتحار والخلاص من هذه الحياة لولا أن قتل النفس حرام، كرهت نفسي أمس كرها شديدا، إذ كيف يعيش أخي حياة بائسة جدا، وأنا عنه لاه وغارق في أوهام الحب والكتابة، والعوالم الافتراضية.

كنت قد قررت الليلة الفائتة ألا أعود للكتابة، أو للتواصل مع أي أحد، وعطلت كل قنوات الاتصال، فأعدت إغلاق الفيسبوك وهجر تويتر، والتخلص من الواتس أب، واقتنعت أنني إنسان سيئ جدا ولذلك فليسعني بيتي ولأبك على خطيئتي، بل خطاياي التي ليس لها حد.

هزني بعنف كبير من داخلي ما علمته من تطور العلاقة بين صديقي الشاعر وحبيبته المتزوجة، التي عرفت أنها تمارس الجنس معه، وتأتي إليه بين فترة وأخرى، وتقضي بين أحضانه أياما، تاركة بيتها وعملها وأولادها. وزوجها الذي أنقذها من ضياع محقق وقت أن قررت الهروب من إجبار أهلها على تزويجها من شخص لا تحبه. إن هذا الأمر سيئ جدا، سوءا لا يتصور، كلما تصورت أن هناك إنسانا سيتألم لو عرف الحقيقة. هل تصدقين أنني أوشكت على البكاء، وشعرت بالتفاهة إلى أقصى حد. هل يعقل أن يقابل إنسان إنسانا آخر أحسن إليه إحسانا ليس له ثمن بهذا الرد وبهذه الخيانة. شخص أنقذك من الضياع، وتخونه مع شخص عديم المشاعر أناني لا يفكر إلا بشهوة نفسه. كم هو تافه هذا الحدث.

أعرف أنني أفكر فيك بجنون، ولكنني لن أقدم على أن أكون سببا في شعور شخص آخر بالألم والخديعة، أو تلطيخ تاريخ عريق مجيد بسوء أفكاري، لقد حضرتُ إلى رام الله مرات متعددة، آخرها كان حضور مؤتمر الأسرى، الاثنين الماضي (16-7)، ومعي من الوقت فسحة طويلة، ولكنني قررت ألا أراك. لماذا هذا القرار؟ إنه خوفي عليك مني، وخوفك مني وخوفي من نفسي حتى وأنا أتخيلك في وضع جنوني ما. أحاول أن أقتل المحب المهووس في داخلي، وأسعى إلى إعدام ذلك العاشق المجنون، وحتى ذلك الشاعر الموهوم. الأمر ليس سهلا بالمطلق، ولكن إرادتي جبارة، وسأحاول ما وسعني ذلك، حرصا على كل تلك المعاني الجميلة. أخجل من نفسي، ومن كل تصور سيئ مر في فكري.

إن ما تحدثت عنه أنه استقرار، هو في الحقيقة محاولة استعطف دمائي أن تهدأ وعقلي أن يكفّ عن التفكير وقلبي عن التوقف بالشعور بدفء النسيم القادم من تلقائك. أي قسوة أعيش وأي صراع أحيا، وأي مرجل أتقلب فيه؟ لقد كنت وما زلت أجمل وأنقى حدث في حياتي، ولكنني في

صراع لا تكفّ أمواجه عن أن تضرب هدوئي. لا شيء يخفف من غلواء عواصفك في شراييني غير الكتابة والهرب.

الغالية عليّ كروجي:

سرني جدا أنك ستعودين للكتابة، واعلمي أن الكتابة شفاء من الوهم بالوهم، ولكنها نافعة في حالات كثيرة، في أن تحافظ على مسافة آمنة ما بين أحلامنا التي تقتلنا، وواقعنا الذي يكبلنا، لا تسقطي القلم من بين أصابعك اللطيفة، فبين إصبعين من أصابعك تولد كائنات الجمال الراقصة، فلا تئديها، وامنحيها العطف والرعاية والولاية. إنها شواهد أروحنا بعد عمر طويل.

كل شيء يعصف بي، ولم تمر عني حالة مذ عرفتك كهذه الحالة التي أعيشها في هذه الأيام. طلبي الوحيد دائما وأبدا، أن تكتبي إلي ولو جملة، بين الحين والحين.

حفظك الله من كل سوء، وجنبك الأشرار، شياطين الإنس قبل شياطين الجن. ما زلت أدعو لك في صلاتي وعند نومي أن يرعاك الله ويحرسك. ولتدعُ لي لعل الله يفرّج عني الكرب والهم، وآلاما تجمعت تكاد تقتلني.

دمت وسلمت.

الأربعاء: 2018/7/18

صباح الجمال:

هذا التحول في مفرداتك من رسالة إلى أخرى يربكني، بل يوقعني في مأزق التذبذب بين حالاتك الشعورية، وكأنه كُتب عليّ أن أحتمل مزاجك الشعري والأدبي المتقلب بين العاشق الجميل والمحب المهووس. لكن لا ضير بل أشعر بالسعادة الآن وأنا أتابع استقرار مزاجك، وتجدني أتحمس للرد ببضع كلمات حتى في هذا الهزيع الأخير من الليل، إذ وجدت نفسي منقادة للكتابة التي هجرتها طويلا.

أشعر بالخواء في كل شيء حتى في مشاعري، وأشتاقني عاشقة وشاعرة. فهل تراني أعود؟ أظنني أدركت فظاعة ما أنا فيه، وهذه أول الطريق للإياب.

دمت ودام حرفك نابضا بالحياة.

ف. ع

الأحد: 22-7-2018

أيتها الرفيقة الرقيقة، أسعدت أوقاتا، أما بعد:

هل تتوقعين كم أتفقد البريد الإلكتروني يوميا، لعل رسالة منك ضلت الطريق إليّ؟ يهمني جدا أن تكوني قد قرأت رسالتيّ الأخيرتين. أصحو وفي النفس أشواق لتتحدث إليك بأحاديثها، أحتاج إليك لتستمعي إليّ، وتنظري إلى داخلي، ثمة ضباب كثيف يجثم في صدري، لا أدري سبب ذلك. العمل يكاد يخنقني، لا رغبة لديّ في الدوام، ولكن متاعب الحياة وأهوالها تجبرنا على أن نموت ونحن نجبر أنفسنا على الضحك، نتحمل غباء الآخرين، وفلسفتهم المدعاة. كم كرهت أن أخرج، فأرى، فأتعب، فأنام، ولا أرى إلا سديم الجنون يحيط بي.

في يومي العطلة السابقين كان الوقت مملا نوعا ما، قضيته كالعادة في البيت بين الكتب، قرأت عملين من أعمال الفيلسوف الفرنسي جورج باطاي، مجموعة قصصية، ومجموعة من القصائد. تثير هاتان المجموعتان الكثير من التساؤلات، لم أستطع إلا أن أربط بين هذين العملين وكتاب باطاي المهم عن "الأيروسية". تشابه كبير بين المجموعة القصصية "حكاية العين" وبين هذا الكتاب. ذكّرتني أعمال باطاي بكتابات الماركيز دوساد صاحب النزعة المازوخية في ممارسة الجنس. يبدو باطاي بشكل كبير جدا متأثر بدوساد، ولعله وضع كتابه لتفسير روايات دوساد العنيفة، ويخصص له دراستين في الكتاب، ويظهر أنه منحاز إليه بشكل كبير، فالعنف الموجود في المجموعة القصصية مرعب، أجواء قاتمة، دم، وعنف، وموت، شيء كما قال عنه باطاي نفسه في كتاب الأيروسية "مثير للقرف".

أثارت فيّ هذه الكتب قضايا كثيرة، شرعية الفعل الإنساني، وكيفيته، وأوضاعه، وكيفية التعبير عنه، أتذكّر نصوصا كثيرة تحدثت عن هذا الفعل من لدن الشاعرة الإغريقية "سافو"، وكنت قد حدثتك عنها في واحد من اللقاءات، كانت امرأة "سحاقية"، شاذة. عند باطاي أيضا تبدو "سيمون" امرأة شاذة، تتجرأ على الفتاة "مارسيل" وتداعبها وتقبلها، وتصل إلى النشوة معها.

في الليلة الماضية لم أستطع النوم إلا متأخرا جدا، لما بعد الثانية صباحا، كنت ممسوسا بعالم جورج باطاي، أستعيد كل ما كتبه الأدباء والشعراء العرب، استحضرت نصوصا أيروسية من المعلقات، ما قاله امرؤ القيس، وما قاله عمرو بن كلثوم، وما ورد في كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من شعر فيه ذكر للعملية الجنسية بلفظها الشائع شعبيا أو ربما هو لفظ سوقي تافه عديم الحياء، استعمال غير مثقف. ومر في ذهني أيضا غلمانيات أبي نواس الباذخة الجمال في التغزل بالمذكر، وتذكرت قصته مع أستاذه ومعلمه الشعر والبة بن الحباب. قفزت في ذهني صورة مشابهة لعلاقة المثقفين المشبوهة. تاريخ حافل بالقذارة لا شك في ذلك. وغير بعيد عن ذلك الشذوذ ما حاول أن يبينه واسيني الأعرج في روايته الأخيرة عن مي زيادة. ثمة شذوذ جنسي أيضا في حياة مي زيادة، ربما هو السبب في عزوفها عن الزواج أو الامتناع عن إقامة علاقات جنسية مع واحد على الأقل ممن أحبوها من المثقفين في عصرها، هؤلاء المثقفون المنافقون جدا، ككل زمان وجدوا فيه يا عزيزتي. ثمة روايات أيضا تتحدث عن الشذوذ "عمارة يعقوبيان"، وبين الفتيات رواية "وجوه رام الله الغريبة"، والكثير من الروايات في الفترة الأخيرة تحدثت عن ذلك.

كم يبدو هذا العالم مهووسا! كنت أظن أننا وحدنا ما نفكر بالمرأة على نحو تافه، كما كتبت إحدى المغردات تحتقر الرجال العرب أنهم أتفه من أن يفكروا بالمرأة بأبعد مما بين فخذيها! بالتأكيد هي نصف مثقفة، ليس العربي وحده من يفكر بما بين فخذي المرأة، إن من يقرأ باطاي والماركيز دوساد، وأظنك قد قرأت له روايته المرعبة "جوستين"، ومن يقرأ بوكوفسكي وروايته السيرية "نساء"، ورواية "الجنس والمدينة"، وروايات بابلو كويلو، و"لا تخبري ماما" لتوني مغواير، أو قصة حياة مارلين مونرو. سيجد أنّ الرجال كلهم يفكرون بالطريقة ذاتها.

إن من يتابع أخبار التحرش في أوساط الفنانين والسياسيين والمثقفين يدرك تماما أن الرجل هو الرجل وهي طباعه المفطور عليها، في امتقاعه بماء شهوته، ليظل عبدا لعضو قبيح، كما وصفه جورج باطاي، ووصفه قبله علي بن أبي طالب عندما قال: "تطلب المرأة لأقبح ما فيها". إن الجمال السامي يلطخه كشف هذه الأعضاء والنظر إليها، وهذه الفكرة مقتبسة من جورج باطاي أيضا عندما بحث فكرة الجمال في الفصل الثالث عشر من الكتاب.

كان جورج باطاي ملحدا على كل حال، ولكنه قال جانبا مهما من الحقيقة، ولعلك لو نظرت في القرآن الكريم لوجدت قول الله تعالى: "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان، كما أخرج أبويكم من الجنة، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما"، هنا موضع الشاهد "سوآتهما". يلتقي باطاي مع القرآن الكريم في الوصف، إنه التفكير السليم الذي يقود صاحبه إلى الفكرة السليمة.

لقد ثرثرت كثيرا، كنت مزعجا بلا شك، ولكن لا بد لي من أحدثك فيما أثقل عليّ، وشوّش أفكاري، أفكار جورج باطاي ليست سهلة وليست سطحية، ولذلك كنت حذرا جدا وأنا أقرأ وأفكر: ما الذي يختفي وراء هذا المجون العاهر؟

آمل ألا يطول صمتك، وأن ترسلي لي بعض ملحوظاتك بخصوص "جوستين"، فأنا لم أقرأها إلى الآن.

دمت العينين اللتين أرى بهما، والقلب الذي يلهمني المتعة والكتابة وحب الحياة.

وإلى اللقاء.

الاثنين: 23-7-2018

أسعدت صباحا أيتها الكاملة كرؤيا، والبعيدة كحلم، والغامضة كإله محاط بالأسرار، أما بعد:

كل شيء غامض، غير مدرك الذات، هو إله. فكري معي بهذا الأمر جيدا. كيف لك أن تكوني إلها؟ وهل بوسع بشر أن يكون كذلك؟ أليس كتّاب الروايات هم آلهة ورقية، يشبهون الآلهة إلا قليلا، شبها بعيدا، ساردوهم الذين يتخفون وراءهم هم الآلهة، وليسوا هم فقط. يطلق النقد على هذا النوع من السارد، السارد كليّ المعرفة، السارد العليم، إنه إله. يستطيع أن يرى ويسمع ويتخيل ما

بداخل الشخصية، أينما ذهبت شخصياته فهي تحت سيطرته، لا تغيب عنه، ويعرف بماذا تفكر، يقلّب أقدارها وقلوبها على هواه، مستمتعا بعذابها، وراضيا بشقائها. تقرأها معراة في الصفحات، وكأنه يتلذذ وهو يكشف عنها ستائرها. فالسارد إله مهووس بالفضائح.

الروائيون يصنعون أحداثا، ويرتبون أقدارا، ويخلقون شخصيات، يمنحونها الحياة الكاملة بأقدار كاملة، يحيون من شاءوا، ويميتون من شاءوا حسب ذلك القدر المتخيل. هم آلهة بصورة ما، يسيطرون على اللعبة كلها، لا ينقادون لشيء، بل يقودون العالم كله وراءهم، القراء عباد طائعون لقدر الروائيين، يقرؤون وينفعلون، يشتمون، ويصرخون، يحبون ويكرهون، والنقاد كذلك عبيد مقيدون بأقدار الروائيين. الناشرون كذلك خدم في معابد آلهة الرواية، يصنعون كل ما يستطيعون من أجل أن ترضى عنهم آلهة الرواية. الرواية أيضا إله، لها سيطرة وقوة، غامضة في أسرارها، تسيطر على العقل والنفس، وتستعمر العقل، والكل يسجد في محاريبها طائعا، وإن كره، مقودا إليها، وإن أحب. قضت قضاء مبرما على آلهة الشعر.

ليس الروائيون وحدهم هم آلهة في هذا العالم الذي أصبح يسبح دون أن يستند إلى إله حقيقي، الكل يركض وراء آلهة مزيفة ورقية، ووهمية، المرأة المعشوقة هي إله أيضا. تصوري معي ما كتبه الشعراء في محبوباتهم، إنهم يعبدونهن، ومستعدون لأن يسجدوا بين أيديهن. يتلون الصلوات من أجل إرضائهن، يستغفرون الحب إن سهوا عنهن، ويقدمون القرابين إن أخطأوا في حبهن. كم صريـعٍ في معابد الجمال والحب يا جميلتي.

الثوار كذلك آلهة، الملثمون الذين كانوا يجوسون الليل، ويحرسون الوجود من العبث، يعرفون كيف يصطادون الوحوش ويجعلونها راكعة ذلا وصغارا، كم هي رائعة صور الثوار في عيوننا، وكم هي مرعبة في خيالات الأعداء. بالتأكيد إنهم يلاحقونهم فيكشفون عنهم، ويعرونهم وينتصرون عليهم، ويرجعونهم بشرا، يستعبدونهم، يقتلونهم، يعذبونهم، يعتقلونهم. إنها محاولة السيطرة على إله محتجب مخيف يرعبهم، والآن لك أن تتصوري فرحة هؤلاء كلما اصطادوا ثائرا إلها. كانوا يقيمون الأفراح ويوزعون الحلوى، كأنهم يقدمون القرابين لآلهتهم هم وقد انتصروا. لم يعد الصراع بشريا أيتها الفنتازيا، إنه صراع آلهة.

الأشخاص الوهميون ذوو الحسابات الوهمية هناك في مملكة العم "مارك" هم أيضا آلهة، يراقبون الجميع، ويرونهم، يطلّون من علٍ على أشيائهم، يكشفون عن ضعفهم، يتسللون إلى مخادعهم، يخدعونهم، يضللونهم، يستعبدونهم، ويحرقون أعصابهم. يحرسون سقوطهم، ويرفعون تفاهاتهم، ويهوّنون عليهم مجدهم، لا يسمحون لهم بالتعالي والتصابي، يقودونهم نحو الجنون.

المتحكمون في البشر في عالم السياسة هم آلهة أيضا، وإن كانوا أشرارا، يتحكمون في المصائر من وراء الكواليس، يرسمون لهم حياتهم، لا أحد يفلت من قبضتهم، يعاقبون، ويقتلون، وإن شاءوا يمنحون أتباعهم وعبيدهم الأعطيات والهبات، يرضون عنهم فيعيشون، ويسخطون عليهم، فيذهبون إلى العالم السفلي ملعونين ومرجومين. لا أحد له عليهم سيطرة أو سلطة.

رجال المخابرات والمخبرون جميعا آلهة صغيرة تافهة لآلهة أكبر حجما وإن كانت أشد جبروتا إلا أنهم أشد تفاهة، والديكتاتور المتسيّد على عرش الجنون إله وثنيّ يحمل سوطا يجلد من شاء، ويغدق على من شاء، يحرم ويعطي حسبما يرضى ويهوى، وبإمكانه أن يختار عبيده كما يحلو له!

كثيرا ما كانت تستفزني صورة "الكبير" الذي تصوره بعض الأعمال الدرامية في قصص المافيا، يصورونه من بعيد، لا ملامح له، له ظل أو صوت، لا يظهر ولا يستطيع أحد الوصول إليه، حتى إذا قضي عليه، صار واضحا كسوءة امرأة عاهرة.

كنتِ ذات مرة إلهة، مرة وأنت مختفية محتجبة بحساب وهمي، لا أحد يعرفك، يتصورون صورتك، ويرسمونها كإلهة عليا، كنت قوية، قوة غامضة، في عرش عَلِيّ، وعندما كشفت الحجاب نزلت عن العرش، صرت بشرا سويا، لم تعودي إلها، ها أنت أمام الجميع واضحة، واضحة، من شاء أن يصل إليك وصل، ومن شاء أن ينساك نسي، صار هو المتحكم في حضورك وغيابك. لم تعودي حاكمة على الأقدار، ولا على الآمال والتصورات، أوقفتِ الخيال عن الرسم، والشعر عن استحضار الجمال الإلهي الغامض الغريب. جردتِ الحياة من طعمها اللاذع المشبوب بالألم. فقدتِ صولجان الألوهة السحري في لحظة فتنة في التجلي.

وكنتِ إلهةً مرة أخرى، عندما كنت معشوقة، تغيبين، ولا يجرؤ أحد أن يسأل أين كنت، لا يحق لبشرٍ عبدٍ أن يسأل إلهاً أين كنت. الآلهة وحدها من تسأل، والبشر منقادون وصاغرون، إنك كنت هكذا، إلهة معشوقة، متصورة. تستدرجينهم إلى حتفهم، وهم ضاحكون ومتلهفون. لماذا نزلت عن هذا العرش، أيتها الغامضة كإلهٍ جميل؟

أيتها الساكنة في البعيد، المحتجبة في مجاهيل الصمت، كوني إلها، ولكنْ إلهَ رحمةٍ لا إله عذاب.

إليك القلب حتى ترضي، ولك الحب حتى تصيري بشرا جميلا، وإن كنت في القلب نورا لإله عظيم.

صباحك واضح كأدلة على الخير والحب

المتقلب في محراب الحب.

الثلاثاء: 24-7-2018

أسعدت روحا، وقلبا، وكيانا عظيما:

كان يوما شاقا بائسا، شعرت كأن الدنيا كلها ستنهار دفعة واحدة، لولا رنة صوتك المسروق من بين اللحظة أعاد إليّ بعضا من توازني. الكتابة إليك أو الحديث معك يمنحاني طاقة عجيبة، ولك أن تتخيلي ذلك، أكون في قمة اليأس والتلاشي، تأخذ الغيوم بالانحسار تدريجيا وتشرق شمسك واضحة دافئة، دفء أعضائك التي أحس نشوتها، وهي تحرس روحي من العبث.

ثمة ما يربكني، قربك يرمم خراب روحي، أسعدتني أخبارك بالتأكيد، وأربكني انشغالك عن الكتابة، عليك أن تجدي الوقت، ف"الكاتب الذي ينتظر تحقق الظروف المثالية ليكتب، سوف يموت قبل أن يضع كلمة واحدة على ورقة"، كما يقول Elwyn Brooks White. الحياة ليست سهلة، والكتابة في ظل هذه الظروف ستبدو أكثر صعوبة، ولكن لا بد من النضال من أجل الاستمرار في صنع الجمال.

ها أنا أحاول أن أكتب، على الرغم من شعوري أحيانا كثيرة بالفشل الكبير. حدثتك في رسالة سابقة كيف يأخذ اسمي بالتقلص والاختفاء عن صحف كثيرة، هزيمتي في انتخابات اتحاد الكتاب كانت ذات أثر سيئ، الإشاعات التي يطلقها الآخرون، وتعليقات المتطفلين المزعجة. كاتب فلسطيني صديق يرى أن سبب هزيمتي في الانتخابات هو مقالة "ظاهرة الشعراء الصراصير"[1]، ضحكت من هذه السطحية في قراءة المقال، كثير من الشعراء امتعضوا من هذا الوصف، لكنني بالتأكيد أرى أن ظاهرة الصرصرة آخذة في الانتشار والتمدد في مساحات كثيرة، ضاع الجيد في كومة من الهشيم. من يشعل النار، فنستريح من هذا العبث اللغوي اللئيم.

صرت أكثر حرصا على أن أستريح من المشاركة في هباء الكلام المكتوب على أذياله أنه شعر. هل تتاح لي الفرصة بمشاركة كبيرة، لعل نفسي ترضى قليلا عن حالها، هل ستتحقق أمنيتي بالسفر معك ولو مرة واحدة في العمر، ليس من أجل المشاركة بحد ذاتها، ولكن لأراك كما ينبغي أن أراك، كدت أنسى ملامحك لولا أنني أدمن النظر إلى صورك يوميا، أكاد أنسى لون عينيك وحركة شعرك المتطاير مع الريح، أكاد أتوه عن عبق رائحة جسمك التي كانت تمنحني الهدوء، أكاد أنسى ضحكتك اللطيفة، أكاد أنسى الجنون. معك حق عندما سألتك: "متى سأراك" أن تستغربي، فأنا شخص عديم الوفاء، سيئ الطباع، لئيم، لكنني ما زلت مشتاقا لرؤيتك وأحب التفيؤ بين يديك، أحب مشاكستك، أحب غوايتك، أحب بريق عينيك عندما تتفرسان في عينيّ بحثا عن الصدق إذا ما تحدثت بحديث لا يدخل عقلك. تعلقين بفكاهة محببة "يا راجل". أحب تمردك، دمعتك، شوقك، جنونك، أحب كل شيء فيك حتى وأنت تتعمدين إثارتي.

رفيقة الروح:

آمال كثيرة ماتت، وأخرى على وشك أن تموت، الليل يتكثف أكثر وتسودّ لحظاته، البرد يعجن الأعصاب، ويصلب الشرايين، الروح تتساقط غصنا ميتا في تلو غصن. أمس فكرت كثيرا بالموت، على إثر رسالتك القصيرة، كيف سأكون إلها، وأنا شخص يشعر بالتلاشي، لا معنى لأي شيء دون وجودك. عندما سألتني عن مشروع "الرسائل" إلى أين سيمضي، وكيف سيكون مآله؟ لست أعرف سوى أنني أكتب في أحيان كثيرة لأتخلص من الكآبة، وأحيانا لأنني أحتاج أن تستمعي لثرثرتي الغبية، وأحيانا لأخبرك بطريقة ما عن أخباري، وأحيانا أحب أن أشاركك فكرة تعلمتها أو كتابا قرأته. أريد أن

[1] نشرت في كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية".

تظلي مطلة على عالمي، وإن كان ضيقا، لعله يتسع بسطر في رسالة قادمة منك عبر البريد. كم يكون الأمر قاسيا عندما لا يحمل البريد رسائلك.

أبدو مشتتا كثيرا، أكتب هكذا بعشوائية، ألم في داخلي يتلوى، لا يريد أن يغادرني. أحيانا أقتنع أنني أرتكب خطأ وجوديا في الاقتراب منك، وأحيانا أقتنع أنني أرتكب جريمة نكراء بالبعد عنك، فاخترت الرسالة واخترعتها لتقف على ما تسمينه "البين بين". كم تتعبني مسافة البين بين، يا ليتني كنت حجرا يا سيدة القلب، ليتني كنت نسيا منسيا، ليتني لم أحبك، ليتني لم أعرفك، على الرغم من أنني كبرت بين يديك، وتبرعمت أغصاني برعاية روحك. أمواج تلطم روحي فتبعثرني.

يا لله، أشعر أنني مراهق، وأكتب كالمراهقين، هل يكبر عاشق ويشيخ؟ أتنفس بصعوبة بالغة، الهواء لا يتحرك في الفضاء، القلب لا يدق، أشعر أنه لا دم فيه، لا حياة، لا حركة، لقد استقال القلب من جميع مهامه إلا من مهمته البيولوجية. وأشك في أنه يعمل بإخلاص في هذه المهمات، أحس فيه كسولا يتمطى كمخبول، أعمى يقودني فقط على غير هدى، إلى الهاوية. لا تسألي عن مآل الرسائل. واسأليني عن مآلي: إلى أين أنا ذاهب، أو إلى أين تأخذينني؟ هذا هو السؤال الأوجب، يا سيدتي.

يبدو أن يومك كان ذا فسحة، فإن بقيت هذه الفسحة متاحة، أرجوك أن تكتبي لي، فلا شك في أن كلماتك ستدخل مجرى دمي فورا، فتضخ فيها الدفء، وأشعر بارتياح وانتباه، وأبعد عن خاطري شبح النوم أو الموت أو اليأس.

أيتها الغالية:

ما زال في الحياة متسع لنعيش إن كنت معي، أعرف أنني لا أريد الانزلاق إلى لغة الاستعطاف، ولكن أرجوك، ظلليني بيديك، ولتحضن روحك روحي، فالقلب واهن واهن، والروح متشظية.

لا تسأليني لماذا كل هذا الارتباك، فأنا لست أفهم شيئا من أمر نفسي.

أحبك حتى آخر الأبد.

الأربعاء: 25-7-2018

أسعدت أوقاتا على كل حال، أما بعد

كيف تمر الأيام سريعة، في هذا اليوم يكون قد مر عشرة أيام على غياب صديقي، لم نتحدث معا، منذ كنا في رام الله لحضور مؤتمر الأسرى، لا أدري هل هو غارق في عمل ما، أو أنه غاضب مني، الغريب أنني أنا أيضا لم أهاتفه لأعرف ما به، لم أعتد على الاتصال به، في العادة هو من يتصلُ بي، أنا منهمك طوال الوقت في أمور خاصة، ربما كانت تافهة غير منطقية، أقرأ كثيراً، وأكتب خربشات

ليس لها طائل، ملحوظات على الكتب التي أقرأها. تعلقت في الفترة الأخيرة بمتابعة مسلسل "العقاب والعفراء"، أعادني إلى ذلك الزمن الذي كنت أعرف فيه أسماء الفنانين وخاصة الأردنيين، أنعش المسلسل ذاكرتي كثيرا، مع أن أفكاراً من عولمة الفن متسللة إليه.

صديقي الذي غاب هذه الفترة ربما هو منشغل بالفيسبوك، فمنذ أن قرر الدّخول إلى هذا الفضاء الضيق، وهو مغموس فيه، يتابع ويقرأ الشِّعر، يسخر كثيرا من بعض النصوص، ينشر أحيانا قليلة، يعجب بالمنشورات، يكتب التعليقات المحيرة أحيانا، فلا تدري أهو يمزح أو يمدح أو يقدح. يدخل في حوارات طويلة مع الآخرين، لكنه كما قال لي لا يدخل في دردشات مع أي أحد وخاصة الصديقات. صديقي خجول جدا ومهذب، له محادثات فقط مع صديق لعله شاعر فلسطيني مقيم في سوريا، يبدو أن هذا الشاعر من أتباع النظام، مع أن صديقي ديمقراطي يكره كل الأنظمة!

صديقي وهو ينساني أياما وأنا أنساه، لكن هل يمكن أن أنساه على هذا النحو الفظّ. لو كنت ناسيه لم أكتب لك عنه في هذا الصباح. أغلب الأحيان لن يرى ما سأكتبه حتى ولو نشر إلا إذا حدثه به أحد ما، ربما زوجته أخبرته، تقرأ لي دوما. تعليقاتها التي ينقلها لي صائبة وعميقة. قرأت كتبي كلها، وبعضها كانت ما زالت مخطوطة. صديقي أحيانا أشعر بأنه فخور بي.

صديقي الذي غاب هو أيضا يأخذ مني في عمقه موقفا سلبيا. لا أعرف لماذا، يشبهك أيضا في أنك لا تتحدثين معي إلا نادرا. لقد مر على القطيعة بيننا أيام طويلة أكثر من أيام صديقي العشرة، حتى ونحن نتحدث في الهاتف أشعر بأن الوقت قد باعد المسافة بيننا. كنت أشعر بالخجل اليوم وأنا أحدثك عن أوضاعي، شعرت أنك حيادية جدا، بل أوشكت على الدخول في التحقيق، لا يهم، ربما وصلك السبب الحقيقي في أنني لا أستطيع رؤيتك، حتى لو تعريت أمامك لا يسترني من واقعي البائس أي ساتر.

صديقي يشبهك أيضا في موقفه من كتاباتي "المجرّمة" التي تثير حفيظتك وحفيظته أحيانا. أعرف أنني المسؤول وحدي عما أكتب. أظنّ أنني أصبحت راشدا بما فيه الكفاية لأتحمل وحدي مسؤولية حياتي الخائبة. لا أحب أحدا أن يكون وصيا على كتاباتي، يوجهني ويقودني على هواه بدعوى التقوى. أنا أتقي ما أتقيه كما يتوافق مع تقواي الناقصة. أحب أن أشعر بالحرية، حتى ولو كانت حرّيّة موهومة. أعرف أنه لا يوجد إنسان حر في هذا العالم حتى حاكم العالم نفسه فهو مقود لشهوة التجبر في داخله. إذن هو عبد لشهوة مجنونة أشد خطرا من شهوة السّرير. لا يوجد إنسان حر إطلاقا، لا نكون أحرارا إلا بالموت، أليست هذه هي فكرتك العميقة بالضبط؟

صدقيني أننا؛ أنت وأنا واقعون تحت تأثير العبودية، كثيرة هي الأمور التي تستعبدنا في هذا العصر، أكثر من أي عصر آخر، بل إن العبودية والاستعباد أشد قسوة من ذي قبل، فنحن رضينا أن تستولي علينا أشد الأمور تفاهة. نؤلف حولها قصصا، ونتخذ تجاهها مواقف، ربما لو استبعدناها لكنا أهدأ وأجمل وأفضل حالاً. لكن على ما يبدو أن شخصياتنا أصبحت أكثر هشاشة إلى درجة أن

يستعبدنا وهم أو صورة أو فكرة أو حتى لا شيء، مجرد أننا مستعبدون هكذا، فقط مستعبدون دون أي سبب.

معك حق فيما كتبته: "يا إلهي، من حقك أنت التعبير والاحتجاج والرفض أما أنا إن حكيت تهتز عروش العالم، يا أخي خليني أتساءل أم أنه ليس من حقي". لا بأس كل واحد منا يريد أن يكون العالم على هواه، يفصّل الناس على مقاساته، وإلا فليذهب الحبّ والصداقة والجمال والأدب والحرّيّة إلى الجحيم، هذا هو لسان حالك وحال صديقي وحالي الغارقة فيما يسميه البعض مستنقع القذارة في كتابة ماجنة تجعلني عاهرا ومشوهاً.

لا أعتذر منك هنا ولا أعتذر لصديقي لعدم الاتصال به، فكلنا لو دققت النظر قليلا أنانيون لا نهتم بغير ما نريد، بأفكارنا، نحب السيطرة شئنا أم أبينا آعترفنا أم لم نعترف، في داخل كل واحد منا جنرال عسكري هتلريّ قاس لا يرحم، فلو كنا على كراسي الحكم العربية لكنا أسوأ من كل الحكام تصرفا، ولقمنا بسحل الجثث في الطرقات لأتفه الأسباب. أليس سببا تافها أن تحتجبي عني وأنت تظنين أنني كنت أعاني ما أعانيه من سوء الأوضاع؟

لا شيء أصعب على الإنسان من أن يكشف نفسه أمام شخص، فلا يلقى يدا حانية تمنحه بعض الدفء. ستقولين، وماذا بوسعي أن أفعل؟ بالتأكيد لا شيء ولكن يكفي أن تصغي إليّ ولا تتحولي إلى محقق، يتابع التفاصيل، كأنه يريد أن يقول: كم كنت كاذبا أيها المجنون. لا بد من أن يأتي يوم وتتحسن الظروف، فقد مررت بأوضاع أسوأ، وتجاوزتها. ولكن أرجو ألا يأتي هذا اليوم وقد خسرت لهفة الحب في عيونك.

أتلهف لرؤيتك، ولكن لا أريد أن تشعري معي بالهوان وعدم الاحترام.

انتظريني، فربما غيبتي لن تطول.

الخميس: 26-7-2018

أسعدت أوقاتا أيتها المبجلة، سأروي لك أسوأ ما جرى لي هذا اليوم، فأعيريني السمع والفؤاد:

لا تتهميني أولا بالسوداوية، فأنا واقعي جدا، ولا أريد أن أكدر خاطرك، ولكنني أشعر بالعزاء وأنا أحدثك، سأحدثك عن الجوع القاتل. القراءة في الصباح لمدة ساعتين تجعلني أشعر بالجوع مضاعفا، أترك القراءة، وأتمشى، أبحث عن فنجان قهوة فلا أجد، رائحة الطعام في الغرفة المجاورة يخترق أحشائي، تجعلني أشعر بجوع رهيب، أحدهم يلاحظ أنني آكل كثيرا، وأنني لا أستفيد من هذا الكم الهائل من الطعام الذي ألتهمه، لم يكن وحده من لاحظ ذلك، كثيرون يؤيدونه، لكنهم لا يعرفون أنني لا أتناول إلا وجبة واحدة يوميا في غالب الأحيان. لذا قررت ألا أشاركهم الفطور إطلاقا.

اليوم لست أملك ثمن الفطور، زوجتي معتادة كل صباح على إعداد وجبة خفيفة قبل الخروج إلى العمل. اليوم أيضا لم يكن لدي رغبة إلا في تناول بعض اللقيمات، لأستطيع احتساء فنجان القهوة الصباحية. كيف لي أن أهرب من الجوع؟ أعود للقراءة، أقطع بصعوبة مجموعة من الصفحات، تشتتني الرغبة في الطعام. كيف لي أن أتخلص من هذا الوحش الذي يفترسني من الداخل، ويمزق أحشائي. أدركت كم أن الجوع كافر، وأدركت مرامي ثورة الجياع، وأدركت كم أنا لا أساوي شيئا، ما دمت غير قادر على إسكات البومة في أمعائي. تذكرت في الحال احتيالات هنري ميلر، في فترة فقره الشديد، قبل أن يغدو كاتبا مشهورا، وكيف كان يحصل على طعامه.

لقد أخبرتك في رسالة أمس عن سوء أوضاعي، وربما شعرت بالندم لأنني أخبرتك، وها أنا أعود للخطأ ذاته. أفكر بالشخص الذي ربما يكون قد استولى على "الشيك" الضائع، وكيف تطاوعه مشاعره الإنسانية أن يحرمني من هذا المبلغ الزهيد الذي أقتطعه من أجل توفير القسط الجامعي لابنتي، أهم بالحقد عليه، وشتمه، أتراجع، فربما كان بحاجة ماسة لهذا المبلغ. أحاول أن أطرد الجوع الذي يتغول في داخلي، أستل سيجارة من جيب سترتي. يا للمفارقة جائع وفقير وأدخن السجائر غالية الثمن، أي عبث أنا فيه. أحمد الله أنني لا أدخن كثيرا. فلا أحتاج في الشهر الواحد سوى لأربع علب فقط. إنني مدخن مثالي. يا للروعة!

الصخب في الغرفة المجاورة يزيد من تشتتي، صوت علبة الكولا يزيد من رغبتي في احتساء القليل منها، لا أجرؤ على مشاركتهم في ذلك. أشعر أن اليوم طويلٌ، وطويل جدا. هناك مشكلة أخرى؛ تصحو رغبتي الشديدة بك، أهمّ أن أرسل لك رسالة أرجوك فيها أن نمضي الليلة سهرة ممتعة، فالجوع إليك أكبر مما يحتمل. ستقولين أي مهووس أنت، وأي مجنون؛ جائع ولا تجد ثمن فطورك، وتفكر بالمتعة، بالفعل إنك لمجنون. ولكن على الرغم من ذلك هل ستتيح لنا الظروف لنمضي الليلة سويا. الحياة كلها أضحت مبنية على الصدف، لا شيء ينفع إن خططنا له، سيكون هناك شيء لنا بالمرصاد. إذن، فلنترك كل شيء كما هو. أمس نمت مبكرا.

شخصان يقتحمان مكتبي هذا النهار، يفسدان علي خلوتي مع الجوع، صافحتهما وأنا مترنح كأنني ثمل، أتحاشى الحديث معهما، وأحاول أن أنام.

يبدو أنني نمت ساعة من الزمن، أحاول أن أسمع؛ لا صوت للجوع، يا إلهي لقد نجحت في السيطرة عليه، أو ربما ما زال نائما لم يصح بعد. أعود للقراءة، أنهي الكتاب، وأكتب مجموعة من الملحوظات والاقتباسات ومسودة هذه الرسالة في جيبي. وقت الدوام شارف على الانتهاء، لم يبق سوى القليل القليل.

ها أنا في البيت الآن، وقد تجاوزت الساعة الثامنة والنصف مساء، في غرفتي الواسعة، أكتب لك بعد تناول طعام الغداء مرتين، وتناول فنجانين من القهوة. لقد مرت التجربة بسلام كبير مع ألم أكبر. جنبك الله الجوع والعطش، وأدام عليك الصحة والأمان.

ربما عندما أكون قادرا على دفع ثمن وجبة إفطار متواضعة نتناولها معا، سنلتقي. لا عليك لا بد من أننا سنلتقي... سأكون بخير إن قرأت هذه الرسالة وبعثت لي ردا ولو جملة واحدة.

أشتاق إليك وإن كان الجوع كافرا.

الثلاثاء: 2018/7/31

كل عام وأنا كما تعرفين، أما بعد

كنت أفكر أمس أن يكون يوم إجازة، لأحتفل فيه بنفسي، كونه قد صادف عيد ميلادي الخامس والأربعين، ولكن ما معنى أن أحتفل وليس معي أحد سواي، لم تتذكري بالطبع أنّ أمس كان عيد ميلادي، على الرغم من أنني ذكرتك به في رسائل سابقة. تخيلي كم تؤثر فيّ هذه التفاصيل الصغيرة، ليس لأنّني طفل أو ساذج، بل لأنّني أشعر بالبراءة وأنا أتحدث مع من أحب، هنا أنا لا أحب الفلسفة، وأنه في داخل كل منا طفل علينا ألّا نقتله، كم أكره هذه الجملة التافهة، وإن تلفظ بها كتاب كبار فهي لم تعجبني لأنها جملة غبية بالفعل.

مؤلم جدا أن يحدث ذلك، ولكنه حدث على كل حال، ولذا وصلت إلى قناعة مُرة وهي أننا صديقان، ولكننا أيضا غير حميمين، علاقتنا صارت تشبه زملاء العمل، جفاء، ورفع عتب، ويطمئن أحدنا على الآخر أنه ما زال على قيد الحياة، وأن أموره تأخذ روتينها المعتاد، وربما صرنا في قرارة أنفسنا نتمنى أن يصحو أحدنا وفي داخله رغبة ألا يجد الطرف الآخر، ولا يرد على رسائله، فيريحه من عناء ما، فلم يعد مهما وجوده. لم نعد صديقين حتى، كما أننا بالمؤكد لم نعد حبيبين بتاتا.

وعلى الرغم من كل ذلك سأواصل الكتابة، ولتسمح لي فخامتك أن أحدثك قليلا عن الفرق بين الحب والصداقة، ذينك المعنيين اللذين خسرناهما معا.

أثارتني هذه الجملة في رواية رجالي للكاتبة الجزائرية مليكة مقدم: "الصداقة هي الحب محروما من الجنس"، هذه هي المرة الثانية أو الثالثة التي أستخدم فيها هذا المقتبس، ولذا أن تدعي امرأة أنها تحبك دون أن تذهبا معا برضا كامل إلى الفراش لممارسة الحب ما هو إلا صداقة قوية، ليس إلا. الحب بين شخصين هو أن يكونا أيروسيين حتى الموت. وأنت لم تعودي روحية حتى، فكيف ستفكرين بمتعة الجسد معي، فالجنس بلا عاطفة كما يقول باولو كويلو: "عنف نمارسه على أنفسنا". كم كنت أتمنى في قرارة نفسي أن يكون احتفالي خاصا، في هذا اليوم، عندما همست لك: هل يناسب أن نلتقي يوم الاثنين، تذرعت بما لا يقنع أكثر الأطفال سذاجة، فكثيرة هي أيام الاثنين التي التقينا بها، كنت أرغب أن يكون يوما خاصا بحضرتك، فليس أجمل من أن تحتفل بعيد ميلادك في حضرة امرأة ادعت يوما ما أنها تحبك. لا عليك، هل ستتذكرين الآن أنه كان أمس عيد ميلادي، لا بأس، لقد فات الأوان، ولم يعد له طعم أو مذاق، إنه أشبه بثمرة تركت في العراء فتعفنت.

لعلك تلاحظين أنني قد امتنعت منذ فترة عن أن أكتب قصائد غزلية، وامتنعت عن عادتي الساذجة في أن أرسل لك قصيدة كل صباح، فالحب ليس أن تبعث قصيدة لامرأة جميلة تصف فيها ما خلقه الله وترى أن فيها شهوة الحياة، دون أن تتذوق طعمها بكل ما أوتيت من لذعة المذاق. عندئذ لن تكون إلا شاعرا مهذبا يتغنى بهذا الجمال كما يتغنى شاعر آخر بجمال وردة أو سروة أو نجمة في السماء. وإذن ستكون صديقا وفيا ومخلصا لتقف عند العتبة ولا تتخطاها، واضعا بينك وبين تلك المرأة ستارا كثيفا من زجاج، ترى الماء، وظل الماء وتبقى عطشاً. لم نعد صديقين وفيين أيضا، لقد خانت النفس شقيقتها كثيرا، خيانات قاسية يومية.

كيف تذكرتني أمس، وبعثت لي رسالتك أول النهار؟ ماذا كنت تقصدين؟ ربما هو العبث، ليس أكثر، أعجبتك رسالة ما ربما كانت من عابث ما، فتصدقت علي بها، فـ "شكرا جزيلا"، عليك أن تدركي أن الحب ليس أن تسأل الشخص عن أحواله، وتطمئن على صحته، وهل ما زال على قيد الحياة. إنه بالفعل إن أجاب على رسالتك سيكون حيا، ولكنك ماذا فعلت له ليكون مستمتعا بهذه الحياة، وهل منحت أعضاءه وشهوة روحه حيويتها، وتفقدتها عضوا عضوا واطمأننت على سلامة فعاليتها. إن جعلتها راكدة دون حراك، فاعلم أنك صديق جيد فقط. الرسالة المحولة منك إليّ، وربما أيضا لغيري كذلك، فما هي إلا كبسة زر، والكل يغدو مستمتعا بتلك الرسالة الظريفة.

الحب ليس أن تزور شخصا أو تحادثه، وتستمتع بأحاديثه، هذا إن كانت تلك الأحاديث تمتعك، فالمهرجون يفعلون هذا أيضا، والأصدقاء كذلك يفعلون، وربما فعلها الأعداء أحيانا، ولكنك هل أتيت محملا بك، لتجعل كلك بين يدي هذا الشخص، ليعيد ترتيبك في أوضاع مجنونة تجعل الوقت غير الوقت، والمكان متحركا منتشيا يكاد يرقص من شدة الفرح.

الصداقة ثمرة عامة، متاحة لكل الناس، والحب ثمرتك الناضجة لك وحدك، هل استمتعت يوما بالحب لتدرك اختلافه عن الصداقة، إياك أن تقتنع أن الحب لا يكون إلا بالنظر وبالمكابدة وحرق الأعصاب، إنه ليس حبا إنه العذاب، الحب أن تعيش سعيدا كل لحظة تغتسل فيها مع من تحب، ويختلط الدم بالدم والماء بالماء، ويصبح الجسدان جسدا واحدا، تصنعه كيمياء خاصة، يجعلكما كيانا واحدا معرفا بشيء واحد هو الحب.

الحب ليس هو أن تذكّر الشخص بعيد ميلاده، إنك تذكّره بالاقتراب من النهاية، دون أن تجعل هذه النهاية محفوفة بزركشة اللون المصطبغ على جسد مشوب بشهوته، وإلا فإنك لن تختلف عن شركة الاتصالات التي ستذكره بعيد ميلاده أيضا، ولا عن أسرة البنك الفلاني الذي يمنحك رقم حسابك الخاوي، والمخصص فقط لأغراض الراتب، فإنهم أشد وفاء منك، لا ينسون، وإن أنت نسيت.

الحب ليس شركة، وليس صداقة، إنه أن تموت مستسلما بكليتك لقدرك بين أحضان من تحب راضيا مرضيا مبتسما، وتقول: "لا أريد إلا أن أحيا بالموت فيك، ولا أموت إلا بالحياة فيك". هو باختصار أن تفهم أنك قد خلقت لأجله هو وحده، لتكون قديسه وقربانه، والصداقة أن تحرسه

من العبث، ولم تكوني إحدى تينك الحسنيين. كيف يخسر المرء خسارتين في يوم مولده؟ لست أدري. تذكري ذلك النص الذي كتبته يوما: "لا شيء يمنع لو كرهتِ"[1]. فلو كنت صديقا وليس حبيبا حتى لتذكرت أن أمس كان عيد ميلادي الخامس والأربعين. أرجوك ألا تعتذري بعد قراءة الرسالة، فلا شيء ينفع إن نسينا، فالوردة في موعدها تكون جنة، والجنة في غير أوانها تكون صحراء قاحلة.

وبالمجمل- يا عزيزتي- فإنّ للناس آراءهم في هذا الموضوع، أما أنا فأرى أن من تحبها وتحبك يجب أن تصلا معاً إلى قمة النشوة الروحية المتمثلة بالممارسة الجنسية، عدا ذلك فإنه فلسفة خاوية من أي معنى، وتفتقر إلى المعنى الحقيقي من إيجاد الخلق على هذه الشاكلة.

هل ستتذكرين إن بقينا أحياء في العام القادم أن يوم 7/30 هو عيد ميلادي؟ ربما، والآن دعيني أختم.

المشتاق لكل شيءٍ فيكِ

الجمعة: 3-8-2018

الغالية التي تضن عليّ بكلماتها، على الرغم من أنها شهرزاد الحكاية، تحية ملؤها الحبّ والشوق، أما بعد:

لقد سرّني عندما نشرت مقالتي الجديدة حول كتاب "يوم من حياة كاتب" أن أحد طلابي في المرحلة الثانوية عندما كنت معلما منذ عشر سنوات خلت، قد أبدى رأيه في بعض أفكار المقال، موضحا وجهة نظره، لقد كان أيام الدراسة طالبا ذكيا، في بدايات اشتعال جذوة الشعر في خاطره، كنت قد دخلت وإياه في إحدى حصص اللغة العربية بمهمة مشتركة، أن نكتب معارضين القصيدة القومية المشهورة "بلاد العرب أوطاني"، واتفقنا على مرأى ومسمع من الطلاب أن يكون المطلع "بلاد العرب أكفاني"، وفي اليوم التالي يكتب قصيدة سلسة بارعة، وأكتب أنا أيضا. فرحت لقصيدته جدا، إنه واحد من الطلاب الذين أثمر فيهم التعليم، فصار شاعرا، وهو اليوم يعمل في سلك التربية والتعليم سكرتيرا في إحدى المدارس، وشارك في أمسيات شعرية، وفاز على مستوى مديرية التربية والتعليم التابعين لها (جنوب نابلس) بمسابقة "الشعراء المعلمين". إن هذا الأمر مفرح جدا يا عزيزتي. إنه الشاعر "لطفي مسلم".

ها هو يكتب لي هذا الرأي: "الكتابة الشعرية لها طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن طبيعة كتابة الرواية، فهي بحاجة إلى استقطاب عناصر كثيرة ودمجها في بوتقة واحدة، ذلك لأنها لا تعتمد فقط على مجرد أفكار يحتاج الكاتب لسردها، بل إلى قالب فني يشكل هذه الأفكار ويخرجها إلى

[1] نشرت في ديوان "وأنت وحدك أغنية"، لبرتي بوكس وبيت الشعر في فلسطين، القدس ورام الله، 2015.

العالم بالصيغة التي تعطي هذا الفن عوالمه المختلفة... وهو ما يسهل انتشار أدب الرواية على حساب الأدب الشعري عربيا وعالميا".

أما أنا فقد كتبت له ردا مسهبا فرحا ومنتشيا بما كتب: "ربما ليس هذا هو السبب، فلو اطلعت مثلا على الحوارات الرائجة في التسعينيات، ولو عدت إلى فترة الثمانينيات إلى المجلات والكتب النقدية والصحف لوجدت حضور الحوارات الشعرية بشكل لافت، بل لم تكن تلك المحامل تعنى بالرواية إلا عناية متواضعة. وكان للشعراء في هذه الحوارات طقوس للكتابة بل ربما هي طقوس أكثر خيالية وسحرية من طقوس كتابة السرد التي تجنح نحو العلمية والموضوعية. كان عالم الشعراء زاخرا بما هو مثير حقا، والكل يسعى للشاعر، القارئ والناقد والصحفي. أما الآن أين هم الشعراء إنهم ثلة من المساكين الضائعين على موائد الروائيين، بل إنهم يحاولون التسلل إلى الرواية، وعندما يكتشف أمرهم يطردون من الحلبة شر طردة، يركلهم النقاد والقراء إلى هامشية المشهد، فيزدادون غما على غم، ووهنا على وهن، فيجهضون القصيدة المكسورة الخاطر التي تبحث عن قارئ مشغول بالرواية، وناقد مفتون بالرواية، وناشر مفتون بالروائيين، ومحررين وصحفيين لا يرون مكانا لذلك السيل من غامض الكلام في الصفحة الأدبية إلا خجلا ونادرا".

كم أشعر بالفخر يا عزيزتي وأنا أرى بعض الطلاب ممن علمتهم متألقين في مواقعهم، لحسن حظي أنني كنت معلما جيدا، وكثير من الطلاب على ما أظن يحملون عني أفكارا إيجابية، وما زالت تحياتهم تصلني بعد أكثر من ثلاثة وعشرين عاما من التدريس. ما زال طلاب أول مدرسة علمت فيها يتذكرونني، ويشيدون بي. على الرغم من أنني ربما أحبطت كثيرين، لكنني كنت في كثير من الأحيان أشجعهم على ألا يخافوا، وعلى أن يناقشوا، وعلى أن يتابعوا اهتماماتهم.

كنت في فترة كتابتي لبحث الماجستير قد استأجرت منزلا، وعشت فيه عاما كاملا وحدي بين الكتب، قارئا وكاتبا، كان بعض الطلاب المبدعين يزورني، أحدهم أيضا كان شاعرا، وآخر كان يحب الموسيقى والغناء، شجعته على أن يتابع موهبته بعد الثانوية العامة، وها هو اليوم يعمل في هذا المجال.

ما زلت أومن يا عزيزتي أن المعلم ذو دور كبير، داخل الغرفة الصفية وخارجها، إن الطالب يبحث عن قدوة تحفزه على المضي قدما في درب الحياة، يتطلع إلى معلمه ليساعده، ويمنحه الطاقة الإيجابية، لم أبدُ يوما من الأيام أمام طلابي بائسا أو يائسا، حتى أنني كنت دائما مهتما بأناقتي إلى أبعد حد، أكثر بكثير من هذه الأيام، كنت أعرف أن المظهر الخارجي للمعلم له أثر في نفوس طلابه، تخيلي معي لو أن معلما رث الثياب غير مرجّل الشعر، يدخل على الطلاب ويتمطى بائسا شاكيا، سيكون بالفعل مملا، وعنصر إحباط. لم أكن كذلك أبدا، وأما ما قد أكون أحبطت البعض فيه هو تشددي في التدريس وفي الحرص على التعليم والاهتمام بالواجبات، والشرح المستفيض، وربما هي صعوبة الاختبارات التي كنت أعدها للطلاب، والأبحاث والمهمات التي كنت أطالبهم بها. كنت كثيرا ما أحدثهم عن قراءاتي المتعددة، فيما يتصل بالتعليم، كنت مهتما يوميا بنشرات

الأخبار، وأبدأ معهم بخبر طريف ونادر، وعندما كانت إحدى الطالبات تكتب حكمة اليوم على السبورة، يجب أن ألتفت إليها وأناقشها، وأصحح ما كان فيها من أخطاء، وندير نقاشا حول المضمون لبضع دقائق. كان الطلاب يدخلون إلى الحصة وهم مهيأون للمعرفة، وكانت نتائجهم إيجابية.

لقد أسرفت كثير في الحديث عن نفسي معلما، ولكن الحديث ذو شجون، لاسيما وأنا أحدثك، وأجد متعة في السرد بين يديك.

عليّ أن أخبرك أن الشاعر لطفي زارني في بيتي ومكثنا طويلا نتحدث حول الشعر وغواياته وتطلعاته كشاعر، إنه يا للمصادفة يحمل أفكارا مشابهة فيما يخص صنعة الديوان، تلك التي حدثتك عنها، في أن يكون الديوان ذا موضوع واحد، ويحمل فلسفة واحدة، إنه يعي كونه شاعرا يريد أن يؤثر في الناس، وليس فقط أن يكتب شعرا وينشره. لقد أسهب في الحديث عن أحمد مطر وتأثيره، ونزار قباني وتأثيره، ودرويش وتأثيره. هو كذلك يطمح أن يجعل الشعر متغلغلا بين الناس. إن ما يحلم به هذا الشاعر الواعد كبير، ويلزمه الإصرار، وأنا على يقين أنه قادر على أن يفعل الكثير.

دمت جميلة كعهدي بك، راجيا أن تسعديني ببعض الذكريات حول التعليم والمعلمين والشعر إن أمكن، فإن هذا يسعدني كثيرا.

المشتاق

السبت: 4-8-2018

أيتها الجميلة الفائقة الحب والثورة كالبركان، تحية متشوق مجنون، أما بعد:

ما زالت استعارة "الجرس" تلح عليّ، أتخيلك جرسا، قد لبست ما يمنحك هذه الاستعارة، تبدو ساقاك اللامعتان، على ما يثير فيّ هذ المنظر من غيرة حادة. لو كنتِ معي الآن ستكونين شهية بالتأكيد.

أخذتني سنة من النوم، كنت مرهقا قليلا من تعب القراءة، والحر شديد لا يرحم، رأيتك بكاملك، قامتك المكتنزة، تهفهف في ملابس شفافة وردية، تتخايل منها أعضاؤك، ثدياك منتصبان، ووردتك زهرية اللون. اقتربت مني قليلا، غمرتْ رائحتك كياني كله، جسمك ناعم شفاف طري، جلست على ركبتك، وابتسمت كطيف، مددت يدي أتحسس وجهك، أغمر وجهي في وردتك، حبست أنفاسي، تتأوهين كنغمة كمان موجعة، يسيل ماؤك وترتعشين. كقارئ وقع على المعنى أطير فرحا وأنا في كامل غيبوبتي. أرقص رقصة صوفي توله بالحب، وتلمع عيونك من أثر الرغبة الفائرة.

ينقذني منك بول إيلوار فأحتمي بعشيقته الروسية غالا، تلك "المرأة الخالدة"، فيا لجمال ما كتبه عنها، وفيها، "تعالي اشربي قبلة من هنا/ واستسلمي للنار التي تسحقك"، وأردد بعذوبة "أفتش عنك عبر الانتظار/ عبر نفسي/ ولا أعود أعرف لشدة ما أحبك/ أينا الغائب"، وأسمعك تقولين كما قالت: "لماذا أنا جميلة هكذا؟/ لأن سيدي يحممني"، وأتلذذ بشهوة مجنونة قوله كأنه قولك: "أيها الحيوان البري لقد بدلت أسماءك/ حسب مشيئتي/ لقد امتزجنا معا".

أراك تتأملين وردتك وأنت تناجينها: "بالطبع يا وردتي البيضاء ما كنت إلا وسيلة/ ساقاي يحيطان بك وبطني يمنعك/ أيتها البجعة المسكينة المثلجة/ ما كانا جناحي إله جناحاك/ إن لي أجنحة نارا كلها". فتبلجي يا غايتي واحرقي وجعي لأولد من جديد أيتها الجديدة دائما.

أحب تلك التحية التي كان إيلوار يحيي بها غالا، قائلا في نهاية رسائل عديدة: "أقبلك في كل مكان"، وأنا أقول لك: "أقبلك في كل مكان، من رأسك حتى أخمص القدم، متذوقا كل أثمارك الناضجة".

أحبك حتى تبزغ الشمس من مغربها، أو أن أهلك دون هذا الحب.

المشتاق بجنون ورغبة جارفة.

الأربعاء: 8-8-2018[1]

أيتها المرأة التي لا أدري ما أسميها، لعل أوقاتك سعيدة، أما بعد:

منذ ما يزيد عن سنتين أو أكثر، لم أعش هذه الحالة التي أعيش فيها الآن، كيف أصف ما أنا فيه، أشعر بعدم رغبة في التحدث مع أي أحد، لم أكتب شيئا مهما منذ أسبوع أو أكثر، النوم متقطع، والرغبات الأخرى في انعدام تام. حتى لقد انقطعت شهيتي عن التدخين، كل شيء في تراجع، والخمول يعبئ الفراغ.

حاولت أن أكسر هذا الضباب الكثيف، توجهت مطلع هذا الأسبوع إلى مقر دار الفاروق في نابلس، لمناقشة ديوان "وأنت وحدك أغنية"، شرّق القوم وغرّبوا، وخضّوا القربة، ولكن المردود كان متواضعا جدا، لم ينظروا إليّ إلا أنني شاعر أحاول الكتابة، وليس كشاعر ذي مخزون ثقافي ولغة خاصة وصورة مختلفة. نصحوني بنصائح كثيرة، كأنني طالب في الثانوية العامة، يتلقى نصائح أساتذته. أنكروا عليّ أن أكون شاعرا مختلفا، بل لم يروني كذلك.

هنا أريد أن أحدثك بقصة طريفة حدثت مع أحد زملائنا في قسم اللغة العربية أيام الجامعة، كان يكتب شعرا، وشعره جيد، ولكنه طالب، بمعنى أنه شاعر ما زال يحبو. كان يدرك كيف يفكر الطلبة غير المثقفين، فما كان منه إلا أن كتب نصا ونشره في مجلة النادي الحائطية، ووقّع تحت

[1] أشار إلى هذه الرسالة الكاتب المصري محمود الشبراوي في مقال بعنوان "الكاتب بين مطرقة تأثير الهالة وسندان النقد"، للاطلاع من خلال الرابط: https://2u.pw/phgyje9

النص "محمود درويش". انهال القرّاء على النص بالمديح التام، وهم يدركون أنه لمحمود درويش، وليس لزميلهم، إنها مشكلة مركبة، تعاملُنا مع النصوص بأسماء كتّابها، وليس لأن النصوص جيدة. هذا ما حدث معي مثلا في مناقشات دار الفاروق في المرّتين اللتين تم فيهما مناقشة ديوانين لي. لقد شنّعوا عليّ كثيرا في مناقشة ديوان "مزاج غزة العاصف"، إلى درجة أن يقوم أحد أعضاء لجنة المناقشة باقتراح تعديل لنص من النصوص. إنّ كل تلك المواقف تذكّر بمواقفك مما أكتب، فكثيرا ما كنت تتهمينني بالسطو على قصائد أصدقائك الشعراء وأسرق منهم لغاتهم وألفاظهم، فأنا في نهاية المطاف لست شاعرا جديرا بالقراءة أو بأن أعدّ في الشعراء. هنا أتذكّر أيضا كيف نظر شاعر كبير لبعض نصوصك واعتبرها متواضعة، حتى إذا كتب فيها أحد النقاد، محللا ومبرزا جمالياتها، عاد وغيّر رأيه، بل سعى وراء الناقد ليكتب في نصوصه الباهتة، ولعله لم يكتب.

على كل حال كنت شخصا هادئا تماما، وشكرتهم جدا، لتفضلهم عليّ بقراءة هذا السيل من الهراء، ربما فعلا لا أحسن الكتابة ولا أستطيعها، وأنني ما زلت محتاجا للتدريب والتعليم. وأنا بالمناسبة لست أحبذ كثيرا من يمدحني ويقول لي: (رائع وممتاز وأبدعت). كلها كلمات استهلاكية. لقد أعجبتني قراءة الحبيب بلحاج سالم الأخيرة لنص سردي حواري قصير أناقش فيه "المسافة الآمنة"[1]، كان مذهلا حقا في تناوله للنص وتفكيكه، لم يمدح ولم يقدح، ولكنه كشف عما في النص من أبعاد فكرية وفلسفية وثقافة نسقيّة. إن هذا النص نفسه لم يعجب كتّابا آخرين وقرّاء كثيرين. ليس مهما، وربما أنا لم يعجبني كذلك، لكن لهذه القراءة سحرها التي جعلتني أقرأ النص كثيرا.

اسمحي لي أن أعود قليلا إلى مناقشة الديوان، لقد أعجبتني ملاحظتان، واحدة آتية من قارئة للديوان التفتت فيها إلى استخدامي للفظ "الأرجوان"، وكيف أنه يستخدم لعلاج سم الأفاعي، وقد ذكرت في النص لفظ "الأفعوان"، أما الملاحظة الثانية فمن قارئ آخر لاحظ غياب المكان تماما في كل قصائد الديوان، إن ملاحظته كانت عبقرية جدا، كوني كاتبا إلكترونيا وعاشقا افتراضيا، فمن الطبيعي أن يغيب المكان، ولعلك تدركين الآن دقة الملاحظة، فما كُتبت القصائد إلا في ظل انعدام المكان الحقيقي، خلا المكان الافتراضي في عالم التكنولوجيا والإقامة الجبرية فيه. هنا أدركت كم كنت صادقا مع نفسي ومع الشعر الذي يعبر عن التجربة تلقائيا دون أن يكون ذلك حاضرا في الوعي.

لقد اكتشفت بعد هذا الكم الهائل من القصائد كم كنت تافهاً عندما أحببت، وفاشلاً عندما كتبت، وغبياً عندما صدقت أنني يمكن أن أكون شيئا، فلا شيء يستدعي أن أظل أدور كثور على بيدر لا قمح فيه! يا للتداعي في الأفكار، لقد كانت أمي كثيرا ما تقول إنني (ثور مُطُوحِنْ)، لا أفهم ما يجري من حولي.

[1] نشر النصّ في كتاب "نسوة في المدينة"، دار الرعاة وجسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2019. ونشرت رأيه في كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حرا"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2022.

أعرف أنك لن تكتبي لي، فهذه الأمنية لم تعد حديث نفس، فقد تنازلت عنها إلى غير رجعة.

وأخيرا، هل لاحظت كم أن تاريخ هذا اليوم مميز، ثلاث مرات كتبت الرقم (8)، أرأيت كم أنا سطحي جدا، لألاحظ تاريخا عاديا، لم يمكث سوى أربع وعشرين ساعة ويمضي.

ربما نلتقي في قابل الأيام، أما أين ومتى لست أدري، ولعله من الأفضل ألا نلتقي أبدا.

السبت: 11-8-2018

أسعدت أوقاتا أيتها المحتجبة كروح والسارية في دمي كضوء، أما بعد:

كثيرة هي الأحداث التي مرت بي مؤخرا، أحاول أن أوافيك فيها، لعلك تسمعينني فتتعاطفين معي. أو ربما انحزت إلى الطرف الذي لا يراني جديرا بالقراءة، ولا أستحق أن أكون كاتبا.

أبدأ بما نشرته الكاتبة اللبنانية مادونا عسكر من مقالها التحليلي حول إحدى المقطوعات الشعرية القصيرة، ثمة من رأى في النص أنه "**تافه لا دلالة له**". لم أنزعج بالتأكيد من التعليق، فلكل رأيه، وكما قلت مرارا نحن لا نكتب وحياً مقدسا لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، بل إننا جميعا، الكتاب، نعترف في قرارة ذواتنا أننا كتبنا نصوصا ضعيفة أو سيئة، ولكننا لا نستطيع التخلي عنها لحاجة في نفس يعقوب. ونقتنع أن ما وصلنا له لم يكن سوى مرحلة وخطوة لخطوة أبعد محلوم بها، لذلك ستلاحظين كما لاحظ صديقنا رائد أنه "لا شيء يعجبني" مما كتبت، فعندما أعود إليه لا أرى أن معظمه جيد أو يستحق القراءة والخلود.

وفي مقابل ذلك هناك تعليقات تفرح الكاتب وتجعله يزهو منتشيا، ولا غرابة في ذلك، فانتصار الكاتب الحقيقي هو أن تحوز كتابته رضا القارئ، لاسيما إذا كان القارئ مثقفا أو كاتبا أو قارئاً لا يعرفك ولا تربطك به إلا النصوص وجمالياتها، فعندما يرسل لي أساتذة جامعات إطراء لنص كتبته أجد نفسي راقصا مزهوا، وخاصة إذا كان هذا الأستاذ أو ذاك ذا قدم راسخة في عالم النقد والأدب. فرحت جدا مثلا بآراء أصدقائي الكتاب فيّ، ولو أردت تعدادهم لاستهلكت كلاما طويلا، ربما لا تجدين منه طائلا. صحيح أن بعضهم انتقدني بشدة وأحترم ذلك، لكنهم بالتأكيد كانوا منحازين بصورة أو بأخرى للنص وبجانب ما من جوانب فنيته.

سأعود إن سمحت لي إلى تعليق رائد الحواري على الرسالة السابقة، بعد أن قام مشكورا بنشرها على صفحات الفيسبوك، أردف الرسالة بتعليق طويل، قال فيه: "رسالتك هذه كانت (قاسية ومؤلمة) جعلتني أتأكد بأنك .كشاعر . لا يمكن أن يلبي طموحك أي شيء، ولا يريضك شيء، فأنت مثل "سدهارتا" كلما وصلت إلى مرحلة تجدها تافهة، وتريد أن تتقدم أكثر، وهذه حالة طبيعية عند الشعراء، لكنني أنا، القريب منك، أشعر أنني أخفقت في إخراجك مما أنت فيه من كآبة، يأس، قرف، غربة، لهذا أقول إن رسالتك كان وقعها عليّ شديد الوطأة، وآلمني ويؤلمني، أما فكرت بي، وبما سأكون فيه بعد هذه الرسالة؟ فراس الشاعر والصديق هو غايتي وهدفي، لهذا عندما أجدك

مبتهجا أبتهج، وعندما أراك غير ذلك أكون أنا أيضا، لك محبتي، وسأكون كما أنا، لن أخذل نفسي، فأنت هدفي وغايتي، إلى أن تصل إلى ما تريد".

أصدقك القول إنني عندما رجعت إلى الرسالة مرة أخرى وقرأتها، انتابتني حالة من الصدمة، والخوف، والشعور بالخيبة إلى ما يقارب الخزي، كيف كتبت تلك القسوة وبهذه الطريقة، إلى درجة أنني قد بكيت من سوء ما فعلت يداي. ولكنني وإلى الآن لا أدري ما هو موقفك من تلك الرسالة؟ بل رسائل كثيرة سابقة، التزمت حيالها الإطباق على القلب والفم، وأنا أغدقت فيها ثرثرة وصأصأة.

وأما بخصوص قراءة الكاتبة مادونا عسكر التي افتتحت بها هذا الرسالة، فقد كانت قراءة تحليلية، متأنية، مفاجئة، على نحو شهي، نعم، فأنا أشتهي القراءات الرصينة الجليلة التي تغوص في أعماق النص، أحببت فيها ذلك الإيقاع الموحد للتحليل الذي يسير بتناغم وسلاسة منطلقا من اللفظ إلى المعنى ومعنى المعنى وصولا إلى الحالة الكلية للنص أو الحالة النفسية للشاعر. وبعيدا عن التعليق الذي ذكرته لك سابقا حول النص. يكتب الأستاذ محمد بن جماعة، وهو شاعر تونسي رصين، هذا التعليق على النص: "يتبدى لنا في هذا النص الشعري حذق وصفي نابع عن مهارة المشاهدة والتأمل في مساحات لا تغادرها الحركة إطلاقا، بداية من الحلم وصولا إلى الفلسفة ومرورا باللحن والرقص والضوء. كلها تنبئ بتفاعلات ذاتية شديدة التراكم، حيث كان هنا الفعل الوصفي أقوى من الفعل (Le verbe) أضعافا... فالوصف بالتالي أصبح المتنفس الوحيد لشاعر باحث عن الحقيقة يروم المسك بمعناها المنشود والمفقود في ذات الوقت، حتى وإن صبّ كامل وصفه. لم يلق إلا الغموض. قد تكون المرأة أو الوجود كجوهر، بالتالي يلتف المعنى على هذه الثنائية ويدحرجها ككرة ثلج."، ولعلك ستسألين: أي نص؟ فسأوفر عليك معاناة البحث، فهاك هو[1]:

"قاسية كحلم البارحة

رهيفة اللّحنِ

هاربة على شفا حفرة من أداء الرّقصِ

موجعة كغصنٍ مثقلٍ بالثّمرْ

عاريةٌ كضوءْ

واضحةٌ كأسرارِ النَّبِيّْ

بين يديّ وحيْ

غامضةٌ كفلسفةٍ وجوديّةْ

وفيها كلّ شيْ".

---

[1] النص والقراءة مدرجان ضمن كتاب "سر الجملة الاسمية"، دار الرقمية، القدس، 2023.

لعلني كنت محظوظا كثيرا في الفترة الأخيرة، وقد ساهم هذا في تبديد ما تلبد في صدري من كآبة: مناقشة الديوان في دار الفاروق، وقراءة الحبيب بلحاج سالم، وقراءة مادونا عسكر، وانتشار مقالاتي الأخيرة في كثير من المواقع الإلكترونية والصحف، خصوصا مقالتي عن محمود درويش في ذكرى وفاته العاشرة، ما يعني قراء أكثر بالضرورة، وبكل تأكيد.

لقد قرأت هذا الصباح مقالة للشاعر شوقي بزيع عن درويش، منشورة في صحيفة الشرق الأوسط، ما لفت انتباهي أنني ما تحدثت عنه في مقالتي تحدث عنه شوقي بزيع، وهو بالتحديد علاقة درويش بالمتنبي، وسيرورة شعر درويش، بل إن كثيرا من الجمل التي أوردتها أوردها شوقي بزيع في مقالته، وكذلك فعل الكاتب اللبناني إلياس خوري في حديثه عن صديقه الشاعر، فقد كتب مقالا طويلا، ورد فيه علاقة الشاعر درويش بالمتنبي الشاعر. فأي شيء وشى بنا نحن الثلاثة لنتحدث حول موضوع واحد متصل بشخص الشاعر محمود درويش؟

يبدو أن الأمور لن تأخذ منحى واحدا، فلا شك أن فيها محطات سوداء قاتمة، ولكنها بالتأكيد تمنحنا أحيانا وقتا للفرح، كم أسعدني مثلا أن طالبة دكتوراه قد استعانت بمقالة لي حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يليق بك"، وكانت رسالتها عن "النقد الأخلاقي"، وقد سبق أن استعان أحد الباحثين نشر مقالة محكمة في مجلة محكمة في إحدى جامعات العراق الكردية بمقالة لي حول اللغة العربية، لا شك أن كل هذه المواقف تشعرني بالسعادة، أتذكر ما أبلغني به الدكتور عادل الأسطة يوما أن أحد الباحثين كتب حول "خطب الديكتاتور الموزونة" بحثا، وكان الدكتور الأسطة أحد المحكمين، فرفض الأسطة البحث لأن الباحث لم يأت بجديد على ما قدمت أنا في بحثي يوم كانت تلك القصائد موضع دراستي في الدراسات العليا. بل على ما يبدو أن الباحث لم يطلع على ما كتبت. بالمقابل لقد اطلعت باحثة أخرى في جامعة مؤتة على دراستي، فأشارت إليها في مقدمة بحثها عن تلك القصائد الدرويشية المهمة. كل ذلك أشعرني بأهمية أن أكتب، وأن أستمر في الكتابة.

على العموم ما زلت أبحث عن ناشر للكتب النقدية التي جهزتها للطباعة، لا أدري هل سيحالفني الحظ، بعثت اليوم لدار نشر في الأردن مستفسرا عن ذلك، أسأل الله التوفيق. على الرغم من أن دور النشر والكتاب يشكون من قلة النقد، ولكنهم عندما يصلون إلى ما كتبت، لا يتشجعون ولا يغامرون بنشر الكتاب. مغامرة أن تصدر كتابا لناقد غير معروف، فسوف تتكدس النسخ في المكتبات ولا تجد شاريا، كما أخبرني أ. صالح عباسي أنه لم يبع من كتابي "قراءات في الرواية" سوى عشر نسخ، وبدا نادما على ما يبدو؛ لأنه أضاع مبلغا من المال فيما لا نفع فيه، فلو نشر رواية لكاتبة سيكون المردود أفضل، أو نشر رواية لكاتب معروف من تلك الأسماء التي تعرّش في الساحة الأدبية، وذات سلطات ليست بالضرورة ثقافية، فربما كان ذلك أجلّ وأعظم شأنا.

ربما حدثتك في رسالة قادمة عن ذلك الهجوم الذي شنّه القراء عليّ عندما نشرت مقطع فيديو لراقصة تتلوى كأفعى، فلم ينتبهوا للأغنية المصاحبة وجميعهم فقط ذهلوا لروعة الرقص، ولكنهم

بعد أن متعوا نظرهم بها، انهالوا عليّ بالشتائم، ومارسوا عليّ الوعظ والإرشاد، فشعرت أنني الكافر الوحيد المتبقي من قريش، وأن الناس كلهم أنبياء وقديسون وصالحون.

طالت هذه الرسالة كثيرا، فلتسمح لي جلالتك أن أقول في ختامها: سلاما، ولعلنا نلتقي.

الأربعاء: 22-8-2018

أسعدت أوقاتا وكل عام وأنت بخير.

مشتاق إليك بحجم هذا الكون الذي يتكور عليّ ويخنقني، ولولا أنفاسك التي أشتمها في الصور لكنت متّ، يا أجمل وأنقى وأشهى امرأة تنام على ساعديّ. أتنفسك في كل حين؛ في صحوي وغفوتي. كم تخيلتك تتقاسمين معي شهوة العيد. هذا العيد الذي مرّ سيئا كالعادة، لا شهية لديّ لفعل أي شيء.

لم أقرأ شيئا منذ أكثر من أسبوع، ينتابني الحنين لضحكتك الشفافة ورائحتك الحلوة وحديثك اللطيف. يمر الوقت صعبا للغاية، أحاول أن أزجيه بسماع الأخبار. كأنه ينقصني وجع جديد. أخبار العالم لا تسر، مسلسلات القتل والعنف ما زالت متتابعة وتزداد حدة، الإرهاب يزداد، والإلحاد كذلك يشتد، والتشدد يتصلب، والعالم يموج في غربته المجنونة، لا أحد يدري ماذا يفعل، الكل بائس وموجوع. لا شيء يخفف هذا الوجع مثل حديث الأصدقاء، وتهنئتهم بالعيد على الرغم من كل ما يتلبد في الفضاء من غيوم شرسة.

تقودني رغبة دفينة لأعيد قراءة رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان. أراه ذلك العاشق الموجوع الذي تورط في الحبّ دون أي أمل، نتشابه كثيرا يا جميلتي غسان وأنا، أنت وغادة السمان ولكن ثمة فروق أيضا. هذه هي المرة الثانية التي أقرأ فيها رسائل غسان، تلك الرسائل التي لا ينتهي الكتّاب عن الإشارة إليها، وإلى ما فيها من جمال الألم. وبهاء الكاتب المناضل الإنسان.

عذّب الحب قلب غسان كنفاني إلى درجة أنه في إحدى رسائله لها يحييها بأن يسب دينها، نعم لقد بدا غاضبا جدا، لأنها تكتب للكل ولا تكتب له، وأنت كذلك أيضا، دون أن أتجرأ على تحيتك بمثل تحية غسان، يعذبني هذا الحبّ كثيرا، لا أعرف له نهاية قبل أن يقضي عليّ أو يترك فيّ عاهة مستديمة غير ما فيّ من نحول وأسقام وعاهة خلقية مزمنة. فالحال من بعضه يا غسان، وها هي غادة أخرى تعود للمرواغة من جديد.

الرقيقة التي لا ترقّ:

أعرف أن الحب طاقة مدمرة إن جاء في غير زمانه، ولكن علينا أن نخفف من آلامه قدر المستطاع، علينا أن نحترق قليلا لنستطيع التصالح مع هذا الجنون الذي نحن فيه، أو ربما أنا من غارق فيه وحدي. هل تعانين من آلام الحب كما أعاني؟ هنا أيضا أنا أتشابه مع غسان كنفاني وأنت

مع غادة السمان. غسان الذي رحل وخلف شواهده العشقية في رسائله، لتدل علينا أيضا. وعلى كل عاشق مبتلى بمثل هذا الحب المستحيل.

لماذا لم نعد صالحين للحبّ؟ هل باستطاعتك الإجابة عن هذا الوجع القدري الطويل العمر؟ فكرت طويلا بحالتي التي ليس لها من شفاء على ما يبدو! أنسيت الحبّ؟ هل تشبع خاطرك مني فمللتني حد القرف والخزي من أن يكون لك بي صلة ما؟ هل أصبحت مجروبا تخافين من عدوى ما؟ يا لك كيف تتقنين نزع الروح بهدوء مقيت!

رسالتك الأخيرة كانت قصيرة وقاسية جدا، أبعد هذا الصمت الطويل، يكون ردا مستفزا إلى هذا الحد؟ "أتذكر كل شيء، وإن تناسيت فهذا يعود لي". أي غاية لك من هذا العذاب؟ أيعقل أن تكوني شاعرة وشفافة وقاسية حد التلاعب والاحتقار والإهمال المتعمد؟ يا لها من مفارقة مؤلمة.

بالأمس كنت أقرأ في أحد دواويني البائسة، كهذا الحبّ الخائب، صادفتني جملتك التي قلت فيها ذات يوم "وهل أنا ناكرة للجميل لأترك من يكن لي كل هذه المشاعر؟" ماذا تسمين هذه الحالة التي تسود بيننا؟ أليست مللا؟ أليست جفاء؟ أليست هجرا غير جميل؟ كنت أفكّرُ بالتوقف عن كتابة الرسائل لكن شيئا ما في داخلي يدفعني للهذيان والثرثرة. إنها اللعنة الأبدية التي تلبستني لأظل رازحا تحت أوهام حب لا يعرف الرحمة، ولا تريد صاحبته أن تعرف الرحمة.

أشتاق إليك حد الرغبة العارمة، حد الجنون المفضي إلى الموت الرحيم. ترفقي بشخص يحبك، ولا يرى للعيد طعما دون بسمة ثغرك، وعذوبة أنغام صوتك.

المشتاق إليك دائماً.

الخميس: 30-8-2018

الحبيبة المحصورة بين قلبي وعقلي، تحية محمولة على الأبجدية في نهار مشبع باللغة، أما بعد:

أعود لأكتب لك بعد فترة من الانقطاع الطويل، كنت غارقا في ضباب رؤياي التي أخذتني كل مأخذ. كل الأيام بنهاراتها ولياليها بائسة، لا شيء فيها واضح، تترائين طيفا شاحبا كلوحة أغضبت صانعها، فلطخ وجهها بالغبار.

أكتب وأنا لا أدري ماذا سأقول، لا فكرة محددة لديّ. في اللقاء العابر الذي جمعنا قبل أيام، تحاشيت النظر إليك، أو محادثتك، كنت متوقعا رؤيتك بكل تأكيد، ولولا هذا الأمل، لم أكن أتيت لمناسبة لا ناقة لي فيها ولا بعير، فقط كانت الرغبة تشعل خاطري لأراك ولو من بعيد. ستقولين: "كم كنتَ قاسيا ولئيما، كنت على بعد خطوتين مني ولم تحرك يدا، ولم تشر لي حتى بطرفة عينك". رأيت على وجهك علامات الدهشة والسرور، كأنك تقولين: "ما علاقتك بالأمر؟ هل أصبحت يساريا مثلي؟" هل أنت يسارية؟ يا لها من فكرة عظيمة، يساري من أصول دينية، يحب شاعرة يسارية متوغلة في اليسار. على كل حال أنا لست يساريا حتى هذه اللحظة، فكريا على

الأقل، ما زلت يمينيا متطرفا، أشد ما يكون التطرف. ولكن لماذا لم تبادري للسلام عليّ ومصافحتي وأنت التي دخلت بعدي ووجدتني هناك؟ كانت اللياقة تقتضي ذلك. هل أردت معاقبتي؟ كنت متوقعاً أن يحدث مثل هذا، لعلك تقولين، ماذا لو حدث العكس، هل كنت ستسلم عليّ؟ ربما فعلتها، فأنا لم أخطط لهذا الموقف الهامشي صدقا.

قبل أن تأتي إلى ذلك المكان كنا قد سبقناك إليه أنا وصديق لي، له علاقة حزبية مع أبناء الفقيدة. ابتعدت عن صديقي وجلست وحدي كما رأيتني، حتى لا تحدث مفاجأة تخلط الأوراق وتربك المشهد برمته، كعادتي في اقتناصك جلست قبالة الباب الرئيسي لأتأكد من رؤيتك. رأيتني وحدقتِ فيّ، مع ابتسامتك الظريفة، رقص قلبي فرحا للوهلة الأولى، ولكن اهتاجت روحي حزنا، وامتلأت نفسي شغفا، تأكدت من حضورك، فلملمت نفسي، ورحلت، لم أنظر إلى الخلف، مودعا ومسلما، اكتفيت بهذه النظرة الماكرة التي ما زالت تخترق بمشهديتها كل أعصابي.

كيف غادرتُ القاعة دون أن أتحدث أو حتى أن أبتسم ردا على ابتسامتك، كنت حجرا بنتوء مدببة، أطلت شعر رأسي ولحيتي، لا رغبة لديّ بفعل أي شيء، أو أن أتعرف على أخبارك، ونشاطاتك التي أبلغتني عنها في آخر حديث هاتفي بيننا. أكتب إليك وأنا لا أريد أن أعرف وكيف سأعرف، وقد انقطعتِ عن الكتابة لي منذ مدة طويلة. عبث أن تكتب لامرأة رسالة وهي لا ترى حاجة في ردها، كأن رسالتها استطراد مملّ على هامش أكثر مللا.

عندما عدنا لم نتحدث كثيرا، بقيت صامتا، أسترجع شريطا طويلا من الذكريات، وتنهال عليّ صور شتى، أسأل نفسي: لماذا وصلت إلى هنا؟ لكنه سؤال عبثي جدا، عبث هذه العلاقة المعقدة، فقد وصلتُ وانتهى الأمر. أفكر بالخروج ولكن كيف؟ لست أدري.

في جلسة مع صديقي نتبادل أفكارا كثيرة، يلاحظ ما أنا فيه من حزن، يقترح عليّ سماع الموسيقى، لعلها تخفّف من كثافة اللحظة، يقول: "للموسيقى فعل السحر في تكسير صخرة الحزن وتفتتيها إلى حصوات يمكنك بعدها أن تدوسها بقدمك، وتضحك للحياة". هو لم يكن يدري أنني كلما سمعت مقطعا موسيقيا ذبت حنينا وشجنا، وأوشكت أن أصبح غيمة فائرة. صديقي يداوي أحزانه بقراءة شعر أدونيس، أما أنا فلا شفاء لي منك، مهما قرأت أو كتبت أو استمعت للموسيقى، حتى لو تحولت كل الموسيقى العالمية إلى نهر يصب في أحشائي، لن تغسل أحزان روحي. إنها ليست مبالغةَ كاتب، يشعر بالخيبة.

في اليومين السابقين انشغلت كثيرا بالسرد، كتبت آخر مشهد من كتاب "نسوة في المدينة"، أراجعه المراجعة النهائية قبل الزج به إلى المطبعة، هذا الكتاب الذي خصصت فصله الثاني للحديث عنا، أنا وأنت، أعيد قراءة هذا الفصل، إنه مؤلم جدا، كنت قد قرأت بعضه لابنتي، لم تستطع إلا أن تبكي، كنتُ غبيا عندما قرأت لها بعض ما جاء فيه، لقد استحضرتها بيننا في مواقف كثيرة. ابنتي تعرفك جيدا، ولكنها لا تسألني عنك إلا إذا حدثتها أنا. فكرتُ في العطلة الصيفية أن

تتعلم على يديك، تراجعت كي لا أثقل عليك مهمة قد تبدو سيئة المآل لثلاثتنا. تعاتبني على أنني تراجعت عن هذا الأمر، لكنها تتفهم جيدا، أن الأمر ذو نتائج ليست جيدة على أقل تقدير.

ابنتي عادت إلى المدرسة، وهي تستعد للثانوية العامة في هذه السنة، ونسيَتْ موضوع التدريب، ولكنها على ما يبدو لا ترغب في الدراسة الجامعية، أو أنها تلعب بأعصابي، على كل حال، سأنتظر حتى الربيع القادم، لعل الخير يرافقها. حماكما الله، ورعاكما.

المشتاق لنظرة عينيك.

السبت: 8-9-2018

الحبيبة الغائبة الحاضرة، سلام من القلب، أما بعد:

أردت أن أخبرك أن حالتي الصحية في تحسن، دفعني الفضول لمراقبة وزني، لقد تخطيت حاجز الخمسين كلغم، فرحت كثيرا، صرت أنام أكثر، وآكل بشهية أكبر، أشعر براحة كبيرة هذه الأيام، (تفرجعت) الغمة التي كانت تضغط على أعصابي، ديوني في تلاشٍ، لم يتبق منها غير مبلغ صغير، أفلحت في السيطرة على أمور كثيرة من أجل أن أتحرر من ثقل ذلك الدين الذي كان يزعجني، لكنني ما زلت أعاني من ضائقة مالية، ولكنها إلى زوال، إن لم يحدث طارئ، لا سمح الله، واضطررت إلى الاستدانة من جديد.

أوضاعي بشكل عام جيدة، عملي مستقر، كادت تهب عليّ رياح سموم مزعجة، دفعتني لأحني لها القامة كي تمر، صحيح أنني اضطررت إلى إغلاق صفحة الفيسبوك من جديد، لأن المتربصين بي كثر، ولا أريد أن أنشر فيها ما يشعرهم أنني جبنت أو ضعفت، وإنما تخلصت منها نهائيا، وربما إلى غير رجعة. لعلك تتفهمين موقفي إنه ليس جبنا، وإنما كما قال شيخنا المعري: "فعاند من تطيق له عنادا"، فكيف لي بمقارعة من يجهل ولا يعرف الرحمة، إنها مجازفة خطيرة، في ظل النفاق الوظيفي السائد، وانعدام المؤسساتية والنزاهة، وتحمل المسؤولية.

ما زال صديقي النبيل رائد الحواري يزورني في مكتبي، نغرّب ونشرّق كثيرا في طرح الأفكار ومناقشتها. تقلقني أفكار كثيرة، العدالة أضحت مقلقة، أناس يلعبون بالملايين وآخرون يحتاجون الملاميم، "إن الحياة ابنة كلب" كما يقول صديقي. أحاول أن أخفف عنه، ثمة كتاب كثيرون عانوا كثيرا في حياتهم أكثر مما نعاني أنا وأنت وصديقنا رائد، تعرفت مؤخرا على حياة الكاتب العظيم مكسيم غوركي، نحن أحسن حالا منه بكثير، عاش التشرد واليتم والضياع، ليس هو فقط، سبق وحدثتك عن هنري ميلر وما لاقاه من حياة بائسة. علماؤنا العرب القدماء، كانوا فقراء، الخليل بن أحمد الفراهيدي مات بخُصّ ولم يسمع به أحد، كما كتب عنه أحد الكتاب، هل كان المعري ثريا؟ أظنه كان بائسا جدا وفقيرا، الكتاب العرب المعاصرون أغلبهم كادحون من طبقات اجتماعية ليست فقيرة وحسب بل مسحوقة، عدا أسماء قليلة جدا. الكاتب السوري الذي رحل أخيرا حنا مينا لم يكن يحيا حياة منعمة، لا يتوارد إلى ذهني سوى اسمين لكتاب كانوا أثرياء نزار قباني وأحلام مستغانمي حتى قبل أن تقترن بزوجها الرجل الثري. أقدر معاناتك في العمل، وما تعانينه من تعب

وإرهاق إلى الحد الذي يمنعك أحيانا من الكتابة والقراءة، مع أن بمقدورك أحيانا السفر أو اقتناص وقت للترفيه أو السهر.

علينا أن ننظر يا عزيزتي إلى الحياة كما هي دون أن نراها سوداء قاتمة ولا أن نحاول تلطيف صورتها، الحياة ذات وجه قبيح جدا، مع أن لها وجها آخر غريبا عنا، تصر على ألا ترينا إياه، وليكن، ماذا يضيرنا، فهي حرة، ونحن أحرار في مواجهتها بالسخرية منها وقهرها.

سعدت كثيرا هذا الأسبوع، يهاتفني صديقي الكاتب إبراهيم مالك صاحب الكتاب الدوري الثقافي "كِتابنا كُتابنا"، ليخبرني أنه نشر في العدد العاشر من الكتاب الرسائل الخمس الأولى، على أن يستكمل نشر بقية الرسائل في أعداد قادمة.

عدت للقراءة والكتابة بنهم كبير، أنجزت كثيرا من الأعمال، أتممت مراجعة كتابي "بلاغة الصنعة الشعرية" وأنهيت أمس المقدمة، منتظرا أية فرصة لنشره، إنه كتاب كبير الحجم، سيتجاوز (500) صفحة من القطع الكبير بعد المنتجة والتصميم، فرح جدا به، فقد جعلته شبه موسوعة في مناقشة كل ما يتصل بالشعر وصنعته، كذلك الأمور تسير معي بشكل رائع في الإعداد لكتابي الآخر "في حضرة الشعراء"، وكتاب "نسوة في المدينة" أصبح شبه جاهز بعد أن اطلع عليه الصديق رائد وكتب فيه مقالة رافلة بالجمال، تُعرّف بفلسفته، لقد أعجبني أنه التقط العصب الرئيسي للكتاب، هذا الكتاب كما أخبرتك سابقا سأنشره قريبا، ودفعت إلى دار نشر فلسطينية بديوان "ما يشبه الرثاء" لعلهم يوافقون على نشره.

أتمنى أن تكون أخبارك جيدة، لقد ثرثرت كثيرا دون أن ألتفت، ونسيت في غمرة الحماس أن أسألك عن أحوالك. هل أقول لك اكتبي لي. لا أظن أن ذلك سيحدث، ولكن ربما يحالفني الحظ فتكتمل فرحتي بسطور قليلة منك.

أتمنى رؤيتك قريبا، من يدري، لعل الله يحدث بيننا صدفة جميلة فنلتقي، كما التقينا آخر مرة في المدينة.

تحيات قلب عامر بحبك.

الجمعة: 14-9-2018

سلام من القلب، أما بعد:

في حادثة قديمة تعود إلى أكثر من أربع وعشرين سنة طويلة، قال لي زميل في الجامعة: "من كان مثلك لا يحق له الحب"، كانت جملة موجعة بالتأكيد ما زالت تحفر في أعصابي، كل النساء اللواتي رغبت في الارتباط بهن وقد أصبحتُ موظفا نفرن مني نفورا شديدا، كوني فقيرا ومعاقا، ما زلت أسترجع موقف تلك المرأة "المثقفة" التي طلبتها للزواج نظرت إليّ باحتقار شديد بعد أن تواعدنا

لتراني وأراها، وقالت: "لا أفكر بالزواج الآن". هي أرادت أن تقول إنك لا تناسبني، بعد أن خاب ظنها في رؤيتي وقالت: "أهو أنت؟" قالت الجملة بازدراء شديد. زميلات الجامعة لم يكنّ يُعِرنني أي اهتمام حتى أنهن لم يكنّ يلقين عليّ التحية. صديقي رائد بعد أن قرأ كتاب "نسوة في المدينة"، ولاحظ الانفجار الشهواني في القسم الثالث منه قال: إن سبب ذلك هو الحرمان منك، ذلك الحرمان الذي وضحته في القسم الثاني من الكتاب. لذلك فقد سيطرت عليّ الأحلام كثيرا في هذا القسم.

لا شك في أن تحليله صحيح، لقد كانت علاقتنا قوية جدا ونحن عاشقان افتراضيان، ولكن عندما تعرّفتِ إليّ في الواقع نفرت مني أيضا، لقد صحَتْ فيك رغبات كل امرأة؛ تريدين رجلا عاشقا وسيما وغنيا ومعافى بدون إعاقات. الآن أفهم بُعدك عني بهذه الطريقة القاسية. أنا أجمل في عيونك ما دمت افتراضيا، هذا ما قلته في كتاب "نسوة في المدينة"، فلا داعي لتعاتبيني على الغياب أو على هذا الجفاء، وقد اختبرتُ كل ذلك، وخصوصا في لقاءاتنا الأولى.

لم يعد يقنعني بتاتا قولك ونظرياتك المثالية المدعاة، وأنا أرى ما أرى. لكن لا يهم، المهم هو أنني أصبحت أقدر على معرفة الحقيقة وتقبلها. عندما كتبت قصيدة "الفقير لا يصلح للحب"[1] كنت صادقا مع نفسي صدقا حقيقيا، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنني حزين أو سلبي، على العكس تماما. كانت هذه التجربة، وكل التجارب الأخرى متسقة مع ما استقر في نفس المرأة، وقد عبر عنها الشاعر القديم "إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له من ودهنّ نصيب"، وأنا ليس لي نصيب من ودك غير التقلب في مرارة الحب التي لم تأت إلا بمزيد من وضوح الرؤيا.

هل كنت مهووسا عندما صدقت أنك تحبينني؟ أظن أنني كنت خياليا مغرقا في توقع النتائج الإيجابية. لعلك كنت تسألين نفسك: "كيف نسير معا، وأنت تعرج، إنك تلفت النظر إلينا، لذلك علينا ألا نسير معا في نزهة أو شارع. كل ما هنالك كان الرضا بالجلوس معا في مقهى أو مطعم، هذا الجلوس الذي يخفي إعاقتي وفقري.

من حقك أن تحلمي بعاشق جميل ومعافى وإن كان من حقي أيضا أن أحب امرأة جميلة، حتى وإن قال ذلك الزميل ما قال. ناضلت كثيرا لأسعد بهذا الحب، ولكنه كان شقاء مطلقا، إنه يؤول إلى ما آل إليه من هذا الذي تشاهدينه ونعايشه بمرارة، لكنني لا أخجل من إعاقتي أو فقري المدقع، فكلنا فقراء ومعاقون في نهاية المطاف، أو لنكن إيجابيين ونقول: كلنا أغنياء وأصحاء أيضا ما دمنا أحياء ونمارس شهوة الحياة ودفء الحب وإن كان بالوهم.

لا تحاولي أن تفسري الأمور بغير هذا المنطق، أو تدعي غير هذا، فرسالتك الأخير عابثة جدا، ولا معنى لها غير أنه أصبح لديك فسحة من الوقت لتتسلي بي، وإلا ما معنى تلك التخاريف التي قلتها: "واضح أنني أنسى، لكن ذاكرتي المثقوبة تعيد لي بعض نزواتك التي لا تنتهي، ولتهنأ بهيامك أبدا".

---

[1] نشرت القصيدة في ديوان "ما يشبه الرثاء"، دار طباق للنشر والتوزيع، رام الله، 2019.

هذا هو الوهم الذي عشش في ذاكرتك المثقوبة، فلست بالتأكيد كما لمحت إليه إطلاقا، فأي هيام أهنأ به ونحن على ما نحن عليه؟ إنه موجع جدا لو ظننت غير هذا وخاصة في جملتك الأخيرة غير المفهومة "ولتهنأ بهيامك أبدا". أي جنون يستعمر عقلك لو أن ما وصلني من معنى هو المعنى الذي تسلق جدران عقلك؟ لا أريد أن أوضح أكثر، فليس من حقنا أن نعتدي على حرمة الآخرين حتى ونحن نناقش مسألة عاطفية غاية في التعقيد.

أما بخصوص رسالتك الأخرى: "أبهجتني رسالتك الأخيرة، أحب هذا التفاؤل في كتاباتك وأشعر أننا نستحق أن نعيش الحياة كما ينبغي لا كما تفرضه علينا، ابق بهذه الروح وهذا الجمال. هل لي بنسخة (pdf) من كتاب "نسوة في المدينة؟"، فقد كتبت ببرود واضح، فلم أشعر بحرارة الحب فيها، لقد دفعك الفضول لكتابتها، بعد أن قرأتِ مقالة رائد حول الكتاب، ولولا ما جاء في مقالته من مقاطع استفزّتك لم تكوني لتكتبي لي شيئا، فقد وصلتك بالتأكيد كل الرسائل السابقة، ولكنك لم تردي عليها، وبقيت صامتة. أصبحت أعرفك على نحو أكثر حزنا للأسف. لن أرسل لك نسخة من الكتاب وعليك الانتظار حتى يطبع، وإن أحببت قراءته واقتناءه فلك ذلك. ليس لؤما بطبيعة الحال وليس تشويقا للكتاب، ولكن لعلمي أنه لا فرق بينه وبين كل كتبي السابقة، سيأخذ مكانه على رف الكتب دون أن يكون له بهجة ما.

وأخيرا أريد أن أقول إنني لست حزينا بتاتا، وإن كنت غير سعيد أيضا. دمت كما أنت ولعلنا نلتقي، أين؟ ومتى؟ فلنترك ذلك للصدفة الجارحة.

الجمعة : 21-9-2018

الحبيبة الباقية ما بقيت الروح، أسعدت أوقاتا والأشواق ترقص في نظرة عينيك، أما بعد:

في مثل هذه الأيام من أيلول دخلنا "متاهتنا اللذيذة"، تلك التي أحببنا أن نسميها "الحبّ". إنها أكبر من هذا وذاك وكل ما مر بين عاشقين. فكل أيلول وأنت الحبّ الذي لا ينضب. سأتجاوز عما حدث في الرسالة السابقة من سوء الفهم، ولن أقف كثيرا عند تلك المعاتبات القاسية في رسائلك الغاضبة، فالأمر يحدث كثيرا بيننا، وبين غيرنا، فعادة المحبين ليست دائما كنهر رقراق، بل يشوبها أحيانا بعض الكدر الظريف الذي يضخ الدم في العروق، ويجدد الشوق، ويقدم أدلته على طريقته في المحبة الراسخة. ولتسمحي لي أن أعتذر لك على طريقتي.

أيتها الحبيبة التي أرى بعيونها، وأقرأ بأفكارها، وأتحسس وجودي على هدي من وجودها، إن طالعتُ صورتي في المرآة فلا أرى غير صورتك، وإن نظرت إلى السماء فلن أرى غير وجهك، ولو رقدت في فراشي فلن يزورني إلا طيفك، ولا يضحك لي من وجوه البشر سوى ملامح النور في فيض محبتك. فهل يعقل أن أكرهك كم ادعيت تجنيا، وربما، دلالا واستفزازا؟ إن فكرت بهذا فهذا قمة جنونك. والأشد جنونا من كل هذا قولك: "أعلم أنك أغلقت كل حساباتك في وجهي لتبقى صورة

العاشق الضحية برسائلك، بينما أنت تعبث مع العابثات على حساباتك. كفاك وكن صادقا مع نفسك وانظر في المرآة". وها أنا أستجيب لطلبك وأنظر في المرآة.

كوني على ثقة أيتها المقيمة في حناياي أن الأخريات لا يعشن إلا على الضفاف، فليس مثلك في العالمين امرأة، وإن هذا لا يحتاج تأكيدا ولا تبريرا، فهو أرسخ في الروح والعقل من رسوخ الأصابع في راحة اليد.

قد تستغربين أنني سعيد برسائلك على الرغم من قسوتها، وقد دفعتني للبكاء، هل يوجد هذه الأيام رجل يبكي من العشق والشوق؟ لقد أبكتني رسائلك الأخيرة كما أبكتك رسائلي، وأعترف كذلك أنني سعيد بالكتابة إليك، فهي فسحة للروح لتشعر بالرضا في معمعة الحياة المجنونة، وأحمد لنفسي فعلها إذ كتبت الرسالة السابقة؛ إذ دفعتك للحديث بعد صمت طويل، ألم تفكري أنني ربما كنت أستفزك فيها؟ لقد أفلحت في ذلك، ولكن لا تعدي هذا لؤما، لقد أعمى عيوني صمتك وأفقدني البصيرة أيضا.

كان لتلك الرسالة وقع جميل، مهما قلت عنها أنها متجنية ومجافية لحقيقة نفسك، ولكنها كانت ضرورية، وضرورية جدا، ودعيني أحدثك عن مآلاتها. ثمة قراء يقرؤون رسائلنا بعيونهم وقلوبهم ويرون ما لم نر نحن، رأوا فيها الانتهازية والواقعية وفضح كثير من السلوكيات العامة والخاصة في التعامل مع المعاقين، فادعاء المثالية أمر لا يخفى؛ فكم من نبي في أقواله وهو بالفعل شيطان رجيم. هذا ما كنت أرمي إليه وأنا أكتب رسالتي الأخيرة، ليس ضعفا حديثي عن الإعاقة، أو استدرارا للعطف، بل على العكس تماما فإنني لم أشعر يوما أنني معاق أو محتاج لمساعدة من أحد، وعشت ما مر من حياتي كما لم يعش الأصحاء المعافون وحققت ما لم يحققوا، وعلى طول هذه السنوات كنت رافضا أن أكون عضوا في الاتحاد العام للمعاقين، لأنني لا أشعر بضرورة أن أتميز عن الأصحاء، وأنني أفضل من كثيرين منهم، ليس بسبب الإعاقة بالطبع، ولكن لأسباب أخرى ليس للإعاقة دور فيها.

كانت فكرة في الذات، وأردت أن أبلغها للآخرين، ليلتفتوا إليها، ولعلني نجحت، مع أنك لم تتعاملي مع تلك الرسالة بإيجابيتك المعهودة، وأنا الذي أعرفك جيدا، وقد خبرتك على مدى سنوات. فجاء عتابك حاملا للشك وغارسا في القلب ألسنة من لهب، مع أن هذا العتاب أسعدني أيضاً على رأي من قال: "ولوْ مِنّكْ عتبْ جاني، سعيد الحظ تلقاني".

إن ما تحدثتُ به لا يحمل وجهة نظرك، ولكن هل سيتخذ القراء موقفا سلبيا منك بسبب تلك الرسالة؟ لا أظن أن ذلك سيحدث، فثمة أمور يحسن القراء التفريق بينها أيضا، ولأول مرة أراك منفعلة انفعالا في غير محله، وقد منعتني لأتحدث إليك عن أشياء أجمل من العتاب، لعلني في رسائلي القادمة أحدثك عما كنت أبغي الحديث عنه، وما زال أفكارا عائمة في بطن أجندتي السوداء.

أرجو أن تسامحيني إن زل القلم، أو شطح الفكر بعيدا، فسبب لك بعض الألم. وأخيرا أتعلمين ما هو أجمل ما حدث لي؟ أنك ارتبطت بي لما بعد انتهاء الحياة الدنيا، وسيظل القراء يقرؤون "الشاعر والجميلة".

أحبك حتى آخر العمر، ودمت الضياء الذي يغمر كياني كله. المشتاق لقبلة ثغرك...

الجمعة: 5-10-2018

عمت صباحا ومساء، أما بعد:

ماذا يعني أنك غبت أو حضرت؟ لا شيء إطلاقا. مر على آخر رسالة منك في هذا اليوم ثلاث جُمع كاملة لا أدري عنك شيئا، ولم تصلني أخبارك. السماء لم تسقط على الأرض، ولم ينخسف القمر، ولم تنكسف الشمس، لقد استمرت بالشروق كل صباح وهي تبتسم، والعصافير لم تمتنع عن التغريد حزنا، بل إن كل شيء سار عاديا دون وحشة أو سوء حال. فالأمر طبيعي جدا. وما زلت أستمتع بشرب القهوة والقراءة أحيانا، وأذهب إلى العمل وأقوم بواجباتي على أكمل وجه.

قال أحد المفكرين: "إذا غابت الفكرة حضر الصنم". وإذا غبت تحضر أصنامك كلها. لكن المسألة ليست كذلك بالضبط، دعيني أشرح لك قليلا: ها هي قطعة خشبية تعلو مكتبي. صنم صنعته عند نجار صديق، كان بارعا إلى حد الذهول، أريته صورتك، وأخبرته أن يصنع لي تمثالا على صورتك ومثالك. كان فنانا فعلا، نحاتا أتقن الصنعة، ها أنت الآن أمامي بكامل حضورك. صنما، وَثَنًا، فكرة، أحدثك كلما اشتقت إليك، أبتسم كلما لاحت لي الضرورة كي أبتسم. أتحسسك فأنت هنا وأكثر. تمثالك يُغني، يفعل بي كل شيء، إلا مضاجعتك، لقد تنازلت عنها، لتكون خاصة في الأحلام كل ليلة. أحلامي هي الأخرى ما زالت كما تعلمينها زاهية لم تتغير، ولن تتغير.

ثلاث جُمع وأنت صامتة، تسترقين النظر وتطلين على شرفة الكلام المنشور هنا وهناك، ما الذي حرك فيك نشوة الاستمتاع بالعبث؟ لماذا لم تظلي باهتة الملامح، غارقة في المجهول؟ أعرف أنه لا فائدة من الكلام ولا من كتابة الرسائل. كل علاقتنا عبث، وكل ما كتبناه عبث، وكل رسائلنا هراء، ما نفعها؟ وهذه الرسالة أيضا نوع إضافي من العبث.

صدقيني لو قلت إنني لم أعد أشتعل وجدا كما كنت سابقا، فقد نجحتِ في تراكم الجليد طبقة من بعد أخرى. عندما قرأت رسالتك الليلة الفائتة لم تكن مفاجئة، إذ كانت شبه خاوية من المعنى، أو بأدق تعبير خاوية تماما من أي رسائل، لم أفكر للحظة أن أهتم بها. إنها لا شيء، لأنها لو كانت تمثل لك شيئا لم تكن لتتأخر ثلاث جُمع متواصلة، كنت غارقة فيها في ذاتك ولأجل ذاتك. مباركة تلك الذات يا عزيزة الذات! فلا تحاولي الالتفات مرة أخرى لأي شيء، فأصنامك التي في ذاكرتي وتمثالك الذي يتوسط مكتبي كافية لتكون البديل.

أريد أن أخبرك من باب الاستطراد العبثي طبعا، أنه لا قصائد، أو كتابات جديدة سوى نص طويل كتبته من وحي حوارات طويلة مع صديقة جديدة، عرّفتني ما كنت أجهل، أطعمتني شهوة

الحديث حول أشياء كثيرة، والليل لم يعد طويلا أو مملا، مع أنها رفضت إقامة علاقة معي من أي نوع سوى علاقة الصداقة.

عليّ أن أخبرك أيضا أن صديقاتي رائعات، لا يعرفن العقوق ولا الخذلان، ربما ضحكتِ الآن بملء الفم إلى حد القهقهة من ذلك. أعرف ذلك كأنني أراك تقهقهين بلؤم واضح. أرى تمثالك أمامي ضاحكا أيضا، ها هو ينظر إليّ ويمد إحدى ذراعيه يتحسس وجهي، مع أنه من الخشب المصقول إلا أنه ليس باردا إطلاقا، تسري في كفه حرارة من نوع خاص، لستُ أتخيل أو أتمنى، بل إن تلك الكف الوثنية تنبعث منها رائحة شبيه برائحة جسدك.

فكري معي بفكرة الصنم المخترع، فكري بتلك الأقوام التي صنعت أصنامها لتعبدها، تريد أن تتقرب إلى الله زلفى بها، هل سيصبح ما بيننا تمثال ومجموعة أصنام، وننسى أن هناك شخصاً، ما زال حيا. أتمنى أن تستطيع هذه الفكرة ملء الفراغ.

لا أريد تحطيم تمثالك الوثني ولا أصنامك الزلفى، ولكن أريد أن أسهر معها على طريقتي الخاصة، فلم أعد وحيدا بعد هذا الاختراع العبقري، ولتبادري إلى صنع أصنامك أنت أيضا، فقد حان الوقت لنعود إلى ما قبل فكرة التوحيد العاطفي، يبدو أنها لم تعد مناسبة في الحب على الأقل، ولم يعد يليق بنا الإيمان أيتها المستنفرة المستفزة.

لا أدري متى يُبعث رسولنا الجديد لينقذنا من جاهليتنا الجديدة، فـ "لا شيء يقلب حياة المرء كما يفعل الحب"، إننا نعيش بفترة من الرسل، حتى ذلك الوقت الذي أرجو ألا يطول ظهوره قبل أن نموت، سأنتظر، لعلي أكون أول المصدقين به والمؤمنين بشرائعه.

حتى يحدث ذلك فهل تنتظرين معي؟

السبت: 6-10-2018

جميلتي اللذيذة، ونص كتابتي الأشهى، أسعدت نشوة وشهوة وكتابة أما بعد:

عندما أكتب عن امرأة مرت في حياتي أمحوها من ذاكرتي وأنظف القلب من آثارها إلا أنت، فإنني أفعل ذلك في كل مرة لتثبت مفعول الأدرينالين في دمائي. الكتابة في حالتي هذه تشبه تدفق الدم في الشرايين لتجديد النشاط، هكذا أفعل كي تظلي حاضرة بكامل النشاط الوهمي لهذا المسمى "حبا".

في محادثة طويلة مع أحد الأصدقاء أنتبه إلى أن فعل الكتابة يشبه تماماً الفعل الجنسي، إنها عملية سرية، تحدث في الخفاء، كيف يكتب الكتاب؟ ومتى؟ لا أحد يطلع على ذلك، كل الكتاب عندما يكتبون ينعزلون عن العالم أنهم يدخلون طقوس المضاجعة بين القلم والورقة، لتحدث تلك العملية البارعة، المسماة "الكتابة".

لاحظي معي أن الكتابة فعل مقاومة في الحالتين السابقتين، في الحالة الأولى مقاومة لاستعمار الأخريات لمواقعي الحساسة، فيستعمرن لغتي وأوراقي بدلا من استعمار تلك المناطق الحساسة

من جسدي، وفي الحالة الثانية مقاومة لغيابك القسري، وأظل كلما كتبت عنك أو لك أطل على المكان الذي أنت فيه وأبتسم حتى لو كنتُ في حالة يأس.

لقد انتبه أحد المشايخ في القرن التاسع عشر إلى هذه المسألة، ولو لم يصرح بذلك في كتابه الموسوم بـ "الإصابة في منع النساء من الكتابة" إلى أن الكتابة تماثل العملية الجنسية، يا ترى ما الذي دفع الكاتب ليقول هذا؟ أظن أن الفكرة أصبحت واضحة الآن. على الرغم من أن دوافعه المعلنة في الكتاب ليست الرابط بين الفعلين، ولكن ما أتى به من أمثلة تعد مقدمة لذلك. أبو تمام قديما كان أجرأ عندما عبر عن الكتابة الشعرية بقوله: "والشعر فرج ليست خصيصته طول الليالي إلا لمفترعه". لاحظي هذا التوحد بين النشوتين في الفعلين.

ثمة أبجديات نستخدمها نحن الكتاب تنتمي إلى تلك المنطقة المشتركة بين الكتابة والعملية الجنسية، ألم يتخذ القلم مشبها به للعضو الذكري، أتذكر عندما كنت صغيرا، كان أحد أصدقائي يطلق لفظ القلم على ذلك العضو، إنه لا يكتب إلا إذا كان منتصبا بين إصبعين، ويكون ملامسا لجسد الورقة، تماما كما يحدث في العملية الجنسية. وعندما كنا نضع أقلام الحبر في جيب القميص ويتعرض لارتفاع درجة الحرارة كنا نقول: فاض القلم، إنها الألفاظ نفسها إذا ما تعرض أحدنا لحادث ترتفع فيه درجة حرارته، فإن قلمه سيفيض أيضا.

لعلنا سننسى مع التكنولوجيا الحديثة هذه الاستعارة اللطيفة، إذ لا أقلام نستخدمها للكتابة، لكننا ما زلنا نستخدم الأصابع لذات النشوة، هل تحولنا إلى أقلام إلكترونية ونشوة إلكترونية؟ يبدو أن الأمر يدور في فلك استعارة أخرى، وإن كانت في السياق ذاته.

اللذيذة الجميلة كجملة شعرية مفترعة:

تأملي معي الأمر جيدا، لكن لا يحسن بي وبك أن نحصر الكتابة ونشبهها بهذا الفعل مع أنه فعل إنساني خالد، كيف يقاوم الإنسان موته؟ هل فكرت بالأمر؟ من المؤكد أنه يناضل بالقلمين معا حتى لا يموت له ذِكْر، قلم يكتب في جسد ما وينتج نصا، سيُدعى ولدا أو بنتا، يحملان اسم صاحبه وجيناته، وهي طريقة بدائية للتحايل على الموت، وثمة قلم آخر يكتب نصوصا لغوية خالدة، تجعل الكاتب خالدا، لعل هذا هو المعنى المقصود من مقاومة الموت بالكتابة، تموت أجسادنا وتبقى النصوص بعدنا شاهدة على أرواحنا، لا داعي لأقول لك أمثلة على ذلك، فآثار المبدعين من عهد قديم ما زالت حية ترزق. نتنفس أنفاس الكتاب كلما قرأنا كتبهم.

إننا نحن البشر نتاج عملية كتابية، يقول جبران خليل جبران "إنّما النَّاسُ سطورٌ كُتبت لكن بماء". ثمة من اتحد لينجبنا، ونحن نتحد مع غيرنا لننجب آخرين، وستستمر عملية الاتحاد إلى ما شاء الله لتظل الكتابة وفعلها هي أعظم ما منح للإنسان ليعبر عن طاقته الحيوية بشهوة قلمه، ويوظف قلمه الآخر ليعبر عن نشوة الكتابة. إنها هي النعمة الكبرى، والمعنى العظيم لهذا الخلق.

بقي أمر أود أن أحدثك عنه في هذه الرسالة فيما يخص الكتابة، إنه لجدير بالتأمل. هل تعتقدين أن القرآن الكريم لم يتعرض لهذه المسألة؟ هناك في القرآن الكريم سورة تدعى "القلم"، وبدئت بـ "نون والقلم وما يسطرون"، إن هذه الآية العظيمة تحمل من بعيد المعنى السابق، فما هي النون هنا؟ وما هو القلم؟ وما هو المسطور؟ إن اتحاد النون مع القلم هو ما يحيل إلى اتحاد الأعضاء الجنسية، وما ينتج عن القلم من عملية التسطير والكتابة، لعل هذا ما انتبهت له مجلة "بدايات" فنشرت على الغلاف في أحد أعدادها صورة ربطت فيها بين النون والقلم وبين الجسد الأنثوي، مع إبرازها لعلامة الترقيم، التعجب (!)[1]، ولنا أن نتخيل أنا وأنت هذه الدلالة ونستحضرها.

هذا ليس تحريفا ولا تجديفا وليس شططا في التفسير. فكل ما في الكون يحمل هذا المعنى من اتحاد بين مذكر ومؤنث، وكل اتحاد بين مذكر ومؤنث ينتج عنه عملية عبقرية، البرق والرعد والمطر، شق الأرض بالمحراث، و"نساؤكم حرث لكم"، واشتعال الكهرباء في الأشياء، ناتج عن اتحاد مذكر ومؤنث/ سالب وموجب، هذه هي سنة الحياة التي سنها الله، ليكون الاثنان حاضرين في كل مكونات هذا الكون.

أرجو أن أقرأ وجهة نظرك في الموضوع، فهلا كتبت لي لعل الفكرة تغدو أوضح وأجلى. أنا أكتبك وأكتب لك وعنك إذن أنا أمارس الحب معك. دمت النون لقلمٍ لا ينفك يفيض كلما جر حرفا ليكتب.

الجمعة: 12-10-2018

العزيزة الغالية، أسعدت أوقاتا وتجليا وحبا، أما بعد:

أذكر عندما كنا نناقش اللغة في الرواية مع الدكتور وليد الشرفا، كان صديقنا الشاعر الجميل خالد جمعة حاضرا، قال جملة ربما كشف فيها عن أنني، بحكم تديني، لم أقرأ الفيلسوف نيتشه. إن صديقنا خالدا بالتأكيد يرى أن نيتشة كان ملحدا، ولذا فإنني ما زلت متدينا، ولم يتضعضع إيماني الفطري ما دمت بعيدا عن نيتشه.

ربما كل الفلاسفة كانوا ملحدين، مع أن منهم من قاده البحث إلى الإيمان، فثمة من قال "لو لم يكن الله موجودا لاخترعناه". لم يكن نيتشة غائبا عني بالتأكيد، ولكنني لم أكن قرأت له كتبا، وإن كنت قرأت عنه كثيرا. لقد قرأت كتبا كثيرة في الفلسفة ولم يزعجني ما فيها من إلحاد ونفي للخالق أو "موت له"؛ إذ إنني أدرك على نحو يقيني قاطع أن شطحات الفلاسفة تشبه شطحات الشعراء

---

[1] عدد 10- شتاء 2015 من مجلة بدايات، وكنت كتبت مقالا قصيراً انتقدت فيه هذه التوليفة، موضحاً سبب الانتقاد بما يلي: "حولت المجلة القلم إلى رسم تعبيري يشبه علامة التعجب التي ينتهي آخرها برأس يشبه رأس القلم وينزل منه نقطة النون ليكون في المنتصف، والنون والقلم هذان جاءا في منطقة الفرج في رسم امرأة شبه عارية، ليدل على عملية التلاقح الجنسي! وإن عجز القلم عن الوصف فإن الصورة الملحقة كفيلة بالتعريف". (ينظر المقال: دنيا الوطن، 2015/5/1: https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/05/01/364785.html).

والمتصوفين والعباقرة والعشاق، كلهم كان باحثا عما يعتقد أنها الحقيقة؛ ليرتاح، وليس ليكون تعبا وقلقا.

إن فكرة الإلحاد بحد ذاتها فكرة ساذجة جدا، ولذلك لم تكن لتؤثر في أفكاري كثيرا أو قليلا. فما يضير الخالق أن ينفي وجوده فيلسوف أو شاعر أو عبقري؛ هي أزمة فكر بلا شك، فلا أحد منهم يريد أن ينفي الخالق اعتباطا، وإنما لم يهده تفكيره إليه، بحكم عوامل عدة.

المهم يا عزيزتي، تعرفت إلى نيتشه أخيرا، وعلى كتابه المربك "هكذا تكلم زردشت". بدا نيتشه في الكتاب قلقا ما بين الإلحاد المطلق والإيمان اليقيني. متذبذبا بين "الكفر" و"الإيمان"، لكنه بلا شك كان باحثا عن الحقيقة.

لا بد من الشك أولا للوصول إلى اليقين، هذا هو المبدأ الفلسفي العام الذي ينسب إلى ديكارت، وأحسن طه حسين استخدامه والتعبير عنه، وإن كان علماء الكلام من فلاسفة المسلمين قد انتهجوه في أبحاثهم العقدية، فجاءوا بمبدأ "التخلية قبل التحلية". لقد سار طه حسين على المنوال ذاته في دراسته "في الشعر الجاهلي"، أراد الشك من أجل الإثبات، ولكنه شك ولم يثبت شيئا، ولعل خطأ طه حسين هو أنه نقل المبدأ الفلسفي من بحث الألوهية إلى مجال الشعر، فثمة فارق كبير بين الحقلين، ومن هنا كانت السقطات التي وقع فيها الكتاب. أحببت كتاب طه حسين، وقرأته في طبعته الأولى غير المعدلة بنهم وسعادة كبيرة، ولم أر فيه ما يدعو إلى التكفير. لماذا تراجع طه حسين عن بعض أفكاره؟ إنها معضلة فلسفية وفكرية أن يتراجع الكاتب عن أفكاره أو أن يتخلى عنها أو يعدل فيها.

كتاب "هكذا تكلم زردشت" جعلني أسأل نفسي أسئلة كثيرة: هل يجب علينا أن نقرأ الفلسفة؟ وهل لا توجد فلسفة إلا في كتب الفلاسفة؟ ولماذا نحشر الفلاسفة في خانة الملحدين فنخاف منهم؟ ولماذا يلجأ الفلاسفة إلى التعقيد؟ ماذا عليهم لو طرحوا أفكارهم بسهولة ويسر؟ ربما نحن مفتونون بالتعقيد، ونبحث عنه، وبقدر ما تكون معقدا في لغتك تقترب من الجمال والفلسفة، فالغموض حارس الذائقة العنيد، وإلا فأنت بسيط وساذج. ننفر من البساطة التي هي أعظم كلمة في معجم الفلسفة الكبير المتضخم. رواية "عالم صوفي" تقوم على الفلسفة وتعالج فكرة وجود إله، ولكنها عرضت الفكرة بقالب روائي جميل، غير معقد. الفيلسوف الفرنسي "لوك فيري" في كتابه "أجمل قصة في تاريخ الفلسفة"، يرى أن الفلاسفة عقّدوا الفلسفة في اجتراحهم لغة معقدة غير مفهومة إلا من النخبة.

الفلسفة موجودة في كل شيء؛ أن تقول: "إن الحياة حلوة" هي فلسفة، وأن تقول: "لا إله إلا الله" فلسفة، وأن تقول: "الجمال نسبي" فلسفة، كما يمكنك أن تقول هذه المعاني كلها بألفاظ معقدة. من يدرك حكمة الحياة قد أدرك كنه الفلسفة، إذ لم تأت الفلسفة إلا لجعل الحياة أكثر فهما.

الجميلة الرائعة:

لم أشعر أنني كنت بحاجة لقراءة نيتشه إلا "من باب العلم بالشي ولا الجهل به"، فوراء كل تلك الغمغمات اللفظية واقع أجلى وأعظم من كل ما يقوله الفلاسفة والمفكرون، ولعل الحياة أبسط مما يتصورون، وربما هي أعقد مما نفكر فيها بسذاجة.

أتعرفين ما هو أكثر أمر يقلقني في تفكير هؤلاء المثقفين؟ هو أنه يجب عليك أن تقرأ لنيتشه وديكارت وكانت وهيكل وماركس وهيدجر وروسو، وأراهم مفتونين حد العظم بما يقول هؤلاء دون أن يكونوا قادرين على شرح أفكارهم أو هضمها. ثمة فرق بين أن تقرأ لتعي وتناقش، وبين أن تقرأ لتنقاد، مثقفونا في الغالب، يقرأون لينقادوا، وليس ليفكروا وينتجوا جديدا. انتهت عندهم الثقافة مظهرا محصورا في "نيتشه وفيروز وشرب النبيذ والعرق، والعلاقات المفتوحة مع النساء"، وإذا لم تكن من مرتادي البارات فأنت لا تستحق لقب "مثقف"، وستكون غريبا موحشا في جلساتهم البائسة. هكذا ينتهي نيتشه في عقول المثقفين دون أن يفكروا فيما بعد نيتشه. فكرة راودتني منذ فترة وهي الموازنة بين نوعين من الكتاب، الكتاب التأصليين والكتاب التناصيين، إنه لأمر محزن أن تدركي أن أغلب كتابنا الكبار هم كتاب تناصيون، وليسوا تأصيليين. إنها حالة سقم كبير في إنتاج المعرفة.
أرجو أن تكون فكرتي قد اتضحت بعيدا عن غمغمات الفلاسفة، متمنيا ألا يفهمني أحد خطأ، أو تأويلا عبثيا. دمت أجمل من الجمال، وأعمق من الفلسفة، أيتها الهادية إلى متون الفلسفة الروحية الجميلة.

أحبك هكذا دون فلسفة زائدة عن حد القلب المفتون فيك عشقا.
الثلاثاء: 16-10-2018

شاعرتي الجميلة، وجملتي الناعمة كالحرير، حياك وحي الشعر وبياك أيتها الشهية، أما بعد:

عادة أدمنت عليها مذ تركت الفيسبوك، عادة البحث عن منشوراتي في المواقع والصحف، والبحث عما ينشر لي على الفيسبوك من القراء، لقد فاجأني كثير من المنشورات، ومنها منشور طريف من قارئ مغربي يتندر على قصيدة لي منشورة في صحيفة "الاتحاد الاشتراكي" المغربية[1]. القصيدة هي "على كراسي العرش"، أما المنشور فمكتوب باللهجة العامية المغربية، وقد جرّ موجة من التعليقات الساخرة لأصدقائه كذلك من القصيدة ومن قصائد ومنشورات أخرى في الصحيفة ذاتها.

أثار فيّ التعليق موجة من الضحك، لقد سررت به كثيرا على الرغم من أن فحواه وصف القصيدة بالرداءة، وخاصة بداية القصيدة التي كانت هكذا "أناديها: ارتعشي عليّ" ما دفع هذا القارئ أن يكتب: "شريت الاتحاد الاشتراكي يحسابني اليوم كايكون فيه الملحق السينمائي. ولكن لقيت فيه الملحق الثقافي. على الحلة خرجت فواحد الشاعر سميتو فراس حج محمد كاتب قصيدة باديا هاكا: أناديها، ارتعشي عليّ".

[1] منشورة في عدد يوم الجمعة: 2018/7/20. للاطلاع على النص: https://2u.pw/nz85djh

إلى هنا ينتهي المنشور الأساسي، ولكنه فتح شهية أصدقائه للتندر على الشّعراء. أحدهم كتب: "أنا حضرت مهرجان الشعر واحدة قالت: "أنا الشرنقة أنا الفراشة" فكراتني بمقرر النشاط العلمي ديال الرابع". وكتب آخر يطالب صاحب المنشور أن يكمل فقد شوقه المنشور إلى المزيد، فأخذ يستعرض منشورات الملحق الثقافي بسخرية فيكتب يونس برياز ربما هكذا يلفظ الاسم (Baraiz) مستشهدا ببعض الأسطر الشعرية من مقاطع متعددة: "يقول نفس الشاعر في نفس القصيدة:

تعالي

وازرعي نهديك في صدري بحق الرب

......

انعجني فيّ بعنف

......

أيتها اللذة انهمري عليّ"

ويردفه بتعليق آخر: "إلى أن يقول بلا حياء:

اعتلي برجي المغمس بالندى

وانتصبي مثل ضوء باذخ يهدى

بعرف الند".

وقد طالت التعليقات الساخرة شعراء آخرين كتبوا في الملحق نفسه، يقول معلقا على أحد النصوص لشاعرة مغربية: "في أعلى نفس الصفحة تكتب شاعرة اسمها مالكة حبرشيد قصيدة بعنوان: لن أموت حتى أفقأ عين الانتظار استهلتها بالمقطع التالي: أقطع ذيله الذي زاد عن حده".

ولم تسلم القراءات النقدية من اللمز والهمز فيكتب يونس هذا التعليق: "وفي الملحق كذلك مقال كتبه دكتور اسمه أحمد زكي كنون عن الشاعر محمد السرغيني يصفه بـ "المتألق، الفواح بعطر العطاء، الغارق في بحر المعرفة...".

يبتعد صاحبنا قليلا عن السخرية، فيشير إلى مقال ما إشارة عابرة كأن اللعبة أسعدته وشوقته: أما حسن إغلان فكتب مقالا مطولا عن رواية "دانتي" لمحمد الهرادي الملتزم بـ "العلامات المزوبعة للدليل". كأن هذه الجملة الأخيرة لم تعجبه أيضا، وربما كانت غامضة فلم يستطع استيعابها.

ولم يسلم الشاعر الكبير شوقي بزيغ من التعليق فيعلق على حديثه خلال حوار مع الشاعر منشور في العدد نفسه. قائلا: "أما الشاعر اللبناني شوقي بزيغ فيعترف بأن زواجه أدى إلى تراجع منسوب قصيدة الحب لديه لأن الزواج حالة نثرية". وتخرج التعليقات خارج الملحق الثقافي ليكتب أحدهم متندرا: "وفي اليوم العالمي للشعر صاح أحد الشعراء الشباب: تحية لكل الأصدقاء والصديقات الذين من أجلنا أصبحوا (طريطورات). وتساعدني خدمة الترجمة الإلكترونية لأفهم

معنى الكلمة (Traiteur)، وتعني "متعهد حفلات". وهكذا تنتهي التعليقات الساخرة على القصيدة والملحق الثقافي في صحيفة الاتحاد الاشتراكي بهذا التعليق: "في الواقع، وجدت هذه الصحيفة، وقرأت كل صفحات الملحق الثقافي"، وينهي التعليق أنه لم يعد يقرأ في صحف اليوم ما كان يقرأه سابقا من مادة أدبية وفلسفية ونقدية، وأن هذا الأمر لم يعد مستغربا.

وقفت عند هذه الحادثة، متأملا بعد أن سكتت عني موجة الضحك، ربما هناك أشياء نجهلها نحن الجيل الجديد من الكتاب والشعراء، وربما القراء أنفسهم يجهلون أشياء كثيرة أيضا، فهل يعقل أن يكتب شاعر عاش في الألفية الثالثة كما يكتب شاعر من جيل الخمسينيات والستينيات؟ وهل فعلا كانت الرداءة بهذا الحجم بحيث طالت كل مواد الصحيفة؟ ألا يوجد فينا كاتب رشيد، رصين، يُسعد يونس وأصدقاءه؟

على كل حال، بدا الأمر عابرا، أحببت أن أطلعك عليه، مع حزني المؤكد على صاحبنا الذي اشترى صحيفة الاتحاد الاشتراكي ولم يجد الملحق السينمائي، فقد خيّبت وزملائي الكتاب ظنه، وذهب عمله باطلا، ولكن رب ضارة نافعة، لنا نحن الكتاب الذين حظينا بفرصة القراءة، في مجتمع أصبح فيه قراء الصحف الورقية وقراء الكتب عموما عُمْلة نادرة.

لو أردت أن أسترسل في موضوع التعليقات الساخرة على الشعراء لطالت الرسالة طولا يحملك على قوائم من خشب الملل، ولكنني أذكرك بقصيدة "الحليب والعسل" للشاعر التونسي المنصف الميزغني التي أثارت موجة من السخرية، وسرعان ما ربط القراء بينها وبين قصيدة مرجان أحمد مرجان/ عادل إمام "الحلزونة يما الحلزونة"، وعلى الرغم من محاولة قناة العربية رد الاعتبار للشاعر الكبير في برنامج "بانوراما"، عندما وصفت المذيعة منتهى الرمحي القصيدة بأنها عميقة، وإن كانت بألفاظ بسيطة تصل إلى الجمهور وتؤثر فيه، وبأنها قصيدة سياسية، مذكرة بقصيدة الشاعر الأخرى "خروف دخل البرلمان". إنها مرة أخرى مشكلة الشاعر الكبير وإن كان النص ساذجا أو تافها، مع أنه لا يوجد شاعر كبير أمام قراء الفيسبوك وتفاعلهم، هذه الظاهرة من التقييم التي بشر بها رونان ماكدونالد (Ronan McDonald) في كتابه البديع "موت الناقد"، إذ تنبأ بموت الناقد الأكاديمي المتخصص ليحل محله قارئ متذوق، دون أن يكون مجبرا على الاستناد إلى أية نظرية سوى نظرية ذائقته ومزاجيته القرائية.

لقد مررت سابقا بالتجربة نفسها وطالتني سهام المعلقين عندما نشرت هذا المقطع:

كوني امرأةً أنثى
والبسي تنورةً
فأنا لا أحبّ البنطلون
واستعملي أشياءنا
تلك التي اخترناها معاً ذات حديثٍ
واستعدّي للجنونْ

فقد علق أحد الأصدقاء قائلا: إنه قد تذكر قصيدة "الحلزونة" لعادل إمام وهو يقرأ هذا النص. وما زلت أذكر تعليقات ساخرة كثيرة لزملاء العمل حوله. إنه لأمر طبيعي أن يحدث مثل هذا الأمر وأكثر منه أيضا. فللشعراء سقطاتهم لا شك في ذلك، وعليهم أن يحتملوا آراء القراء، وإلا عليهم أن يصمتوا، فلا يوجد كاتب بمنأى عن الرداءة مهما علا كعبه في الشعر، أو سطع نجمه في سماء الشهرة.

والشيء بالشيء يذكر كما يقولون أيتها الجميلة، فما زلت أذكر منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة حيث كان الشيخ عبد الحميد كشك في تسجيلاته الصوتية يسخر من عمالقة الفن والطرب، فبعض جمله عالقة في الذاكرة إلى الآن، معلقا بفكاهة ساخرة على العندليب الأسمر في قوله "إني أتنفس تحت الماء"، ليسخر منه الشيخ الجليل بقوله: "ألك خياشيم يا عبد الحليم"، وتعليقه على "أنا الهوى هوايا" قائلا: "ده الهوى مش هواك ده الهوى بتاع ربنا"، ولم تسلم منه أم كلثوم كذلك، فتناولها بسخريته التي كانت تسعد الجمهور وتثير فيه شهوة الضحك. لقد كان هذا الموضوع أيضا مجالا للتندر في واحدة من مسرحيات سيد زيان، عندما تناول بالسخرية مجموعة من الأغاني ومنها أغنية فايزة أحمد "يما القمر ع الباب"، ليقول: "بجيبوا الكلام ده منين"!، ولسة يا ما نشوف على رأيه في المسرحية نفسها.

أتمنى أيتها الغالية أن تبتسمي وأنت تقرئين هذه الرسالة، ف "لا شيء يستدعي القلق" والتجهم. نصيب مرة ونخطئ مرات، وإننا لمستمرون حتى آخر الشوط، ما وسعتنا اللغة والحياة، وما أمدنا الحب بالطاقة الحيوية كي نكون.

دمت بخير ورهافة حس وشعر، وإلى لقاءٍ، لعله صار أقرب من أي وقت مضى.

الأربعاء: 2018/10/24

جميلتي اللذيذة، أسعدت أوقاتا أما بعد،

لقد سرني على نحو لطيف جدا مكالمة اليوم، كأنها الغيث التشريني في موسم قحط شديد، لكن، لا شك في أن انقطاعها كان كتوقف الماء فجأة في حلق الظمآن، فلا هو ارتوى، ولا الماء غدا صالحا للشرب. لحظة كنت دائما أتوجس منها وأخافها، وها هي تحدث، كما أنها تحدث في كل مرة تقريبا، ثمة من يقطع هذا الحديث المشتهى.

لقد كانت رسالتك المقتضبة مزلزلة لكياني كله: "بحق ما تحفظه لي من ود أن تدعنا نلتقي"، سنلتقي أيتها الغالية عندما أشعر أنني أصبحت قادرا على لجم شهوتي التي تأكلني كلما التقينا. فبحق من برأ الخلق وقدر علينا هذا الشقاء الأبديّ أنني مشتاق لك شوقا لا تستطيع الكلمات أن تحمله أو تصوره، ولكنني لا أستطيع أن أراك في هذه الأيام، فلن أحتمل رؤيتك والجلوس قربك، ففي كل مرة تطحنني شهوة جارفة لك، فالبعد أخف كثيرا من عذاب لقائك. هل تخيلتِ يوما

عذابي؟ إن النار تلتهمني حتى لو تحدثنا وضحكنا، حالة مستحيلة على الشرح، يكفي أن تعرفي أنني أريدكِ بكل ما ملكت من جنون وقوة وحب وشوق، لا تفارقيني في أي لحظة من نهار أو ليل، ولكن مع كل ذلك كلما كتبت لك أهدأ قليلا، فما بالك وأنا أكتب لك بعد أن تذوقت حلاوة صوتك بعد عطش شديد.

لقد مررت في الفترة الأخيرة بحالة من الشوق الشديد، كنت أعالجها بالقراءة والاستماع إلى الموسيقى، لعل أهم كتاب قرأته هو "الفلاسفة والحب"، إنه يتحدث عن تجربة عشرة من الفلاسفة ووجهة نظرهم في الحب، لقد أحب الفلاسفة حبا طبيعيا عاديا فيزيقيا كما يحب الناس العاديون، لقد اشتهوا محبوباتهم كما أشتهيك، لم يكونوا مثاليين، بل كانوا دائما يطمحون إلى ممارسة الحب مع محبوباتهم، فامتزاج البعدين الروحي والمادي ضروري جدا أيتها الحبيبة. لقد كنت أقول لك ذلك، فازدادت قناعتي بهذا لما أراه من حال العشاق، كتابا وشعراء وفلاسفة وسياسيين وطغاة، أمام الحب يتلاشى كل شيء، ويتعرى المخلوق من كل مكتسباته، ليظهر على حقيقته محتاجا عاجزا ناقصا، يسعى إلى الاكتمال مع من أحب، فالجسد ليس عفونة يجب أن نتخلص منها، إنه بوابة الروح والامتزاج بها.

لا شيء يجعلنا قادرين على أن نرى الأشياء على حقيقتها سوى الحب، أفكار هؤلاء الفلاسفة عمقت فيّ الإحساس بأهمية الحب في الحياة، صحيح أن ما بيننا هو قدر، وقع دون تخطيط مسبق، لكنه كان قدرا مهما، كقدر أن نكون موجودين على هذه الحياة، الحب حياة أخرى متجددة داخل الحياة، لكنها حياة لا تشيخ، ولا تعرف الضعف أو التجبر.

كنت أرغب في الحديث أكثر هذا اليوم، عن الجوائز والفائزين بها مؤخرا، ولجان التحكيم، والذائقة الفنية، والاعتبارات الأخرى، لكن حدث ما حدث. لا بأس، ربما أتاحت لنا الفرصة أن نتحدث في قادم الأيام. فعلى ما يبدو ليس متاحا أن نتحدث متى شئنا، فالعمل والآخرون وأشياء أخر تمنعنا وتقطع لذة الحديث.

كنت مشتاقا للحديث حول رواية صديقنا الجميل مشهور البطران "أوبرا القناديل"، فقد وصلتني في البريد العادي، فرحت بهديته جدا، وأنهيت قراءتها، إنها عمل يربك القارئ والناقد على حد سواء، كانت الرواية مدار حديث بيني وبين الصديق رائد الحواري، إذ يتبنى موقفا إيجابيا من الرواية، على عكس ما وجدت أنا في هذه الرواية.

كانت الرواية خليطا من الواقعية والرمزية والفنتازيا والسخرية والأدب الشعبي، وبتقديري لم يأخذ أي حقل من هذه الحقول حقها في الوضوح، فالفنتازيا في الرواية سطحية، وتشعر في بداية الرواية أنك في معمعة مطاردة الصراصير، ولا شيء غير ذلك، فأنت أمام مشاهد حقيقية لمجموعة من الصراصير المزعجة، فلم يظهر فيها أولا أنها ذات بعد فنتازي أو رمزي، ثم تتطور الأمور وشيئا فشيئا تصبح رمزا لأولاد العم، الذين أفلحوا في استدراجنا عن طريق الوسطاء إلى ما يريدون، ثم ينسى أمر الصراصير كمادة فنتازيا ورمز وتغيب عن المتن الروائي صفحات كثيرة، إلى درجة أن تسأل

أين ذهبت وتلاشت، لتعود خجولة متسللة مرة هنا ومرة هناك، لتشارك الزعيم المخلوع غرفته وطعامه، إنها عادت إلى طبيعتها مجرد كائنات مزعجة غير مرغوب فيها، وإن أصبح الزعيم أكثر تقبلا لها.

هل ما زلت تتذكرين ما كتبته حول ظاهرة الشعراء الصراصير؟ أنا كنت أكتب ملاحظات نقدية على سلوك ثقافي، هذا المقال كما يقول الشاعر إياد شماسنة إنه سبب سقوطي المدوي في انتخابات اتحاد الكتاب الأخيرة. تخيلي مقال يسبب سقوطي في الانتخابات! ليس دقيقا ما قاله الصديق إياد، لكنه يبقى رأيا، كأن شماسنة بعيد عن "اللعبة الديمقراطية" الهزيلة المفضوحة بسيطرة الفصائلية التي تهزم كل من تحرك خارج دائرتها.

ليس مهما كل هذا، يا عزيزتي، فقد انتهى الأمر وانفضّ السامر، وربحت فصائلنا المعركة الخاسرة أصلا، ولنعد إلى رواية "أوبرا القناديل". ما أعجبني في الرواية هو ما فيها من كسر لقالب الرواية الكلاسيكي، فهي لم تحتف بالبطل الفرد كما جاء في الرواية ذاتها، ومنحت المرأة "مريم" والأطفال بطولة روائية، ولكنها أيضا متمددة في موضوعات متشعبة، لم يمنح أي موضوع منها صنعة روائية جيدة، فالزعيم "الأب الكبير"، الذي يبدو أحيانا كأنه صدام حسين أو زين العابدين بن علي وأحيانا بشار الأسد، وأحيانا الزعيم الفلسطيني الذي يدخل في مفاوضات عبثية. ثمة خلط في الرواية، تضيع فيها الأفكار والأحداث، ولا تستطيع أن تعطي لها شخصية ما. هل كان ذلك مقصودا كما يرى صديقنا رائد الحواري؟ لا أدري. لم أقتنع بوجهة نظره فيما كتبه عن الرواية[1].

أمر آخر أعجبني في هذه الرواية وهو إحالتها على كثير من المراجع المهمة، وأولها الفلسفية، فثمة أسئلة فلسفية في الرواية، من مثل: ما هو الحب؟ وكيف يكون؟ وما هي السلطة؟ وكيف تكون؟ وما هي القوة؟ وكيف تكون؟ وكيف يمكن السيطرة على الذات الجامحة للحب واللذة والشهوة، شهوة النفس للحب أو للحكم والتجبر؟ لقد أعادتني الرواية إلى مجموعة من الكتب المهمة التي تظهر الكاتب مثقفا ثقافة متينة، فلا بد وأنت تقرأ في الرواية إلا أن تتذكر كتاب "المقاومة بالحيلة"، و"الفلاسفة والحب" و"حيونة الإنسان"، و"خطب الديكتاتور الموزونة"، وفيلم "Dany The Dog".

آمل أيتها الجميلة أن تقرئي الرواية، وتكتبي لي وجهة نظرك فيها، لقد كانت رواية صادمة، ويحسب لها فنيتها غير الكلاسيكية ومحاولتها أن تقول أفكارها بطريقة جديدة، مع قناعتي الراسخة أن نجاحها في ذلك كان نجاحا متواضعاً.

وقبل أن ألثم شفتيك بقبلة أخيرة، أرجو أن تسامحيني فقد قسوت عليك وقسوت على نفسي كثيرا، لست أدري هل أنا على صواب أم على خطأ، ولكن أرجو أن تحتملي مني ذلك، عسى الرحمن

[1] المقال بعنوان: "الواقع والفانتازيا في رواية "أوبرا القناديل"، دنيا الرأي: https://2u.pw/fnB717G، نشر بتاريخ: 2018/10/12.

أن يخفف عنا ما نحن فيه، فها أنا أمتثل لقولك: "اكتب كل ما تهبنا (تخيلاتك المجنونة) من حياة حتى يقضي الله أمره فينا".

وإلى لقاء، أقبلك مع كل نسمة صباح وزهرة تفوح بعطرك.

الجمعة: 2018/11/2

مساؤك وصباحك قبلة ووردة وقصيدة، أما بعد:

لم أحظَ منك برد على رسائلي السابقة، لكن لا يهم، يكفي أنك تقرئين ما كتبت، ولا يفوتك منه شيء، هذا بحد ذاته دافع للاستمرار في الكتابة. مر عليّ هذا الأسبوع نكدا طويلا، كأنه ظل كثيف الغيم، سرعان ما تبدد في حضورك على مدى يومين باتصالك الهاتفي، كم كنت محتاجا لتنقذيني مما وقعت فيه أخيرا من شرك السفاهة والتفاهة والبلادة. ولتسمحي لي أيتها الحبيبة أن أبلغك شيئا عما جرى.

بالتحديد يوم الثلاثاء الفائت، كان يوما أسود، تافها، قذرا، شعرت فيه أنه يوم هجائي بليد لا طعم له، بل إن له طعم الحنظل المنعقد في ذاكرتي، كلما تذكرته حتى أشعر بالاختناق والضيق والغثيان ووجع في المعدة. كان يوما طويلا مُمّلاً، قضيته برفقة أحد المعارف في المدينة، تحولت دفعة واحدة إلى شيء عديم الفائدة والقيمة، كم أتمنى لو أنسى ذلك اليوم. اليوم أكتب لك عنه لأنني أصبحت قادرا على مسك ذاكرتي بين إصبعين من أصابعي وأفتتها بكل رفق ولذة وربما بلا رحمة دون أن أشعر بالامتعاض. أكتب لك عن يوم كنت فيه أبله، وكان يوما متفوقا في البلاهة على كل حال. دعيني أسمه لك "الثلاثاء الأسود"، والغبي أيضا. لقد ضاع من حياتي سدى، ولم أشعر في أي يوم من أيام حياتي كلها أنني عشت يوما أسوأ من يوم الثلاثاء الماضي.

في ذيل ذلك اليوم، حضرت لقاء أدبيا للكاتب الشاب أحمد جابر لمناقشة مجموعته القصصية "السيد أزرق في السينما"، كان لقاء متواضعا على كل حال بالحضور كمّاً ونوعا، وأغلب الحضور كان رقّاً من "الحمام الإلكتروني" كما قال أحمد نفسه "جمهور من الفيس بوك"، فتيات، قارئات، متابعات للكاتب، جئن وحضرن اللقاء، شكلن نسبة جيدة في الحضور، هنا تبدو نظرة رونان ماكدونالد صائبة تماما في إعطاء القارئ العادي قيمة للعمل الأدبي بعيدا عن النقد الأدبي الرصين. هنا يمكن للمرء أن يفهم تلك العوالم المشوهة في القصص، وسطحية الرؤى في تلك النصوص.

ثمة ملاحظات كثيرة على المجموعة القصصية التي فازت بجائزة القطان، ورأيت أن ما قالته لجنة التحكيم عن المجموعة مبالغ فيه كثيرا، فلم تكن فسيفساء المجموعة معبرة بشكل عميق عن ذلك الرأي "المهول جدا" في وصف المجموعة القصصية، ولكن لا بأس.

ولعلك تسأليني ماذا وجدت في المجموعة من ملاحظات؟ لا شك أنني سأسرد لك في عجالة أبرز ملاحظاتي على تلك المجموعة، وإن أتيحت لك الفرصةُ قراءتها فلنتبادل الآراء حولها في قابل الأيام.

أحسست وأنا أقرأ في نصوص المجموعة أن "القصة القصيرة" في مأزق إبداعيّ، فليس هناك نماذج لقصص قصيرة بارعة كتلك التي سادت في الثمانينيات أو ما قبلها، أصبحت القصة القصيرة قليلة

الحضور وباهتة البناء، وكتابها قليلون، يكتبونها ربما للبحث عن فكرة روائية كما حدث مع أحدهم، فبعد نجاح إحدى قصصه القصيرة، قام بوضعها في قالب الرواية، فمطّها وأمَلّها، وخرّب القصة والرواية معا. هذا ذكرني بزملاء عملوا في تأليف مقررات اللغة العربية الحالية، لقد كانت معضلتهم إيجاد نماذج من القصة القصيرة، لقد اتصل بي بعضهم، ولكن ذائقتهم وذائقة من يعملون معه ربما لم تكن كما ينبغي أن تكون، فرفضوا كل اقتراحاتي، ليستقر رأيهم أخيرا على نماذج باهتة وركيكة أو مكررة أو اعتماد مقالة بدل القصة، ولهذا الأمر وقفة أخرى غير هذا الموقف.

أغلب القصص في مجموعة "السيد أزرق في السينما" لا تتجاوز قامتها السردية صفحة وبضعة أسطر، وتقوم على ملامح باهتة للشخصيات ببعديها النفسي والخارجي، عدا ما تتمتع به أغلب الشخصيات من أزمة نفسية تقربها إلى عالم اللامعقول، وأحب أن أستخدم مصطلح "اللامعقول" حتى لا تظني أنني لو استخدمت غيرها كالفنتازيا مثلا، أن النصوص من الأدب الفنتازي، هي لا معقولة فقط، بمعنى أنها لا رؤيا لها، تلك الرؤيا التي يستند عليها "الأدب الفنتازي"، لقد بقيت هذه النصوص سردية سابحة في خيال غريب، حتى وإن حاول الكاتب إدخالها في الرمزية ومبدأ الإسقاط الواقعي، فإن شيئا ما لن يساعده في ذلك. فطبيعة السرد المقتطع غير المستند إلى إشارات نصية تجعل النصوص مبتورة سابحة في فضاء أسود لا تستطيع الاستقرار على معنى معين.

ثمة ملاحظات أخرى لا تبدو ذات أهمية، وإنما أحببت أن أوضح وجهة نظري المغايرة لمديح لجنة التحكيم "الكبير" للمجموعة، مع ملاحظة أن المجموعة تغص بعنصر "التغريب" الذي أشعرني بوجع ما، وكنت قد ناقشت ذلك منذ مدة، عندما تناولت بالقراءة إحدى الكتب الفيسبوكية.

لقد اعتمد الكاتب بكليته المعرفية على الأدب المترجم، فبناء جمله، والفضاء المكون للقصص، وأسماء الشخصيات، كلها تسحب قارئها إلى عوالم الكتّاب الأجانب، كما صرح الكاتب نفسه أنه قد تأثر في قصة من قصص المجموعة بإحدى القصص المترجمة، وما يظهر كذلك من استعراض حياة "كافكا" في أول تلك القصص، لتبدو قصة "الشبّاك الخامس" قصة غريبة عن المجموعة، كأنه النص النشاز في غابة تعج بالمناخ الغريب جدا، لتصبح الغرابة غَرابتين وغُربتين. ربما أراد الكاتب أن يستعرض ثقافته على القارئ، فليكن.

لقد لاحظت إحدى القارئات هذا الملمح في القصص، أيضا، فلماذا كان الكاتب منحازا لذلك المناخ السردي اللامعقول المنغمس في الأدب المستورد؟ على كل حال يا عزيزتي، ربما سيكون لك موقفٌ آخر من المجموعة.

أرجو لك الخير دائما، منتظرا رؤيتك، ربما أتاحت لنا الظروف لقاء طويلا نتبادل فيه الأفكار والشعر والأغنيات، ولا تجعلي غربتي غربتين كنصوص السيد أزرق هذه.

المشتاق لراحة يدك الدافئة.

الخميس: 15-11-2018

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا

ألوذ إليك، مشتاقا لأحدثك عن بعض تلك الأفكار التي تضج في رأسي، متآزرة في وجعها مع وجع الأضراس، هذا الوجع المؤلم إلى حد فقدان القدرة على التركيز، وانهيار نشوة الفرح والسعادة بقراءة الكتب.

يعاودني الألم بين الفينة والأخرى، أستغل الوقت لأكتب لك، متناسيا هذا الألم الحاد الذي يضرب الفك الأسفل الأيمن كله، لا أدري ماذا أصابه؟ وأي جن يسكن تحت هذه العظمة الناتئة التي تبدو حقيرة كأنها ناب قط؟

لقد أفسد هذا "الألم الملحد" الذي لا يرأف لتوسلاتي لأن يهدأ، أفسد متعتي بقراءة رواية الكاتبة السورية حميدة نعناع، أتعرفينها؟ أنا لم أكن سمعت باسمها، لولا صديقي الطليعي قد حدثني عنها في إحدى جلساتنا، وأعارني روايتها المذهلة: "الوطن في العينين". إنها الرواية الثانية التي يعيرني إياها هذا الطليعي المهووس بالكتب، بعد رواية "من يتذكر تاي" للكاتب السوري ياسين رفاعية، روايتان تشتركان في أنهما تبحثان في القضية الفلسطينية، لقد كانت حميدة نعناع صحفية وعضوا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكتبت تجربتها في العمل العسكري، وخصوصا موجة خطف الطائرات، لقد كانت قائدة عملية "جنيف"، هل سيصيبك الحنين هنا في هذه النقطة؟ لا أدري لكنها كتبت أوجاعا كثيرة عن المناضلين والثورة وأمراضها، والدكتاتورية داخل الفصائل المسلحة، ربما ليست ديكتاتورية، فلا يوجد شيء اسمه ديمقراطية في العمل المسلح، أظن المسألة لا بد لها من حسم وبصورة حازمة. هذا هو العمل العسكري مع أنني لم أجربه إطلاقا، فأنا لا أصلح لأي أعمال عسكرية. أتذكر ضابط المخابرات (الإسرائيلي) الذي قابلني في عام 1994 كنت في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية (البكالوريوس)، دخلت عليه كان طويلا وعريض المنكبين درزيا يتقن العربية. قال لي بعد حوار طويل وهو يمد رجليه في وجهي على طاولة مكتبه: "لو كنت صحيحا لخربت الدنيا". ضحكت قليلا، ولم أجبه، لم أعد أتذكر أنني رددت على كلامه.

على أية حال، هذه الرواية تفتح الجرح الفلسطيني من الداخل، لترى وجع الثائرين وصورتهم الحقيقية، وإنهم ليسوا قديسين، ولا أنبياء، أو أنهم "لا يأكلون ولا ينامون ولا يحبون النساء"، إن لهم أوجاعا كبيرة، كما أن لهم تفاصيل صغيرة يهتمون بها، إنهم بشر كبقية البشر، لهم حزنهم، وعاطفتهم تجاه الأشياء والأفعال والناس. ولكن لحساسية مهامهم تكون النتيجة كارثية ومؤلمة لو حصل أن أصبح ثائر وثائرة عشيقين، كما حدث في الرواية بين ناديا و(أبو مشهور). لعل أهم درس من رواية "الوطن في العينين" هو: أن للمثقف خيانات أخرى، كأنْ يتنازل عن أفكاره في حين يشقى بهذه الأفكار مؤمنون كثيرون. هذا يشبه نبيا دعا قوما إلى دينه ثم تخلى عنه! إنها رواية "نقد الأخطاء وانتقادها" فيما يخص الأعمال العسكرية، وخاصة تلك التي حدثت في أوروبا من مثل خطف الطائرات.

قرأت الرواية يا عزيزتي دفعة واحدة في جلسة واحدة، متذكرا قول الكاتب الإنجليزي جورج أورويل: "عندما أجلس لكتابة كتاب لا أقول لنفسي: سوف أنتج عملا فنيا. أكتبه لأن هناك كذبة أريد فضحها. حقيقة ما أريد إلقاء الضَّوْء عليها. لكن ليس بإمكاني القيام بمهمة تأليف أو حتى مقالة طويلة لمجلة ما لم تكن أيضا تجربة جماليّة". لقد اجتمع في هذه الرواية الأمران: فضح الكذب وإلقاء الضوء على الحقائق، مع مفارقة الرواية للبناء التقليدي للرواية، لذلك جاءت الرواية مختلفة في تقنياتها الفنية التي اعتمدت على أسلوب الرسالة الذي استهلك من البنية الروائية أكثر من تسعين بالمئة منها، وعندما وصلت إلى توقيع المرسلة/ ناديا، قلت في نفسي هنا يجب أن تنتهي الرواية، لكنها للأسف لم تنته، بل بقي منها ما يزيد عن ثلاثين صفحة تحدثت فيها عن صديق ناديا؛ (فرانك)، هذا الثائر القديم، ليقرر الالتحاق بها في لبنان، لينضم إلى الثورة.

تذكري حديثنا قبل أيام، عن طبيعة عملك الأخير، وهل يصلح أن يكون رواية أو لا، لا تفكري بجنسه الأدبي، فكري أن يكون فقط عملا فنيا بارعا، ذا قالب غير تقليدي، فكلنا يعرف الأفكار، ولكن ليس كلنا يعرف الأساليب والأشكال، فابحثي عن قالب روائي قصصي سردي يخصك، ليكون العمل مميزا، ولا تستندي إلى موضوع العمل وما يثيره من عواطف، فالناس تتأثر بالأخبار التلفزيونية أيضا. عليك التفكير بالفن أكثر من الموضوع.

لقد نجحت الكاتبة، على ما أتوهم، في أنها خرجت من أسر القوالب الكلاسيكية للرواية، مع أنها كتبتها في أواخر السبعينيات من القرن المنصرم، وكانت الرواية الكلاسيكية في توهجها المحفوظي، ولم يكن المثقفون بعد قد اطلعوا على الرواية الأجنبية بشكل كاف، ولم تكن الترجمة رائجة رواج اليوم. ربما أكون مخطئا ولكنني هكذا أقدر من خلال متابعاتي الأدبية والثقافية.

حبذا لو تبحثين أكثر في الأساليب الروائية غير التقليدية، وعليك إن كنت معنية بأني تكوني روائية جيدة البحث عن قالب روائي جديد، فلا تكوني متقنة للعبة أتقنها قبلك الكثيرون، ولكن كوني مبدعة للعبتك الخاصة، هنا تقفين في منطقة وحدك، ليقول الأدب ها أنا ربحت كاتبة متميزة.

أتمنى لك التوفيق في قادم أعمالك، ولا تتعجلي الوجبة، فالوجبات السريعة في الأدب مضرة تماما كما هي الوجبات السريعة في المطاعم المنتشرة على جوانب الطرق السريعة.

سيكون مناسبا جدا أن أراك قريبا، بعد أن تنجزي المسودة، لعلني أكون أول من يطالعها ويراجعها، ولكن ربما هناك "وحوش سرد" أفضل مني سيقدمون آراءهم حولها. لا يهم. المهم أن تكون النتيجة في صالح العمل، وصالح قضيتك السردية ومجدك الأدبي، لتنضمي إلى كوكبة الروائيات المبدعات من أمثال مليكة مقدم ورضوى عاشور وبثينة العيسى وليلى العثمان. وأخريات كثيرات.

أوشك على النهاية، أشعر أن هذه الرسالة قد أفلحت في هزيمة ألم الأضراس الحاد المؤلم.

أشتاق إليك أكثر، حتى وأنا في معتزلي هذا أراقبك عن كثب. قبلاتي الحارة لشفتين من ناعم الورود.

السبت: 17-11-2018

مجنونتي الحلوة، وشاعرتي النقية:

أيّ امرأةٍ ألذّ منك في هذا الوجود؟ صباحك أجمل من الجمال، وأشهى منه عناقك بلذيذ الوصال. ومساؤك عسل أيتها العسلية، الحبيبة التي أشتاق رائحة جسدها المتدفق كل حين بفضل الحب، كأنه سرد كوني أبدي في سفر الوجود، أما بعد:

فما زالت بيَ رغبة أن أحدثك عن السرد ومشقّاته وأهواله، فالسّرد خطِرٌ، بل أخطر أحيانا من الشعر، وهو غير مأمون العواقب إذا جرى الكاتب مع شهوة اللاوعي، فلتحذري هذه المطبات. أسعدني جدا أن المقال الذي أرسلته لك أمس قد أعجبك، إنني دائم التفكير بما تفكرين فيه، لقد شعرت بأهمية أن تقرئي هذا المقال إنه يطرح أسئلة على السارد، عليه أن يقف عندها مليا، ويفكر بها كثيرا. لقد أعجبني جدا ما ورد في المقال من قول الكاتبة الأمريكية توني موريسون: "لو كنت ترغب في قراءة كتاب لم يكتب بعد، فما عليك إلا أن تبدأ بكتابته بنفسك"، إنه مقتبس كفيل أن يلخص حياة كل كتاب وكاتب، ومن الطبيعي إذن أن تقولي في رسالتك المقتضبة: "أشعر أنني في دوامة السرد أتخبّط بلذّة من يقفز على نطّاطة في كل قفزة أرتطم بها بحدث". يا له من تصوير لحالة الكتابة التي أراها تنبجس ينابيع سرد من مخيلتك الخصبة.

تكمن متعة السرد يا عزيزتي في ذلك التدفق، ولكن عليك بصنع القوالب المناسبة التي تستطيع أن تجعل هذا التدفق تماثيل فنية نابضة بالإبداع، هنا فلتسمحي لي أن أستعرض لك رسائل يوسا الاثنتي عشرة التي بعثها لروائي ناشئ، وما دام أنك لم تصدري رواية إلى الآن أو مجموعة قصصية، فإنك ما زلت في طور الروائي الناشئ الباحث عن صيغته ومبتغاه.

يؤسس يوسا لهذه الرسائل برسالة أولى يوضح فيها أهميتين، الأولى تتعلق بالرقابة، وخطر الرقيب، ولك أن تتصوري الرقيب وانشغاله بالأدباء والأديبات تحديدا، إنها مسألة في غاية الخطورة، عليك أن تحسبي لها حسابا، وأهم أنواع الرقيب، "الرقيب النقدي" الذي يقف شامتا أو صامتا، أو مجاملا، أو مؤلفا الإشاعات الحارقة، هنا تذكري جيدا ما قاله يوسا حول "الميل الأدبي"، وهو الأهمية الثانية: "فالميل الأدبي ليس تزجية للوقت، وليس رياضة، ولا لعبة راقية تمارس في أوقات الفراغ"، إن ثمة حياة يدفعها الكاتب وهو يكتب كتابه، إنه بالضبط كما قال يوسا: "الميل الأدبي يتغذى على حياة الكاتب". أو كما قال فلوبير: "الكتابة هي طريقة في الحياة". عليك أن تقفزي أكثر وبتركيز أكبر فوق النطاطات لعلك تعثرين على الكثير من الأحداث، بل الكثير من الحياة. إن الروائي والقاص دائم الاشتغال على تطوير ذاته، ولذلك فقد أخذ يوسا في المقارنة بين الشعراء والروائيين في هذه الرسالة بقوله: "أما ذلك الشيء الآخر الغامض الذي نسميه الموهبة، النبوغ، فلا يولد على الأقل لدى الروائيين بصورة مبكرة وصاعقة، وإن كان ذلك ممكنا أحيانا لدى الشعراء والموسيقيين". عليك التقاط هذه الفكرة وأن تظلي في شغل دائم في تطوير أدوات السرد وتقنياته. فلم يوجد الروائي العظيم إلا بعد التعب والمجاهدة والإعادة، أحد الروائيين

أعاد كتابة رواية من رواياته عشر مرات، هذا درس مهم لكل من يريد أن يكون عظيما في فن الرواية ويترك بصمة فيه.

أظن أن هذا أمر مهم أن تفكري به على هذا النحو. أدرك أن مشروعك السردي القادم ذو فكرة إنسانية واقعية، لا تخافي من ذلك، فليس كل أدب يمتح من مفردات الواقع هو أدب خالٍ من الفنية والإبداع، ما رأيك إذن بما قاله يوسا في الرسالة الثانية حول هذه النقطة بالذات، إذ يبين علاقة الروايات بتجارب كتّابها الحقيقية؟ وكيف يجب التعامل مع تلك التجارب، ليتوصل إلى هذه الجملة البديعة: "أصل كل القصص ينبع من تجربة من يبتكرها"، أرأيت كيف جعل الأمر وكأنه ابتكار للواقع من جديد، إعادة خلق له، ليبدو كأنه خيال؟ لقد ناقشتُ هذه المسألة في بحث مطول حول علاقة الكتّاب برواياتهم، وكل الكتّاب العظام أجمعوا على أنهم كانوا يوظفون حياتهم الشخصية فيما يكتبون من قصص. تحدّث هنري ميللر خلال حوار معه كيف أنه تخفى مرة بثياب القس يوم الأحد في الكنيسة ليستمع إلى اعترافات المذنبين، بحثا عن فكرة وحدث. إنه كان يقفز على نطاطة خاصة به ليرتطم بأحداث لها طزاجتها. لقد نجح في التلصص ليسبر الأرواح الغارقة في الظلمات كما قال. لا تخافي إذن من تلك الأفكار الواقعية، إنها روح القصص وجسدها أيضا.

إن الكتابة بحاجة إلى خبرة وتجربة، ومتعة في الصناعة والخلق، اصطدمي أكثر، لتنبجس الأفكار حرة وشهية وطازجة، ولكن عليك أن تكوني مقنعة، ها أنا أدخل إلى الرسالة الثالثة ليوسا، وقد خصصها لأمر يبدو مهما جدا، إنه "الإقناع". صحيح أننا نكتب أدبا متخيلا له صلة بالواقع من جهة ما، ولكن لا بد من أن يكون مقنعا، فإقناع القارئ مهمة ليست بسيطة، تأملي جيدا ما يقوله يوسا، لك ولكل روائي ناشئ: "الرواية الرديئة التي تفتقر إلى قوة الإقناع، لا تقنعنا بقوة الكذبة التي ترويها لنا، وعندئذ تظهر لنا تلك الكذبة على حقيقتها مجرد "كذبة"، خدعة، بدعة تعسفية، وبلا حياة خاصة بها، تتحرك بتثاقل وخرافة مثل دمى محرك عرائس سيئ". إن الإقناع يفترض أنك أصبحت داخل العمل، وأن القارئ يتخيل نفسه داخل العمل، إن توقف عن القراءة ضاع أو شعر بنوع من الهوس والجنون إلى متابعة القراءة. الإقناع أن تكتبي من داخلك إلى داخل القارئ، تجعلينه بعقلك وتستوطنين عقله، هل بمقدورك أن تجعلي كل القراء أحبارا على مائدة كتابك أو على الأقل تلاميذ منصتين بشغف لروعة ما يقرؤون؟

هذه يا عزيزتي أبرز الأفكار التأسيسية في الرسائل الثلاثة الأولى لأي روائي ناشئ كتبها روائي حاز على جائزة نوبل يوما ما. يتابع يوسا في الرسائل المتبقية مناقشة مجموعة من الأساليب الروائية، وضرورة البحث عن الأسلوب الخاص بكل كاتب، وكنت قد تحدثت لك عن أهمية خلق أسلوب مميز يخصك وحدك في الرسالة السابقة، ولن أزعجك بأحاديث النقد التفصيلية حول الأساليب والتقنيات السردية للكتّاب العظام، فقد بسطها يوسا بسطا جيدا في رسائله من الرسالة الرابعة وحتى الحادية عشرة، ليصل في الرسالة الثانية عشرة إلى "النقد" وأهميته وكيف يكون، كما يراه. ولكن إن أحببت أن تتعرفي على تلك الأساليب، فسألخصها لك في رسالة قادمة، فالأمر يعود إليك، فاكتبي لي إن أحببت التعرف إلى ما قاله يوسا حول ذلك.

سأورد هنا وجهة نظره حول النقد بتلخيص شديد، لأن النقد نشاط إبداعي مهم، لا بد من أن يواكب أي عمل إبداعي، مع أن يوسا، سامحه الله وعفا عنه النقاد، يلمز بهم كثيرا، فهم المتحذلقون الذين "ابتدعوا تسميات متعددة لشيء يمكن لأي طارئ أن يتعرف عليه دون أدنى مشكلة". إن يوسا يتعامل مع النقد والنقاد بنظرة المبدع، فلذلك طغت عليه "الفوقية الإبداعية" في النظرة إلى النقاد، وبدا ذا منطق براغماتي في حديثه عن النقد، إنه مع النقد وضده في الوقت ذاته، يريد من النقد أن يكون خادما له وللمبدعين، لاحظي مثلا نبرته وهو يحدد معالم النقد وأهدافه: "لست أعني بالطبع أنه لا جدوى من النقد، وأنه يمكن الاستغناء عنه، لا شيء من هذا، بل على العكس، إذ يمكن للنقد أن يكون مرشدا عظيم القيمة في النفاذ إلى عالم المؤلف وأساليبه، ويمكن للبحث النقدي بحد ذاته أحيانا أن يكون إبداعيا مثل أي رواية قيمة أو قصيدة رائعة دون زيادة أو نقصان". هل تظنين أنه مع النقد والنقاد؟ إن يوسا مع ذلك يعتبر النقد قاصرا في نهاية المطاف، ما دام أن المبدع له "عالم" ومجموعة "أساليب" والناقد يتحتم عليه ولوج تلك العوالم ويفكك تلك الأساليب، إنه أشبه بالميكانيكي من وجهة نظر يوسا، كاشفا عن روعة الإبداع، لا شيء أبعد من ذلك.

إن تلك العوالم أحيانا عصية على الناقد من وجهة نظر يوسا: "إن النقد بحد ذاته حتى في الحالات التي يكون فيها شديد الصرامة والصواب لا يمكن له التوصل إلى استنفاد ظاهرة الإبداع وتفسيرها بشموليتها، فهناك على الدوام في الرواية أو في القصيدة الناجحة عنصر أو بُعْد لا يمكن للتحليل النقدي العقلاني أن يمسك به، لأن النقد هو تمرين للعقل والذكاء، بينما يتدخل في الإبداع الأدبي وبصورة حاسمة أحيانا إضافة إلى هذين العاملين الحدس والحساسية والتخمين وحتى المصادفة، وهي عوامل تفلت دائما من أكثر شباك البحث النقدي دقة".

ماذا يريد أن يقول يوسا يا عزيزتي عن النقد؟ ربما أراد أن يقول لذلك الروائي الناشئ، كن على ثقة أن من يصنعك هو أنت وليس النقاد، فما النقاد إلا تابعون لك، يتلصصون على نتاج عقلك ولغتك، وأحيانا ربما أغبياء، صدقا أحيانا النقاد أغبياء جدا، عندما يحمّلون النص أكثر مما يحتمل، أو يهملون عملا أدبيا دون احتفاء أو احتفال لدعاوٍ سقيمة وذاتية وأنانية، ومصلحية مقيتة. فكم من كاتب جميل أماته النقاد، وكم من كتاب رديء سوّقه السفهاء منهم، وربما كانوا يعملون ذلك مدفوعي الأجر من هؤلاء "الكتّاب".

وأخيرا أيتها القصصية القادمة إلى بحر من السرد متلاطم الموج، تأكدي أنك تسبحين وحدك في هذا العالم، أو كما قال يوسا نفسه: "لا يمكن لأحد أن يعلّم أحدا الإبداع، وأقصى ما يمكن تعليمه هو القراءة والكتابة، وما تبقى يعلّمه المرء لنفسه بنفسه، ويعثر ويسقط وينهض دون توقّف". كوني على استعداد كامل للمواجهة، مواجهة الكتابة، ومواجهة النقد والنقاد المتطفلين.

زيدي رقّاص القفز، واكتبي بشهية من يمارس الحب بشغف، وستنجحين بلا شك، فمخزونك العقلي والسردي واللغوي يؤهلك للنجاح والإدهاش، لنحارب معا ضد الرداءة وأشباه الروايات

والروائيين الساعين بلا توقف إلى الكتابة وعيون أغلبهم على الجوائز التي يسيل لها لعابهم القذر المدجج بالفيروسات اللغوية المميتة.

دمت متفوقة أيتها المرأة الشجرة، الكاتبة المثمرة سردا شهيا طازجا. أحبك سامقة ومبدعة بهية.

الاثنين: 2018/11/26

إنه الاثنين، في مكتبي البارد أسترجع في ذاكرتي قولك في رسالتك القصيرة الحادة: "ممكن أفهم، ماذا يحدث، أم أنني سأبقى أعايش هذه المزاجية؟". إنني لست مزاجيا، شيء أبعد من المزاجية، إنه الإحساس بالكارثة، باليأس من كل شيء في هذه الحياة، أفكر على نحو سطحي: ماذا تفعلين في مثل هذا اليوم؟ لعلك في العمل، عملك يختلف عن عملي، أشياؤك مختلفة، اهتماماتك أيضا مختلفة، ربما لم يعد شيء يجمعنا، لا أشياء مشتركة، غريب هذا الإحساس، لم يعد حتى الأدب والاهتمام به يجمعنا، أشعر أن الأمر سيئ للغاية، بل ربما هو كارثي أيضا.

أقاوم الإحساس باليأس، لا رغبة لدي سوى المكوث بلا عمل حقيقي، أغوص منذ يومين في قراءة رواية "عندما بكى نيتشة". أصدقك القول إن نيتشه وأفكاره وكتبه وما كتب عنه تستحوذ على اهتمامي بالكامل. شيء مهم وحاد وقاس في هذه الرواية مع أنه ملهم أيضا. يتملكني إحساس بالفوضى والعبثية وأنا أقرأ. عوالم ليست منظمة على نحو جيد، ليست روائيا بطبيعة الحال، أقصد ما تتحدث عنه الرواية، علاقة نيتشه بنفسه وبمحبوبته "لو سالومي" عبثية جدا، ربما هي تشبهك قليلا، لكن ثمة فارقا بينكما بالتأكيد. أجواء من الإحساس المؤلم عند كل من الطبيب بريوير ونيتشه، مخاتلة نوعا ما، لكنها ليست مزاجية. عقلان عظيمان يتحركان في فضاء هذه الرواية، متصارعان على السيطرة؛ سيطرة الطبيب على مريضه، وسيطرة البروفسور الفيلسوف على الطبيب، لعبة شد الحبل أو عض الأصابع، إن شئتِ في هذه الرواية.

أرتشف قليلا من الألم البارد مع كل رشفة من فنجان القهوة المرة الذي أحضره لي المراسل. شخص كثير الكلام، لحوح، شعبوي، يقتحم مكتبي كثيرا، يعرض عليّ خدماته، يدخل في أحاديث كثيرة، لا داعي لها، ليس لي رغبة في الحديث معه، شخص مزعج جدا وخاصة وأنا في هذه الحالة. لعلك تعانين أيضا مثلي من الأشخاص الفوضويين الفضوليين المزعجين.

إنه يوم الاثنين، موعدي مع صديقي الطليعي، كنت أظن أنه لن يتصل بي ولن يأتي، هاتفني قبل قليل، وأنا أكتب لك هذه الرسالة، إنه قادم، لا أدري ماذا سيكون بيننا من حوار، لكنه سيحدثني عن انشغاله بمتابعة الرواية، قرأت ما كتبه قبل أيام عن واحدة من الروايات، يستعين برأي لي حول الرواية: "أعتقد أن هذا التركيز على الرواية يضر بالراوية وبكاتبها، فرغم الكم الكبير الذي يُنشر إلا أنه قليل الجودة، ويُبقي فنية كتابة الراوية على السطح دون أن يوصلنا إلى النشوة التي نريدها من العمل الروائي". إن النشوة التي يبحث عنها القارئ والناقد هدف مهم لكل كاتب وقارئ. لماذا تنعدم هذه النشوة ويصاب القارئ بخيبة أمل؟ فكري بهذه النقطة الحيوية في عملك القادم.

الليلة السابقة، كانت ليلة مزعجة جدا، هواجس وتخيلات، أفكر بقول الطبيب بريوير وهو يتحدث عن مريضته النفسية وكيف أنه ابتعد عن زوجته ولم يلمسها منذ عدة أشهر، لا يريد أن يشعر بالخيانة، ويتخيل هذه المريضة تحته وهو يضاجع زوجته. كنت أفكر بهذا بالضبط منذ أيام، كيف كنت أفعل الأمر نفسه، لقد أبلغتك سابقا عن هذا، على الرغم من استحسانك الفكرة ونظرتك إليها من جانب مختلف تماما، ما دام أن في الأمر إسعادا للطرف الآخر، فليس هذا مهما. كما قلت لي يومئذ. كنت محتاجا منك لهذا التصريح، فجربت في كل مرة مع هذا الأمر إلى أقصاه، ما هي مشاعري حيال ذلك؟ وما هي مشاعرك؟ كنت أشعر بالرضا أحيانا وأحيانا أخرى بالتفاهة. ففي كلتا الحالتين بعيدة عني جدا، ولا أستطيع أن أشم أنفاسك التي كانت تتغلغل في ذاكرتي كعمود ضوء برقيّ.

لم تكن هذه التخيلات وحدها هي المسؤولة عن قلق الليلة الفائتة. عدت إلى البيت متأخرا بعد المشاركة في مراسم دفن أحد أقاربنا، شخص مصاب بالسرطان لم يمهله المرض طويلا، في بداية الخمسينيات من عمره ربما، حشد كبير من الناس، يودعون رجلا توفي، الناس في ذهول، لا أحد يتحدث مع أحد، متأثرون جدا لموت هذا الرجل الذي لم يكن مفاجئا. لماذا يصحو الناس أحيانا من سكرتهم، ويأخذون بتأمل مشهد الموت. تأملت مشهد الناس أمس، وتذكرت أقوال نيتشه عن الموت، يبدو أن الفلسفة أخذت تنخر في عقلي ونفسي، لماذا يموت الناس؟ ولماذا يولدون إذا كان مصيرهم هو الموت؟ أسئلة صعبة وقاسية وليس لها جواب محدد.

لقد غصت قاعة بيت العزاء بالناس، لست معتادا على هذه الأجواء، منذ مدة لم أشارك بمثل هذه الاجتماعات، لكن هذا الموت الذي صدمني جعلني أغوص في تلك المشهدية المعقدة للموت، كيف لي أن أتخلص من هذا الجو الرهيب؟ لحسن حظي جلست إلى جانب أحد زملاء المدرسة، دار حديث حول العمل، والأبناء، يعمل صديقي في البناء، يريني من جهازه المحمول إنجازاته من بنايات وعمارات، بعد أن أشرت إليه أنني قد علمت بعض الموجودين في القاعة، وكأنه يريد أن يوازن بين الإنجازين. هل أنجزت فعلا شيئا مهما أنا؟ هل يعترف هؤلاء الذين علّمتهم بالفضل أو بالأثر الذي تركته فيهم وعلى حياتهم؟ لا يبدو ذلك، ذهب عملي باطلا، أما صديقي فعمله واضح ثابت.

صديقي هذا كان طالبا مشاغبا مع أنه ذكي، وأعترف أنه كان أذكى مني، وأمهر في الرياضيات، يتحدث لي أنه كان يجيد الرياضيات وأنا أجيد الحفظ، بالفعل كنت كثير الدراسة وأركز المجهود على الحفظ، لا عيب في ذلك هذه هي قدراتي، وهذه هي إمكانياتي. يسترسل صديقي في إنجاز مهمات صعبة، يستطيع قراءة خطط المهندسين بسرعة، وينفذها بعبقرية، إنه محظوظ جدا.

الليلة السابقة كانت صعبة جدا، في حاشية الموت الممتدة على مساحة الحياة، ثمة طلاب علمتهم، التقيت بهم، كبروا كثيرا صاروا ناضجين، هؤلاء المشاغبون سابقا، صاروا أكثر رجولة الآن، أنا أصبحت أكثر عجزا، وهم أكثر حيوية، أحدهم يكتفي من التعليم بثمانين ساعة، يغادر

الجامعة ويعمل في مصبغة، بدا سعيدا أنه لم يكمل تعليمه، لقد كان محقا على ما يبدو، فالتعليم هو همّ الكسالى والباحثين عن الفقر أمثالي، هو الآن يلبس ملابس غالية الثمن ويدخن نوعا فاخرا من الدخان، كان مشرق الوجه على الرغم من بشاعة الموت البادية على وجوه البشر المكدسين في الساحة العامة وعلى جانب المقبرة.

أفكر يا عزيزتي في الموت كثيرا، أرى تقدمي في العمر وتواضع هذه الحياة بإنجازاتها العبثية. لا شيء يمكننا أن نقدمه لهذه البشرية الساعية إلى أهداف عبثية، العمل، الزواج، البناء، لكن لا أحد يتحدث عن تحسين الظروف العامة، هل أبدو لك مثاليا نوعا ما؟ لا أظن ذلك، فأنا أيضا لم أساهم في تحسين الظروف العامة عدا تحسين ظروفي الشخصية. هل لو سعى كل شخص لتحسين ظروفه الشخصية ستتحسن الظروف العامة؟ فكرة غبية وعبثية أيضا، لأنها تجعل الناس منغمسين في أفكارهم ومصالحهم الشخصية المتضاربة والمتواضعة. فلا شيء سيتحسن لو انغمس الناس في تحسين ظروفهم الخاصة، فالحياة تحتاج إلى ما هو أعمق وأكثر تركيزا.

على كل حال، لا تفكري كثيرا بالمزاجية، لقد نضجتُ بما فيه الكفاية، فلم أعد خاضعا لهذا القلق النفسي المراهق. لكن تذكري أيضا أنك ربما كنت مزاجية؛ ألم تقرئي رسالتي السابقة، ولم تردي عليها بأي تعقيب صغير أم كبير؟ ماذا يعني ذلك؟ أليست هذه مزاجية مغلفة بغلاف من اللامبالاة وعدم الاهتمام؟ لا تحفلي كثيرا بهذا التفسير، ربما كنت مخطئا، لكنّ شيئا مزعجا في هذه العلاقة المميتة حقا.

لم أنس وعدي في الكتابة إليك عن بقية رسائل يوسا، ولكن عليّ الانتظار لتتحسن حالة القلق، لا أستطيع الكتابة بشكل مكثّف ودالّ وأنا في مثل هذه الحالة، تكون لديّ رغبة في الهذيان والاسترسال في موضوعات شتى، وهذا لا يناسب الحديث عن تقنيات الرواية التي تحدث عنها يوسا. أكتب إليك فقط لأشعر بشيء من التحسن. اصبري عليّ قليلا ربما استطعت تجاوز هذا الذي أنا فيه.

اكتبي إليّ أرجوك إن شعرت أن أحوالي قد تهمك، ولو قليلا، من باب التعاطف الإنساني العام ليس أكثر. دمت بود ومحبة.

المشتاق إليك بقوة.

الثلاثاء: 20-11-2018

العزيزة الغالية، أسعدت أوقاتا، وكل عام وأنت بخير ورضا بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف، أعاده الله عليك وعلى الجميع باليمن والبركات. أما بعد:

لقد أحببت رسالتك المقتضبة الأخيرة، كانت غاية في الروعة؛ حتى وأنت يتملككِ شعور بالخوف من هذه الرسائل، أتفهمك جيدا، وأنت تقولين: "كم أخشى من رسائلك هذه التي تنشرها، بقدر ما

أحبها إلا أنني أخشاها وأخشى ما ستتركه من ظلال على حياتي، فالمتربصون بي كثر، لكن لا بأس، فلتكتب ما دام ذلك يؤجج قدرتك على الكتابة وشهيتك لها". أقدر ما أنت فيه من هذا الشعور المؤلم، ومن مشاق العمل، وربما لم يترك لك فرصة لقراءة الرسائل السابقة بتأن، وقد أثارني ردك الذي أبلغتني فيه أنك قرأت الرسالة وأنت تغالبين النعاس، والتعب، جعلني أتذكر قول شوقي:

يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدا   أسهرت مضناك في حفظ الهوى فنم

الحبيبة الغالية:

ما زلت مهموما في البحث عن الرواية، وأتابع ما كتب حول بعض الروايات الفائزة بالجوائز، ولذلك كلما قرأت مقالا له علاقة بهذا الموضوع، أحب أن أطلعك عليه، ومن ذلك المقال الذي كتبه الناقد الأردني مهند النابلسي حول رواية إبراهيم نصر الله "حرب الكلب الثانية"، إنه مقال صريح وجريء ونقدي انتقادي، وأنا أعرف الكاتب وجرأته وعدم ممالأته أو محاباته للكتّاب، فهو يكتب ما وجده حقا، وتظل له وجهة نظره التي بسطها في وقفته تلك. قد نتفق معها قليلا أو كثيرا. فلا أعتقد أنه قد تجنى على الكاتب كما بدا في رسالتك. فلا أظنّ أن في هذا النقد أي تجنٍ لسبب بسيط أن الكتّاب عموما يكتبون من أجل الجوائز. كثير من الكتاب لا يكتبون إلا من أجل الحصول على الجوائز. إنها مقبرة أخرى للكاتب أحذرك من متابعة أوهامها، ليس كل رواية فائزة هي رواية تستحق وليس كل رواية أهملت هي رواية رديئة. هذا أمر صعب جدا وشائك ومعقد، ولا أدري كيف يمكن لكاتب أن يفكك ما وراء هذه الظاهرة من جنون أو تلاعب أو توجيه.

بعد أن قرأت هذا المقال للكاتب مهند النابلسي في صحيفة "صوت العروبة"، أشعر أننا بحاجة إلى أمثاله في البعد عن المجاملة والمدح الذي يطيل عمر الزيف والوهن في الحياة الثقافية. إنني أثق بآراء هذا الصديق ثقة كبيرة. فهو ضليع في متابعة الخيال العلمي في الأفلام، وخاصة الأفلام الأجنبية، وله في هذا مقالات متعددة، وهو إضافة لذلك ناقد جيد أعرفه من أيام مجلة عود الند الثقافية، وهو ناقد جريء يصدح بآرائه حادة وقوية من على صفحته في الفيس بوك، يقول ما يريد قوله، ومقتنع فيه تماما.

لقد كشفت مقالات كثيرة عن تلك المشاكل التي تعتري الروايات الحالية، وألخصها في مشكلتين تبدوان على طرفي نقيض. فالروايات المعاصرة إما أنها تعاني من التكثيف والنزوع نحو الخطاب الأيديولوجي الفكري البحت، وتأخذ الروائي نحو الفكرة فينسى الصنعة الروائية المتقنة، فيخبت الفن الرّوائي، وعلى ذلك روايات كثيرة كأمثلة صارخة، وإما أن تطول الرّواية وتنوء بحمل لغتها المترهلة، وعلى ذلك روايات كثيرة أيضا بأمثلة مملة، لقد أصبحت هذه الروايات تعاني من الحشو الزائد الذي يضر بالرّواية وسلاستها ورشاقة أسلوبها. على كل حال ليست الرواية العربية هي وحدها التي تعاني من الخلل سواء في البنية أو في الأسلوب، فقد كتب الكاتب والروائي الإنجليزي جورجل أورويل مقالاً عام 1940 تحدث فيه عن الروائي هنري ميللر جاء فيه: "أن خمسة آلاف رواية تنشر كل عام في إنجلترا، وأن أربعة آلاف وتسعمائة منها هراء". إذا كانت هذه هي حال

الروايات الإنجليزية، فكيف تبدو حالة الروايات العربية؟ لو كان جورج أورويل حاضرا، ويتقن اللغة العربية لقال أكثر من ذلك! فلا تغترّي بحصول الكاتب على جائزة، ربما هي لعبة عبثية لا أكثر.

ما يهم هو أن تأخذي هذا النوع من النقد وهذه الملحوظات بعين الاعتبار، وتبحثي عنها كثيرا في مقالات الكتاب، لتكوني محصنة تحصينا جيدا من الوقوع في الكوارث السردية والخطايا الروائية، فما زلت مقتنعا أن الرواية عمل صعب وشاق ويحتاج إلى الكثير من التعب والصنعة والإتقان.

لا أريد أن أطيل كثيرا في هذه الرسالة، حتى لا أرهقك في القراءة. وسأرجئ الحديث عن بقية رسائل يوسا في رسالة خاصة، لقد أسعدني جدا قولك: "أريد أن تكمل لي ما كتبه يوسا". وأحب أن أبلغك أنه في الأسبوع القادم سأتسلم كتابي الجديد من المطبعة، ففي هذا الكتاب أيضا تحدثت عن الرواية، وعما يتصل بهذا الفن من أفكار نقدية، وربما وجدت فيه ما هو مفيد حقا. كما أنني حصلت على نسخ من مجلة أدبية، ولك في ذمتي نسختان منها، سأوصلهما جميعا لك مع نسخة من كتابي الجديد في قادم الأيام بعون الله وتوفيقه.

قبل أن أنسى أعجبني جدا صوتك وأنت تترنمين بأغنية نجاة الصغيرة "عيون القلب". سبع دقائق ونصف نقلتني فيها إلى مرابع الجمال والشجن والحب، فيا لله ما أصفى هذا الصوت الملائكي الذي أعشقه بكل ترنيماته الشعرية والغنائية، حتى وأنت تتحدثين حديثا عاديا تكاد الموسيقى ترقص على شفتيك، وترقّص كل أوصالي. مفاجأة سارة جدا لم تكن متوقعة أعادتني إلى سنوات مضت، وأنت تغنين لي بعض أغاني نجاة وعبد الحليم وأم كلثوم. كنت في غاية اللطف والحب والبهجة والسعادة.

دمت بود وجمال، وإلى لقاء قريب، عساه يطفئ شيئا من لوعة الأشواق.

الاثنين: 2018/12/3

أسعدت أوقاتا:

لا شيء جديد، أشعر أن الحياة تراوح مكانها بروتينها القاتل، السيناريو يعاد كل يوم بقسوة شديدة، تلتبس عليّ الأيام أحيانا، ولا أعرف في أي الأيام أنا، إلا بعد العودة إلى الروزنامة. البرد شديد هذا اليوم، لا شيء يشغلني عنه، ولا شيء يبعده عني، متصلب كقطعة خشب باردة. والوحدة تزيد من الإحساس بالبرودة واليأس والمرض أيضا، وهي محفز شديد لإخراج كل ما يفكر فيه المرء دفعة واحدة دون رحمة.

زرت المدينة في الأسبوع الماضي، وكان من المقرر "ظاهريا" أن نلتقي، يبدو أنك لست متشجعة لذلك، كنت أترقب رسالة منك، ولكنك غصت في معمعة العمل، فنسيت الوعد والموعد، وربما جاءك الإنقاذ من حيث كنت ترغبين عندما أبلغتك أنني قد قفلت راجعا، ولم يكن بالإمكان أن

نلتقي. أراك قد تنفست بعمق، وقلت وأنت تبتسمين وقد انزاحت الغمة عن صدرك: "الحمد لله، ارتحت من رؤيتك". ثمة أمور أكثر جدوى من ضياع الوقت في لقاء بلا قيمة. أليس كذلك؟

في الحقيقة أنا كذلك لم أكن أرغب في أن نلتقي، وما الفائدة؟ فلا جدوى من لقاء حبيب، وأنت تعلم أنه سيأوي إلى حضن غير حضنك في نهاية اللقاء. كان هذا الإحساس مؤلما، ولكن الأشد ألما أن تظل متعلقا بشخص لن يكون لك ولو بعد مئة عام.

أنهيت أخيرا رواية "عندما بكى نيتشه"، كان نيتشه يعاني من وجع حبه لـ (لو سالومي)، رأيت في هذه الرواية الألم، كما هو، عاريا، وجها لوجه، كان نيتشه مريضا نفسيا وبحاجة إلى العلاج، وكل العشاق مع الوقت يصبحون مرضى نفسيين، يحتاجون إلى العلاج، لقد وقفت عند هذا المقطع، وأعدت قراءته عدة مرات. مقطع يبين مدى معاناة نيتشه من سيطرة لو سالومي على نفسه وتغلغلها في كيانه، ورغبته الجامحة التي وصلت إلى حد الانتقام منها: "لقد استولت هذه المرأة، لو سالومي، على عقلي وقبعت فيه. لم أتمكن إلى الآن من إبعادها عن تفكيري، لا يمر يوم وأحيانا لا تمر ساعة من دون التفكير فيها، في معظم الأوقات أكرهها، أفكر بإذلالها، بإهانتها على الملأ، أريد أن أراها ذليلة تتوسل إليّ حتى أعيدها. وفي بعض الأحيان يحدث العكس، إذ أشتاق إليها، أريد أن أمسك بيدها، أن نذهب في نزهة بالقارب في بحيرة أورتا، أن نحيي شروق الشمس في بحر الأدرياتيك معا...". ليست غريبة هذه الحالة عني، لقد فكرت بما فكر فيه نيتشه مع لو سالومي التي وصفت بأنها المرأة التي سلبت عقول العظماء في القرن العشرين.

إن المدهش في هذه الرواية أيضا هو أن الطبيب نفسه يعاني من الأعراض نفسها، وبالضرورة المرض نفسه، والأكثر صدمة أن يكون القارئ يعاني من هذه المتلازمة التي أصبحت كالقدر. انتهت الرواية بشفاء الطبيب وبكاء نيتشه، ما يعني أن دموعه قد طهرته من ذلك الوجع الذي أصابه في حبه لـ (لو سالومي)، ولكن القارئ لم يشف بعد، وأظن أن لن يشفى أبدا من هذا الوجع. ربما كان من الأجدى أن يفكر الروائي بالقارئ أيضا. كيف له أن يشفى؟ وكيف يمكن أن تكون الرواية علاجا لهؤلاء القراء الذين يشاركون الشخصيات المرض نفسه. لا بأس إذن، فلنواجه المصير المحتوم حتى آخر العمر، مرض مزمن ومعاناة أبدية قهرية قسرية.

أحاول أحيانا ألا أفكر كثيرا بهذه المسألة، وأركز التفكير في أمور أكثر جدوى وأقل ألما. لعلك علمت أن ندوة اليوم السابع في القدس قد ناقشت كتابي "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية"، أسعدتني جدا هذه المفاجأة، كنت أظن أن الكتاب لن يناقش في الندوة، فقد سلمت منه ثلاثين نسخة للكاتبة ديمة السمان قبل أكثر من خمسة أشهر عندما زرتها في مكتبها في وزارة التربية والتعليم. ووصلت إلى اليأس من ذلك. أسعدتني بلا شك ملاحظات الكتّاب، ولكن بعضهم قد تجنى على الكتاب، واتهمني أنني اعتمدت على الملاحظات الفيسبوكية، رجعت إلى الكتاب وقرأته، وسألت نفسي أين حدث ذلك، لعل الكاتبة التي كتبت ذلك لم تنتبه إلى أنني عندما استعنت بالفيسبوك كان من أجل إتمام ملاحظتي حول "النص الفوقي" لرواية "السماء قريبة جدا"، إذ

يقتضي الموضوع متابعة المواقع الإشهارية للرواية. أيضا ثمة عدم تركيز في الاقتباس من الكتاب، وخلط الملحوظات بين الروايات. ولكن بالمجمل كانت المناقشة مبهجة وجميلة. أعادت إحياء الكتاب، هذا الكتاب الذي شكل غصة في حلق الناشر، فهو لم يبع منه سوى عشر نسخ في كل المعارض الدولية التي شارك فيها. كتاب فاشل بلا شك من وجهة نظره.

ملاحظة وقفتُ عندها مليا خلال مناقشة الكتاب، عندما بينت الكاتبة ديمة السمان في معرض حديثها عني أنني معاق، وتظهر في كتاباتي، بشكل غير واعٍ، هذه المعاناة، وأشارت إلى ما كتبته عن رواية "أرواح كليمنجارو"، وتضيف أنني حتى لو لم أصرح أنني معاق، فالإعاقة حاضرة في كتاباتي كلها. هل تلاحظين ذلك؟ عليّ أن أعيد قراءة كل ما كتبت لأرى ذلك، ولكن ربما كان من الأفضل أن يبحث عن ذلك غيري.

لم أتسلم كتابي الجديد بعد من الناشر، وأبلغتني دار نشر أخرى أنها بصدد طباعة ديواني "ما يشبه الرثاء"، ولكن عليّ أن أدفع مبلغا كبيرا، إلى متى عليّ دائما أن أدفع مقابل أن ينشر لي؟ إنها خسارة تلو خسارة، هنا تبرز حسرة خاصة تضاعف من الإحساس بالندم للنشر والكتابة عموما، يبدو أنني إلى الآن لم أنجز شيئا ذا بال. ويبدو أنني لو مكثت العمر كله أكتب وأصدر الكتب، ستصدر كلها على نفقتي الخاصة، ما يعني تكدسها في المخازن والمكتبات وغرفة نومي. هل تصدقين أن نيتشه كان يعاني من المشكلة ذاتها؟ يتوقع نيتشه أن من قرأ كتبه لا يتجاوز عددهم المائتين فقط. بدا حديثه في الرواية مفخخا باليأس من هذا الواقع.

أصدقك القول وأصارحك أن اليأس معبئ كل أفكاري حيال الكتابة وجدواها وأهميتها، تيقنت أنّه لا أحد يتقن الكتابة ولا حتى أنا، كل مرة أحاول فيها الكتابة أبتعد عن الكتابة الجيدة، وأغوص في العدم والرداءة. أشعر بالتفاهة والجنون والعبث أحيانا، كل شيء يسير بالعكس، في الحياة، وفي الحب، وفي الكتابة، خيبات تتصارع على ما تبقى من جثتي المتهالكة.

نسيت أن أخبرك أنني بدأت بقراءة كتاب ماريو بارجاس يوسا الذي ذكرتِهِ في رسالتك السابقة "الكاتب وواقعه"، يبدو كتابا مفيدا، مع أنه غير سلس. سأحاول أن أنهيه قريبا، مع أن القراءة فعل ليس أقل عبثا من الكتابة، بل ربما يفوقها عبثية، دائما أسأل نفسي ما فائدة أن تقرأ، أو أن تكتب؟ وربما ما فائدة أن تعيش أصلا؟ وما معنى أنك من سكان العالم؟ وماذا يحدث لو نقص العالم نفسا من نفوسه المتكاثرة بلا جدوى؟

آخ كم يوجعني كل ذلك ولكن لا بأس. لا عليك. لا تفكري بهذا كثيرا.

ربما استطعت أن أراك قريبا، لا أدري، لم تعد عندي الجرأة الكافية لمزيد من الخسارات المؤلمة، ولكن بالتأكيد سأجد طريقة مُثلى أوصل لك فيها نسخة من الكتاب عندما أتسلمه، كما حدث وأوصلت لك نسخة من ديوان "الحب أن...". لكن لن أعيد السيناريو نفسه، لأنني، بكل تأكيد، أكره الروتين مهما كان جميلا.

اكتبي لي لعل بضعة كلمات تُبلسم الوجع الذي يتفشى في الروح كأنه الداء العضال.

دمت وسلمت.

السبت: 8-12-2018

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا،

لقد شعرت بالدفء وأنا أقرأ رسالتك الأخيرة، تلك التي جاءت طويلة على نحو أبهجني، وجعلني أعيد قراءتها كثيرا، وجاءت حميمية أكثر من أي وقت مضى، أحببت فيها ذلك التعاطف الكبير غير المعلن عنه صراحة في ثنايا الكلام، لكنه واضح، كنت محتاجا لها على الأقل وأنا أشعر بهذا البرد الريفي الذي يبدو لي أكثر وضوحا في منطقتنا الريفية القابعة على هامش هذا العالم المسكون بالهواجس.

تدفعني أجواء الشتاء بالعودة إلى ذاتي، وكثيرا ما يكون الشتاء فرصة مواتية لفعل ذلك، أعود إلى بداياتي وأراجع نفسي، وعلى الأخص بدايات التعلق بالكتابة والصحف في أوائل تلك الفترة؛ فترة التسعينيّات، فكيف كنت في أولها؟

كنت شغوفا بتجميع الصحف، وإلى الآن أشعر بحنين للصحف والمجلات. أعود إلى ذاتي قبل 26 سنة، كتاباتي الأولى قرأت بعضها، لم أستطع إكمالها، بعض تلك النصوص عارية ومخيفة وسيئة! يقع بين يدي شهادات تقدير قديمة ليس لها قيمة الآن؛ لا أحد يتذكرها ولا أنا! هل تطورت عما كنته أنذاك؟ كنت أكتب نصوصا غزلية وإلى اليوم أكتب نصوصا غزلية، كنت أكتب للفراغ، وإلى الآن أكتب لفراغ آخر مختلف. مؤلم أن تكتب لفراغ ما بعد أن أصبح فراغاً!

ما زال أرشيفي من كتب وأوراق يدل على ذلك اليافع الذي فارقته رغما عني بفعل الزمن الذي جرفني إلى حيث أنا الآن قابعا في الوحدة، مع فارق بسيط أنني أصبحت مجنونا ليس إلّا. أفكر بأشياء ربما بدت غير قيّمة بالمطلق، وأراجع كثيرا من الأفكار التي كنت أومن بها، واستقرت في وعيي طويلا، أراني ابتعدت كثيرا عن براءتي الأولى لأصبح أكثر هلامية وضياعا. نعم أكثر ضياعا، على الرغم من كل تلك الأشياء التي تحاصرني وتضغط عليّ.

لعلني صرت الآن أكثر وعيا على أشياء كثيرة، بفعل التأمل وهذه الانعزالية الاختيارية، أفكر بما قلته في رسالتك الأخيرة؛ اكتب لي عن كل شيء، عن العلاقة الحميمة وعن نفسكَ، دفعني ذلك لأفكر بذلك الهوس الذي يتملكني والصراع ما بين العذرية والأيروسية، غدوت أرى أن العذريّة في الحبّ، على رأي المثل الشعبي، "قُصُرْ ذيل يا ازعرْ". من أحبّ اشتهى ومن اشتهى يجب أن يأكل فيشبع ويشرب فيرتوي، ولا أظنّ عاشقا بعد ذلك يكتفي، وإلّا لا معنى لكل ما ندّعي من حبّ، لقد صارحتك أكثر من مرة في هذه الرسائل التي أكتبها لاستحضارك أنني أرغب في الالتحام بك، لعلني أشعر بالدفء والخروج من هذه الدائرة المغلقة من الانعزالية، إذ لا معنى لكل من حولي وأنت الغائبة الوحيدة. لقد أعطتني هذه الوحدة قدرا كافيا لأقف في مسافة آمنة لأتأمل المشهد كله، ما

زلت باحثا فيه عن إجابات لكل تلك الأسئلة التي تقلقني، ما زالت هواجسي في تكاثر، ونومي متقطعا.

ما زلت أقطع الوقت بالقراءات التي ألتهمها بيسر وسرعة، إلى الآن استطعت أن أتعرف إلى أدباء كثيرين كنت أجهلهم، هنري ميلر ومكسيم غوركي وفردريك نيتشه وبيسوا ويوسا، وأخيرا توقفت عند حياة مارك توين، هذا الكاتب الذي "كانت حياته سلسلة من المصائب: فهو الطفل المشاغب الذى ظفر بعداء الجميع، وهو الاقتصادى الفاشل الذى يعانى الإفلاس، وهو البائس الذى رأى أخاه يحترق، وهو الزوج الذى فقد أفراد أسرته وظل وحيداً". لعل أعظم ما شدني في سيرته الذاتية تلك السلاسة الممزوجة بالفكاهة في الحديث عن تلك المصائب التي عاشها، ولكن الأعمق حزنا في كل ما كتب حديثه عن وفاة ابنته جين، وحديثه عن ابنته سوزي التي كتبت سيرة حياته وهي ابنة ثلاث عشرة سنة، وقد توفيت هي الأخرى.

أما القراءات النقدية فكانت من نصيب كتيب صغير الحجم "الرواية الجديدة والواقع". يحتوي أربع مقالات مترجمة حول الرواية، إنه كتاب مهم للغاية، يبين علاقة الروائي بالواقع، تلك العلاقة التي حدثتك عنها كثيرا. تتلخص الفكرة فيما قاله المترجم: "لا بد من أن تكون لكل واقع لغة جديدة، وقوالب شكلية مبتكرة، ووسائط أسلوبية مبتدعة". لقد أشبع يوسا في كتابه "الكاتب وواقعه" هذه العلاقة بين الروائي والواقع، ولعلك تذكرين حديثه عن رواياته التي تستند إلى خبرته الشخصية، ولكن مع بعض التحوير والتعديل. هذه الفكرة لها صدى مختلف في هذا الكتاب. إنه يتغيّا الحديث عن واقع آخر لا يوجد إلا في الرواية؛ فـ "حين يتعلق الأمر بالممارسة الروائية، ننطلق من لا شيء بحيث ينتفي ما قبل النص، باعتبار النص بحثا عن شيء ما، لن يوجد إلا بعد الانتهاء من الكتابة". إذن الروائي يكتب واقعا يراه ويتمنى وجوده. هكذا فهمت الكتاب وأبحاثه أن الرواية الجديدة هي احتجاج على واقع غير مُرْضٍ نهائيا.

هناك بعض الأخبار التي قد تسرك، أولها أنني حسمت الأمر بالموافقة على طباعة ديوان "ما يشبه الرثاء" مع دار طباق، وكان من المفترض أن أوقع العقد هذا اليوم، ولكن للظروف الجوية الباردة لم أستطع الذهاب، أيضا أشعر أنني أكثر حيوية فيما يخص العمل، خبر ثان قادم من معرض الكتاب الدولي في الدوحة، يفيد أن كتابي "شهرزاد ما زالت تروي" قد نفد من المعرض، إنها أخبار سارة بالتأكيد، بعد أن أخبرني قبل مدة ناشر الكتاب أن كتاب "كأنها نصف الحقيقة" هو الآخر قد نفد مع أنه طبعه طبعة محدودة.

انتبهي لنفسك جيدا في هذا البرد الشديد، ولتحرسك العناية الإلهية، وفقك الله ورعاك، وعلى أمل أن نلتقي دمت بود ومحبة ودفء قلبي الذي يشتاق لاحتضانك، لعله يدفأ ولو قليلا في هذا الشتاء القارس. كيف يبدو الأمر عندكم؟ أرجو أن تكتبي لي. فرسالة أخرى منك تجعلني سعيدا بالتأكيد.

الأحد: 2018/12/9

مساء الأخبار الجميلة

ألف مبروك مقدما، الآن عرفت لماذا طلب مني (....) قبل أيام رقمك، دار نشر نشيطون مع أنهم دار نشر حديثة النشأة، إلا إنهم يشاركون في معارض دولية بإصداراتهم، أجواء الشتاء جميلة للخلوة مع الذات، وكأن الطبيعة تجبرنا على هذا البيات لنكتشف ماهيتنا.

بالنسبة لي نهار الشتاء القصير يجري ولا أدري كيف يتسرب مني، توقفت عن الكتابة، لكنني أقرأ لتشيخوف، لم أكمل كتاب الكاتب وواقعه، أتنقل بينهما. الجو بارد هنا، أشعر أحيانا مثيرة بالخواء، ولم أحدد بعد ماهية ما أكتب، ولا أدري أين سيقودني. في المركز يزورني الكثير من الصديقات القديمات (الرفيقات) وأغلبهن الآن في (فدا).

اليوم زارتني (غ. م) لم أرها منذ ثلاثين عاما، رأيتها مؤخرا في عزاء والدة زهيرة يوم كنت أنت هناك واليوم فاجأتني هي وصديقة أخرى. تمضي الأيام سريعا. أشعر أنني كثور الساقية، وأحرث في الماء.

كن بخير إلى أن تتكرم بزيارتنا ولقائنا.

ف. ع

الاثنين: 10-12-2018

أسعدت أوقاتا، صبحا ومساء وما بينهما،

لا أجمل من أن أصحو باكرا فأجد رسالة منك، تخبرينني فيها عن اهتمامك بأخباري، يسرني ذلك جدا، ويفتت صخرة البرد الذي يتغلغل في أوصالي، أخبارك مع الرفيقات وتواصلك معهن أسعدني، لقد جمعني بالرفيقة زهيرة كمال الأسبوع الماضي هي والرفيق صالح رأفت في نابلس، كنا في اجتماع خاص، تحدثت عن الوضع السياسي الحالي، وتم مناقشة الكثير من القضايا، وقد حضرت أيضا الرفيقة سهام البرغوثي.

أجد نفسي مسرورا وأنا أدخل في هذه التجربة الشخصية بعد أن جربت الانتماء للأحزاب الإسلامية، وها أنا هذه الأيام في تجربة جديدة، مع أنني أحيانا غير متشجع لذلك، فأسأل نفسي عن هذا التحول وما الهدف منه، لا أراني شغوفا بالتجربة، ففكرة الانتماء للأحزاب السياسية خطر كبير على الكاتب، وعلى تخلخل القناعات القديمة. كثيرة هي الأمور المقلقة، شخصية أكثر منها عامة. أجواء الشتاء كما تفضلت برسالتك أجواء تبعث على الرجوع إلى الذات ومنجزاتها وتأمل مسيرة الحياة. مع ما يرافق ذلك أحيانا من الشعور بالملل والخواء. لقد اشتهيت في هذه الأجواء رؤيتك كثيرا، وشرب قدح من "السحلب" الساخن، ولكنها كانت مجرد أمنية. قد تضحكين على سذاجتي هنا، لكن لا بأس.

وصلني أمس كتاب كبير الحجم تجاوز الـ "400" صفحة من القطع الكبير بعنوان "جرائم لا يعاقب عليها القانون"، ممهورا بإهداء خاص، عرفت من منسقة النشاطات الثقافية في مكتبة البلدية في نابلس أنه سيكون نقاش للكتاب يوم السبت 22-12، وفي هذا اليوم سيكون نقاش لكتابي "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية" في دار الفاروق، لا أدري كيف يمكنني التوفيق بين الفعاليتين، أرجو أن أتمكن من حضورهما والمشاركة فيهما، إذ إن كتاب هذه الجرائم يستحق الحديث حوله والتعقيب على قصصه، فهو كتاب يمتح من التجربة الشخصية للكاتبة شادية كمال. لهذا الكتاب ميزة خاصة في أن كاتبته بدأت بكتابته بعد أن تقاعدت من العمل، يعني أنها بدأت الكتابة في سن متأخرة. لا يوجد لهذا الكتاب ذكر في موقع جوجل، مع أنه صادر عن دار نشر أردنية، لا أخبار عن الكاتبة أيضا، وليس لها وجود خارج هذا الكتاب. أتمنى أن أستطيع إنهاءه قبل الموعد المضروب، لأتمكن أن أكتب فيه قراءة ما.

إلى الآن أنتظر كتابي الجديد، لم يصلني بعد، يبدو أن سيتأخر حتى الخميس، إذ أخبرني المسؤول عن أن سبب تأخر الكتاب نقل المطبعة من مدينة إلى مدينة، على كل سأنتظر، وفي حال وصلني سيكون بين يديك، لأكون سعيدا وأنت تقرئينه، لعلني أحظى بوجهة نظرك في مادته النقدية المتنوعة حول ألوان من السرد، بعضها ليس له حضور قوي في الدراسات أو المؤلفات الإبداعية والنقدية.

أستعد لإصدار كتاب جديد حول القصة القصيرة، هذا الجنس الإبداعي الذي يحيا على هامش الإبداع السردي، مع أن له جائزة إبداعية عربية "جائزة الملتقى للقصة القصيرة العربية"، تلك الجائزة التي فاز بها مؤخرا الكاتب العراقي ضياء جبيلي وسبق للكاتب الفلسطيني مازن معروف أن فاز بها عام 2016، والقاصة السورية شهلا العجيلي عام 2017. فهل باعتقادك تستطيع القصة القصيرة منافسة وحش الرواية المتغول؟ كل المؤشرات تقول: إن القصة القصيرة في صراع غير متكافئ، ربما ستصبح من الماضي كالمقامات، مع أن الدوريات ما زالت تفرد لها بابا خاصا في كل عدد من أعدادها.

ثمة احتفاء كبير على ما يبدو برواية جمانة حداد "بنت الخياطة"، وهي روايتها الأولى، هذه الرواية التي تستند أيضا إلى خبرة الكاتبة الشخصية، وتتناول قصص نساء ولدن بطلات، وواجهتهن ظروف مريرة: من حروب، وهجرة، واغتصاب، وجوع، وفقر. تدور الرواية حول أربع نساء من حلب، وعنتاب، والقدس، وبيروت، نساء من أربعة أجيال، يبدأ زمن الرواية في القرن الماضي ليستوعب الحاضر ومشاكل النساء في ظل الحروب، هؤلاء النساء اللواتي يلقين مصيراً واحداً، ثم يلذن بعد ذلك إلى حضن الموت الدافئ. إنه موضوع شائق وشائك، وعلى ما يبدو انطلقت فيه الكاتبة من الأفكار النسوية، وقد أشارت إلى ذلك في أحد اللقاءات معها. تذكرني هذه الرواية بروايات الكاتبة السورية مها حسن، وخاصة رواية "عمت صباحا أيتها الحرب" التي تستند أيضا إلى تجربتها الشخصية ومعاناة المرأة السورية، وخاصة في ظل الأوضاع المتردية في سوريا، وما تعانيه من آلام إنسانية.

كما استرعى انتباهي الرواية الجديدة للكاتب الفلسطيني الأسير باسم خندقجي "خسوف بدر الدين" الصادرة في بيروت عن دار الآداب، وستوقع الروايتان في معرض بيروت الدولي للكتاب، ربما اليوم أو غدا. للروائي باسم جهد مميز في الكتابة الروائية، وها هو يخطو خطوة أخرى نحو التاريخ ليكتب رواية تاريخية بعد روايته المدهشة "مسك الكفاية". في جعبة هذا الكاتب رواية أخرى بعنوان "كأنها أمي"، لم يفرج عنها، ولا أدري السبب، كنت قد اطلعت على مسودتها قبل أكثر من عامين.

والآن أيتها الجميلة الدافئة، فلتسمحي لي أن أستعير نهاية رسالتك خاتمة لرسالتي لأقول مع بعض التحوير اللازم: كوني بخير إلى أن تتكرم الظروف علينا بالزيارة واللقاء. لا تتوقفي عن الكتابة لي، إن أردت فعلا أن أكون بخير.

المشتاق لقبلة من شفتيك الكرزيتين الدافئتين.

الأربعاء: 2018/12/19

يبدو أنه إن لم أتفقدك لا تكلف نفسك السؤال، اعتدت على ذلك واستعذبته كما يبدو. على العموم كن بخير، وهذا وحده إحساس يملؤني غبطة.

ف. ع

الجمعة: 28-12-2018

الحبيبة اللطيفة، كل عام وأنت بخير:

ها هي سنة أخرى تهمّ أن تودّعنا، وتُودِع فينا ذكرياتها، أقف على حافتها الأخيرة، أنظر إليها، أستعيد معها أول عتبة لها من العام الذي انصرم أو كاد، دائما، أسأل نفسي ها هو العمر قد زاد سنة أخرى، ولا أدري كم تبقى من فتيل هذه الروح الضعيفة، ما الذي أنجزناه معا؟ وما الذي أنجزته وحدي؟ حتى أننا صرنا أقل حديثا ولقاء، صرنا غرباء أكثر من أي وقت مضى، الظروف ليست هي المشكلة، المشكلة فينا نحن. أراني كالدجاجة أحفر التراب الذي هو تحت قدميّ دون أن أتقدّم ولو خطوة واحدة، الانكسارات كانت قوية هذا العام الذي يوشك على الانتحار، ليترك فينا جثته النتنة، ولا أظن أن العام القادم سيكون أفضل حالا. سنة أخرى تستعد لتشعل فينا نيرانها لتقضمنا على مهل والسؤال هو هو، والقلق هو هو، وكل شيء على حاله.

هل قلت: إن كل شيء على حاله؟ يا ليت أن كل شيء سيظل ثابتا، على حاله دون تراجع، سأكون ربحت توقف مسلسل الخسارات القوية، فقدت كثيرا من الأصدقاء، فقدت الكثير من اللغة، فقدت الكثير من الأمل، فقدت الكثير من الورد والقصائد. غريب في هذه الحياة الغريبة.

لعلك ستلومينني على هذا التشاؤم، هل بمقدوري أن أتفاءل وأنا أرى نفسي تتلاشى يوما بعد يوم، دون أي هدف، هذا الشتاء بارد وقاس وثقيل، لا شيء جميل فيه، أصرف الوقت كل الوقت بلا أي

قيمة، أقضيه أمام التلفاز. أرأيت تفاهة أكثر من هذه؟ أجلس على الكنبة منذ الساعة الثامنة صباحا وحتى التاسعة مساء فقط وأنا أتابع خيالات معروضة على شاشة تلتهم كل شيء فيّ، عدت إلى متابعة المسلسلات العربية المملة، تافهة تلك الدراما، ولكن حياتي أشد تفاهة منها لذلك أجد بعض المتعة فيها.

هل تعلمين أنني لا أحب الشتاء؟ لقد كرهته أكثر وأكثر هذا العام، إنه يمنعني أن أكون وحدي، وأمارس غواياتي كما يحلو لي، تتقلص المساحة التي أمنحها لنفسي، تتوقف القراءة أيضا فيه، ولا أعود إليها إلا مع بداية الربيع. لا أستطيع الكتابة والقراءة إلا منفردا معزولا؛ ما زلت مقتنعا أن الكتابة عملية سرية جدا، ومن العبث والجنون أن تكون مع الآخرين وأنت تكتب. لعل هذا هو السبب في أن الطلاب يفشلون في كتابة موضوعات التعبير المدرسية، لأنهم مجبرون على مخالفة الظرف الطبيعي للكتابة التي يجب أن تكون سرية جدا، وخاصة بالمطلق. يا للنظام التعليمي كم يقتل من إبداعات! كيف للطلاب أن يكتبوا وهم يشعرون أنهم تحت المجهر، ويتلصص المعلم عليهم كل دقيقة ويقتحم عليهم طقوسهم، غير المتوفرة حتى ولو بالإيهام؟ إنهم يشعرون أنهم عراة مفضوحون وهم يمارسون كتابة العبث، لذلك هم يفشلون وباستحقاق. يا ليتني كنت أعلم هذه الحقيقة وأنا معلم، لكنت تداركتها بشيء من الحكمة، لقد فات الوقت الآن، ولم يعد يجدي الندم شيئا.

ثمت أمور تزعجني في هذه الحياة؛ تفاصيل حياتية صغيرة، هي تافهة بالتأكيد، لكنها تحفر في العصب، تمنعني من النوم. بالمناسبة لقد أصبحت أقل نوما، وأقل سهرا أيضا، وأقل تدبرا وتأملا وحكمة، وأقل كتابة، وأقل حبا، تكلّس القلب وجفت نداوة الروح، أشعر أنني أصبحت حجرا لا شكل له ولا اعتبار. أصبحت أقل كينونة وجودة وهدوءا، بل غدوت مفعما بالخسارات، فهي كل ما تبقى لي.

أيتها الحبيبة، لا أكتب لك لتشعري بالبؤس، ولا لتتعاطفي مع حالتي التي تزداد بؤسا كل يوم، لعلك ما زلت تذكرين آخر رسالة رجوتك فيها "أن تمسحيني من قاع حذائك". أعرف أنني كنت قاسيا، لكنك إلى الآن لم تستطيعي إدراك حجم الخراب المعشش في كياني ليدفعني إلى هذا الجنون، لقد كانت رسالتك محقة: "يا لقسوة كلماتك يا لهذا الجنون الذي يسكنك، يا لوجعي وخيبتي، كأننا نحرث الماء ولا جدوى من شيء، فقط أريد أن أعرف شيئا واحدا ما الذي يثير جنونك لهذا الحد؟ ما الذي جنيته؟"، إنني لا أملك أي جواب على هذه الأسئلة المدبّبة، بالفعل ليس عندي جواب. لست أدري هل ستسرك رسالتي هذه التي تأخرت أكثر مما يجب؟ آمل أن تقرئيها جيدا، مع أنني لا أطلب ردا ولا أنتظره، وفي الحقيقة لا أريده.

على الرغم من كل هذا الوجع أتمنى لك سنة حلوة، مليئة بالشعر والرضا عن النفس. سنة مضت كانت أكثر حزنا ولم نلتق فيها كثيرا، أتمنى أن يكون العام القادم أكثر سرورا، لك أنت، أما أنا فقد ألفت السواد وألفني وصرنا توأمين.

دمت بخير وعافية وشعر....

الأحد: 2018/12/30

أيتها الكاتبة الجميلة والشاعرة البهية سلام من القلب، أما بعد:

سأخبرك اليوم عن الجمال الظاهري، ولعبة الشكل والمضمون، وما هو الأهم؟

أفكر هكذا بيني وبين نفسي: ما معنى قولي "جميلات الأدب العربي"، وقد نشرت اثنتي عشرة صورة لكاتبات جميلات، لم تكن صورتك حاضرة بالطبع، لأسباب تتعلق بي وتعرفينها، هل تريدين معرفة هؤلاء الكاتبات؟ إنهن: "سماح صفاوي، حزامة حبايب، شهلا العجيلي، نسيمة الراوي، آمال عواد رضوان، فاتن مصاروة، د. رزان إبراهيم، بدرية البدري، ريتا الحكيم، زينب الأعوج، دلال بارود، منصورة عز الدين". كاتبات جميلات فعلا على الرغم من أن بعضهن كبيرات في السن، إلا أنهن ما زلن يختزن جاذبية وسحرا طاغيا حتى في الصور، وأنت كذلك ما زلت تختزنين إبداعا خاصا في الصور، وما زلت إلى الآن بين الفينة والفينة أمتع ناظري بما لدي من صور، وخاصة صورك في الرحلة الأخيرة.

هذا الموقف أثار سجالا غير بريء من الغيرة عندما تم نشر الصور، سنذهب سوية أنا وأنت إلى القراء ونقرأ ذلك السجال. يبدأ السجال صديق بسؤال حيادي كأن الأمر لم يعجبه:

- من حيث ماذا هذا التصنيف؟

أرد عليه:

- من حيث الجمال فقط، من حيث الجمال.

لم يتابع السجال، ليكتب صديق آخر قائلا:

- لا أعرف ما مقياس الجمال لديك؟ بصراحة أول مرة لا يعجبني ما نشرت.

أحاول أن أخفف عنه وطأة الغضب:

- الجمال أذواق يا صديقي، جميلات هؤلاء النّساء فيهن جاذبية، صحيح كبار في السن لكن ما زال الجمال باديا فيهن.

- أعتقد أنه إطراء جميل تشكر عليه مع احترامي الشديد لكل تلك الأسماء.

- وهل هناك أروع من الماء والخضرة والوجه الحسن، فما بالك لو كانت الخضرة والماء في الوجه الحسن نفسه، نعمة باذخة والله، تبارك الله كيف جعل النّساء مفاتنَ الرجال. (في الحقيقة كنت أتحدث عنك، وليس عنهن).

- تسلم أستاذ.. لن نختلف هُن نصفنا الأجمل.

- نعم إنهن حياتنا الجميلة، يا للصحراء التي نعيش فيها إن خلت حياتنا منهن، حبيبات أو زوجات أو أخوات أو بنات أو أمهات.

صديق آخر يعشش في ذهنه التمثيل الجغرافي للكاتبات ليسألني: هل شملت كل الدول العربية؟ لأرد من فوري: لم أنتبه لذلك، لكنني ربما أكمل العمل.

هذا حوار القراء، فهات نرَ حوار القارئات وماذا قلن.

- كنت أعتقد أن المضمون ما يهم عندك وليس الشخص.. ولكن...

- الشكل مهم والعقل مهم والإنسان محضر ومخبر وتعرفين ذلك جيدا لا بد من اعتبار الشكل للوهلة الأولى وعلى هذا الكلام أدلة كثيرة.

- عندما تضع صورهن وتقول "جميلات الأدب العربي"، فهذا خطأ في رأيي، أما الشكل للوهلة الأولى فهو مهم إن كان الإنسان يبحث عن علاقة وجدانية عاطفية أو جنسية، هنا صحيح أن الشكل له بريقه الأول... دور من يهتم بالأدب أن يعزز تسليط الضوء على المضمون والمستوى الأدبي فقط لا غير، حتى لا يصير هناك خلط بين الإعجاب بالكلمة والإعجاب بالشخص.. أليست مشكلتنا الموضوعية؟

- ها أنت أخذت المنشور نحو هدفه السري، هناك مشاكل جمة في التعامل مع الأديبات "جميلات الأدب العربي"، أعرف قصصا محزنة وحضرتك تعرفين وكل من له علاقة بالأدب والوسط الثقافي يعرف ذلك. هنا المشكلة.

- أعرف جيداً كيف يتم التعامل معهن، نالني قليل منه مع أنني لست كاتبة أو شاعرة، أنا أحب القراءة، بعض شخصيات الصور كتب عنها شخص يدّعي أنه ناقد ولا يفرق بينهن، إذ كلهن عنده "الكبيرة المبدعة"... تخيل أنه سألني على الخاص: "هل أكتب عنك؟" رغم رفضي لعرضه وتاكيدي أنني لا أملك شيئا يُكتب عنه، كتب منشورا، وتجاهلته تماما، وألغيته من صفحتي.

- أرأيت كيف تصنع الأديبات، والله أغلبهن خاويات بل حاويات نطف للرجال المبدعين، يؤسفني أن أقول ذلك، ولكنهن لا علاقات لهن بالأدب. طبعا ليس الكل والتعميم قاتل، وعلى فكرة لا تدخل أي من صاحبات الصور في هذا الحكم.

- جملتك قاسية جداً. ولكن ماذا نقول عن بعض الرجال "الأدباء" هل يحملون نطفا أيضاً؟ الموضوع برمته يندرج تحت عنوان المصلحة، والمصالح أنواع، وفهمك كفاية.

- صحيح وأعلم أنها قاسية وجدا، ولكن الواقع بشع جدا والله.

قارئة أخرى تبدو أكثر اهتماما يدور بيننا هذا الحوار:

- إن كنت قصدت بالجميلات المميزات أدبيا فلا بد من نقد يعالج هذا الجمال ويقف على أوجهه المتعددة.. أما إن قصدت جمال الشكل فلا تعليق لديّ!

- هو الجمالان بالتأكيد

- جمال الشكل تختلف مقاييسه من شخص لآخر.. ولكن جمال الأدب وإن ارتبط بالذوق العام إلا أن له ضوابط ومعايير تميز جميله من قبيحه؛ فهلا عرّضت جميلاتك يا سيدي لتلك المعايير وقدمتهن لقارئيك قبل تقديم أحكامك؟ ثم، واعذرني لذلك غير أني لا أجد ثمة علاقة يمكن أن تربط جمال الشكل الخارجي بجمال الأدب الصادر عنه.

- لكل ذوقه، و"إن الله جميل يحب الجمال"، وقد كانت الحضارات جميعها ومنها العربية والإسلامية تقدر الشكل الخارجي وتحتفي به، مع تأكيد الحضارات للتوازن بين الأمرين لاحظي معي ما يقوله المثل الشعبي: "خذها بيضا ولو مجنونة"، وقول الشاعر:

لا خير في حسن الجسوم وطولها   إذا لم يزن حسن الجسوم عقولُ

الشاعر احتاط بالنوعين. عدا أن يوسف عليه السلام كان جميلا وكل الأنبياء والملائكة وإن الله جميل يحب الجمال. فليس هناك من خلل ابتداء لو امتدحنا جمال الكاتبة لاسيما أنه معبرها المهم حاليا إلى عالم الأدب والشهرة والمال بل وفرص الحياة، فالجميلة حظها مضاعف وأخطاؤها مغفورة بعون الله، ومشاركاتها الكرنفالية مؤكدة ومقدمة على أصحاب المواهب الحقيقية، والشواهد أكثر مما تحصى.

- معبرها المهم إلى عالم الأدب والشهرة؟ وأخطاؤها مغفورة؟ أتسخر من الوضع القائم أم تتحدث بجدية؟

- بالعكس هناك نماذج جادة في الأدب النسائي ومهمة.

- هذا أمر مفروغ منه بالطبع، ولكني لا أناقشك في الأدب النسوي وأهميته، بل في مسألة ارتباطه بالشكل وجمال الكاتبة يا سيدي! أجده رأيا متحيزا لشكل الكاتبة، وهو بالتالي غير منطقي ولا يمت لعالم النقد بصلة. باختصار.. عندما يقرأ الإنسان لرجل أو لامرأة فإنه يطلع على جزء من عقل وتجربة الآخر لا شكله، أشكالنا في النهاية قشرة خارجية لا تحكي عنا إلا القليل، الكتابة هي عذابنا المكشوف أمام العالم؛ لذا يبدو تقييم كاتبة وفق شكلها أو ربط مسألة الشكل بمستوى الكتابة أمرا سطحيا بل وعنصريا بالنسبة لي، لا يهمني عند القراءة أن يكون الكاتب بشَعْرٍ أو أصلع مثلا، وسيما أو غير ذلك! القارئ يبحث عن متعة القراءة بالدرجة الأولى، أما إن رغب بالتمتع بالنظر لجمال الآخرين فالتلفاز وإعلامه يكفي ويوفي.

وبعد أن أكدت كلامها بكلمة واحدة "صحيح"، تعود مرة أخرى بهذا التعليق:

- يا إلهي.. طيب افترض أن كاتبة (قبيحة) مع تحفظي على الكلمة كتبت رواية مبدعة وذات مستوى أدبي مرتفع.. ألا تدخلها في صفحتك (الجَنّة التي لا يدخلها إلا الحوريات) المخصصة لجميلات الصحف العربية؟

بالطبع كان سؤالا محرجا، وقلت بيني وبين نفسي هل يوجد هناك كاتبة قبيحة؟ أنا الآن لم أجد كاتبة قبيحة المنظر، كلهن في نظري جميلات جدا، حتى وإن قال أحد أصدقائي وهو شاعر: "لا يجتمع جمالان في امرأة كاتبة".

هنا تتدخل القارئة الأولى:

- تراوغ في إجاباتك، وبعضها صحيح عمليا، وخطأ أخلاقيا، كأن تقول أن شكلها معبرها إلى عالم الشهرة... لا تختلف عن غيرك... ومجرد ربط "جميلاتك" بالأدب العربي، لا يختلف كثيرا عن التسحيج الثقافي من النقاد وغيرهم.

فأحاول أن أبين وجهة نظري:

- طبعا، صحيح عمليا، وخطأ أخلاقيا لا شك في ذلك، لكن انتبهي أنهن لسن وحدهن الجميلات، ولا أعرفهن إطلاقا ولسن صديقات لي ولا بأي شكل من الأشكال، ولذلك تختلف الأمور فهي ليست من باب التسحيج الثقافي. أما الاختلاف عن غيري فواضح أنني جدا مختلف؛ فلم أسع لأي كاتبة ولا التملق لها، فأنا لست معنيا بأي كاتبة جميلة أم قبيحة، صغيرة أو كبيرة، وإنما أثارتني ظاهرة وجود كاتبات جميلات. الفكرة تراودني منذ زمان بعيد، وكنت أرغب بتدشين صفحة مخصصة بجميلات الصحف العربية، ولكنني تراجعت. نقطة أخيرة هناك من هن أجمل بالتأكيد من هؤلاء الجميلات، ولكنهن بالتأكيد جميلات روح وفكر وجسد كذلك، وأنا أحب النظر إلى الجمال، وهذا ما لا ينكر، وأولست تحبين النظر إلى الجمال؟

في نهاية هذا الحوار يعود صديق ليكتب:

- لا أتفق معكم أن تنشروا صور نساء وتثيرون هذه المسألة، وكأنها قضية أدبية أو نقدية. الأدب والفن عموما أخلاق قبل أن تكون شيئا آخر. وفي كل ميدان كواليسه و(كابيناته) الخلفيه التي تحمل فضائحه. أفتطوير هذا الميدان يتم عبر الحفر في مجاريه الخلفية؟ لا أظن ذلك يحصل بهذا الشكل. كل ميدان خليط للغث والسمين، والصراع بينهما يتم مرة علنا ومرات أخرى في الخفاء. "الجميلات يحملن نطف المتنفذين في الأدب".. هذا قذف علني ورغم استبعاده لصاحبات الصور المرفقة بالموضوع، فإنه لم يورد هذه الصور إلا للدلالة على ما يريده ويذهب إليه. الأدب أخلاق والأمم أخلاق. وما سمي الأدب أدبا إلا لأنه يقول كثيرا من الأشياء القاسية بطريقة مؤدبة ولبقة تسمح حتى لمرتكبي أكثر الأفعال دناءة بالانخراط في مناقشتها. هذا رأيي صراحة في هذا الموضوع. وقد شكلت في خيالي هذه المداخلة صراعا قبل أن أدلي بها. لكم مودتي

واعذروا صراحتي التي تدخل في إطار حرية الرأي الذي لا يجترح الآخر ويحترم شخصه أثناء النقاش.

إلى هنا ينتهي الحوار، ولكن تبقى المشكلة قائمة. أو ربما ما افتعلته من قضية سيبقى هناك فيها ما هو مسكوت عنه، وللتخفيف من حدة القضية أعلنت سؤالا آخر للنقاش، وهو: كيف تقيمون العلاقات البينية الثنائية الآتية: كاتب مع كاتب، كاتب مع كاتبة، كاتبة مع كاتبة، كاتبة مع كاتب، كاتبة مع ناقد؟ ولم يحظ بما كنت أتوقعه من حوار ونقاش، على الرغم من أن هناك دارسين كثيرين قد خاضوا في هذه الثنائيات، إما في مقالاتهم أو في تحقيقات صحفية.

أعرف أنك تختزنين في ذاكرتك أسرارا جمة عن ذكور الأدب ويعاسيب الثقافة والمداحين جمالك أولا قبل جمال أشعارك، وأعلم جيدا أشياء أخرى ربما وصلت إلى حد التحرش، ولكنك لم تتحدثي لي عن ذلك، فلست قريبا إلى روحك لتصارحيني حول هذا، فعالمك مليء بالأسرار، فكم تمنيتِ أن تكوني كغادة السمان! وهذا أحد مواقف أنانيتك التي لن تتخلصي منها مهما ادعيت من حجج، لا أحب أن أذكرك ببعض الشائعات التي منعتنا النوم أسبوعا، وقد اتهمتك فيها كاتبة بما هو فظيع، وشنيع.

ربما حدثتك في قادم الأيام حول أشياء مفيدة، بعيدة عن ثرثرات الأصدقاء. أتركك لتفكري في الأمر جيدا. لن أطلب منك أن تكتبي لي ردودا، فلست معنيا أيضا بأي رد.

ربما نلتقي.

رسائل 2019

ما زلت مفخخاً بصور النساء وروائح شهواتهنّ

السبت: 12-1-2019

عزيزتي الغالية، أسعدت أوقاتا وحبا، أما بعد:

ها أنا أتورط أكثر في كتابة الرسائل وقراءتها، فقد قرأت رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، ورسائل كافكا إلى ميلينا، ورسائل أنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، ورسائل أنور المعداوي إلى فدوى طوقان، ورسائل فدوى طوقان إلى ثريا حداد، ورسائل يوسا إلى روائي ناشئ، ورسائل حنة آرندت ومارتن هيدغر، ورسائل فرناندو بيسوا إلى حبيبته، وأخيرا رسائل الشاعرة الأرجنتينية أليخاندرا بيثارنيك إلى معالجها النفسي ليون أوستروف.

لقد شغفتني كثيرا هذه الرسائل يا عزيزتي، وأحببتها حبا كبيرا، على الرغم من أنها أحيانا لم تكن ذات لغة رفيعة أو أسلوب أدبي نقي، إلا أن ما أعجبني فيها هو صدقها الكبير، وتلقائيتها الباهرة التي تضيء عتمة الذات في تقلباتها الحياتية والفكرية، إن لكل مجموعة من تلك الرسائل ميزة خاصة، ولكنْ لا أجمل من رسائل جبران، ولا أشهى منها، إنها ترقّق القلب، وتُرهف الشّعور، وتدعُ الدمعة تترقرق في العيون. جملتان مهمتان وردتا في الرسائل؛ الأولى: "لم يعقد ضبابي قطرا يا مي" والثانية: "لم يبق لي دور"، جملتان قاسيتان، لكنهما صادقتان. كانت شعلتهما الزرقاء تبهج خاطري كلما كتبت لك سطرا في هذه الرسائل. لعلك قرأت بعضا منها كما أخبرتني أنك قرأت رسائل إلى روائي ناشئ، وأظن أن رسائل غسان كنفاني لم تكن لتفوتك. كم أتمنى لو تتاح لك الظروف فتقرئين كل الرسائل الأخرى أيضا، لتعلمي كم كنت شغوفا بك مع كل رسالة كتبها شاعر لحبيبته أو فيلسوف لعشيقته أو كاتب لزوجته أو فنان لملهمته. لم أكن أكتفي بالقراءة الخالية من التخيل واستحضارك تخطرين بين يديّ وبين عينيّ في كل سطر، وكم كنت أبتسم عندما تتماثلين مع إحداهن في موقف أو نظرة أو جملة أو صورة.

لن أتحدث لك عن جميع تلك الرسائل، ولكن أحب أن أشير إلى بعضها، فمثلا تكتسب رسائل هيدخر وحنة قيمة خاصة، لأنها ذات رؤية مختلفة من وجهين: أن من تبادلاها هما من الفلاسفة، وهنا جدلية الحبّ والفلسفة واضحة فيها، والثانية أنها جمعت أطراف العلاقة الأربعة: هيدغر وزوجته وحنة آرندت وزوجها، الأطراف الأربعة حاضرة في هذه الرسائل، عدا أن هذا الكتاب اشتمل على رسائل الطرفين تلك التي لم نجدها في رسائل جبران خليل جبران إلى ميّ زيادة ورسائل غسان كنفاني وأنسي الحاج إلى غادة السمان وكذلك رسائل فدوى طوقان إلى أنور المعداوي ورسائل فرانز كافكا إلى ميلينا. وجدير بالذكر أن العلاقة بينهما استمرت حتى موت حنة أولا ثم لحقها هيدغر بمدة ليست طويلة؛ بضعة شهور فقط بينهما. قصة حب فيلسوف هتلريّ لفيلسوفة يهودية صهيونية، تجعل هذه العلاقة جدا مميزة وغريبة وعصية على الفهم، هو هكذا الحب أيضا لا يمكن لأحد أن يفسره. يخرج عن المنطق ليصنع منطقيته الخاصة فيه، ألا يخلق ذلك مبرره الخاص معنا أنا وأنت ونحن ندخل في معمعة هذا الحب المستحيل الذي ليس له نهاية إلا بالموت على ما يبدو حتى وهو يحصل ما يحصل معنا الآن من بُعد وجفاء.

لا يهم ذلك الآن، ولكن اسمحي لي، بمناسبة الحديث عن رسائل الأدباء أن أحدثك، عدا قيمتها الإبداعية في حد ذاتها، عن أهميتها في الدراسة النقدية والأدبية، وفي هذا الباب، فإن هذا الكتاب جدا رائع، مميز ومختلف، أقصد رسائل إليخاندرا بيثارنيك، إلى معالجها النفسي ليون أوستروف، يبدو في هذه الرسائل أن هذه الشاعرة التي لم تعمر طويلا كانت تنوي كتابة جانب من سيرتها الذاتية، وأشارت إلى ذلك في واحدة من الرسائل: "أرقّم رسائلي من أجل كتّاب سيرتنا المستقبليين". كما أشارت إلى يومياتها التي كانت تكتبها بالتزامن مع هذه الرسائل، وهناك تشابه كبير في الموضوعات التي تتحدث عنها في هذه الرسائل واليوميات كما أشار من كتب عنها. إضافة إلى أن هذه الرسائل تبين العوالم الداخلية والهواجس التي كانت تعاني منها الشاعرة، وكيف كانت تنظر إلى الشعر، وما تمثل لها كتابة القصيدة، إنها ليست مجرد كتابة نص، فالشعر يمثل بالنسبة لها واحدة من القيم الروحية التي تتمنى ألا تفقد إيمانها بها، فـ "الشيء الوحيد الذي يهمني في هذا العالم هو أن أكتب الشعر"، فلا عجب إذن أن تصبح شاعرة عالمية ومشهورة وهي في ريعان شبابها، إذ لم تتجاوز الخامسة والعشرين. كما أن هذه الرسائل بينت التكوين الثقافي لهذه الشاعرة وماذا كانت تقرأ، وفي أي المجلات نشرت قصائدها وريبورتاجاتها الصحفية، وذكرت إصداراتها وترجمة أشعارها، كأنها بالفعل كانت ترسم سيرة فكرية أيضا ليستعين بها كتاب سيرتها المستقبليين، ولعلها تقدم تفسيرا للتحليل النفسي في الكشف عن دوافعها للانتحار، حيث انتحرت وهي في عمر السادسة والثلاثين، هل امتلأت من الهواجس أم أن صراعها مع الحياة والموت حسمته لصالح الموت؟ هنا سيكشف الدارسون عن ذلك لو أرادوا. أتمنى أن تتاح لك هذه الرسائل لتقرئيها فهي مهمة جدا في بيان صراعها من أجل العمل، لتأمين معيشتها، وضيقها من العمل أيضا. إنه صراع، لكنه كان حتميا، وربما ضاقت به ذرعا، وسارع في حسم مسألة حياتها.

وقبل أن أنهي هذه الرسالة أود أن أخبرك أنني بعثت لك في البريد العادي الكتب التي وعدتك بها، كتابي الجديد "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية"، وكذلك عددين من مجلة "كتابنا كُتابنا"، آمل أن تصلك بأسرع وقت. أرجو أن تبلغيني في حال وصولها.

أقبل شفتيك الناعمتين، منتظرا فرصة أن نلتقي أو أن تكتبي لي عن نشاطاتك الأخيرة.

الخميس: 17-1-2019

عزيزتي الدافئة أسعدت أوقاتاً:

أتمنى أن تكوني بحالة جيدة ونشاط أدبي وفكري حيوي رغما عن هذا الشتاء المتراكم، فها هو الشتاء يتقدم أكثر ويورطنا في البرد، لا مجال لأن تحتال على الشتاء وبرودته إنه لا يعرف المجاملة ولا التصالح، كأنّهُ شخص مسكون بالانتقام منا. هكذا أشعر بالبرد هذا العام، لا أدري كيف تقضين أوقات الشتاء، منذ مدة طويلة لم تكتبي لي ولو حرفا واحدا، يبدو أن مزاجيتي قد أتعبتك كثيرا وتنازلت إلى غير رجعة عن الكتابة لي. أسمع الريح تزمجر في الخارج فتتوعدني بمزيد من الألم.

ها أنا أقضي معظم الوقت كما أخبرتك سابقا أمام التلفاز، عادَ يعوّضني عن القراءة كثيرا، لكن البرامج الثّقافيّة مملة جدا، وهي نادرة على كل حال، مدسوسة كبهارات الطعام بين البرامج الأخرى، والأخبار السياسية مقززة، ما زالت الحرب على الإرهاب تغذي الصحف والفضائيات. والأخبار الطريفة سطحية وبلهاء.

أعجبني قول بول بولز في هذه الحرب وأنا أقرأ في كتاب "الحوار الأخير" الذي يرد فيه على اتهامات محمد شكري له: "القطب الرأسمالي يرى أن الإسلام لم يروض ولم يخضع للتدجين الكافي"، لذا ستكون هذه الحرب طويلة وغنية بالضحايا قتلى ومشردين ومتنوعة السيناريوهات الروائية والسردية والمسرحية التي تصيب الإنسان بالإعياء.

أتمنى ألّا يطول الشتاء كثيرا، وأعود إلى معتزلي وأمارس غواياتي الشقية. أكتب لك هذه الرسالة وأنا أعاني من الحنين الشديد للدفء، كفّ يدي تكاد تتجمد من البرد وهي تكتب، والكلمات تعاني من الكسل والتثاؤب تحتاج إلى مدفأة قوية لتعود إليها الحياة.

ربما أشعرتك رسالتي أنني أعيش في سيبيريا، أراك تضحكين، ونحن نتفق على هذه النتيجة، صدقيني أنني وإن لم أجرب برد سيبيريا فأنا أعاني من شدة البرد كأنّني ملقى هناك على مساحة من الثّلج عاريا لا شيء يسترني من هذا البياض المخيف.

يصحبني الآن إبريق من الشاي أسرق شيئا من حرارته التي لن تدوم طويلا، فيا لله ما أسرع أن يبرد كل ساخن في هذا الشتاء القارس! تخيلي لو أنك الآن معي تشاركينني اللحظة، لن أقول على مبدأ الرومانسيين وتفكيرهم: "لن أشعر بالبرد". من المؤكد أن صلف الشتاء هذا العام سيقضي على كل أفكار الرومانسيين وتخيلاتهم العاطفية. لو كنت معي الآن ستشعرين أيضا بالبرد، ولكنك ستكونين قادرة على احتضاني، ربما لأشعر بمزيد من حرارة دمك تجري في عروقي!

تقفز إلى ذاكرتي تلك الحركة التي مثّلتِها يوما في مقهى المدينة، عندما كنا نعمل على واحد من الكتب، وتمنيت فيها احتضاني كان يومها شوقك عارما شبقيا، وكنت في أبهى صورة وأشهاها، لكن تلك الحركة ماتت في الفراغ، ولم تحدث وبقيت أعاني من البرد والشّوق منذ ذلك الوقت إلى أن يشاء الله، وإن داويتُ وجعي حينها بقصيدتين وقصة قصيرة بائسة طلبتِ مني عدم نشرها، وقد التزمت بذلك ولم أنشر كل ذلك البؤس حتى الآن، أظن أن القصيدة ستكون في ديواني الجديد الذي تأخر في "المونتاج".

عزيزتي الدافئة: كم أتمنى لو أن قبلة منك تقضي على هذا الشتاء القارس؛ لكنت شعرت ببعض التحسن، ولكنت كتبت أجمل مما أكتب الآن! يا لهذا الهذيان أين أخذني!

علي أن أصحو من سكرة التخيل المستحيلة، وأسألك إن كانت الكتب قد وصلتك أرجو أن تبلغيني بذلك كي أرتاح من هاجس ضياعها أو رجوعها إليّ خائبة وقد ضلت طريقها.

أقبّلك لعل شمسا تشرق بين بسمتيك لنشعر ببعض الدفء فنهزم هذا الشتاء البليد.

المشتاق لدفء صدرك.

السبت: 19-1-2019

أسعدت أوقاتا ونشوة أيتها الكاملة في شهوتها وجنون حبها، أما بعد:

فهل أتاكِ حديث المرأة العراقية قبل اليوم؟ لا أظنّ ذلك، أنا سأحدثك عنها، ولا أريد لقصتها هذه أن تكون ضمن كتاب "نسوة في المدينة" الذي أجلّت نشره، وربما ألغيتُ النشر دون أن أعلن ذلك، لقد أبلغتك سابقا أنني لن أنشر الكتاب، لا أدري هل أكونُ على صواب أم لا؟ ربما لو اقتنعت بوجهة نظري مستقبلا ستسمحين لي بنشر الكتاب والتمتع بقصصه الطازجة الجميلة.

تعرفين أين تكمن أهمية كتابي هذا؟ إنه فيما قاله الكاتب الأمريكي (تشاك بولانيك) عندما سئل في حوار معه عن مصادر قصصه: "في الحقيقة، لا أحب أن أستقي قصصي من وسائل الإعلام المختلفة - فمثل هذه القصص سوف يعرفها الجميع- ولكني أحب أن أستمع إلى القصص السرية التي لن يتاح لأحد سماعها إلا من أصحابها الأصليين". هذا ما فعلته بالضبط في هذا الكتاب استقيت المادة من أصحابها الأصليين، بل صنعتها مع هؤلاء النّساء. ولذلك لن يجد القارئ مصدرا آخر لهذه القصص إلا في كتابي أو في عقول الآخرين وتجاربهم التي لا يحبون إذاعتها ويتكتمون عليها.

سبق وتحدثتُ عن الفكرة في قصيدة "رسائل في محرقة الحذف"، وتناولت مواقف المتحدثين السريين في الدوائر الثلاث: الجنسية والدينية والسياسية. هذه القصيدة التي علق عليها أحد الأصدقاء من الكتّاب: "هذه قصيدة وقحة لا بالمعنى الاجتماعي، بل بالمعنى الرمزي، كونها تعرّي وتفتضح، عموما أنت تشاكس كثيرا، وأظن أنك تتبع الخط الغرامشي، إذا جازت الاستعارة، فأنت تخرمش وتفضح وتعرّي. لكن تذكر أن هذا الطريق صعب، ويجرك إلى المتاعب". وكتبت إحدى الصديقات الفيسبوكيات في حينه معلقة على هذا النص: "رغم أن النص غير مقبول للجميع (من باب التنكّر والتصنع)، إلا أنني شخصيا احترم جرأتك وقوه قلبك بخط هذا النص".

أما حكاية صديقتي العراقية فحكاية طريفة تشبه حكايات "نسوة في المدينة"، بدأت كما تبدأ النّساء المتطفلات، في الرغبة في التعرف إليّ ككاتب، وأنها لم تنقطع عن التفكير بي منذ تعرفت إليّ وصادفت اسمي وصورتي في أحد المواقع الإلكترونية، وأنني لا أغادر مخيلتها منذ ذلك الحين. كلما غابت تعود بشراسة أقوى لتتعرف إليّ أكثر، ولا تريد ما هو منشور في الكتب أو المقالات، وإنما شيء ما يشدها إليّ كما قالت، وأنها لن تمل ولن تستسلم حتى تفتح حصوني عن آخرها، ونصبح صديقين وربما أبعد من صديقين.

أخبرتها أنني مللت من العلاقات الافتراضية، وأنني أرغب في علاقة حقيقية مع امرأة حقيقية، اتخذت الموقف ذاته مع امرأة أجنبية كانت ترغب في إقامة علاقة معي في (تويتر)، ورفضت ذلك

جملة وتفصيلا. هذه المرأة العراقية عرّفتني على اسمها وتخصصها الأكاديمي، وبعد مزيد من التردد تبعث لي صورتها. هي تقول إنها امرأة في عامها الثالث والعشرين، لكن صورتها تقول إنها أكبر من ذلك، وملامح وجهها تشي بأنها على أبواب الأربعينيات وفي نهاية الثلاثينيات، ذكرتني قصتها بقصتك قبل سنوات عندما تعرفتِ إليّ وادعيت أنك عذراء عشرينية، لكنك كنت، وما زلت، أجمل منها على كل حال، مع أنها جميلة وشفافة وذات منطق في الحديث، امرأة خجول، وذات صوت أنثوي جميل وسلس، ليس ناعماً طفوليا، ولكنه راسخ الأنغام في عالم النضوج الأنثويّ الساحر.

لم أتبين في الحقيقة هدفها من التعرف إليّ. هل كانت تريد صداقة أم كانت تريد تزجية الوقت بالحديث والممارسة الجنسية الافتراضية؟ هي لم تكن تعلم أنني متخم من العلاقات الافتراضية إلى حد القرف، لكنني رغبت في امتحانها؛ لأكشف عن أهدافها، طلبت منها رويدا رويدا أن تتعرّى بالكامل وتمارس شهوتها كأننا في السرير. لا أدري هل استجابت أم لا لكن تلك المحادثة لم تكن سلسة بما فيه الكفاية لإحداث النشوة المتوقعة، عرفت عندئذ أنها تعاني من مشكلة ما؛ فهي لم تجرِ معي كما تجري النساء في العادة، فطلبت منها ارتداء ملابسها، وسألتها إن كانت عذراء أم لا، فأخبرتني بعد فترة من الصمت والأسئلة الجانبية أنها كانت متزوجة.

هنا، أخذ الحديث شكلا آخر. إنها تعاني من "رهاب الجنس"، وصارحتني أنها لم تفعل شيئا، وإنما فقط كانت تبكي، إنها لم تلمس صدرها أو عضوها كما طلبت منها، إنما فقط كانت تشعر بالقرف والخوف، حاولت أن أشرح لها أهمية الجنس ودوره في توطيد العلاقة بين الرجل والمرأة، وأنه ليس عملية حيوانية، وإنما هو طريقة رمزية ذات دلالة اجتماعية وفلسفية وفكرية، فعندما يتعرّى الرجل أمام المرأة أو تتعرّى هي أمامه فذاك يعني أنه لا حواجز بينهما، سينهار الحاجز الديني، والاجتماعي، والجغرافي، وصولا إلى الحاجز اللغوي، عندئذ سيتحدثان ببساطة وأريحية دون أي تحذيرات أو محاذير، وهذا نفسه ما قصده القرآن الكريم بقوله: "وقد أفضى بعضكم إلى بعض". إنها لم تستطع أن تفضي إليّ كما كنتِ تفعلين، عرفت ساعتها أنها امرأة عابرة، ولن تعمّر طويلا، سترحل كما رحلت أخريات قبلها، وتظلين وحدك شاهدة على جنوني الحي الذي لن ينتهي.

على أية حال، فإنها تخرج عن خجلها بجرأة لا حد لها، وتتطور العلاقة معها لبضعة أيام، فقد صحوت في أحد الأيام وتفقدت بريدي. فإذا بها تبعث لي صورة مغرية، بلباس شهي، شيء يشبه قميص نوم شفاف، يبدو فيها فخذاها الممتلئان وصدرها المشبع وجسدها البض. صورة أغرتني بأن أطلب المزيد من الصور الفاضحة، فلم تتردد في أن تبعث لي مجموعة من الصور، تبدو فيها عارية تماما من الأمام ومن الخلف، وفي وضعيات شهوانيّة، يبرز فيها فرجها وهو فاغر شفتيه يريد أن يشبع أو يرتوي. أصدقك القول إن جسمها كان شهيا جدا، مشدودا، بلوريا، ناعما، وظهرها مع عجيزتها في استواء تام. بدت لي مختلفة، طازجة، لكنها لم تثرني إلى ذلك الحد الذي يمكن لامرأة شبقة أن تثير رجلا أربعينيّا مثلي، "مفخخ بصور النساء وروائح شهواتهن".

هذه الصور، مع صور أخرى غيرها للنساء الأخريات ممن أحتفظ بصورهن العارية، بما فيها صورك بكل تأكيد، جعلتني أفكر في التخطيط لعمل معرض فني من هذه المادة الطريفة، وأخذت أفكر على نحو جدي كيف يمكن أن تكون هذه الصور، مرتبة، فكرت هل يمكن أن أعرض صور كل امرأة على حدة أم أجمع الصور المتشابهة لكل امرأة معا؟ ما زلت محتارا في هذا الأمر، متأملا في الطريقة المثلى لعمل ذلك. متحاشيا التفكير في تلك المتاعب التي أشار إليها صديقي الكاتب، وربما عرّضتني للمحاكمة والرجم كما حدث قبل سنوات، ولم تتوقف هزاتها الارتدادية حتى اليوم.

على كلٍ، لقد غادرتني تلك العراقية، كما توقعت، ورحلت إلى غير رجعة، وهكذا، يا عزيزتي، صدمتها؛ لأنّني لا أريد لها أن تظل حائمة حولي تطنّ فوق رأسي كنحلة. أحببت أن أخبرك القصة؛ لأنني منذ أفضيتُ إليك وأفضيتِ إليّ أصبح مُحرّماً علينا أن نكتم أسرارنا، بل علينا أن نتشارك فيها، مع أنك تضمرين عني كثيرا من الأخبار والأسرار. وعليك أن تعلمي أنّ الكُتّابَ ليسوا ملائكةً، فإنهم قد يمارسون الجنس أحياناً، ويشعرون بالإحباط، وينامون صباحاً حتى الظهيرة، ويعانون من الكسل ووخزات الضمير كذلك. ويحدث كذلك أن يشتهوا نساءً على قارعة الطريق، ليسوا ملائكة، نعم. وليسوا شياطين كذلك.

أرجو ألّا تغضبي من هذه القصة التي قد تبدو بلهاء ماجنة وقليلة القيمة، فلولا ما تتمتعين به من رجاحة عقل وتفهُّم ما كنتُ قادراً على أن أتفوه لك عن ذلك بكلمة واحدة. لعلك ستشعرين بالقليل من الغيرة، وأرجو أن يحدث ذلك، ألم يقولوا أن الغيرة من علامات الحبّ؟

أحبّك أيتها الجميلة وقليل من العبث مع النساء لا يفسد للحبّ قضية.

المشتاق للمسة يدك النحيلة.

الأحد: 27-1-2019

عزيزتي: حبي وتحياتي الكبيرة الدافئة، جمّل الله أوقاتك بالسعادة، أما بعد:

لقد أسعدني جدا وصول الكتب إليك، وأبهج خاطري رؤية المغلف مختوما على طاولة مكتبك، ونغّص عليّ تلك السعادة قولك في رسالتك المقتضبة: "شكراً. هل سأجد فراس هنا طي هذه البريد أم سأجد طيف رجل كنت أعني له ذات يوم شيئا؟". عليك أن تعلمي أنه لا شيء يعدل أن تكوني حبيبتي وإلى الأبد، ولكنه عهد قطعته من أجل ألّا أوذيك فيّ أو أوذي نفسي فيك. أستميحك العذر في هذا، وأرجو أن تقبلي وتتقبّلي قراري.

والآن، فلنتجاوز هذه النقطة، ولتسمحي لي أن أحدّثك عما جرى معي في الفترة الأخيرة. أغرب حادثة حصلت لي على (تويتر)؛ شخص ما، ليس له إلا الاسم الأول، يدور بيننا حوار قصير، لكنه متقطع، يطلب مني أن أكتب له كتابا "سيرة ذاتية لشخصية اجتماعية وإدارية"، ويسألني إن كان لديّ وقت، وهل بالإمكان أن نتفق على إنجازه. هو يوفر لي المادة الخام وأنا أعيد صياغتها لقاء مبلغ من المال فقط، دون أن يكون لي أي حقوق فكرية أو معنوية أو أن يشار إليّ من قريب أو

بعيد، يلخّص هذا العرض بهذه الجملة: "أنا سأوفر المادة، وأنت تقوم بصياغة المادة بقالب سردي على هيئة سيرة ذاتية".

دعوة وعرض خرافيان، صحيح أنني أعاني من ضائقة مالية، ويبدو أنها طويلة الأمد، ومحتاج لكثير من المال، لكن ليس لدرجة أن أبيع جهدي مقابل مال لن يعمّر في حسابي البنكي سوى سويعات قليلة ويتلاشى ليكون في جيوب الآخرين وحساباتهم، وصحيح أن لديّ وقتا وقدرة كافيين لإنجاز الكثير؛ رغما عن هذا الشتاء المجنون، ولكن لن أكرّر خطأ وقعت فيه قبل ما يزيد عن اثنتي عشرة سنة عندما أنفقت جهد ثلاثة أشهر في الإعداد لمساعد مدرسي للصف الثاني عشر (التوجيهي)، وبعته لأحد المعلمين التجار بثمنٍ، هو بخس مهما كان عاليا، لأن ذلك الجهد المضني ذهبت حقوقه الفكرية لغيري، وهذا ما أزعجني في هذه الدعوة الجديدة.

لقد كان ردي حاسما وقويا، ولم أمنح نفسي فرصة للتفكير، إذ إن هذه الدعوة تشبه حالة الأم البديلة التي تستخدم لحمل نطفة مولود، لن يكون لها نصيب في أمومته، فيتربى ويترعرع بعيدا عنها بعد أن أعطته من دمها وروحها. أيّ غباء هذا الذي يحصل في عالم رأسمالي لا يفكر إلا بالمال، وكيفية الحصول عليه، لاحظي يا عزيزتي كيف يحاول هذا الشخص أن يغريني بالعمل معه بعد أن عرف أنني كاتب ولديّ ثمانية عشر كتابا مطبوعا: "لو اتفقنا سنخرج مجموعة أعمال، لديّ أفكار ممتازة وذات ربحية، ولكن هذا العمل يختلف، سأبلغك لاحقا عن السبب". أرأيت كيف يفكر هذا الشخص ومثله الكثيرون؟ فهم أبناء عقلية رأسمالية تجارية قذرة؛ إن لديه أفكارا ربحية. متى كانت الكتابة مشروعا اقتصاديا للكاتب الحقيقي؟ يا إلهي كم يهين الآخرون الكتابة والكتّاب! لذلك لم أتردّد لحظة واحدة في أن أقطع معه هذا الموضوع المثير للسخرية والمحرض على الذكاء والمستفز: "يا صديقي أنا لست تاجرا، أنا كاتب. لست كاتب عرائض قانونية لأحصل على أجر مادي فقط، وأرجو أن تقدر هذه النقطة، فهذه الصيغة لا تعجبني، وأرجو أن تعذرني". أعرف أن كثيرين من الكتاب يتمنون أن يحصلوا على هذه الفرصة، فقد قال لي مرة معلم صديق: أنت تمتلك مهنة تطعمك الشهد. تخيلي كيف يفكّرون، هل هؤلاء الكتّاب والمعلمون قادرون على إنبات جيل يتمتع بالانتماء إلى القيم الحقيقية؟ أظن أننا في تردٍّ مخيف.

يا لهذا الشتاء ما أغربه! كتبه غريبه، صدفه غريبة، أفكاره غريبة، كل شيء فيه بدا لي غريبا، كأني لم أعش شتاء قبل هذا الشتاء، إنه ليس قارسا وحسب، بل إنه يحاول أن يجمع كل ما يؤدي إلى عدم احترام الذات والعمل والكتابة. بالتأكيد ستضحكين من غرابة ما أخبرتك به، لكن تأكدي أن هناك في الحياة مواقف يجب أن نقفها وإن كانت تضعنا على حافة الانهيار، لكنّ تمسكك بالقيمة الكبرى يمنحك انتعاشا وقوة وصلابة ودفئا. لعل هذا ما كنت أطلبه لأشعر بأهمية أن أكون كاتبا محترما بعيدا عن جنون التفكير بالمادة فقط، وماذا يضيرني لو أمضيت العمر كله فقيرا؟ إن هذا أفضل مائة مرة من أن أرى كتابا ألفته، وبذلت فيه جهدي، مطبوعا على الرفوف دون أن يكون لي حق أن أتبناه أو أن أضيفه إلى سيرتي الذاتية، كتلك الأم البديلة، كيف سيكون موقفها عندما ترى ابنها

الذي حرمت من أن يكون لها. الكتاب ليس أقل شأنا من ابنك أو ابنتك، بل إنه أهم منهما في أحيان كثيرة.

يا ليتك كنت معي الآن وأنا أعيش هذا الإحساس المختلط بين الشعور بالغرابة والاندهاش والنصر، واجتراح ضحكة ساخرة في مواجهة كل ما حدث.

وأخيرا عطفا على بدء. إن حدّقت جيدا في الكتب التي وصلتك سترينني كما يجب أن ترى كاتبة حبيبها الكاتب، وهي تفكّك مقولاته التي أودعها في الكتب. ولو دققت جيدا سترين نفسك في تلك القصائد والرسائل المنشورة في الكتابين الآخرين. آمل أن تعوّضك الكتب عن رجل رحل، ربما إلى غير رجعة، مكتفيا بآخر ما لديه من قدرة على كتابة رسالة جديدة كلما برّح به الشوق.

مع تمنياتي لك بدفء ناعم وشتاء خفيف الدم... قضيت الثلاثة أيام الأخيرة في الشمس أمام منزلي، كم كانت الشمس جميلة هنا.

2019/4/1

هناك الكثير من الجنون والعبث واللاجدوى، لكن برغم كل ذلك يصبح مع الوقت إرثا ربما ليس ثقيلا بالمطلق. متى سأراك؟ لدي الكثير لأقوله ولن أفعل هنا.

ف. ع

الأربعاء: 2019/5/15

العزيزة الغالية، سلام من القلب.

أعرف أن هذه الرسالة لن تصل إليك ككثير من الرسائل السابقة، فقد أعفيتك من القراءة أو الرد على تلك الرسائل، ولكن هل يكون لهذه الرسائل جدوى إذا لم تكن موجهة لشخص ما؟

عندما نشرت الرسالة السابقة، لاحظت الشاعرة آمال عواد كما لاحظ من قبل غيرها أن هذه الرسائل خالية من "الروح"، وعلى ما يبدو أن معها حقا في ذلك، فكل رسائل الأدباء السابقين كانت موجهة لشخص حقيقي وليس افتراضيا، إذا ما استثنيت ما قيل عن "رسائل يوسا إلى روائي ناشئ"، فأغلب الظن كما يقول المترجم أنها كتبت لمرسل إليه افتراضي، وربما ليست فقط رسائل يوسا التي كانت افتراضية، ربما رسالة محمود درويش الشعرية "إلى شاعر شاب" كانت لشاعر افتراضي، وكذلك فعل مثلا هيرمان هيسة في رسالته التي أخذت الاسم نفسه، ومع ذلك هناك رسائل الشاعر ريلكه التي وجهها لشاعر شاب، يدعى فرانتز كزافر كابوس.

في اعتراض الشاعرة آمال بعض الوجاهة في أن هذه الرسائل، يجب أن تتحلى ببعض الألق والدهشة عندما تنشر بعد (عمر طويل)، ولكن لماذا عليّ الانتظار أن أنشرها بعد عمر طويل؟

لذلك فإنني ربما خالفت تلك الأعراف التي استقرت عندما نشرت رسائل الكتاب إلى محبوباتهم، فقد كان أحدهما غائبا بالموت، أو كلاهما، وتولى في الحالة الأولى أحد الطرفين نشر الرسائل، أو بعض الورثة أو المهتمين في الحالة الثانية، ولكن من سيهتم برسائلي لينشرها من بعدي، لاسيما أنها غير معروفة المرسل إليه. إنها تفتقد للجانب الفضائحي الذي صاحبت مثلا نشر رسائل غسان كنفاني وأنسي الحاج لغادة السمان، وقامت غادة نفسها بنشرها، تحقيقا لأهداف شتى، ربما كانت أدبية أو ذاتية، أو ربما كانت تبغي لفت الانتباه إليها وإلى عشاقها الكثيرين، ألم تقل غادة يوما: "غسان أحب رجالي إلي"؟ على ما يبدو أنها امرأة مغموسة منغمسة بحب رجال كثيرين.

هنا سأفضح كل أسراري المتبقية في هذه الرسالة، اعتمادا على اعتراضات الشاعرة آمال عواد رضوان، فأنا في هذه الرسائل أردت تجاوز كل ذلك التراث الذي اطلعت عليه من رسائل الأدباء إلى محبوبابتهم، أو لغيرهن، فثمة رسائل بين أديبين، وليس بين كاتب وكاتبة، فهناك مثلا رسائل سميح القاسم ومحمود درويش، وقديما رسائل جلال الدين الرومي إلى شمس التبريزي، ورسائل ريلكة إلى شاعر شاب، كما أن هناك رسائل بين أديبتين، كما هو الحال في الرسائل بين فدوى طوقان وثريا حداد.

ماذا قالت رسائل الأدباء السابقة؟ وماذا أردت أن أقول؟

هذان سؤلان يا عزيزتي أثارتهما الشاعرة آمال خلال حديثها معي، لقد لاحظت بعد أن قرأت الرسائل العشر المنشورة أن هناك تكرارا واضحا، فما تحدثت عنه في مقال ما أعيد الإشارة إليه في الرسائل، إن هذا الاعتراض وجيه جدا أيضا، ولكن هذه الرسائل هي كاشفة عن نفسية الكاتب، فقد بدوت، كما قالت، مرتبكا، وضعيفا، وكما قالت قارئات أخريات: إنني أقلل من شأن نفسي كثيرا في هذه الرسائل. صحيح أيضا أنني أعاني من الضعف والارتباك الواضح لعدة أسباب أولها أنني أعيش هامشية المشهد الثقافي، بكل عفونته البادية، فكثير من المهرجانات الأدبية والشعرية والمؤتمرات والفعاليات الوازنة التي ترعاها الدولة أو تقوم عليها المؤسسات الرسمية والجامعات لم أدع إلى المشاركة فيها إطلاقا، وأكثر ما أشارك فيه هو الحضور كتكملة عدد. فما هو تفسيرك المنطقي مثلا أنني إلى الآن وقد أخبرتك عن ذلك مسبقا لم أدع إلى أي مقابلة صحفية رسمية أو تلفزيونية أو إذاعية، أليس في ذلك تحقيق للهامشية وترسيخ لها؟ لقد وصلت إلى مرحلة الشك في ذاتي، وأنني لست أكثر من متطفل على الأدب، فما معنى أن لي ثمانية عشر كتابا، ولم أدع إلى أي نشاط ثقافي رسمي، سواء من وزارة الثقافة أو اتحاد الكتاب أو المؤسسات الأخرى؟ وربما تقولين كما قلت في إحدى رسائلك السابقة النادرة الحدوث أنني سأكون إلها يوما، ويقرؤونني. ولكن متى؟ بعد موتي؟ وما الفائدة؟ وربما تقولين عليك بالكتابة، أما الأمور الأخرى فستأتي تباعا، ها أنا أكتب والأمور الأخرى لم تأت. وعلى رأي المثل: موت يا قديش تيجيك الحشيش.

أعرف أنه ربما من المعيب للكاتب أن يبحث عن ذلك كما قال يوسا في رسالته الأولى إلى روائي ناشئ: "لا تبني أوهاما كبيرة بشأن النجاح، مع أنه ليس هناك بالتأكيد سبب يمنعك من تحقيقه،

ولكنك ستكتشف سريعا إذا ما واظبت على الكتابة والنشر، أن الجوائز والاعتراف العام ومبيعات الكتب والسمعة الاجتماعية للكاتب لها مسار من نوعها، مسار تعسفي إلى أبعد الحدود، فهي تتجنب بعناد أحيانا من يستحقها بجدارة كبيرة، وتحاصر من يستحقها أقل، وتثقل عليه". ولم يفت يوسا أن يتحدث عن "الإحباط وانهيار الحلم". لكنه يتابع قائلا: "الكاتب يشعر في أعماقه بأن الكتابة هي أفضل ما حدث، وما يمكن أن يحدث له، لأن الكتابة في نظره هي أفضل طريقة ممكنة للعيش بصرف النظر عن النتائج الاجتماعية والسياسية أو الاقتصادية التي يمكن أن يحققها من خلال ما يكتبه". إن فيما كتبه يوسا بعض العزاء لي ولكثير من الكتاب الذين يعانون مما أعاني، ولكنهم صامتون، أو يخجلون من مناقشة مثل هذه الموضوعات الحساسة.

وما العيب في أن يبحث الكاتب عن الشهرة؟ فكلنا يكتب وينشر من أجل تحقيق حلم الكاتب الكبير، وليس لمجرد معابثة الكلمات، هذه هي الأمنية التي تدفع الكاتب للكتابة، آعترفَ بذلك الكتاب أم لم يعترفوا؟ إنها هي الحقيقة. ما الذي يجعل الكاتب متصيدا للأفكار ومجودا للأسلوب وباحثا عن الأفكار الغريبة غير الظهور بمظهر التميز والإبداع؟ ألم يكن الشاعر القديم حزينا عندما رأى أن غيره – الأقل منه حسب وجهة نظره- أعلى منه شأنا؟

فكـــم في الأرض مـــن عبـــدٍ هَجِـــينٍ   يقبِّـــــل كفَّـــــه حُـــــرٌّ هِجـــــانُ
وقـــد يعلـــو عـــلى الـــرّأس الـــذُّنابى   كمـــا يعلـــو عـــلى النّـــار الـــدُّخَانُ

إنها هي المشكلة يا عزيزتي، فما الذي يجعلك تسافرين هنا وهناك، وتجوبين العالم؟ أليس من أجل أن تكوني معروفة وشاعرة ومكرسة في الساحة الأدبية؟ بلى إنها هي رغبة كل ذي قلم.

لقد كنت أريد أن أتحدث إليك أكثر وأكثر في موضوعات كثيرة، خططت سلفا أن أناقشها معك، ها هي بقيت مسوداتها على حالها مركونة في "الأجندة السوداء" مقبورة فيها. لا عليك، يبدو أنني غدوت ثرثارا كثيرا، ولا أظن أنها صارت ثرثرات محببة. أستودعك الله، محروسة بعنايته، ومشمولة برعايته، ولعلنا نلتقي يوما ما، ولكن لست أدري متى وأين ولا على أي صعيد.

إنّك تدفعينني دفعا بوهيميّا لأتوقف عن كتابة الرسائل، إنّك لم تريدي لها الحياة، فصمتك كان السبب الوجيه لعدم حيويتها، وبالتالي ربما من الأجدى التفكير في التوقف عن كتابتها وإماتتها إلى الأبد، أو إلى أن يجدّ جديد. عليك أن تتذكّري وعليّ ألّا أنسى قولك: "إلى الجحيم أنتَ ورسائلُك". يبدو أنها هي المكان المناسب لي ولرسائلي التي لم تجلب لي- كما أنتِ- إلا المزيد من الشقاء بقيّة عمري.

وآخر كل شيء كأوله: سلام من القلب.

الثلاثاء: 2019/5/21

أسعدتِ أوقاتا أيتها البهية مثل بدر الربيع،

أحدّثك اليوم حديث الشجون الخاصة، وعلاقتي بالأشياء، فأنا أحبّ أن أقيم علاقة ألفة مع أشيائي التي أمتلكها، لأنني لا أمتلك شيئا من باب الفضول أو الترف، ولذلك يكون لهذه الأشياء علاقة حبّ خفية، فما بيني وبينها، لن يفهمه أحد سوانا، فتلك الأشياء أصدقائي يفهمونني وأفهمهم، ولذلك تظل معي ولن أتخلى عنها، حتى لو توقفت عن العمل.

ربما تعرفين مناسبة هذا الحديث، فلا تظني أنه أمر نادر أن تودّع شيئا من أشيائك. لكنه صعب على من هو مثل حالي، لاسيما إن كان هذا الشيء قد صحبك فترة طويلة، وارتبط بذكريات جميلة، وجاء إليك بظروف خاصة جدا. إنني أتحدث عن جهاز الآيفون الذي صحبني مدة تزيد عن ست سنوات. فلماذا استحق كل هذه المكانة عندي؟ ولماذا لا يستحق حتى أكثر من ذلك، وقد كان أول هداياكِ لي أول لقاء بيننا؟

فلتسمحي لي أولا أن أعيد عليك هذه الحادثة الموغلة في التراث؛ فقد رويَ أن الشاعر الشمّاخ بن ضِرار مدح عَرابة الأوسي بقوله:

رأيــــت عرابــــة الأوسي يســـــمو
إلى الخــــيرات منقطـــــعَ القــــرين
إذا مــــا رايــــة رفعـــت لمجــــد
تلقّاهـــــا عرابــــــة بــــــاليمين
إذا بلّغتـــــني وحملـــــتِ رحْـــــلي
عَرابـــةَ، فـــاشرَقي بــــدمِ الــــوتين

ويعلق المبرد على البيت الأخير بقوله "عاب بعض الرواة قول الشاعر: "فاشرقي بدم الوتين"، وقال كان ينبغي أن يُنظر لها مع استغنائه عنها بعين الرأفة والرحمة، فقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجت على ناقة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعد أن قالت: "يا رسول الله، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها". فقال النبي: "لبئس ما جزيتِها".

هذا الخبر ذو دلالة قوية في احترام ما كان له فضل عليك، بشرا كان أو شيئا أو دابة، ولذلك لم يكن الشاعر موفقا، ولم تكن الأعرابية موفقة في نذرها، إن حالي- يا الحبيبة- مع هذا الجهاز كحال الشاعر والجارية مع ناقة كل منهما، ولذلك لن أقوم بإتلاف هذا الجهاز، بل أجعله ضمن أشيائي المحتفظ بها، وأرجعه إلى علبته التي ما زالت على حالها منذ ذلك الحين جديدة لم يمسسها سوء، بيضاء نقية كقلبك ولغتك وإحساسك، ولن يزول ذلك الشعور منذ ولد وحتى الموت.

والآن، ما هو فضل هذا الجهاز عليّ؟ بداية لم أكن أحلم يوما أن يكون لي جهاز (آيفون) آخر صرعة في حينه، ويتجاوز سعره راتب شهر كامل، فأنا كنت مكتفيا بجهاز متواضع يبلغني إياكِ في اتصالاتي. ولذلك فقد أحدثتِ بهذا الجهاز نوعا من الفخامة و(البرستيج)! نعم. إن معي آيفونا حديثا كالباشوات وأصحاب رؤوس الأموال. يا لسعادتي! ويا لذلك الحسد الذي كنت أراه بعيون

الآخرين، وهو يزهو بين أصابع يدي أنيقا متناسقا، حيويا، مبهرا. لقد منحتني الهيبة كما منحتني الحبّ. أتدرين لماذا؟ لاحظي ماذا كان بفضل هذه الهدية؛ ففي إحدى حواراتي مع صديقة تونسية، أتينا على ذكر أنواع الأجهزة التي نستخدمها أنا وهي، عبرت عن انبهارها الشديد لامتلاكي هذا الجهاز، وقالت لي: من يمتلك آيفونا عليه أن يسجل ذلك في سيرته الذاتية، أعادتها مرة أو مرتين. كانت تتوق لاستخدام الآيفون وامتلاكه. لقد شعرت بالزهو كثيرا لحظتئذ، فأنا معي آيفون. إنه لأمر جلل.

هذا أحد المواقف التي أحب أن أسجلها لك ولهذا الجهاز الذي قاوم معي لآخر ما يستطيع من عمره الافتراضي، إذ إن لكل جهاز عمرا افتراضيا مقدرا في عُرْف من صنعه، وأظن أنه تجاوز هذا العمر، وهو من الأشياء القلائل التي جازت عمرها المفترض.

لقد ساعدني هذا الصديق الوفي الجميل، وحل محلّ الورقة والقلم، وصرت أكتب فيه مقالاتي الطويلة والقصائد وأحتفظ بها وأخزنها بسلاسة ويسر، بل إنه أزاح من حياة الكتابة حاجتي الماسة لاستخدام الحاسوب الشخصي (اللابتوب)، فصارت الكتابة عندي أسلس ومطواعة أكثر، وأكتب كل حين. لقد كان له الفضل العظيم في استحضار الكتابة وجاهزيتها كلما عنت فكرة بالبال. فأنا من بدل بالدفاتر والأقلام آيفونا، ولذلك صرت أكتب أكثر وبغزارة واضحة. فقد ساعدني على أن أكون متقنا وسريع بديهة. لقد كتبتُ لك في الحقيقة أغلب الرسائل والقصائد باستخدامه. لم يخذلني هذا الوفي يوما حتى وهو في فترات مرضه القليلة، فهو لم يمرض قبل تقاعده الأخير وشيخوخته إلا مرة واحدة، وأنقذته بعملية أعادته إلى الحياة شهورا إضافية. فعاد حيويا كما كان صلبا عنيدا مقاوما، يحمل أحزان الكتابة وأسرارها، ويتحمل نزق الحروف ونزف الجروح التي كانت تسيل من دمي كلمات كلما برح بي الشوق وأضناني السهر، وأشقاني الغياب، كان مؤنسا وحبيبا وصديقا لا يُملّ.

لم يخذلني هذا الحبيب- كما لم تخذليني كلما لجأت إليك حزينا شاكيا موجوعا- حتى في أيامه الأخيرة، وهو في نزاعه الأخير، سرعان ما كان يفوق من غيبوبة مرض الموت والشيخوخة، ليطمئنني عنه، وتسطع شاشته بضحكة صافية تستعير بهاءها من ضحكتك قائلا: "شبيك لبيك حبيبك بين يديك". نعم كان يصارع الموت، لكنه كان متشبثا بالحياة والصداقة، ويومئ إليكِ لتظلي بين عينيّ تلك الحبيبة التي لا تخفت لها ضياء، ولا تغيم بها سماء.

لم يخذلني هذا المقاوم العنيد، على الرغم من تلك المرات التي كان يسقط فيها أرضا، ويقع على وجهه، فلم ينكسر له خاطر، ولم يتعكر له صفو، ينهض لا مكروه أصابه، في حين أسمع عن حالات كثيرة لأجهزة كثيرة، لا روح لها، سرعان ما تتشظى بمجرد وقعة خفيفة على الأرض. إنه يمتلك روحا صلبة تستعصي على الكسر. إنه يشبهك كثيرا، فقد غبتِ عني كثيرا، وتشاجرنا كثيرا، إلا أننا قد بقينا على قيد حبّ.

بمثل هذا الجهاز الحبيب القريب العاطفي الودود تقيم النفس حفلة شكر وعرفان وتقديس، فهو لم يكن مجرد جهاز كأي جهاز بل جهاز لا مثيل له في الأجهزة قاطبة، في شرق الأرض وغربها، عند العرب وعند الأعاجم أيضا.

لن أقول وقد امتلكتُ جهازا جديدا أحدث وأكثر تطورا، فلتشرق بدم الوتين كما قال الشماخ والجارية، بل ستكون حيث يجب أن تكون محتلا مكانتك الوثيرة في خاطري، ولن يملأ مكانك أي جهاز غيره، مهما غلا سعره، ومهما تطورت أدواته وبرامجه. وإن القلب ليحزن لفراق استخدامك، ولكنني لن أتخلى عنك لتكون في سلة المهملات، ولن أسمح لعامل نظافة أن يتأملك بيديه، وهو يلتقطك من بين الركام، بل إنني حريص على أن تظل حيا في أدراج سريري نومي نتبادل التحايا كل صباح ومساء. ولترقد بسلام هناك في ضريحك الأبدي كأعظم الأشياء قداسة في حياة كاتب، كنت له صديقا وملهما وحبيبا أبديا، وهدية عظيمة من امرأة تحب بشغف كأنها الأبدية المطلقة.

الآن أيتها الحبيبة كل الأجهزة سواء، كما أن النساء سواء. دمت متألقة أبدية الحب يا سيدة الحب.

الاثنين: 2019/8/19

عليك أن تكسر مراياك لترى وجها آخر مشرقا وجميلا لك وللناس من حولك وللحياة، قلت لك ليست الأمور كما تراها بالضرورة هناك صورة غيرها. تكلمت مع .... بالأمس ونقلت ملاحظاتك وكانت حريصة على أدق التفاصيل. كن إيجابيا يا فراس، نحن لا نعيش إلا حياة واحدة، ولا نعرف ما بعدها. اختلط بالناس الإيجابيين. ابتعد عن كل ما يعكر مزاجك، وانظر دائما للجانب المشرق.

يسعد صباحك

ف. ع

2019/8/19

لا أعرف لماذا حدث كل ما حدث، أنا والله لم أكن بهذا السوء، يبدو أن المهزوم لا يحسن التصرف. ثمة أمور تجعل الإنسان مختلفا ربما غبيا، لا أتمنى إلا أن أفقد ذاكرتي كلية لعلي أصبح شخصا آخر.

طعم الخسارة مزعج وجدا، وأشعر أن كلي معبأ بهذا الشعور. لا أريد شيئا من هذه الحياة سوى أن أرتاح، ولكن يبدو أنها أمنية مستحيلة. سامحيني إن عكرت مزاجك، أفكر بالانزواء ثانية.

لم أنم الليلة الماضية نهائياً، ولم أرغب بالإجازة حتى لا أكتئب أكثر. للأسف الأمور ليست جيدة بالمطلق بل هي أسوأ ما يكون. لماذا يحدث معي كل هذا؟ لست أعرف.

سامحيني وفقط، أرجوك.

ف. ح

الثلاثاء: 2019/8/20

عزيزتي الغالية وحبيبتي الأبدية:

سلام من القلب، كم تمنيت لو أستطيع الحديث في هذه الرسالة عن الأمور التي تؤلف بيننا بحرية كاملة، دون خوف أو وجل أو خجل وخاصة تلك الأحداث التي تمس شغاف القلب، لديّ حنين هذا اليوم لكتابة الرسائل بعد أن قررت الصمت والامتناع عن كتابتها خشية الانزلاق إلى ما لا تحمد عقباه. للأسف لقد قطع العمل وظروفه الاسترسال في الكتابة لأضطر للتوقف.

أشعر بسعادة ما تغمر أرجاء نفسي هذا اليوم، سبحان مغير الأحوال، كنت أمس في حالة سيئة للغاية، والآن في حالة أخرى مناقضة تماما، حتى اجتماع العمل كان اجتماعا جيدا، أو ربما أنا رأيته جيدا "كن جميلا تر الوجود جميلا". ليس لأن رئيس القسم متأنق بشكل لافت هذا اليوم، وهذه هي عادته على كل حال، ما يشعر المحيطين بالبهجة. أو ربما أيضا أنا رأيته متأنقا بشكل لافت.

كم كنت مشتاقا فيما سبق أن نتحدث وجها لوجه، لكن جرت الرياح بما عطل سفينة الربان، أتمنى أن نلتقي قريبا، فثمة ما يقال حول كثير من القضايا.

الحبيبة التي لا تتوقف عن الإلهام، اكتبي لي، لعل سطرا واحدا يصنع بهجته الخاصة في روح روحي.

لك القلب حتى ترضي، ولك الروح حتى تسعدي، ولك الشعر كله يا رب الشعر.
أحبك

السبت: 2019/9/21

صباحك الخير أيتها الناعمة مثل وردة،
لا أدري لماذا كل هذا الصمت، على كلٍّ، هذا ما اعتدت عليه، تضعين قواعد لعبة عبثية وما عليّ سوى الخضوع لقواعدها. ليس مهما جدا هذا. أخبرك أنني كنت في رام الله أمس للمشاركة في المؤتمر الرابع لفدا؛ حضرت الافتتاح واليوم الأول، وكان من المفترض أن أنام في أحضان جبل النجمة، مكان انعقاد المؤتمر، لم أستسغ النوم في المكان، ولا المشاركة في أعمال اليوم الثاني. كانت نقاشات اليوم الأول نقاشات عقيمة وسيئة، لا شيء مهم فيها، شد وجذب وصراعات وكولسات ومنافسات على عضوية اللجنة التنفيذية ومنصب الأمين العام للحزب على هامش اليوم الأول، ترك فيّ اليوم الأول كمّاً لا بأس به من الإحباط واليأس. أخبرت صديقي أنني لا أريد أن أبيت معهم. سيقضون الليل في المناقشات والكولسات. وأنا لا ناقة لي ولا بعير في كل ذلك. شعر رفيقي في الحزب وصديقي أنني ربما سأكون حملا ثقيلا وشيئا زائدا، يصطحب معه أحد الرفقاء من منطقة طولكرم. لم أتعرف على اسمه وخلال الحديث عرفت أنه قريب الدكتور عبد الستار قاسم. يوصلاني إلى البيت، يصر عليّ الرفيق الكرمي أن أحضر اليوم من أجل المشاركة في الانتخاب؛ فهو مرشح وبحاجة لصوتي، قال: ضروري أن تأتي فنحن بحاجتك. هو أراد أن يقول

أنك لست مهما كشخص وهذا طبيعي فهو لم يعرفني ولا حتى يهمه التعرف على اسمي كل ما يعنيه هو حضوري لانتخابه كونه مرشحا ليكون عضوا في اللجنة التنفيذية للحزب. موقف أعادني سبعا وعشرين سنة إلى الماضي حيث الجامعة وانتخاباتها واهتمام المرشحين والكتل الطلابية بك صوتا فقط. هي هي العقلية الحزبية المقيتة التي لن تتغير أبدا. ولذلك لا تتفاءلي بحدوث التغيير في المستقبل، لا القريب، ولا البعيد.

ما يهم هو أنني وصلت البيت، اغتسلت ورميت كل ذلك اليوم وراء ظهري. ولم أعد أفكر لا بالرفيق ولا بالمؤتمر ولا حتى بكل تلك المنظومة الهائلة من التفاهة السياسية والفكرية. لقد رحمني الله عندما خرجت من حزب التحرير، ولكنني لم أرحم نفسي عندما دخلت في حزب آخر، فأنا لا أتقن العمل الحزبي، ولا أجد جدوى منه، فما هو إلا عبث على عبث، ويرمي بنا في أغوار المجاهيل، ولن تفيد أحدا، لا وطنا ولا مواطنا.

ليس مهما كل ذلك. ولكن الأهم هو أنني خلدت إلى النوم باكرا، لم أنشغل بشيء، على الرغم من أنني غدا مشارك بندوة في مقر محافظة نابلس لتقديم كتاب منجد صالح "ضاحية قرطاج" وكتاب لينة صفدي "دنان". لا أعرفهما حتى اللحظة، ولم أكن قد سمعت بهما قبل ذلك، ربما كانت الكاتبة يوما ما من ضمن قائمة أصدقاء الفيسبوك ولم أنتبه لها. أما منجد صالح فليس من أصدقائي حتما.

الأهم من ذلك أيضا أنني عندما خلدت إلى النوم تقضين الليلة بكاملها معي. نسير معا في مكان ما، يبدو المكان ريفيا هادئا، وجهك يشع بجماله، رائحتك الطيبة تغمر كياني، خدك يغريني بأن أطلب منك قبلة، قربت خدك عليّ وأنت صامتة وتبتسمين بخفة، أقبلك قبلة خفيفة.

مشهد آخر في هذه الليلة التي قضيتها برفقتي أو قضيتها برفقتك، لم يفارق نهدك يدي، يا له من كائن جميل! طير ناعم وشهيّ. ما زالت صورته حاضرة في كل وعيي الشقيّ وأنا أكتب لك عن هذا المشهد، ما زال حيا وحرارة نهدك وحجمه وحجم حلمته ما زلت قادرا على تبيانهما وبقدرة فائقة.

لا أخفيك سرا أنني كنت باحثا عنك في الوجوه والأشخاص، مفتشا عنك بين الحضور في المؤتمر، ولكنك، لأنك لا تحبين الأحزاب والانتساب إليها، لم تكوني هناك، ولكنك كنت طوال الوقت في رأسي وفكري، وتلعب ملامحك في خيالي وحروف اسمك تتقاطر واحدا واحدا على لساني.

أصبحت في هذا النهار مشبعا بك وتعبئين ذاكرتي وتحتلين لغتي، ولم أجد بدا من الكتابة إليك. لا تمتعضي من قبلتي، ولا من أن نهدك كان بين يدي طوال الليل كما كنت طوال ذلك النهار المشؤوم معي. ولا شيء كان يخفف عني تفاهته سوى أنني على مسافة تكاد تكون صفرا منك.

أحبك!

الثلاثاء: 2019/11/19

سؤال

ما حاجتي لامرأةٍ لا تُريني صدرها العاري

ولم تلعبْ معي

ولم تُقْضِمنيَ التّفاحَ بعد المغفرةْ

ولم تجعل من النّهدين خمراً يصيب الرأسْ

بالفكرة المحرّرةْ

ولم تغرقْ معي

وتغرقْني

في مياه المحبرةْ؟

ما حاجتي لامرأةٍ لم تمدّ لي يدها لتنقذني

من جحيم الكفرةْ؟

الخميس: 2020/4/9 [1]

"نص متهور منتفض على نصك"

ما حاجتي لرجل

لا يوقد التنور في مضاربه

ليلقمني خبز

روحه العاشقة

لا يلاحق خيول قلبي

مطلقا صهيلها

مفجّراً سيول الشبق المنسي

وسط هذا القتام

ما حاجتي لعاشق

---

[1] على إثر هذه القصيدة التي ردت فيها على الرسالة بعد مضيّ عدة شهور كتبت نصاً "لقد آلمني أن حبيبتي تسرقني القصيدة"، فاتهمتها فيه بالسرقة، فبعثت رسالة غاضة، مثبتة في الرسائل اللاحقة.

لا يغريه الرمان المتفجر

على رخام صدري

ولا يلهو معي

لا يقضم التفاح المتورد شهوة

ولا يعصر عنب قُبلهِ فوق شفتيّ الظامئتين

ما حاجتي لمن

لم يغرق معي

بين ضفتي النهر ويغرقني

ما حاجتي لعاشق

لا يمد يده لينتشلني

من هذا الجحيم

الذي أحترق في أتونه

الآن

ف. ع

السبت، 2020/4/18 [1]

أنا سارقة نصوص يا فراس! كم من نص لي أفرغته في نصوصك وجعلته من سياقها؟ تحاسبني على محاكاة لنص لك بعثته لي وأنت تتمنى أن أردّ عليه. كم مرة طلبت أن أرد على ما ترسله لي وتمنيته. أقسم أنك تعي ذلك وتتلذذ في هذيانك وتصدقه. تنتظر ردودي لتجعل منها مادة تكتبها، وتعيش دور الكاتب المهم.

ستقرأ هذا بمرارة. أعلم ذلك وتتحرك فيك حمية العاشق الغر الذي تتلاعب فيه عشيقته، وتدرك أن هذا مادة غنية تغري متابعيك في قراءته، ألا بئس الكاتب أنت، وبئس القراء الذين يقتاتون على فتات حزنك.

ف. ع

---

[1] وضعتُ هذه الرسالة والرسالة القصيدة هنا وليس في مجموعة رسائل 2020، لأنها مرتبطة بالقصيدة وقصتها، وإن تأخرت بالرد عليها- كما هو مبيّن بين التاريخين- عدة أشهر.

الثلاثاء: 2019/12/3

من كل كياني مدين لك بهذا الفيض الحميم من الحبّ. حالتي يا الغالية في تذبذب مستمر، لا أدري ماذا يحدث لي. اليوم كنت في أشد حالات اليأس وكره الكتابة وحتى نفسي كرهتها. لا أدري أي حالة أعيش فيها. أحيانا ترينني في قمة النشوة وأحيانا أرى نفسي تافها جدا، لا أدري أيضا كم بإمكانك احتمال تقلباتي المجنونة، لكنني أنا نفسي كرهت ذلك من نفسي. لا أخفيك أن رسالتك هذه أشعرتني جدا بالسعادة وارتفاع منسوب النشاط في دمي.

كوني دائما حيث يريد لك المجد أن تكوني.

2019/12/3

مساء الرضا

تسرني دائما رسائلك وافتقدها، وإن كنت أتوقع التجني عليّ فيها دائما، فلا يخلو الأمر من إسقاطات نفسيتك المحبطة عليّ، وأنا أحتمل ذلك. لا بأس ما دام هناك كتابة، ليس مهما أن تنشر هذه الرسائل، وأنا شخصيا لا أحبذ ذلك، فقط يهمني أن تكتب لي، وهذا وحده يملؤني غبطة، ستقول: إنني أنانية، حسنا ربما أكون كذلك معك.

ما تكتبه هذا وحده مهم وسيأتي اليوم الذي يرى النور ربما لأجيال أخرى لا تبتئس.

تتأثر كثيرا بما تقرأ، وهذا واضح جدا، وفي كتاباتك السابقة كما نوهت أنت نعم تركز على الإعاقة؛ كتابتك عنها يعني تقبلها والتعايش معها ظاهريا، لكنها تترك آثارها النفسية ربما، لأن هناك من هو في محيطك القريب جدا يذكرك بها ولا يتعامل معها بتقبل بالرغم القبول الظاهر اجتماعيا.

لا بأس فراس اكتب لي عن الإعاقة. اكتب عن أشد الأمور حساسية بالنسبة لك. اكتب عن العلاقة الحميمة كيف تكون. اكتب إذا كان ذلك يريحك.

ما زلت هناك حيث تريدني أن أكون فراس.

ف. ع

2019/12/3

وما زلت إلى الآن...

كفاك الله الشر والمرض أيتها الحبيبة،

يظن الناس بي خيرا وإني   لشرّ الناس إن لم تعف عني

أعزّي نفسي وأصبرها في هذا البيت لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه. فقد واجهت حقيقة أنني شر الناس فعلا في فترة مرضي الأخيرة. يوم من المرض الشديد منعني الأكل والشرب والقراءة

والكتابة والتواصل مع الأصدقاء والتفاعل مع منشوراتهم. ما أزعجني حقيقة ليس المرض بحد ذاته. فهي ليست المرة الأولى التي أمرض فيها مرضا مؤلما كهذا، مرضا تشعر أن كلك في هزال، روحك قبل جسمك، وكل خلية فيه تتألم ألما لا حدا له ولا يطاق. ما آلمني شعور أن الله قد تخلى عني ولم يعد يسمع دعائي ولا يلطف بحالتي، ولا ينظر إلي بعين الرحمة والرأفة، أنا العبد الفقير جدا إلى الله، هذا العبد الذي لمس حب الله له في أكثر من موقف في كل فترات حياته، منذ الطفولة وحتى الآن، كثيرة هي الأزمات التي مرت بي، صحية واجتماعية واقتصادية، ولكنني لم أكن لأضعف؛ لأنني كنت دائما أحس أن الله معي ويرعاني.

هذه المرة شعرت أن الله تخلى عني فعلا. يوم من العذاب الشديد وجع في كل جسمي من رأسي حيث الصداع الشديد إلى أخمص قدمي حيث الألم والتعب. شعرت نفسي طفلا شديد الاحتياج لأمه، وأمه تنظر إليه ولا تعيره اهتماما. كان هذا شعورا مؤلما. فلم أُمنح قدرة على الصبر وبكيت بكاء حارقا مرا، ليس من المرض ولكن لأنني فقدت القدرة على المقاومة. ولماذا فقدت القدرة على المقاومة؟ لشعوري الحاد أن الله قد تخلى عني، ينظر إليّ متألما ولا يستجيب لدعواي هنا بكيت وجأرت واستجرت وخفت خوفا مضاعفا، لا شيء سينفعك لو تخلى الله عنك، وكل شيء، حتى شربة الماء، سيصبح دواء ناجعا لو كان الله معك.

مرضتان متتابعتان لم ينفعني في الأولى منهما وكانت طويلة ما تناولته من دواء، والثانية استمرت 24 ساعة شديدة جدا كإعصار تضرب كلي وبلا توقف. فقدت كل مبررات العيش والمقاومة. يا له من إحساس أن تشعر أن الله ضدك أو أنه قد تخلى عنك، ينظر إليك ولا يشملك برحمته.

الأربعاء: 2019/12/4

لماذا القنوط من رحمة الله؟ هكذا هي الأمراض؛ اختبار وجلد ورحلة شاقة في الجسد. سلامتك ألف سلامة عليك، هكذا نحن عندما يستبد بنا المرض أوهن الخلق وأضعفهم، لكنها فترة يقاوم بها الجسم ما استطاع ويستعيد عافيته.

ف. ع

والحوريّات

رسائل 2020

من حليبكِ تخلقُ ملايين الكائنات، وتتفتّح بضحكتك الأزهار، وتتشبّع بشهوتك شهوة الإلهاتِ والحوريّات

الأحد: 2020/3/15

شرعت اليوم بعد أن أنهيت المكالمة بكتابة رسالة. لم أكملها وحذفتها. شعرت أنه لا داعي للوعظ والإرشاد. أقول فقط يكفي أن نجد شخصا واحدا يحبنا في هذا العالم لنكون جديرين بالحياة، وأن نعيشها فهذا ما يعطينا أهمية وجودية لذاتنا.

لا تنسي أنك كنت في يوم ما صانعة الأمل في حياتي، فلا تجعليني ضعيفا. بل كوني قوية بي لأكون بك قويا، قويا بوجودك سعيدة في هذا العالم، قويا بقدرتنا معا على أن نتحدث ولو لدقائق معدودة تمنحنا طاقة عجيبة. قويا بهذا الشعور الجميل بالارتياح لهذا الحب القلق.

لا فلسفة زيادة بهذا. فعلا شعور بالارتياح تجاه هذا الحب القلق لكنه الذي لا ينقطع، كوني قوية لأظل أشعر بأهمية أن أبتسم عندما يمر طيفك نورا في مخيلتي ويتمحور جملة شعرية على رؤوس أصابعي.

أحبك.

الأحد: 2020/5/31

مساؤك شعشاع كطراوة لحم جسمك، أما بعد:

لا أدري لماذا عدت إلى كتابة هذه الرسالة، وفي هذا الوقت بالذات.

لم أنتبه لرسالتك في الإيميل أمس التي تخبرينني فيها بإمكانية الاتصال بعد عشر دقائق، رأيتها بعد أكثر من ساعة، يا لسوء حظي!

عتابك أمس على ما اتهمتك به من سرقة قصائدي، كان موجعا جدا بالنسبة إليّ، لأنني تذكرت تلك المشاعر التي انتابتني وأنا أقرأ رسالتك في حينه، وتتعمدين إغاظتي، بل واحتقاري. نعم، لقد تعمدت احتقاري، هذا واضح تماما، لعلك كنت تنتصرين لنفسك فيها، بهذا القدر من الاحتقار، كأنني مجرد شيء تافه يمرّ في حياتك، عابرٌ، لا وزن لي، ولا قيمة ولا تقدير. أعرف أنك ربما تكابرين عندما لم تريدي الاقتناع بوجهة نظري، عندما شرحت قصدي بذلك المقال "السافل". لا يهمّ.

اليوم كان يوما مزعجا بامتياز، كل شيء فيه يؤشر إلى ذلك، أمس لم أنم جيدا، وفي الصباح لم أغتسل، ولم أفطر، كالمعتاد، خرجت من البيت صامتا متجهما، أفكر في أشياء كثيرة، ربما لم تفلح تلك الأدعية التي دعوتها قبل التوجه للعمل لأحافظ على هدوئي طوال اليوم، والأهم ألا تجرني حالتي النفسية التعيسة إلى مشكلة مع أحد الزملاء. ولعل تلك الأدعية قد نجحت، بالفعل كنت يائسا اليوم، في أقصى درجات اليأس. ماذا أفعل وأنا في هذه الحال؟ طوال الوقت وأنت تدقين رأس ذاكرتي. أفتش في رسائلك القديمة أقرأها واحدة واحدة، أتعثر بصورة شهية لك، يا إلهي، ما

أجمل تلك الصورة! أعرف متى أرسلتها إليّ بالضبط وما المناسبة. كانت بلا شك صورة، أدخلتني في الهستيريا من جديد، مشاعر لست أعرف وصفها، تأملتها كثيرا وكثيرا، كم تمنيت ساعتئذ أن أكون معك في تلك الصورة، في تلك الوضعية، وأغرق فيك، لآكلك، وأتذوق طعم شفتيك ونهديك، وكل خلية من جسدك، كم تمنيتك هذا اليوم لي! هذا جعلني أكثر استفزازا واضطرابا وجنونا. ذهبت إلى الحمام مرتين لأتخلص من جنون شهوة ركبتني، ولم أهدأ بعد، أريدك أكثر وأكثر من أي وقت مضى. مشاعر من الهوس أثقلتني بلا رحمة.

يا إلهي كم كان هذا اليوم صعبا! أصعب مما تتخيلين، لا أريد أن أعمل، الحياة تافهة، الجو مشحون، الزملاء في واد وأنا في واد آخر. أزعجتني اليوم وجدا وبلا توقف أحاديث الزملاء، كانت أصواتهم مرتفعة، ربما هم هكذا، ومعتادون على هذا، ولكنني أحسست أن أصواتهم تفجّر رأسي، احتججت عليهم، ولكن لا فائدة. الزملاء بلا عمل، وخالي البال، ووحدي من يسكن في لهيب من شوق ومن جنون، ومن شهوة لا تريد أن تكفّ عن أن تضربني في عمق أعصابي. صورتك تلك بقيت قابعة كرؤيا الأفق أمامي، وأنا أرجو كل الرجاء أن تكون لي ومعي في تلك اللحظة القاهرة.

انتظرت رسائلك اليوم خلال الدوام، ولكن أبى البريد الإلكتروني أن يوصل منك ولو حرفا واحدا، كم كنت مشتاقا لقراءة ردي على ما بعثته من أسطر تعليقا على صورة أكلتني وحرقتني وتركتني رمادا. يا لك من مجنونة عندما أحببتني، ويا لتعاستي عندما أحببتك. يبدو لا شيء يمكن أن يجعلني أتخلص منك إلا بك! يا ليت لي قدرة على خطفك والذهاب بك بعيدا لتكوني إلهتي وأنا كل عالمك الهائم فيك عشقا، العابد لجمالك المتمتع بصناعة شهوة لا تنتهي ولا أريد لها أن تنتهي!

أرأيت كل هذا العذاب الذي تأججت نيرانه في هذا اليوم البائس حقا؟ يا ليتك تدركين مدى اشتياقي لك وحاجتي لتكوني لي وحدي في عالم يعجّ بك وحدك. فهلا أتيت؟

طراوة لحمك التي شعرت بها تتملكني في الصورة لن تفارق مخيلتي وبياض جسمك المشع مع ذلك الرداء الأحمر زادني شغفا وجنونا لالتهامك رويدا رويدا، كلك الآن هنا، وما زال يفعل بي فعله، يلتهمني حتى الرمق الأخير.

أيتها البعيدة البعيدة عن متناولي، تقربي إليّ وكونيني ولو ساعة من عمري المحروق بانتظار الاغتسال بين يديك من كل أرجاسي، لتطهر كل ذاكرتي... فتعالي فقط ليشبع منك كلي!

الخميس: 2020/7/30

صباحك فلّ وأرجو أن تكوني متفائلة، أما أنا فلا تسألي عن حالتي، فهي تغوص عميقا في مهاوي التشاؤم المفضي لليأس الرهيب، لا أدري لماذا؟ ولكنها هي حالتي التي امتقعت بكل أدران النفس التي تفاعلت مع نفس لم تعرف سوى الظلام والقهر والعوج والبلاء من لدن الطفولة حتى الآن.

هل مررت بيوم سعيد؟ أكذب عليكِ لو قلت لكِ لا، وأكذب عليكِ أيضا لو قلت لكِ نعم، لا أدري هل كانت تلك الأيام القليلة في حياتي أياما سعيدة، أم كانت مجرد طيف عانقني ظله وغاب؟

كلّ يوم يمرّ، وتبزغ فيه الشمس، وتتدرج في مدارج سمائها، من لدن الشروق الجميل وحتى المغيب والأصيل، لا أدري كم حلما حلمت؟ وكم وردة ياسمين زرعت؟ وكم وردة من خيالات الروح شممت في غفوة من غفوات الروح؟ أصحو وإذا بالشروق يمر كما يمر الغروب، ويأتي الليل بالهواجس ماجنا ماكرا لعينا قاسيا، يلفني بمحاذيره وخواطره وأخطاره، أتكور على نفسي خائفا من نفسي، وأكظم في الحنايا تقهقر أمنيات، كنت أظنها بين يديّ، وإذا بها لا شيء.

كل كتابة كتبتها، كنت أحاول فيها صناعة أمل ما، حملت الأفكار بحمل كاذب، فولد الأمل الميت، ألفّ جثته ببقايا روح مقتولة، ليدفنا سوية في قبر من الجنون في حياة لا ترحم، وأيام لا يستقيم لها شأن، هكذا مضت سبعٌ وأربعون سنة من هذه الحياة الفانية، التي أراها تهرول نحو نهاية اقتربت، وإن لم تقترب، يكفيها أن الحياة ببؤسها وجحيم سطوتها قد نالت مني فتركتني كما تقرئينني الآن من لغتي، حطاما تذروني الرياح في يوم عاصف، أينما أتوجه لا آتي بخير.

عفت الرسوم وجهي المقيت، وغدوت اسما من أربعة حروف لن تحيا ولو سقيت بمياهٍ فرات، هكذا وصلت إلى المحطة الأخيرة، وأنا مجموعة عظام في ثياب تستر عورة الجسد، وتكشف للريح عورات الروح.

فيا لله ما أطيب الموتَ لو كان سيد الحضور الآن!

الخميس: 2020/12/3

أسعدتِ حبّاً أيّتُها الإلهةُ الوثنيّةُ الحُرّة:

هكذا فاضت اللغة على نحو مفاجئ لتكتب غوايتها بين أصابعي، وقد عشت معكِ وبكِ وفيكِ وعليكِ ليلة طافحة باللذّة، يغمرني جسدك بعريه النقيّ الشفّاف. عليّ أن أخبركِ بما كان من هذه الليلة الممتدّة، جسداً يغرق في الوقت بلا حدّ، فإذا مشيت تحرّك الحجر، وانتصبت أغصان الشجر، وأنصتت العصافير لوشوشات رائحتك، وتمنّى الكون أن يكون لها وفيها، على صدركِ تسكن آلاف الرغبات، وفي وردتك تحيا آلاف الأمنيات، ومن حليبكِ تخلقُ ملايين الكائنات، وتتفتّح بضحكتك الأزهار، وتتشبّع بشهوتك شهوة الإلهاتِ والحوريّات. يا لكِ من امرأة بحر لذّة لا ينتهي وبركان شهوة لا عاصم منه إلّا به، كلّما اقتربتِ أكثر متُّ بجلال أشدّ، وكلّما ابتعدت عشتُ بجنون بلا حدود لمسافاته، قاتلة في الحالتين، ووحدي قتيلكِ بين تأوّهين.

أتخايلك في فضائي فراشة، وفي فراشي صرخة استغاثة، وفي القصيدة عصارة ماء، آية على وجه قمر، أغنية على ثغر شمس، ووشم على نهدٍ تبتلّ وانتصب، متّسعة كانبساط السهل، عالية كجبل، بعيدة كمغارة الراهب، قريبة كالهواء، سهلة كامتداد الأصابع، صعبة كارتداء المعاطف. تنفجر شهوتك كبركان وتهجمُ نشوتك كعاصفة، ثمّ تهدئين مثل لحن كمان!

تراودينني عن فمي المعطوب بالقبلة المشبعة المحتدمة، وتتأبّين عليّ في مساء مفخّخ باشتياق رؤيتك عارية كقطعة ماس مبتلّة بماء الشَّهوة الحارقة. فيا لله كم أشتاق رائحة فرجك. حلمت بك

كثيراً، وتصورتكِ فيّ طويلاً، تحسّست جسمك كلّه، ردفيك العاليين بمهابتيه الفخمتين، صدركِ الفارهِ كصحن كنيسةٍ عالية، نهديك المتنبّهين المنتبهينِ بحلمتين مولّهتين، متنك الممتدّ، بطنك وسُرّتك، وردتك المبلّلة، باطن فخذيك المكتنزين، ساقيك، نعومة ملمسك الطريّ، كلّ شيء فيك له انتفاضته الخاصّة في دمي، شعرت بدفء أعضائك، بطعمك المتعالي عن الوصف، كان يجب عليك ألّا تغادريني، وأن تبقي معي، وأن تتركي ماءك يبلّل كلّ أعضائي، ويفيض في فمي، عَطِشٌ أنا، فارويني بكأسك التي تفور، وبلذّتك التي تثور، امرأة طازجة وممتعة، لكنّك أنت المرأة المؤلمة المجنونة، تضربين الأعصاب، وتغادرين المكان، لتتركي النار تنهشني والشوق يأكلني، ولا أدري كيف يمكن أن أستجمع نفسي وقد أصابها إعصارك هذا على نحو مهووس ومدمّر. بل كيف لي أن أرمّم نفسي بعد هذا العطب؟ وكيف سأعود أخضر ناضراً وأنا يتصاعد منّي دخان احتراقي بك؟

تراودينني اللحظةَ عن كلّ لحظة أخرى، كأنّك وقت للانتظار، تستولدين الشوق بعذاب عنيف الموج. أينك أيّتها اللّذة؛ لأقول لك بسذاجة الأطفالِ ووعي الدماءِ وبلاغة الشّعراء وانتفاضة اللغة "أحبّك"؟ فتعاليْ لنصنع شيئاً من هدوءٍ، ونحن نطفئ لهيب الشهوة في جسدينا المحترقين في نيران الانتظار. يكفيني ما حلمتُه بك، فالأحلام خائنة، ونهاياتها قاسية دائماً، فتعاليْ نصفَ عارية؛ لأكمل زينتي بلباس جسمك المشتهى أيّتها الدواة التي تفيض نشوة وسعادة. تعاليْ لتكتملَ الحياة، ولأرى منها وجهاً جميلاً بعد كلّ هذا الشقاء الذي أنا فيه.

بانتظارك لتشبع من جسدينا وروحينا اللذّة الكاملة.

الأربعاء: *6-1-2021*

كم من المومسات كتبتَ لهن مثل هذا؟ لقد قرأت "نسوة في المدينة" للمرة الرابعة، لأتجاوز الصدمة والقرف وأقرأ بحيادية. ليتني أستطيع أن أزيح ما علق في مخيلتي وأنا أراك متسمرا أمام نوافذ الدردشات محملقا بكل ما يعرضنه عليك من أجسادهن وكل ما يكتبنه استدرارا لمائك وإشباعا لرغبات رخيصة، وطمعا بأن يقمن ربما باستغلالك.
هل تعتقد أنني أستطيع أن أتجاوز هذا؟ لقد دلقته في وجهي كماء النار شوهت كل ما أراه. فأطفئت ناظريّ عن كل جميل منك. لتنل المجد الذي تتوق إليه ولتذهب المشاعر الجميلة إلى الجحيم واهنأ بعقلك الخرب.

إذا كنت تنوي إرسال ما كتبته للنشر وهذا واضح من تحريك له أرجو أن تفكر بأنك تهدم بيتي وأسرتي. هناك من قرأ الكتاب كاملا وأصبح متأكدا أنني المقصودة بالباب الثاني كما كثير من أصدقائنا. ما الذي تريده يا فراس؟ ها أنت تشوه وتقضي على أجمل ما جمعنا بطهارته وإن كنت تحملني وزر شططك وتماديك. سنتحدث عندما نلتقي وأرجو أن يكون لقاؤنا في مكان يسمح لي بالصراخ لديّ الكثير لأقوله.

ما كتبته لم أكن أنوي إرساله بأي حال، كنت أفرغ شحنة غضبي في بريدي الخاص بعد كل رسالة تصلني من رسائلك، ولكنها إرادة الله أن تأتيك، هي مرسلة لي، إن لاحظت ذلك، وعندما أرسلت

لك رسالتي الأخيرة لأقول لك إنه لا يمكنني التعليق على مقال (....) بعد أن أشرت إليّ على مقالها كما يبدو أيضا أرسلتها لنفسي؛ لأن الرسالة الغضبى كانت في مسودة الرسائل وأعدت تحويلها، ولم أدرك أن المسودة في صندوقي الخاص ستكون ظاهرة لك.

على أي حال كان لا بد أن تتوقع أكثر من ذلك مني وبكثير، ولن تستوعب ما فعلته وما زلت تفعله بجنونك، ولا أدري إلى أي هاوية ستقودنا معا. يبدو أنك تعد ردك هذا للنشر، وبذلك تكون قصمت ظهر البعير، ولم تُبق لي شيئاً لأقوله.

ف. ع

2021-1-6

من يذهب إلى حبيبه معترفا بأخطائه يجب ألا يقابل بهذه القسوة. كنت واضحا وأخبرتك كل شيء مع أن هذه النتيجة متوقعة، لكنني لم أكن أتخيل أن تكون بهذا الحجم من النكران.

على أي حال من فتح لي باب هذا الشذوذ أنت. لا تسأليني كيف، فقد حرقتني حرقا من الليلة الأولى لتعارفنا، حرقتني بتلك الصور المجنونة التي أرسلتها تباعا، صورة وراء صورة، ولكنك كنت تغيبين فأشتاق، ولم تكوني لي، لقد ابتعدت عني كثيرا بعد أن صحنت كل عظامي، وهرست كل لحمي، وشربت دمائي، واستنزفت أمام الشاشة الزرقاء كل مائي، واستنفدت قوتي وطاقتي، والآن أنا أعيش العلاقة بأسوأ ما يكون الإنسان الخرب.

الخراب هذا، أنت من فعله والله، وكنت أحاول أن أنساك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحبب منهن أي واحدة، ومن قرأ الكتاب أدرك ذلك. أحد أصدقائي من الكتّاب قرأ الكتاب ولاحظ أثر امرأة الفصل الثاني إلى درجة أنه قال: "لو محلك كنت قتلتها". كنت قاسية معي وأنا أطارد طيفك لعلي أظفر بشيء من حضورك، فلم تكوني تستجيبي لكل تلك التوسلات. ما حيلة المجنون أن يصنع بعدها وقد أفقدته عقله؟ أنا هنا لا أبرر ولكنني أشرح ما كان فقط، ولست أستعطفك أيضا، فلا أمل في أن تكوني الحبيبة التي طمحت أن تكوينها يوما ما. ولكنها هذه هي حالي في الكتاب: "جئتك نظيفاً شفافا عارياً فلا تتركيني يقتلني الجنون ويقضي على آخر ما تبقى من عقلي الخرب"، أو هكذا حاولت أن أقول.

على طول تلك العلاقة التي جمعتنا لم تكوني كما يجب أن تكون الحبيبة، فأنا لم أظفر منك بلمسة ولا بقبلة ولا حتى بجملة حب حقيقية، كنت دائما مراوغة. لم تكوني تتذكرينني إلا في واحد من أمرين إما أنك غير مشغولة وتريدين أن تقطعي الوقت، وإما لأنك محتاجة لشيء ما. لم تكوني تتذكرينني كحبيب يجب أن تكوني معه وله.

كنت أحلم أن تطوقيني بذراعيك الأبيضين الناعمين الطريين، كنت مشتاقا أن تضميني لصدرك فتدفئني حرارة نهديك، كنت أتشوق لتلك اللحظة التي تجعليني فيها فيك متوحدا واحدا لتأخذيني

إلى جنتك. عشت ما عشته من هذه السنوات التي قطعتها منتظرا بلهفة كل ذلك وبعدها تتحدثين عن الخراب؟

كل ما دلقته من ماء أمام الشاشة كان بسبب تلاعبك بي، وكل ما قضيته من وقت مع أولئك النساء كان من أجل أن أقتلك في داخلي، لكنهن لم يستطعن فعل ذلك، ولا أنا استطعت أن أتخلص من ذلك. هذا هو الخراب الفعلي الذي تركتني فيه، عريتني تماما وتركتني بعدها تضربني الأعاصير ويأكلني البرد وتزدردني العزلة وتتفرد بي الوحشة. معك حق أنا إنسان خرب وذو عقل خرب.

لا مجد لي خارج حبك ووحدك من يعلم هذا، أرجو أن تتجاوزي ذلك بأقل ما يمكن من عاطفة، أحببتك وأحبك وسأظل أحبك ويشهد الله على ذلك. احتويني لآخر ما استطعت فإنني لست ملاكا، أو اتركيني ولا تحفلي بي واتركيني أرمم نفسي وحدي لعلي أعيش بأقل الخسائر أو متصالحا مع نفسي ومع خسائري. فقط توقعي فجأة هذا السيناريو أن تنهضي من نومك في الصباح وتفتشي عني ولم تجدي لي أثراً. هل هذا سيثلج خاطرك ويريحك؟ سأفعلها يوما إن نفدت طاقتي ولم أستطع الاستمرار في المقاومة والعيش على الأمل، على الحب ، مع هذه الخدعة التي عشتها سنوات وسنوات، وخرجت منها عاريا جائعا بشعا جشعا شبقا لا عقل لي. كنت راضيا دائما على مضض بعلاقة "**البين بين**"، ولكنك لم تكوني ترضين بأي شيء. كنت حبيبة محتملة، ويبدو أنك أصبحت امرأة لا علاقة لها بكل ذلك الجنون الذي غيرني وخرّب عقلي.

لست حزينا على شيء إلا لأنني أنفقت الكثير من الوقت في معايشة الوهم. وأشهد أنه كان وهما شديد الوطأة قاتلا ولا سبيل لمعالجة آثاره. أتمنى أن يأتي ذلك اليوم الذي أتطهر فيه من كل هذا الحزن وهذا الخراب اللذين يأكلان كل دقيقة من وقتي ويعتاشان على كل قطرة من دمائي التي أفسدها هذا الحب العقيم الذي لا يرحم.

ف. ح

رسائل 2021

لا تضحكي عليّ بسبب هذه الثقة أو هذا الغرور. فأنا أظن أنني جدير بك وبقراءتك لي

السبت: 2021/1/30

صباحك حب

لم أسمع صوتك أمس، ولم تردي على الرسائل هنا. لا بأس لكنك الباقية التي لا تذهب، والحاضرة التي لا تغيب. لا تتجبري فيّ أكثر من اللازم؛ لأنني عندئذ سأموت قهرا. كنتِ معي الليلة بكامل جنونك (كيف يكتشف عاشق أنه يعشق حبيبته بكل ما في الأرض من حبّ ومن قوة).

أحبك حبيبة عمري وشهيتي التي لا تموت، وأغنيتي التي لا تكف عن الغناء، ولغتي التي لا تنضب، وفكرتي التي تتعملق يوميا لتصبحي أسطورتها العصية على الاحتواء والتفسير.

السبت: 2021/2/6

أسعدت صباحا أيتها الغانية المغتنية الحلوة الشهية الجامحة

أحبّ أن أحدثك عن الحب في شهر الحب، هل عليّ أن أقول لك إنني اشتقت إليكِ جداً، وأكثر من أي وقت مضى، بي رغبة كبرى لاحتضانك والالتحام بك حتى آخر أحشائك، والتمتع بكريستال جسدك البلوري. أمس وكالعادة تصادفني إحدى صورك في "ذكريات الفيسبوك"، يا لهذا الجسم كم تشغلني تفاصيله، يبدو فخذاك شهيّتين، أسترجع ما أعرفه من لونهما الوردي منذ رأيتهما أول مرة قبل سنوات، يا لهذه الشهوة التي تتلبسني كلما سمعت صوتك، أو رأيت صورتك، فما بالك إن رأيتك وجها لوجه؟ إن في داخلي بركانا بالكاد أمنعه من الانفجار كلما التقينا. يا لله كم أحبك أيتها الشهية. لعلك تدركين الآن سبب وجعي عقب كل لقاء، نفترق فيه، ليذهب كل واحد منا في طريق لينام في حضن شخص آخر. كم هو مؤلم أن أتركك تذهبين فأعود أجرّ أذيال الفشل والانكسار والهزيمة. أشعر بالعبث وقد اجتاح كل دقائق روحي.

لا شك في أنني افتقدتك أمس، وامتنع عليّ النوم، قلقت قلقا شديدا، أحاول أن أراك، وأنا سابح في العتمة، تمتد يدي نحو الهاتف المحمول، أكتب لك رسالة عاجلة، محاولا أن أجعلك تتحدثين معي ولكن دون فائدة، لا أستطيع النوم، لا شيء فيّ يريد أن ينام، أحاول مرارا ذلك، ولكن دون جدوى.

على أي حال لقد نمت متأخرا جدا، وصحوت باكرا جدا أيضا، كأنني لم أنم إلا ساعتين أو ثلاث على أبعد تقدير، وليس معي في الحالتين أحد سواك، أفكر فيك طوال الوقت في هذه الأيام، لا أدري لماذا، أشعر في داخلي بالفقدان، أخشى من فقدانك بالبعد عني، هذه خشية حقيقية منذ مدة وهي تجتاحني بألمها. لا أدري لماذا، هاجس من القلق الشديد يفتت رأسي.

الأسبوع الماضي راجعت الطبيب كما أخبرتك، ما زالت حالتي كما هي، أعاني من فيروس في الدم، لا أدري ما السبب، يمنعنى من النوم، حكّة في جسدي كله من قدمي حتى كامل جسمي، كلما حككت جسدي زاد اشتعالا، لقد بكيت بالفعل من سوء هذه الحالة، لا أستطيع الاستقرار بسبب ذلك،

أظل مشغولا بنفسي يحكني جلدي، إنه أمر مزعج، في العمل، وفي البيت وفي كل لحظة. لم يفلح الدواء بإنهاء هذه الحالة إلا بالتسكين الذي قد يستمر أحيانا ساعات، لكنه يعود لمراوغتي مرة أخرى. أعتقد أنه لا داعي للقلق، فقد أخبرني الطبيب أن هذه الحالة غير خطيرة.

سأترك أمر المرض جانباً وأعود لأحدثك عن الحب والكتابة والشعر، هل وصلك مقال الكاتبة صفاء أبو خضرة عن كتاب "نسوة في المدينة"؟ فقد أرسلته إليك في البريد الإلكتروني، ولم أقرأ لك ردا عليه. أتمنى أن أقرأ شيئا من ذلك أو أسمع رأيك عندما تحادثيني صوتيا إن كان هناك مجال لذلك اليوم. أعرف أنك مشغولة طوال الوقت، وثمة ظروف قد تمنعك من الحديث، ولكن اجعلي لي ولو خمس دقائق. أظن أنني أستحق. لا تضحكي عليّ بسبب هذه الثقة أو هذا الغرور. فأنا أظن أنني جدير بك وبقراءتك لي.

أنهيت أمس أيضا بناء ديواني الجديد "وشيء من سرد قليل"، بعثته لبعض الأصدقاء لقراءته، ربما أعطوني بعض الملاحظات، أستعد لنشره، ربما يكون ذلك قريبا، جاء الديوان في (180) صفحة عادية (صفحة A4)، ستتجاوز عدد صفحاته ربما بعد "المنتجة" المئتين. إنه ديوان حب في المجمل، لفت انتباهي فيه قصيدة "الحب في شهر فبراير"، قصيدة كتبتُها العام الماضي (فبراير 2020) ونشرتها في (2020/3/2)، ولكن ليس على نطاق واسع، استحضرت فيها بعض قصص شباط وعلاقة الرغبة الجنسية للقطط فيه. أحببت أن تكوني قطتي ولكن ليس في فبراير وحده. كم أتمنى أن أتذوق طعم لذتك ونشوة شهوتك، ولكنك ما زلت تتمنعين وترفضين. في القصيدة أيضا انتباه للزمن فقد قلت القصيدة في سنة كبيسة، يكون فيها شهر فبراير 29 يوماً، راجعت التقويم، واكتشفت أنك أيضا ولدت في سنة كبيسة، يا لهذه الصدفة الرائعة. وفي الديوان قصائد كثيرة تتحدث عنك وعن تفاصيل شخصية جدا.

في عيد الحب القادم بعد ثمانية أيام تحديدا، ثمة مفاجأة سأقدمها لك، متمنياً ألا تخذلني الظروف فلا أتمكن من صناعة هذا الطقس الاحتفالي بك، فيا ليتها تكون الفرصة مواتية، فتغدقين عليّ بالقبل، وتضمينني إلى حضنك الدافئ، وتشبعني ثمارك الناضجة من أخمص قدميك حتى أعالي النهد.

بقي أن أقول لك إنني اليوم سأكون ضمن ندوة "أسرى يكتبون" النصف شهرية التي ترعاها رابطة الكتاب الأردنيين، سأقدّم عبر تطبيق (زووم) المداخلة الرئيسية في أدب الأسير باسم خندقجي، مركزا على روايته المهمة "مسك الكفاية- سيرة سيدة الظلال الحرة"، آملُ أن تشاركينا ولو من بعيد البعيد هذا اللقاء.

متشوّق لرؤيتك، فإلى لقاء قريب راجياً ألا تكوني معي بخيلة، فقلبي ذاب من طول انتظار هطول مائك الذي آمل أن يغسل هذا الوجع المركب.

أحبك حتى النهاية، المشتاق إليه بلهفة.

الثلاثاء: 16 /2/ 2021

صباحك الخير والحب والرضا.

أخجل وأنا أكتب، وسأكون أشد خجلا وبؤسا وسوءا إن لم أكتب، لم أكن أتوقع أن يكون للكتاب[1] كل هذا الأثر السيئ. على ما يبدو ينطبق عليّ مثل "اجى يكحلها عماها". كأن الحب يفقدنا الصواب أحيانا. كيف ينقلب الموقف رأساً على عقب؟ قاومت بكل الطرق ليكون الكتاب جاهزا قبل الموعد، وإذا به يشعل النار في القلب والعقل، فتتبخر المفاجأة ويصبح الكتاب ليس "هديتك الرائعة" كما قلتِ وشكرتني عليها، بل هو الدمار الذي سيدمر حياتك.

هل عليّ أن أعتذر؟ وكيف؟ وهل سيجدي الاعتذار والاعتراف بسوء ما فعلت؟ غضبك لا شك أفقدني متعة الهدية، والفرح بإنجازها في وقتها، كما أفقدني متعة هذا اليوم، يوم ميلادك، أخجل جدا من كل شيء، من اللغة، ومن نفسي، ومنك. لا تظني بي شرا، أعرف وأعترف أنني كنت متسرعا، ولكنني لم أك تافها أو أحمق كما قد تظنين أو تطلقين أحكامك القاسية عليّ.

هل ستسامحين عاشقا أعمى يخبط في تيه السنوات على غير هدى؟ الأمر لك. كل عام وأنت الحب والجمال، ولكن لا يحسن أن ينتهي هذا اليوم ولا تتحدثين معي. ها هو قد انتهى وأنت غاضبة أشد الغضب، ولم تمنحيني فرصة للحديث لأقول لك كما أفعل دوماً:

تـــــيهي صــــــباً وتــــــألقي   ســــــــحراً وعطــــــــــراً أشرقي
أنـــــت الهــــوى مــــن فجــــره   مخلوقـــــــــة كي تعشـــــــــقي

زاد العمر سنة ولكن الحب كل لحظة يقطع آلاف اللحظات شوقا وحبا ومنى، سأظل مناضلا، ولن أضعف، وإن دفعني الموقف كله لإعادة التفكير بالهزيمة النهائية، وإخلاء الساحة، فكتبت: "لقد هزمت، وعليّ إلقاء السلاح، والخلود إلى الصمت". لكنني كما في كل مرة أيضا لم أستطع. أستحضرك في الرسائل لأكتب لك مرة ثانية وثالثة بغير انقطاع عسانا نتجاوز هذه العقبة التي صارت كأداء متعبة.

الأحد: 2021/3/28

أسعدت أوقاتا وزادك الله بهجة وعلما وتألقا. أما بعد،

في واقع الأمر عندما أرى أي امرأة أشتاق إليك جدا، أشعر برغبة شديدة لأراك، أحاول أن أركّب هيأتك على صورتها. إنها مجرد طيف قادم حامل لكينونتك.

---

[1] المقصود كتاب "أسعدتِ صباحاً يا سيدتي- الإصحاح الأول لحرف الفاء"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2021، وكنت أصدرته ليكون هديتي لهذه الشاعرة في عيد الحبّ (2021/2/14) ولم ترض عما جاء فيه، فحدثت القطيعة التامة بيننا بسببه، ولم نلتق بعدها إلا قليلاً، وكانت لقاءات عامة من خلال الندوات واللقاءات الأدبية.

في البرد تحضر صورتك أوضح، هل من تفسير لهذا التخيل اللامنطقي؟ أشعر في هذه الأيام أنني شديد الاحتياج لتكوني معي، تتحدثين طوال الوقت عن الوقت، عن الفراغ، عن غلاء الأسعار، عن العمل، عن الجائحة المجنونة، عن المسؤولين الفاسدين، عن كل شيء قد يمر في حياتك. عن تحضيرك للطعام وسلق الحمص وإعداد وجبة الفطور والغداء والعشاء، عن إعداد الدروس الإلكترونية، عن مشاكل العالم، عن الحب، وعن تفكير الناس ومشاكلهم الفكرية غير المتوازنة.

هل ضقت ذرعا بهذه الظروف الحالية؟ أنا مستمتع بها جدا، الوقت صار يمنحني ساعتين إضافيتين. لا أدري كيف يحدث ذلك، وإنما صرت أنام في وقت متأخر أكثر قليلا وأصحو أبكر ساعة، وأعود من العمل قبل ساعة. لا شك في أن الوقت هو هو؛ أربع وعشرون ساعة، إلا أن التوقيت الصيفي يمنحني ساعات أكثر من قبل، أشعر أن الوقت يتمدد فيتسع كل شيء فيه. إنه اختراع عبقري للتحايل على الوقت لزيادته ولو بالخدعة.

لا أخفيك أن التعليم عن بعد يستهلك نهاري كله، من الساعة الثامنة صباحا وحتى الثانية بعد الظهر. الكل مشغول بالإنترنت، البيت مليء بأصوات المعلمين والمعلمات والطلاب، كانت المدرسة في مكان واحد يأتي إليها الآخرون زاحفين. الآن تبدلت الأوضاع؛ في كل بيت خليط من المدارس والطلاب والمعلمين، يحتل كل واحد منا غرفة، تتحول إلى مدرسة وليست مجرد غرفة دردشة. خليط من الفوضى. لكن التعليم يمضي. هل من جدوى لذلك على الطلاب عموما، أظن أننا نفتقد للحس الأخلاقي ليكون التعليم ذا جدوى في ظل هذه الظروف. أردد دائما هذه العبارة: "هذا وقت اختبار للضمير الإنساني". ما أسهل أن تكيف الظروف لصالح التفلت من النظام! ولكن استفت قلبك. لا أحد يعلم الحقيقة إلا أنت.

فئة قليلة من المعلمين يحاولون صنع ظرف جيد للتعليم كما تفعلين أنت، معجب جدا بتجربتك في التعليم على أية حال قبل كورونا وخلال كورونا. أنت بالفعل مبدعة استثنائية. أسرّ سرورا بالغا عندما تحدثينني عن إنجازاتك التعليمية في تعليم التلاميذ وإتقانهم للمهارات في وقت قياسي. أمازحك لأكون لك تلميذا. أنا لم أكن أمزح أنا أريد أن أتعلم كيف يجب أن يعلّم المعلمون عن بعد باستخدام الإنترنت. لا شك في أنني أبني خبرة ما خلال علاقتي الافتراضية مع المعلمين، ولكنها خبرة عن بعد أيضا فلم أجرب التعليم عن بعد إلا بالإشراف عليه، أحاول أن أبني أفكارا أكثر عملية عن هذا النوع من التعليم بتفكيك المشاهد والمواقف التعليمية.

ستكون الخبرة ناقصة بالتأكيد لأنني لم أجرب بنفسي التعليم الإلكتروني. أحاول أحيانا أن أناقش التلاميذ وأشرح لهم جانبا من الحصص عندما يغيب المعلم لظرف طارئ، أقلدك على أية حال، ولكن كيف أقلدك وأنت تعدين للحصص إعدادا جيدا بوسائل جيدة وأنا أرتجل المواقف وأدفع بالعجلة لأن تسير ولو ببطء من أجل أن ينتهي الوقت. عليّ الاعتراف أن الأمر ليس سهلا إطلاقاً. بعض المعلمين ينجح في بناء خبرة عملية جيدة في التعلم والتعليم الإلكترونيين.

عندما أصغي إليك وأنت تتحدثين عن تقنياتك في التعليم الإلكتروني، وتركيزك على الإيجابيات، أتمنى أن تعقد وزارة التربية عندنا مؤتمرا لمناقشة التعليم عن بعد، وتركز فقط على الجوانب

الإيجابية وتنسى نظرتها التقليدية في عمل الندوات فتضطر مثلا إلى ذكر السلبيات والعقبات مع الإيجابيات، بل إنني أرى أنه يحظر التطرق في هذا المؤتمر إلى أي موضوع يناقش السلبيات. وعلى المتحدثين تجنب ذكر هذه الألفاظ. فقط عليهم أن يتحدثوا بروح مفعمة بالطاقة الإيجابية ويتغنوا بالتجارب الناجحة والمشجعة. عليهم أن يتجنبوا ذرائع سلبية تعزز الشعور بالكسل والتواني. عليهم أن يتعلموا من تجربتك الشيء الكثير. لا تحسبي أنني أبالغ في هذا التحليل لأنني أراك بعين قلبي، بل أحسب أن قلبي هو الذي هداني السبيل لأرى كل ذلك منك، فأحاول إشاعته لعلنا نستفيد منه ونبني عليه، وصولا إلى نموذج قريب من المثالية.

أعتقد أنه يجب عليّ أن أنهي هذه الثرثرة، لأن في إطالة أمدها إضاعة للوقت. وما أحوجنا ألا يضيع الوقت خصوصا في هذه الظروف العصيبة من عمر العالم! دمت بخير وود وجمال.

المشتاق لنغمة صوتك.

السبت: 2021/4/17

أسعدت صباحاً وحبّاً، وكل عام وأنت بخير. شهر صيام مبارك.

اليوم هو يوم الأسير الفلسطيني، وعليّ الذهاب مبكرا للمشاركة في الفعاليات الرسمية وغير الرسمية التي ستقام في الخليل. كان من المفترض أن ترافقني في الرحلة زميلة من نابلس، يبدو أنها لم تكن جاهزة. هاتفتها صباحا في حدود الساعة الثامنة، لم يطل وقت رنين الهاتف ما يعني أنها لم تكن نائمة، صوتها على الجانب الآخر يؤكد أنها كانت صاحية، وصوتها بكامل رنينه المشعّ. هذا يعني أنني سأذهب بمفردي. اتفقنا أن تأتي لتحضر الفعالية الرسمية المقامة بعد صلاة المغرب والإفطار الجماعي، سأنام في الخليل، وكذلك زميلتي إن حضرت ستنام هي أيضا. في رحلة القفول صباح الأحد سنكون سوية، سأعود بسيارتها، آمل أن تحضر. غالباً، النساء لا يعوّل على وعودهنّ. ليس النساء فقط، كذلك الرجال. أعرف أنك ستعترضين وبشدة.

الليلة الماضية لم أنم مطلقاً، كنت قلقا جداً، لا أدري، هل هو القلق المعتاد الذي يصاحبني عشية كل لقاء أدبي. في العادة أتوتر، أظل على أعصابي، عقلي لا يكف عن التفكير بما سأقوله، حينما يأتي دوري للحديث.

على العموم، كم أتمنى لو كنت معي، لكنت رأيتك. أتدرين أن لنا شهرين ويومين لم نتحدث. تذكرت للتو فيروز وهي تغني. اليوم سيكون متعباً وشاقاً وطويلاً. سأرافق صديقي القادم من حيفا المحامي حسن عبادي في هذه الفعاليات، أولا في لقاء تلفزيوني خاص بالأسرى تبثه قناة تلفزيونية محلية في مدينة الخليل، سيكون اللقاء ما بين الواحدة ظهرا وحتى الثالثة، سأكون في مقر التلفزيون إن شاء الله في هذا الموعد. ثم جولة في مدينة الخليل القديمة. لا أدري من سيصحبنا في هذه الجولة. فأنا لا أعرف الخليل جيداً، شوارعَ وأماكن.

أنجزت مادتين مكتوبتين باليد على أجندة 2021، ملخصا حول كتب أربعة لكتّاب أسرى سأتحدث عنها في الفعالية المسائية، وتتضمن الحديث عن ثمانية كتب لأسرى يكتبون، أنا سأتحدث عن كتاب "جدلية الزمان والمكان في الشعر العربي" لكميل أبو حنيش، وعن سردية "الخرزة" لمنذر مفلح، وكتاب "للسجن مذاق آخر" لأسامة الأشقر، وأخيرا كتاب "أنانهم" الصادر حديثا للأسير أحمد العارضة.

المادة الثانية التي أعددتها هي حول الأسر والأسرى والفلسفة التي تقوم عليها فكرة الأسر وأهدافها، وملخصها هو أن من يقوم بعملية الأسر يريد أن يحقق مكاسب سياسية، فلا يوجد هناك أسر مجاني؛ خالٍ من الأهداف.

الآن الساعة تقترب من التاسعة صباحاً، دائما أخشى من مداهمة الوقت لي في مثل هذه الظروف، أرى أن الوقت قصير مهما طال، لأن مفاجآت الحالة المعيشية في فلسطين ليست مضمونة، أن أصل إلى الخليل باكرا كثيرا خير من أن أتأخر ولو خمس دقائق.

أتمنى أن تتحسن الأحوال بيننا، فشهران من الخصام كافيان. أليس كذلك؟ هل أخدش قدسية يوم الأسير لو أخبرتك أنني على مدار الأيام السابقة حلمت بك، وحلمت بنساء أخريات؟ أصحو من مناماتي مهجوساً بك. ضاجعتك وضاجعتهنّ في تلك المنامات، كانت لمحات خاطفة وسريعة، إلا تلك الليلة التي حلمت بك فيها. كان حلما طويلا شهيا، رأيتك فيه كاملة الضوء، أنجزنا معا مهمة اللذة لآخر نفس مستطاع.

المحبّ لك دائماً والمشتاق لحضنك الرؤوم وساعديك الأبيضين الطريين. أفكر أنني لن أعود إليك إلا إذا كان لقاء المصالحة بيننا على مائدة شهوة طويلة نتناول فيها معا أجسادنا بكل عنفوان. هل يحدث ذلك؟ أتمنى

وأخيراً، لا أدري هل ما زلت تصرين على قراءتي ومتابعتي أم أنك أوقفت ذلك. فأنا ما زلت نشيطاً على الفيسبوك، وعلى تويتر، أتمنى أن تقرئي هذه الرسالة. قصيدتك الأخيرة التي نشرتها لك، نشرت في مواقع كثيرة ومتعددة، في مجلات وصحف أيضا خارج فلسطين، وصلت ليبيا والمكسيك، فقد نشرت القصيدة كل من مجلة الليبي ومجلة الحركة الشعرية ومجلة أبجديات الثقافية وصحف أخرى كثيرة. لذيذة أنت كقصائدك اللذيذة. الصحف والمجلات بحوزتي سأرسلها لك إن حصل وتصالحنا. قرأت مقالتك الأخيرة. بارعة في الالتقاط مع تحفظي على المدح الزائد فيها، إن هذا المدح يجرح اللغة النقدية، كتبت جراء ذلك مقالة حول النقد ستنشر قريباً، لأن مقالتك استفزتني بلغتها الموغلة في التبجيل.

والآن فلتسمحي لي بالمغادرة وإنهاء الرسالة، الساعة تقترب بجنون نحو التاسعة، عليّ أن أجهز نفسي. ألم أخبرك أنني اليوم سأرتدي بنطالاً وقميصاً جديدين، اشتريتهما لهذه المناسبة. طيفك معي يحرسني من الخراب.

أشتاقك أيتها اللذيذة كفكرة طازجة.

الاثنين: 2021/5/3

أقضي وقت الصباح في الكتابة إليك. في الحقيقة لا أشعر بالملل وأنا أكتب، ربما لأنني أعبّئ الفراغ بمثله. هكذا صرت متأكدا من هذا الإحساس، في هذا اليوم يكون قد مرّ على خصامنا ثمانية وسبعون يوماً. هل شعرت بالوقت مثلي. أقضي نهاري نائماً في رمضان، لا شيء جديد، لا مشاريع كتابية جديدة، كل شيء قد توقف تقريباً. توقفت عن كتابة الشعر منذ مدة طويلة، لم أعد أنشئ أي نص جديد، ما أنشره هو من القديم الذي كان آخره عام 2020، لا أدري ما هو آخر نص كتبته. على أية حال ليس مهماً الشعر في مثل هذا العصر، وكل من يقول عن الشعر أنه منقذ لا شك في أنه إنسان مهووس أو رومانسي. تخيلي لو أن شاعرا فقيراً ذهب بأجود قصائده للدكان ليشتري بعض الخبز. سيكون أضحوكة بين الناس. لذلك توقفت عن الشعر، لم يعد لديّ ما أقوله. أعمل حاليا على مراجعة كتبي المعدة للنشر، ثمة أشياء عليّ تعديلها، غيرت كثيرا في كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حرّاً" أضفت إليه تأملات جديدة على هامش كتاب "نسوة في المدينة".

عرضت كتاب "هي جملة اسمية" والكتاب الرديف المتصل به "مركزية حضور الاسم في النصوص الإبداعية"[1] على الصديقة الدكتورة ريم غنايم. تحدثنا طويلا جدا بمكالمة هاتفية، أكثر من ساعة ونصف. ترى ريم أن التجربة جيدة، قرأت الكتابين، لا شك أن لها بعض الملاحظات حول النصوص الشعرية، اتفقنا على بعض التعديل، سأحذف النصوص التي أضفتها وكنت وجدتها مكتوبة بالاسم فقط في ديوان "الحب أنْ" وفي مقدمة كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، لا أميل ألبتة إلى تغيير العنوان كما اقترحت الدكتورة ريم، مع تسليمي بوجهة نظرها، وربما أنني معها في تخوفها أن يحشر النقاد الكتاب في أنه تجربة لغوية فقط، ويتغاضون عما فيه من تجريب شعري واضح، لا أظن أن النقاد سيهتمون بما أصدره.

كما تقترح ريم أن أحذف من القصائد، وأن أبقي على ثمانين صفحة من الكتاب الذي بلغ (137) صفحة، على اعتبار أن المجموعات الشعرية والقصصية الناجحة هي الكتب صغيرة الحجم المركزة للفكرة والهدف، وتستشهد بمجموعة شيخة حليوي "الطلبية" فهي مجموعة قصصية صغيرة لكنها تفوقت على مجموعات شعرية متضخمة أو أكبر حجما. بالمجمل أرى ما تراه، وربما فعلت ما تشير عليّ به شريطة أن تظل النصوص محافظة على تنوعها الموضوعي والشكلي وحجم النصوص، لأن فكرة التجريب في الديوان تقوم على المقدرة بكتابة نصوص متنوعة باستخدام الاسم فقط.

الخميس الماضي كان يوما مختلطا بين الجميل والقبيح، الجميل فيه أنني التقيت أصدقائي حسن عبادي وجميل عمرية ومصطفى نفاع وإبراهيم خلايلة، وللحظات الدكتور عادل الأسطة، كان

---

[1] صدر الكتابان في كتاب واحد "سرّ الجملة الاسمية" عن دار الرقمية، القدس، 2023.

الوقت في حدود السادسة مساء، البلدة القديمة في هذه الأجواء جميلة، درجة الحرارة مناسبة لقد هدأت حدة الحر، وصلنا صبانة كنعان القديمة، كان في استقبالنا الدكتور معاوية المصري والدكتور عدنان عودة، صبانة كنعان بناء قديم أثري مكون من طابقين يحتضن "جمعية المركز الاجتماعي الخيرية"، سيعقد في هذا المبنى نشاط ثقافي بعد الإفطار، حيث سيكرم منتدى المنارة مجموعة من الكتاب الأسرى. تحدث حسن عن ستة كتاب من محافظة نابلس، وأنا تحدثت عن ديوان شعر جديد لأحمد العارضة، كان النشاط جيداً والحضور رائع ومستمع.

القبيح في هذا النشاط هو أن دار النشر التي نشرت كتاب أحمد العارضة، وقمت بتقديمه في فقرة إطلاق الديوان، لم يذكروا ذلك إطلاقاً، وكان الأمر سيئا بالنسبة لي، فهم بهذا العمل يعانون بالفعل من أزمة أخلاقية كبيرة، لقد تم حذفي نهائيا من المشهد. أعتقد أن الأمر سيكون مختلفا لو قام غيري بتقديم الديوان، لم يقم أحدهم- وكانوا ثلاثة- بالتقاط صورة لي حتى، وبالطبع لم يقوموا بتسجيل فيديو للكلمة التي ألقيتها، ربما فعلوا ذلك، وأنا لا أدري. لقد كانوا تافهين بالفعل وهم يقومون بهذه التفاهة البادية التي تدل على عقل صغير ومنطق أولاد صغار يلعبون في الحارة. لقد أزعجني جدا هذا العمل، مع أنني كنت مصرا على حضورهم، وكان بإمكان النشاط أن يتم دون حضورهم، لكنهم عضّوا اليد التي امتدت إليهم بالسلام وطيب النوايا، ليسوا هم فقط من تصرفوا كالأولاد، بل أيضا الصفحات الخاصة برئيس شؤون الأسرى والمحررين؛ لقد تم حذفنا جميعا: أنا وحسن ولينا كلية من المشهد، فقد قصقصوا التقرير الذي أعددته ونشروا ما يخصهم، هذا الفعل ينم عن وقاحة بالفعل.

على العموم، ربما سأكون في الخليل للمرة الثالثة، ثمة أمسية شعرية مشتركة السبت القادم يحييها مجموعة شعراء من الداخل الفلسطيني المحتل وشعراء من نابلس ورام الله والخليل، أو بيت لحم. متشجع جدا إلى الآن للذهاب، لا أدري ماذا سيحدث، الأوضاع الأمنية على الأرض تتجه نحو التصعيد، ربما لن ننجح في الذهاب، فالطرق ليست ملكنا، فالاحتلال يغتالنا كل حين ويحذفنا هو الأخر من المشهد، ليس مشهد الكتابة وحسب بل من مشهد الحياة كلها.

ليس سرا لو قلت لكِ إنني بالفعل لا أثق بما تقوله السلطة وذبابها الإلكتروني الذي يصف القرارات بالحكيمة حتى وهي متناقضة، وأنا كذلك لا أثق بأي عمل وراءه أي فصيل فلسطيني، فهم سيستثمرون الدم النازف والعذاب لمصالحهم الشخصية ولمكاسب هزيلة. وستبقى الأمهات وحدها هي التي تعاني إن أُسِر شاب أو قتل. نعم وحدهنّ من سيعانين، فالغارقون في كراسيهم في رام الله سيذهبون إلى حفلاتهم متخمين مسرورين مع زوجاتهم وعشيقاتهم وأبنائهم وأحفادهم بعيدا عن متناول الجنود والمستوطنين، وتبقى عتمة السجن والدموع هي الباقية، وستحذفهم السلطة من المشهد أيضاً. هل تلاحظين أننا نشبه بعضنا نحن والأعداء، كلنا يتقن حذف الآخر من المشهد لا فرق بين دار نشر أو محتل أو سلطة متحجرة متقوقعة في المقاطعة. كلهم يبدون من طينة واحدة، وعقلية واحدة.

الكتابة تلتهم الوقت بسرعة، عليّ أن أجهز نفسي للعمل. الجيد في هذا اليوم أنه يوم عمل مكتبي، إن نجحنا في الوصول إلى العمل، ونجونا من الحواجز، ومن الاجتماعات الفجائية سيكون هذا اليوم فيه بعض الجمال. أرجو ذلك.

المشتاق.

الخميس: 2021/5/6

أسعدت أوقاتاً.

على الرغم مما بيننا من جنون وقطيعة، يبدو أنها لن تكون وشيكة الانتهاء، إلا أنني أسلّي نفسي باستحضارك. لقد اشتقت لحديثكِ، ولحواراتك، ولأسئلتك، ثمة مفاجآت كانت تحملها لغتك ومعانيك التي كانت تأخذني بعيداً، وتلهمني كثيراً.

لا أخفيك سراً لو قلت لك إن ثمة ما يشوّش عقلي هذه الأيام. كتبت كثيراً، وشاركتُ في أنشطة متعددة، وانتظمت في الدوام اليومي، ولم يعد بإمكاني المشاركة في أمسية الخليل الشعرية التي ستقام- على الأرجح- يوم السبت القادم، بعد الإفطار. ثمة ما أفسد عليّ هذه المشاركة التي أخبرتك سابقاً أنني متحمّس لها كثيرا، لاسيما وأن الصديق حسن عبادي حاضرٌ فيها، فأنا أحب أن أراه كثيراً، ولا أملّ من صحبته. لكن الظروف قاهرة أحياناً.

لقد تخلصت- أخيراً- من سوأة التعليم عن بعد، يبدو لي أنه لم يكن ناجحاً؛ فالوزارة نفسها لا تثق بمخرجات هذا النوع من التعليم، فقد بدا واضحا من قراراتها المتضاربة والغامضة، وكأنها تقف على حرف. لقد كانت تراوغ باللغة، فلذلك كانت التعليمات مثيرة للأسئلة وغير عملية. الأهالي أيضاً لم يصلوا إلى مرحلة الثقة التامة بهذا النوع من التعليم، فانعكس على الطلاب الذين استغلوا الوقت بالعمل أو بالنوم. والمعلمون كانوا أقلّ أفراد المجتمع التعليمي ثقة، عدا مديري المدارس وكل الطاقم الإداري الذي كان متابعا لهذا النشاط. المخرجات هزيلة، والتعليم في تراجع. ولا شيء يقلل من سرعة التدهور نحو الهاوية.

أنا الآن أقل إرباكا وارتباكاً، فقد عدت للزيارات الإشرافية الوجاهية، ثمة شيء تغيّر في العلاقة بيننا وبين المعلمين، النظام التعليمي متأرجح ومأزوم وعلى شفير السقوط الأخير إن لم يتبادروه بخطة إسناد وطنية حقيقية. فالمعلمون يعلّمون وهم قلقون على كل شيء، فقد خلفت هذه المرحلة في النفوس الكثير من عدم القناعة، وانهارت مُسَلّمات كثيرة.

ليس هذا هو الموضوع الأساسي الذي كنت أريد الكتابة لكِ فيه، وإنما أردت أن أثرثر في حضرتك حول موضوع اللغة- أي لغة-. لم أعد أقتنع بما تقوله الكتب، إنها تقول أشياء غير واقعية، قضية شغلتني منذ مدة طويلة وهي ظاهرة الأضداد اللغوية، فقد تعلمنا، ونعلّم في المدارس هذه الظاهرة

لغويا وبلاغيا، ويبدو أنها مسلمات لا تنقض ولا تنتقد. وقد وجدت في كثير من المؤلفات القديمة والحديثة.

ببساطة أريد أن أقول لك أنه لا أضداد في معاني الألفاظ، كما أنه لا ترادف فيها، فالبَرّ ليس عكسه البحر، فالبحر فيه بر، بل ربما آل البر بحرا أو تحول البحر إلى بر، فلماذا تفترض عقول اللغويين أن البر ضده البحر؟ لا أجد جواباً. بالمنطق ذاته فيما يتعلق بالليل والنهار، لماذا الليل ضد النهار؟ وكيف؟ أتأمل الآية الآتية وأرجو أن تتأمليها معي: "والليلُ نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون". فالليل لا يتخلّق دفعة واحدة، بل تدريجيا، حتى يزول الضوء وتحل العتمة، عدا أن لليل عند العرب ساعات وكذلك النهار، ولكل تلك الساعاتِ؛ نهارا وليلا، أسماء، فهل يقع بينها التضاد أيضاً؟ ثمة مشكلة في الفهم. إنها سطحية، الليل والنهار يخرجان من بعضهما، فهما واحدٌ، أو كالبر والبحر- على أقل تقدير- متضمنان في ذات الشيء.

وأكثر ما يثير التساؤل لديّ فيما يتصل بمشكلة التضاد ويلغيها تماماً مسألة الألوان، فقالوا إن الأبيض ضد الأسود، لماذا ليس الأحمر أو الأصفر؟ اللون الأبيض في حقيقته هو مزيج من عدة ألوان كما علمونا، فكيف يكون مضادا للون الأسود. الأبيض أيضاً دليل العدم، ومؤشر على الفراغ. فهل الأبيض ضد لكل الألوان؟ وهل يناقض مكوناته أم لا؟ فكل الألوان المكونة للأبيض، جزء منها مكون لغيره من الألوان التي تسمى مركبة، ويتم الحصول عليها بالامتزاج. هل الألوان صفات للأشياء؟ أظن أنها ليست كذلك. اللون وجد في الطبيعة لا يحتاج إلى غيره ليوجد، ولا غيره محتاج إليه ليكون. فكل شيء، من ناحية منطقية، يمكن أن يكون له أي لون. أرأيت كيف أن المسألة مربكة في الألوان؟ إنها جدا غير منطقية عندما نجرها إلى مربع التضاد.

ولعلّ الأشكال الهندسية تشبه الألوان. في رواية إبراهيم نصر الله "مأساة كاتب القصة القصيرة"، ثمة حضور متوهم للضدية بين المربّع والدائرة. لقد كتبت في ذلك مقالا طويلاً. الأشكال الهندسية باعتقادي كالألوان تماماً؛ لا شكل يضاد الآخر، فكل شكل له حيّزه الخاصّ، ولماذا نجبر أي شكل على أن يكون ضدا لشكل آخر. إنه محض وهم، هل وقع إبراهيم نصر الله في هذا الوهم. أظنه وقع على فكرة خداجٍ، ولم يحسن التعبير عنها. لعلك قرأت الرواية، فنصر الله صديقك منذ زمن بعيد. ولا أظنّ أن مثلَ هذه الرواية قد فاتتك قراءتها. على أيّ حال كتبت في الرواية مقالين[1]، أرجو أن تكوني قد اطلعت على ما نشر منهما. سيصلك المقال الثاني بالتأكيد في حال تم نشره. أفكّر في نشره في صحيفة الحدث الفلسطيني[2].

---

[1] تناولت في أحد هذين المقالين قضية "اللحن ودواعية السردية في الرواية"، ونشر في عدة مواقع وصحف.
[2] صحيفة الحدث الفلسطيني، مقال: هواجس ما بعد الكتابة في رواية "مأساة كاتب القصة القصيرة"، 2021/7/31:

https://www.alhadath.ps/article/143467

فلنخرج الآن من الرواية. ما رأيك بالصفات، كالقصير والصغير والطيب وأشباهها؟ هل يمكن أن تكون أضداداً؟ أعتقد أن حالة نشوء الليل والنهار وانسلاخ أحدهما من الآخر ينطبق على تلك الصفات، فكل قصيرٍ، ربما كان طويلا يوما ما، أو يمكن أن يكون طويلا في قابل أيامه، فلماذا كل قصير هو مضاد لكل طويل؟ وكذلك الكبير والصغير، فالصغير سيكبر، فكيف سيكون ضد نفسه، وعند أي درجة من الكبر أو من الصغر سيحدث هذا التضاد المزعوم؟

فاجأتني الفكرة هذه من جديد هذا اليوم، عندما شرح أحد المعلمين لفظ "الكهولة"، وجعل ضدها حداثة السن. الكهل ضد الحدَث. هكذا ببساطة يتم الاختزال والتبسيط. أعتقد أن المسألة خاطئة تماما من ناحية منطقية، فمراحل عمر الإنسان التي تبدأ بالطفولة وتنتهي بالشيخوخة، لا يضاد إحداها الأخرى، إنها في حقيقتها تشبه انسلاخ الليل من النهار. وكذلك ينطبق أيضا على أحوال الإنسان في الصحة والمرض والحزن والسعادة مما اعتاد الطلاب أن يدرسوه على أنه من الأضداد.

ليس المعلم مسؤولا عن هذا الخطأ المنطقي بطبيعة الحال، وإنما العقل التربوي السطحي الذي أقنعه، وأقنع أجيالاً لا تحصى: أن هذه أضداد، وبنى عليها نظريات في الفكر والبلاغة والاعتقاد والفلسفة.

تعاليْ معي أخيراً للنبش في الناس والحيوانات والحجر والشجر والملائكة والجن والكواكب والنجوم، فكيف يقولون إن الذكر ضد الأنثى؟ ما المبرر؟ ألأن أعضاءهما التناسلية مختلفة، وأن وظيفتهما في الحياة مختلفة؟ نظرية الخلق الدينية التي تحدثت عن خلق الإنسان ترى أن الأنثى مُستلّة من الذكر، فهي بعضه، تماما كما هي العلاقة بين الليل والنهار، وهل تلد المرأة ضدها عندما تنجب ذكراً؟ وهل الجن ضد الملائكة أم أنهم ضد البشر؟ هل الحيوانات ضد البشر أم ضد الملائكة أم ضد الجن؟ هل الأحياء ضد للجمادات؟ وهل الجمادات خالية من الحياة؟ القرآن يقول إن كل الموجودات فيها حياة "وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم". تؤكد الآية مبدأ الحياة في كل الموجودات، ما ينفي- منطقيّاً- فكرة التضاد.

أرأيت- أيتها الحبيبة- كيف أننا دخلنا في متاهة من المعاني المتوالدة؟ ولو جريت وراء شهوة الأسئلة لطرحت مئات الأسئلة، واستحضرت مئات الأمثلة مما هو داخل عند الناس وأعرافهم اللغوية في أنه من الأضداد، وما هي بأضداد. أظن لو أنك تعمقت في القرآن ودراسته لرأيتِ أن القرآن لم يتحدث عن الأشياء والصفات بأضدادها، وإنما هم المفسرون الذين فعلوها وأخضعوا النص للتفسير السطحي، وأعظم دليل على ذلك ما هو معروف بصفات الله وأسمائه الحسنى، فهل يناقض بعضها بعضاً، فهل الرحيم والرحمن يضادان في المعنى الجبار والمتكبر والمهيمن وشديد العقاب؟

ما رأيك بكل هذا؟ أرجو أن يدفعك إلى البحث والتأمل، فالأمر كما أراه يستحق أن يبحث، وأن نسائل قناعاتنا. ولعلك تسأليني: وما فائدة كل هذا، فسواء وجدت الأضداد أم لم توجد؟ ربما أشّر اقتناعنا بفكرة الثنائيات إلى ما هو أخطر في تعاملاتنا البشرية، فمبدأ البيض والسود- مثلاً- في التمييز العنصري سببها هذه الثنائيات اللغوية المتوهمة في الضدية والأفضلية، فكل ضدين يحملان طرفين أحدهما أفضل من الآخر غالبا، والاختلاف على هذه الأفضلية هو أساس الصراع، عدا أن هذه الثنائيات البائسة ستجر البشرية أيضا إلى التصنيفات العقدية بين مؤمن وكافر، وما يجره هذا التصنيف من كره وحقد واقتتال، لأنه يحمل في داخله أفضلية ما، هذه الأفضلية المتحكمة في الاختيارات الاجتماعية أيضاً، وحتى في الأشكال الأدبية المتعددةفي واقع الحال يتم اختزالها في متضادين: الشعر والنثر، فثمة من يجعلهما ضدين متصارعين، لكل منهما منطقة خاصة في عرفهم، فالنثر عقلي والشعر قلبيّ، وكأن القلب ضد العقل.

ربما صرت على قناعة أن فكرة الأضداد هي السبب في انتفاء مبدأ التعددية البشرية والكونية، فنحن البشر لا نؤمن بالتعدد في واقع الأمر، وصرنا نبحث عن الضد لكل شيء، ولم نعد نؤمن بأننا كلنا مختلفون، وبالتالي لسنا أضدادا، فاختلافنا يعطي للحياة معنى التكامل والحيوية، والثنائية الضدية تعني الحرب والاقتتال والدم، فهذا التفكير اللغوي غير المنطقي هو الذي جعلنا ندرس البشر والأشياء واللغة والأدب وعلاقاتها بحدية قاتلة؛ إما مع، وإما ضد، وبفعلها ينقسم العالم إلى فريقين ومعسكرين، وينعدم أهم أساس قامت عليه الحياة، فمآل الحياة واحد، كما قال الرسول الكريم: "كلكم لآدم وآدم من تراب"، فإذا كنا من أصل واحد فمن أين أتت تلك الثنائيات السقيمة ذات الأثر المدمر؟ ولأنه لا يوجد شيء اسمه أضداد، فإن النص القرآني مزج العقلي بالقلبي والشعريّ بالنثري، وحقق نصاً مفتوحا على متعدد، ولا تحكمه الثنائية النصية ولا اللفظية المعنوية، تلك التي قتلت الإبداع العربي أو حصرته في نوعين لا ثالث لهما: الشعر والنثر. فهل تعتقدين أن قصيدة النثر كانت أكثر وعياً عندما هدمت سور الثنائيات لتنطلق في أفاق التعدد غير المحدودة؟ أعتقد ذلك جازماً.

ها هي الساعة أوشكت على الثانية صباحاً، أرجو أن تثير هذه الأسئلة فيك شهوة الحديث والكتابة إليّ. أتمنى ذلك مع أنني على يقين أنك لن تحفلي بي وبرسائلي كما كنت تفعلين. على أي حال ليس مهما، يكفي أن أكون متحدثا وكاتبا وحضرتك صامتة قارئة، متجنباً الوقوع في الضدية، فأنا كتبت صامتا، وأنت ربما قرأت وأنت تحدثين نفسك، فالفكرة من ذاتها والمنطق هو هو.

دمت بخير، ولعلي أراك قريباً من يدري؟ فليس بيننا إلا حاجز لغوي ليس أكثر! ولذلك فهذا الخصام ليس منطقيّا كذلك.

المحبّ لك دائماً، والمشتاق أبداً.

الجمعة، 2021/5/21 [1]

لا فراس. في شي غلط. مخيف وخطير اللي عم بصير. من جوا عندي غضب. أطفال ونساء ورجال راحوا بأقل من أسبوعين. والعالم (.....) عم يتفرج. وهلأ انتصرنا؟ على شو؟ كيف؟ ودم الأطفال اللي شربتها الأرض؟ أنا بتخيل بنتي تكون بدل طفل واحد من اللي راحوا. شو ممكن يكون إحساسي؟ شو رح نعمل هلأ؟؟؟ وين رح نوخد هـ "الانتصار".

أنا لو بقدر كنت رشيت أمتك كلها بسلاح ولا طفل فلسطيني واحد يقول آخ بعد اليوم. مقاومة شو يا فراس اللي ما رح فيها عدوك؟ شو ذنب العالم اللي بتحب الحياة وما بدها تموت؟ قدر الفلسطيني يضل عرضه مهتوك قدام الكاميرات والكل يتفرج؟؟؟؟ هاي هي المقاومة؟؟؟

ر. غ

الجمعة: 2021/5/28

صباحكِ الخير، ومساؤك الرضا، وأسعد الله كل أوقاتك، أرجو أن تكوني ذات مزاج جيّد، يسمح أن تحتملي حماقاتي في هذه الرسالة. اليوم ليس يومَ عطلتك، ولكن آمل أن تجدي الوقت لتقرئي، لعلّ قراءتك تبدّد بعضاً من غيومي.

في الحقيقة لا يكفّ عقلي عن التفكير بالأشياء التافهة والسطحية، لا أعرف كيف يفكر العظماء إجمالاً، إنهم بلا شكّ يفكرون على نحو مختلف. عملي أصبح شاقّاً، وصارت قدرتي على احتمال الآخرين وحماقاتهم تتضاءل يوماً بعد يوم. آمل ألا أفقد السيطرة على نفسي يوماً ما. لا أحب أن أكون شرساً وحادّا، أريد أن أقدّم واجبي. كثيرون ممن حولي يعيقني فلا أستطيع أن أودي عملي كما أرى.

يوم الخميس كان يوماً قلقاً، كل شيء من حولي كان متوجساً، كنت على أهبة الانفجار، لولا رحمة الله التي تداركتني مراراً. العمل مع المعلمين ومديري المدارس والطلاب والمسؤولين "الحمقى" كله مشاكل، بل كل الوقت مفخخ بالمشاكل، وقابل للانفجار في أية لحظة. للمعلمين ومديري المدارس طرائق شتى في إعاقتي عن العمل، إنهم بالفعل لا يعرفون الانتماء، وهم يقصّرون في أداء واجباتهم، ومن يلتزم قليلون جداً. إنهم ندرة هذا العصر، لاسيما بعد غياب الرادع والعقوبات، وكثرة المنافذ، فكورونا وفّرت مساحات شاسعة لخراب الضمائر.

ثمة صورتان تتنازعاني في العمل، وإحداهما تطغى على الأخرى، الكاتب يطغى على المشرف التربوي ويسيطر عليه، هكذا يقول أحدهم، وأتعامل مع المعلمين بخبرة الكاتب والمثقف والعارف. يغرقني هذا الفريق بالذم الشبيه بالمدح، فأنا إذن فاشل في كيفية توجيه المعلمين لما

---

[1] كانت هذه الرسالة ردا على نصوص ومقالات أخرى، نُشرت في كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحروب على فلسطين"، دار الفاروق، نابلس، 2024.

يفيدهم. هذا النوع من المعلمين ومديري المدارس حدد سقفه وجعله واطئاً، هو يزحف على استه، والمعلمون أيضاً معه زاحفون. لا يريدون أن يرتقوا إلى آفاق من المعرفة المتحررة من الوهم. مَنْ المُخوّلُ إذاً برفع المستوى، إذاً كلنا سنعمل ضمن هذا السقف الواطئ جداً؟ سيأتي يوم لنجد أن المعلم والطالب والمدير والمشرف التربوي والمسؤول "الأحمق" يزحفون على أُستِهم، ولا يعرفون أن لهم أرجلاً خصصتها الطبيعة البشرية للمشي أو القفز أو التمتع بجمال القامة المنتصبة. فأنا كما أرى نفسي لست مجرد "مشرفٍ تربويّ". إن لي أفكاراً تربوية وعقلية تربوية خاصة، أودعتها مقالاتي التربوية التي اطلعتِ على معظمها. فأنا أكاديمي وكاتب تربوي، أدعم المهنة بالتفكير والكتابة ولا أقف عند حدود التعليمات القاصرة، مع أنني لا أخالفها، ولكنني على استعداد دائم لإضاءة ظلمتها، وإكمال قصورها.

عليّ الاعتراف أمامك الآن أنني أعاني من هذه المعضلة، الكلّ يشدك نحو الأدنى والأسخف والأتفه، لن أمدح نفسي، فمادح نفسه كذاب بالتأكيد، ولكن ما حيلة المرء إن لم يجد من يقدّر قدراته حق قدرها، لقد سألت نفسي وأنا أغرق في محاسبتها: متى يضطر الإنسان إلى مدح نفسه؟ لا ريب أنه يلجأ إلى ذلك عندما لا يجد من يقدره بشكل جيد. ها أنا بين يديكِ مفاخر بنفسي وأمدحها. أنت الوحيدة التي لن تقولي: مادح نفسه كذاب، لأنك تعرفينني معرفة أكيدة.

ضاعت مني على ما يبدو صورة المشرف التربوي، وصرت كاتباً متعالياً بالمعرفة على الزملاء، لذلك يطالبونني بأن أنزل إلى مستوى أقلّ خلال المناقشات والتدخلات التربوية التي أقدمها أمام الطلاب والمعلمين. زيارة يوم الخميس كانت محبطة بشكل لا يوصف. هل فعلاً كنتُ بهذا السوء؟ لا أدري. إلى الآن أفكر جيدا بالموقف كله.

على أيّ حالٍ لو صدق هذا الذي يدعيه المعلمون والمديرون أكون قد شوّهت صورة المشرف التربوي، وصار لا جدوى لي في الميدان، هل أصبحت أنا كذلك، كزميلي المتقاعد "لا حاجة فنية لي". يبدو أن المؤشرات خطيرة.

لقد أخبرتكِ في إحدى هذه الرسائل، أنّ شخصيتي ككاتب أيضا تسيطر عليها شخصية المشرف التربوي، اللغة القاطعة اليقينية، الرأي الحاد الذي لا يحق لأحد أن يحطمه أو يتجاوزه، لغة الأمر والوجوب في مقالاتي كأن الكاتب أو القارئ الموجهة له تلك الكتابات تلميذ بحضرة أستاذ أو معلم بحضرة مشرف تربوي. هذه ملحوظات الدكتور عادل الأسطة، وصديقي حسن عبادي الذي يُديم تذكيري بها كلّما جرّنا النقاش إلى منطقة الكتابة وأسلوبها.

ها أنا إذن لا كاتب ناجح، ولا مشرف تربويّ ناجح، ضعت بين شخصيتين، كأنني أقع في فخّ "حماقة الغراب"، فلا هو أصبح طاووساً ولا ظل غراباً عندما حاول تقليد الطاووس. مع فارق في الحمق كبير جداً؛ أنني لم أقلد أحداً من الكتّاب أو المشرفين التربويين، دائما أردت أن أصنع لي شخصية مهنية خاصة مدعومة بـ "التفكير المكتوب"، وتعتمد على تطبيق القوانين والتعليمات بطريقة

حازمة دون التذرع بذرائع غير مهنية وغير إنسانية، وأردت للمعلمين والطلاب، وللزملاء المشرفين أن أقدّم كامل خبرتيّ في الثقافة والتربية دون مَنٍّ أو تبجّح. بل إنني أفرح كلما أسديتُ لأحدهم خبرة أو معروفاً أو خدمة. كذلك كوني كاتباً كنت دائماً على استعداد لمساعدة الكتّاب الأصدقاء، بقراءة مسوّدات كتبهم ومراجعتها وتدقيقها وتحريرها. وأنتِ أعلم الناس بهذا كلّه. ولم أسع يوماً إلى تقليد أحدٍ من الكتّاب، إنهم مدارس في أساليبهم وكتبهم، وأنا أردت أن أكوّن مدرستي وأسلوبي. مخايل الفشل واضحة الآن!

هل تعلمين أنني أغبطك على عملك، إنه مختلف كليّا عن عملي؛ فلا شيء فيه يدعو إلى الانفصام، وأغبطك على كتاباتكِ التي تخلصت من المراوحة بين مكانين يتنازعان الحضور في الكتابة، ليتني لم أكن مشرفاً تربوياً مع أنني أحبّ هذه المهنة حبّا غير عادي، وفخور بكوني مشرفا تربويا، على الدرجة نفسها بكوني كاتباً. يبدو أن من الحبّ ما أهمّ وأغمّ وفضح إن لم يقتل. لا حاجة أن أقول لك: إنني لا أتخيّل نفسي إلا كاتباً، وأيضاً لا أتصور نفسي إلا مشرفاً تربوياً.

أعتقد أن أحدنا على خطأ؛ إما أنا وإما المعلمون، هل علينا أن نفهم بعضنا بشكل أكثر شفافية ومصارحة. المعلمون في المجمل لا يحبّون أن أزورهم، وحتى مديرو المدارس، أجد نفسي ضيفاً ثقيل الظل، أو الدم. وكل يوم تزداد المسافة بيني وبين المعلمين والمديرين، مساحة الود والاحترام تتقلص يومياً وبعد كل زيارة. "كأنّ الودّ ظل في صباحٍ يزيد تقلصاً حيناً فحيناً"، مع الاحترام للشاعر، وليعذرني على التغيير لدواعي الكتابة!

لا شيء يعجبني فلا أسكت. هذا يزعج الآخرين، لذلك سأجد نفسي على القارعة وحيد وحدي، نبياً مكروها ملفوظاً، وأسفاري العبثية الأفكار ملقاة في سلة المهملات؛ فالمعلمون والمديرون لا يقرأون أفكاري ولا مقالاتي، ولا يعملون بالتوصيات، ويلقون التقارير في الملفات دون أي اعتبار، لأنه لا مآل لتلك التقارير سوى أنها علامة على زيارة كان فيها الكثير من القلق والتوجس وشد الأعصاب وضبط النفس، وقد أَمِن المعلمون والمديرون العقاب، فمهما كتبت، لا أحد سيعاقبهم لأنهم محميون بسلطاتهم التنظيمية الفاشلة التي خربت البلاد والعباد، أو يتمترسون خلف غوغائيتهم الفيسبوكية التي تشجع الآخرين على الرجم والسباب واللطم وفتح المناحات، أو يلجأون إلى أركانهم الشديدة التي تخلصهم من العقاب والمساءلة. ولا تجد من المسؤولين "الحمقى" أي تقدير لأي جهد بعد ذلك. في ظل هذا الجو القاتم لا أحد يستطيع أن يعمل بحب وإخلاص، فالأعداء كثُرٌ، ولا أصدقاء.

هذه يا عزيزتي عناصر محبطة، فكم أستطيع أن أصمد، وأقاوم، وأنا أخسر يوميا من عمري يوما أقضيه مهموما مغموماً. لا يومَ عندي أسعد من مساء يوم الخميس، عندما أغادر مكتبي الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، فعندي يومان كاملان ومساء طويل لأتخلص من هذا الانفصام المرضي الذي حشرتني فيه مهنتي الجائرة.

أرجو أن تحتملي هذه الحماقات الباعثة على تعكير المزاج، فلا أحد أشكو له وأفضفض غيرك، لا أحد يفهمني من المحيطين بي، في الأسرة، إنهم محبطِون، ولا يفكرون بغير أنفسهم، طالت المسافة بيننا أيضاً. العلاقة بيننا قائمة على المصلحة التي تسيّر أمر استقامة الحياة بعشوائية خالية من الروح، مُلَخّصة في كلمتين: "هاتِ، واشترِ" لا شيء غير ذلك. لا أحد يريد أن يسمعك، بل لا أحد عنده وقت لك. الكل مشغول بعالمه الذي وضعته فيه الحياة، فلو تكرمتِ عليّ بوقت قصير لقراءة هذه الحماقات بالفعل سأكون لك من الممتنين. لأن لك أيضاً عالمك المعقّد أيضاً.

لا وقت على المدى المنظور لنلتقيَ، لعلي أثرثر بحضرتك أكثر. آمل أن تتاح لنا الفرصة؛ فيصلح الحال بيني وبينك، فيا "ليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابُ"؛ لنقول أكثر مما نكتب. على ما يبدو لي الآن بعد هذا الفائض الهشّ من اللغة واللامنطق أنك لو كنت معي لكنت أكثر اتزاناً. ربما، لست أيضاً على يقين.
مهما يكن من أمر نفسي. أتمنى لك عمرا ملئيا بالفرح والخير والسعادة.
وإلى لقاء...

الجمعة 28/ 5/ 2021

صباحك فراس

سأقرأ رسالتك حالما أتفرغ من العمل، فأنا في الدوام ومنذ ساعات الصباح ملقىً على عاتقي العمل مع الطلاب على البحث، وأنت تعلم نحن على وشك نهاية الفصل والسنة الدراسية... نحاول أن نعمل بجد على ما فاتهم من مواد ووظائف قبل نهاية السنة.

المشتاقة بك دوماً.

إ. س

السبت 2021/5/29

يسعد مساك يا شاعر،

أرجو أن تكون بخير.

أمران في هذه الرسالة: نعم، مادح نفسه ليس كذّابًا، وأنت تعرف أني كنت سأقتنص هذه الجملة وأردّ. جميل أن يعرف المرء قدر نفسه، وأن يقبّل نفسه صباحاً في المرآة كلّ يوم. مادح نفسه هو مادح نفسه، لأنه يعرف قدرها في هذا العالَم. مادح نفسه غريبٌ كصالحٍ في ثمود.

الأمر الثاني: أنّك حسمت أمركَ دون أن تعرف. أنت على خط التماس بين العالمين، بين عالم الكتابة وعالم التربية. كلما خذلتك واحدة ارتميت في حضن الأخرى. وهذا نظام دفاعيّ جيّد يجعلك تنجو من خطر المهنتين.

أما أنا، فقد اخترتُ أن أكون شرسةً في كليهما. صحيح أنني دفعتُ ثمنًا كبيرا، لكنني دفعته وهو الآن من خلفي. الحريّة هي أن تدخل مكتب مدير المدرسة وتقول بصوت عال: يا سيّد عملكَ فاسد أنت وطاقمك، وتجبره على احترام رأيك وعلى احترام تعاليكَ.

شخصيًا، لا أحب المدارس، على الرغم من أنني كنت طالبة متفوقة. لا أحترم المعلّمين ولا أحترم المديرين على الرغم من أنني كنت مدرّسة متميّزة وفعلتُ ما لم يفعله آخرون، لكنهم لم يتركوني في حالي، فقررت بعد تعبٍ أن أغادر هذا المجال. المدرسة نظام تربويّ فاشل لا يولّد إلا العقد والنفسيات المريضة والمتعبة. أما على الصعيد التعليميّ فحدث ولا حرج، ومعرفة المعلّمين لا تزيد إلا درجة بسيطة عن معرفة الطلاب.

سعيدة برسالتك، أعتذر عن التأخر في الرّد. عمل متواصل.

نلتقي قريبا

ر. غ

الاثنين: 2021/5/31

أسعدت أوقاتا أيتها الرائعة،

منذ يومين وأن أهمّ بكتابة هذه الرسالة، وها أنا أوفي بوعد نفسي لك لكي أكتب. أكتب لك من مكتبي، لا أحد معي في الغرفة غيرك. صدقي ذلك، ولا تأخذيه على سبيل المجاز أو التخيل الشاعري. شربت منذ الصباح وحتى الآن كوبا من الشاي وفنجاناً من القهوة، وكأساً من شراب "الزعتمانة". غريب هذا المشروب لكنه ذو طعم جيد، إنه اكتشاف ثقافي بفعل اختلاط القرى والبيئات في أماكن العمل.

أبلغك أولاً أن كتاب "استعادة غسان كنفاني" في طريقه إلى النشر قريباً جداً، الغلاف أصبح شبه جاهز، لا أريد أن أخبرك عما في الكتاب من أفكار. أترك لك قراءته، والاستمتاع به فور صدوره، أتمنى أن يكون ممتعاً بالفعل، سأتكفل بإحضار نسخة لك. لن أعدم الوسيلة.

هذه الأيام منشغل جدا في أمور الوظيفة، لا شيء جديد على صعيد الكتابة. القراءة أيضاً غدت ذات مهمّات وظيفية بعيدا عن المتعة أو التزود بالأفكار ومحاورتها. أقرأ مسودات كتب للأصدقاء، ستصدر قريباً. القراءة تحت هذا الظرف هي عمل خاوٍ من المتعة. أقرأ لأسدي خدمة للكتّاب لا أكثر، هنا القراءة تكون ذات أهداف لا تعود عليّ بالنفع إطلاقاً. لا أسعى إلى النفعية على كل حال، ولكنها القراءة التي تدور في باب تحقيق النفع للغير، هذا النوع من القراءة يلزمه الجلَد والصبر على مشقات كثيرة. لا تستطيع أن تشيح بنظرك عن الكتاب أو عما فيه، أنت مجبر أن تقرأ وتدقق، وتفحص وتنتبه لكل شيء، للجملة، وللكلمة، وللنقطة والفاصلة. عليك أن تكون "ملك يمين" للكاتب، يفعل بك الأعاجيب وأنت بكل لطف تبتسم، وتتابع القراءة دون اعتراض. كم هو مؤلم

هذا النوع من القراءة، لاسيما إن كانت تلك الكتب متعبة، وتحتاج إلى كثير من التحرير وفيها الكثير من الأخطاء. أو أنها تخالف قناعاتك ومجبر على إتمامها وأنت ساكت ومؤدب.

لا أريد أن أجد نفسي بعد فترة وإذ بي أتحول إلى مجرد "مدقق لغوي"، وليس محررا أدبيا، لأن الكتّاب يخافون من عبارة "حرر فلان الكتاب"، لكنهم لا يخشون من قولهم: دقق فلان الكتاب لغوياً، بل إنهم يفتخرون بذلك، بمعنى أنهم أصل والمدقق خادم تحت الطلب. لذلك أراجع الكتب للأصدقاء فقط، مع شرط إضافيّ وضروريّ ألا يشيروا إلى أنني قمت بالتدقيق. مع أنني أيضا لا أحب مهنة المحرر الأدبي، فهي تبعدني عن التأليف والكتابة، وتجعلني أيضا تابعا، وظلاً، وأقوم بها أيضا خدمة للأصدقاء ليس أكثر.

على هامش إحدى الاتصالات الهاتفية مع أحد هؤلاء الكتاب الذين أعمل حاليا على مراجعة كتابه، تحدثنا عن الناشرين، وربما تعرفين رأيي في هذا الموضوع، فقد كتبت لك فيه كثيرا، وكتبت مقالات أيضا حوله ونشرتها. فالناشرون أنواع على أي حال، ولكن أريد أن أقول لك ما توصلت إليه حول تعامل الناشرين مع الكتاب، هذا ما لمسته خلال حواري مع ناشرين، ومنهم ناشرو كتبي. ناشرو كتبي لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الصدق، بعضهم كان كاذباً، وبعضهم كان لصّاً، وبعضهم كان مستغلا وانتهازيا، وبعضهم كان مجرد تاجر تافه. بالتأكيد كان هناك ناشرون جيّدون، فقد تعاملت مع كثير من الناشرين، ولكن من هؤلاء أريد أن أبين لك نوعا واحدا، وهو أسوأ أنواع الناشرين.

هذا النوع يقسّم الكتاب إلى ثلاثة أنواع: قسم يتعامل معهم على أنهم "بنك" لدار النشر والناشر، لتحقيق مصالح الدار في الشهرة والانتشار، ولن تكون هذه الشهرة من نصيب هذا الصنف من الكتاب للأسف، فليس لي حظّ من الشهرة عن طريقهم، أما مهمتنا الوحيدة أن ندفع لدار النشر مبالغ طائلة أكثر مما يكلف الكتاب مرتين أو ثلاثاً.

الآن لك أن تتصوري التهافت على النشر من هؤلاء الكتاب، وأنا واحد منهم بكل تأكيد، فأنا من فئة "ادفع تطبع". كتبنا التي ندفع مقابلها مبالغ كبيرة، لا يروج لها على صفحات الناشرين الفيسبوكية، ولا يحملونها معهم إلى معارض الكتب، يطبعونها، ثم بعد فترة يتلفونها، حتى لا تشكل عبئا في مخازن الدار. كل ما يستفيده الكاتب من هؤلاء هو حصته التي أخذها من دار النشر، مئة كتاب على أكثر تقدير، وهذه تذهب هدايا كما تعلمين، ودار النشر تتعامل معنا كنكرات لا تضر ولا تنفع، حتى والناشر يعدد إنجازاته لا يذكر كتبنا من ضمن كتبه، على الرغم من أننا نحن وبفضل ما ندفع يقف على رجليه في المعارض، وهو يقدم نفسه خادما لغيرنا بأموالنا. فما ندفعه للناشرين وهو كبير بمقابل التكاليف الفعلية، سيستثمره خدمة للقسمين الآخرين.

لعلك الآن تعرفين من هما القسمان الآخران، لقد كنتِ من القسم الثاني، من يطبع ولا يدفع، ولكن لا تدفع له دار النشر، يعني بالعامية "لا إلك ولا عليك"، والقسم الثالث هو من تدفع له الدار

مسبقاً، وتدفع له مبالغ كبيرة، هذه المبالغ ستحصل مما يدفعه الفريق الأول، ومما يباع من كتب الفريق الثاني الذي لا يأخذ شيئاً، وليس له إلا أن يطبع له، وله حصة من الكتب أما نسبة الأرباح، فلم يحدث أن فعلها ناشر واتصل بكاتب وقال له: تفضل عندنا لنعطيك نصيبك. يسرقون حصته المقررة في العقود المبرمة، بحجة عدم البيع وأن العالم العربي لا يقرأ.

إن الناشرين يستشرسون في عمل الدعاية للفريقين الثاني والثالث، ويهملون تماما كتّاب الصنف الأول "ادفع تطبع"، فترى كتب هؤلاء تتصدر الإعلانات والصور والترويج وعمل الاقتباسات، والسفر إلى المعارض وعمل حفلات التوقيع، لأن الناشر هنا مهمته التجارة والربح، فلذلك تراه في مواسم معارض الكتب، لا يكون إلا تاجرا انتهازيا ولصاً ليس أكثر. يسرق جهود الكتاب من الفريق الأول والثاني لصالح الفريق الثالث، ولصالح نفسه، فهو في النهاية كالقمل يعتاش على رؤوس الكتاب وما أنتجته عبقرياتهم.

أعرف أنها حالة مرَضية، وقلبي موجوع منها، وكما قلت لصديقي على الهاتف، وقد أعجبه المثل لدرجة أن عمل على كتابته "قلبي من الحامض لاوي"، بالفعل يصيبني هذا الموضوع بالقرف، ولكن لا أدري لماذا أصر على النشر والكتابة وأنا أعرف أنني سأقع كل مرة تحت طائلة الاستغلال الصريح.

هل لديك حلّ لحالتي المرَضية هذه؟ آمل ذلك، أعرف أنني ثرثرت كثيراً، لكنني أشعر بالراحة الآن، وقد وجدت من يسمعني ويقرأني، لعلّ عندك بعض حلٍّ أو مواساة مما أنا فيه. فلا أستطيع ألّا أنشر كتابا ألفته، ولم أجد ناشرا أخلاقيّا يحميني ويقدر ما أنا فيه. ولذلك سأظلّ ضحية للناشرين ما حييت إلا إذا كففت يدي عن هذه الصنعة وكسّرت كل أدوات الكتابة، أو أن تحدث معجزة؛ كأنْ أفوز بجائزة!

يا له من حلّ سحري! أن أفوز بجائزة، ساعتئذ ستجدين الناشرين الذين أتلفوا كتبي ووضعوها في حاويات النفايات الكبيرة، يبحثون عن نسخة مهملة هنا أو هناك ليعيدوا نشرها. هل يحدث وأفوز بجائزة لأتخلص من هذا المرض؟

هل سيغضب مني الناشرون بسبب هذا الذي يجول في نفوس كثير من الكتاب الموجوعين الذين صاروا يلجأون إلى طباعة عدد محدود من النسخ إرضاء لشهواتهم المريضة واتقاء لشر الناشرين وتلاعبهم. ويعيشون وَهْم نشر كتاب جديد. بالضبط كما فعلتها مع عدة كتب، نزولا عند منطق واقعية الأشياء، فليس لي من كتابي سوى مئة نسخة، ونسخ دار النشر لا تصل إلى القراء، بحكم أنها ستتلف بعد مدة، إذاً عليّ التسليم والاكتفاء بطباعة مئة نسخة فقط من أي كتاب، وهذه هي استراتيجيتي القادمة لطباعة ما تبقى من كتبي المخطوطة.

أتمنى أن تجعلي هذه الأمنية واقفة على الحدين؛ "بين الجد واللعب"، فكل كتّاب الفريق الثالث كانوا فريقا أولاً أو ثانيا، ولم ينقذهم من عبث الناشرين وتلاعبهم إلا فوزهم بالجوائز. أتمنى أن أقرأ

لك ردا حول الموضوع، لعلي أرى الأمور ببصيرة أخرى غير بصيرتي وبحدس آخر غير حدسي الذي أصدقه إلى الآن حول مسائل كثيرة، ليس النشر إلا واحدا منها.

أراك بخير، ولعلنا نلتقي قريباً، ولتسعديني بالكتابة ريثما تكون الفرصة سانحة للقاء، فأنا مشتاق لكل شيء فيك من "ساسك لراسك" وأنت أجمل النساء وسيدة الكاتبات.

قبلة حارة لشفتيك الرقيقتين المنقوعتين بالعسل اللذيذ.

الثلاثاء 2021/6/1

كيف أنت يا شاعر؟

أعتذر عن التأخر في الرد. مشاغل لراسي كالعادة، وسفر من مكان إلى آخر، أعدّ عددا خاصّا ب (.....) بين العبرية والعربية. أعد لترجمة (أحد دواوينه)، وكتابٍ (آخر لروائي إفريقي) أقوم بمراجعته عن العربية وسيصدر في (....) قريبا. انتهيت من العمل على أنتولوجيا القصة العربية المعاصرة بين العبرية والعربية وسيصدر قريبا أيضا.

التحرير الأدبيّ من أجمل ما قمتُ به على مدار الأعوام الثلاثة الأخيرة. الظلّ أحيانا أفضلُ من صاحبه، ولا أظنّ أنّ مهنة التحرير هي مهنة خادم بقدر ما هي ذكاء وسلطة معرفيّة، وإلا فما حاجتهم إليك إن لم يكن لديك ما لا يستطع آخرون القيام به. مهنة التحرير الأدبي مهنة يعيش منها البعض. أما عندنا للأسف لا تزال الطريق طويلة لنعترف بها مهنة.

حالي في مجال النّشر حال الإيثاريّ المستغني. فأنا أمتلك وظيفتي الأكاديمية ولا أحتاج إلى عملية التفاوض مع الناشرين، لهذا أختار وأتفاوض بطريقتي وبحريّة مطلقة، وأبني سلطتي بطريقتي. النشر العربيّ فيه شيء من المذلة والمهانة وأنت ترى نفسك تركضُ وتُرفض. لهذا فأنا لا أعوّل على أحد، وأشعر أنّ هذا أيضاً جزء من درس الحريّة والتحرر الذي تعلّمته وما زلت أتعلّمه.

نحن نحبّ الأدب، أحياء فيه طبعا، لا نرزق منه رزقًا أساسياً، مؤكّد. ولا أستطيع إلا أن أنظر إلى الناشرين بوصفهم "لوبسترات".

شكرا فراس

دمت بخير.

ر. غ

الأربعاء 2021/6/2

أسعد الله كل أوقاتك، للمرة الثانية أكتب لك من مكتبي، ثمّة ما يجعلني أشعر بالقرب منك أكثر وأنا في مكتبي، لا يقطع خلوتي بك إلا بعض الزائرين، من الزملاء العابرين أو المراسلين الذين

يغدقون علينا أحياناً، وحسب المزاج، كاسات من الشاي والقهوة والزهورات. على كلّ إنه لأمر جيد أن يستمر هذا الوضع.

نحن الآن على أبواب عطلة صيفية قصيرة، وأقصر من أي عام مضى، تبدأ من مساء يوم 6/15 وتنتهي صباح يوم 2021/8/1، هذا يعني من ناحية وظيفية الاستعداد لإنهاء العام الدراسي، وإكمال المهمات الإشرافية فيما يخصّ زيارات المعلمين، والشروع في أنكد حلقة من حلقات العمل، وهي تقويم المعلمين وتقييمهم، لتبدأ بعدها أعمال الثانوية العامة، لا أستطيع المشاركة في أعمال التصحيح كلها، فحسب التعليمات كل من له قريب مباشر لا يعمل في هذا الموسم. إذاً سيكون أمامي وقت طويل أقضيه في المكتب، لا عمل حقيقاً للمشرفين في العطلة الصيفية. في العادة أقضيه بالقراءة بعد إقفال كل ما يجب عليّ لإنهاء العمل من إحصائيات وتقارير ومتابعة نتائج الطلاب.

من أسوأ المواقف التي مررت بها في العطلة الصيفية وها هي العطلة الخامسة التي لا أشترك فيها في أعمال الثانوية العامة، هو أن المسؤول المباشر يكره أن يرى أحدنا يقرأ في كتاب، إنها تولد لديه حقدا ما، أو غيرة، لا أدري. إنه يفضل أن ينشغل الموظفون على اليوتيوب وعلى الفسيبوك أفضل لديه من أن يحضر كتابا ويقرأ فيه. إلى الآن لا أدري لماذا؟ أحاول أن أفهم هذا التصرف ولكنني لا أجد تفسيرا، مهما كانت نوعية المسؤول وادعائه أنه مثقف ويقرأ الكتب. إلا أنه لا يحبذ لك أن تقرأ. إنه على العموم يفهم كلمة "المثقف" فهما خاطئا جداً.

الفراغ قاتل، ويولد الملل، لكنني لا أملّ بسبب هذين النهرين المتجددين: القراءة أو الكتابة. أنا بطبيعتي أحب هذا كله، ولا أملّ منه. عطلة المدارس الصيفية فرصة كبيرة لمراجعة ما تم خلال هذا العام، من إخلالات ومن منغصات ومن سوء فهم، بينك وبين الزملاء وبينك وبين نفسك.

عدا هذا لقد أعددت للعطلة القادمة برنامجاً جيداً، سأعمل عليه بحب وصبر ومثابرة، سأتجه فيه نحو بناء كتب جديدة ومراجعتها، ثمة مخطوطات كثيرة في جعبتي، أشعر أنني أسابق الزمن من أجل إتمامها. أفكر فيها طوال الوقت؛ هب أنني متّ فجأة من يقوم بإتمام هذه المهمة؟

ليس لديّ أبناء وبنات مهيأون للقيام بهذا، أولادي مشاغلهم مختلفة، لا يحبونني كاتباً على ما أظن، لم يقرؤوا لي، ولم يناقشني أحدهم يوما بما كتبت أو عبّر عن إعجابه بي أو الافتخار بي كوني كاتباً. ابني الصغير، طفل ذو عشر سنوات عندما امتلك هاتفاً ذكيا اكتشف اكتشافا مذهلاً: "بابا إنت مشهور؟"، ضحكت عندما سألني السؤال، كيف يفكر بهذا وما الذي دفعه ليقول ذلك. وبعد حوار قصير، حتى لا أفسد عليه ولا يفسد على نفسه ألعابه. عرفت أنه صادف لي صورا على جوجل!

إنه اكتشاف أفرحني، ابني يعرف للمرة الأولى، صدفة، أنني مشهور! أو هكذا يتصور أن كل من له صور على جوجل سيكون مشهورا حتماً. شرحت له المسألة، وأن الشهرة ليست كما تظنّ، ولا

أدري هل أدركها أم لا. منذ ذلك الحين إلى الآن لم يراجعني بشهرتي المزعومة. كيف يرى ابني الصغير "عصوم" أنني كاتب أو شاعر أو حتى مشرف تربوي، فأنا لا أزور مدرسته التي هو فيها، لا بصفتي وليّ أمر، ولا بصفتي الوظيفية. فوضعه في المدرسة جيد، سلوكاً وتعليمياً، وأظنه لا يكره المدرسة الكره الذي يجعله ينفر منها ولا ينهض مبكّرا صباحا، يستعدّ ليوم الدراسي كما ينبغي. إنه نشيط جدا، وينهض باكراً ويتناول فطوره ويستعد استعداداً كاملاً.

على كلّ سرقني هذا الحديث مما كنت أرغب في الحديث فيه. سأؤجل الحديث في ذلك الأمر لمرّة قادمة، حتى لا أفسد هذه الرسالة بإطالتها. أسعدني جدا أنك تقرئين الرسائل، وتردين عليها. هذا له أثر كبير جدا عليّ، ولا أخفيك سراً أنني أكون منتظراً رسالتك بلهفة حتى أقرأ الجانب المقابل من لغتي وفكري بلغتك وفكرك.

دمت ودام وهج قلبك المحب، وإلى لقاء قريب.

الخميس: 2021/6/3

سلاما يا شاعر.

شكر للرسالة.

كما يقول بوكوفسكي "أنا عبقري ولا أحد يعرف ذلك سواي"، وربّما هذا أجمل ما في الكتابة "إذا بُليتم فاستتروا".

أجملُ ما في عملي أنا كمترجمة وناقدة، أن لا أحد من طرفي يعرفُ تفاصيل عن مهنتي وعملي. هذا يتيحُ لي مساحة للمناورة واللعب دون أن أقعَ في سجال وجدال الأخلاقيّ والتربويّ. أنا من كارهي السجالات، صرتُ مقلّةً في الكلام، لأنّي طافحةٌ بأفكار الآخرين. وهذا يقزّم التلفّظ أمام هالة صمت القراءة وصمت الكتابة.

لعنة أن تكون في الوعي، ونعمة أن تسقط فيه. لا نستطيع بدون الوحدة ولا نقدر عليها.

لماذا لم يعد إليك ابنك بعدها؟ سؤال جيّد. لديّ إجابات متعددة له.

ر. غ

الرد:

لا أدري، ولكن أغلب الظن أن عالمي لا يستهويه وليس معنيا به، باختصار، لا يقع ضمن تصوراته واهتماماته، قرأت له ما كتبته عنه، ضحك قليلا ثم مضى لشأنه، فابن الجيران ينتظره على حافة أخرى من العالم ليلعبا الببجي.

دمت وسلمت

ف. ح

الجمعة: 2021/6/4

صباحك كل شيء جميل يا أحلى كلّ شيء جميل، يا لكلك ما أجملك! لعلك تعلمين أنني مفتون بك، فتنة مركبة، فتنة شهوة لا تطال، وفتنة علم، وفتنة روح وجمال، فما الذي يجعل المرء أسير الصور سوى الحب والاشتياق؟ إنني كلَّ الوقتِ مشتاقُ. وعندما لا أقول ذلك أكون قد كتمت اضطرابي واضطرامي بك. تأتي صورتك هذا الصباح أجمل وأشهى من كل ما عداها. ربما لأنني منذ زمن لم أشاهد لك صورة، إني متعلق بالصور إلى حد الهوس، على كل هذه مشكلة قديمة لا حل لها على ما يبدو، وقد جمعت لك العديد منها في ذاكرة الجوال والحاسوب معا، فلا امرأة أجمل منك. كل شيء يبدو فيك رائقا متسقا جميلا بهياً. هل أمدح أم أتغزل أم أتشهى؟ إنني كل هذا وأكثر.

هذا الجمال البهيّ يلعب في الشاعر فيّ شمالاً وجنوباً ويؤرجحني على حدين من شوق وحب. إنه يجعل شيطان الشعر، إن كان للشعر شياطين، حاضراً، شرهاً مثلي تماماً، فيأخذ من لغتي ما يأخذه من اقتباسات الشهوة في حضورك "المتحرش" بي حد الجنون. لا بدّ إذاً من حضور الشعر في هذا الصباح المميز ببسمتك اللطيفة وعينيك الرائعتين، وشعرك الكستنائي وذراعك الأسمر الشهيّ. يا لهذا! هل تعتقدين أنني أستطيع المرور عنه مرور الكرام دون أن أحط الرحال متأملاً متشهيا، متمنياً. يا لهذا العذاب أيضاً أن تتمنى شيئا لا يمكن أن تطوله يداك!

هِيَ حَبَّةُ الْكَرَزِ الشَّهِيَّةِ

في الشِّفاهِ

يسيلُ مِنْ بَسَماتِها

الطعْم اللذيذْ

هِيَ ما تَكَوَّرَ في الْأَقاحي

وَما تَعَتَّقَ مِنْ نَبيذْ

هِيَ حُرْقَةُ الشَّوْقِ الْمُميتِ

كَلَحْمِ طَيْرٍ مِمّا يَشْتَهي

"القلبُ" الْحَنيذْ

إن قلبي حنيذ، بل إن كلي حنيذ. لك أن تتصوري ما أنا فيه من غليان الشهوة في هذا الصباح. فيا ليتنا نلتقي، فلا شيء يطفئ النار المشتعلة غير الانغماس في هذا البحر اللجّيّ، غرقاً فيك حتى ينتهي مني ومنك كل شيء!

أتمنى ألا تطول المسافة بيننا، ويطول وقت الانتظار أيتها الشهية والحبيبة والمجيدة والعلية، يا قمراً يضيء ولا ينطفئ.

أحبّك رغماً عمّا يعوق كل هذا الوهم! والمشتاق لوحشية قبلتك التي تلتهم شفتيّ في ميعاد ما. هل يحدث ونفعلها؟ يا ليت! وهل تنفعنا هذه "الليت"؟

إلى اللقاء أيتها الغنيّة بشهوة الجنون المتقدّ!

ملاحظة عابرة: لقد أعجبني ردك أمس على الرسالة.

الجمعة: 2021/6/4

صباحك عسل

حبيب قلبي فراس. هذا الذي أعشقه بفراس وكتاباته رسائل فيها بوح من أنفاسك المعسولة، صورتك وجهك كانت في مخيلتي طوال الليل؛ أنت جزء مني، وأنا جزء منك.

كم أشتاق لرسائلك، وأقرأها والابتسامة لا تفارق وجهي، وكم يسعدني أن تكتب هذا النوع من الرسائل، رسائلِ الحب والشوق. قلبي مفتون برسالتك.

إ. س

الاثنين: 2021/6/7

أسعدت أوقاتاً أيتها الجميلة، لا شك في أنني رجل محظوظ في أن يكون لي حبيبة مثلك، أكتب فتقرأ، وتكتب لي ردودها. أسعدني جدا حديثنا هذا اليوم، كان حديثا شهيا، ألم تنتبهي أنني خاطبتك بحبيبتي مرات كثيرة، لم أكن أحب أن ينتهي الحديث بيننا، لقد منحتني القوة، وشعرت أنني حكيم عصري، تنزلت عليّ الحكمة في آخر مكالمتنا، إنني معك أربي الأمل وأرعاه وأرقبه، فالحياة تستحق أن تعاش، وأن نسير معها إلى أقصى مدى ممكن، كم كنت أتوق لو كنت بقربي، لقبلتك تسعا وتسعين قبلة، وواحدة أخرى على مهل وتؤدة حتى ترتوي خلاياي وخلاياك من كل متعة ممكنة.

لقد شغلني عنك أمس مشاغل كثيرة، اليوم كان مزدحما، نشاط المنتدى في مقر الوزارة في مدينة رام الله، ورؤية الأصدقاء، والذهاب إلى مكتبة الرعاة لرؤية العم (أبو إبراهيم) نقولا عقل وهو ناشر

كتابي المرتقب "استعادة غسان كنفاني". ما زال الناشر ينتظر تجهيزات الفهرسة في المكتبة الوطنية، وعدني العم نقولا أن يكتب تظهيرا على الكتاب. وها أنا أنتظر.

على الرغم من أن يومنا أمس كان جميلا، لأننا شعرنا جميعا نحن أعضاء المنتدى أننا نقدم خدمة إنسانية ووطنية وثقافية للكتاب الأسرى. كنت بالفعل منتشياً لنجاح الفعالية، ولكن وزارة الثقافة كعادتها تعض اليد التي تُمد إليها، تصوري أنهم لم يذكرونا بالخبر الذي أعدوه عن النشاط لا من قريب ولا من بعيد، وكل العمل قامت به رئيسة المنتدى من الإعداد وحتى التنفيذ الأخير وفرز النتائج، تأتي الوزارة وتقطف العمل هكذا ببساطة وتركلنا من الملعب، كأنها أحد البلطجية الذي كانوا يزعجوننا ونحن أطفال، فيستولون على ألعابنا وملعبنا بعد أن نكون قد خططناه ومهدناه للعب، هم يأتون في المرحلة الأخيرة، وكذلك فعلت معنا الوزارة الشيء نفسه، أتت في المرحلة الأخيرة، فترة الإعلام والتصوير، ونسبت العمل لها وكأننا لا شيء. لكننا نرفض ونحن عنيدون جدا أن نكون حطبا لأي وزارة كانت، وسيرون منا ما لا يسرهم ويسعدنا ويسعدك ويسعد كل أصدقائنا بكل تأكيد، ويضع النقاط على الحروف، وينهي هذه المهزلة والبلطجة الثقافية.

على كل حال، لم تكن هذه هي المرة الأولى، وأظن أنها لن تكون الأخيرة، فالحكومة والوزارات عندنا أصبحت طفيليات تعتاش على تعب الناس وعرقهم، في السياسة وفي الثقافة وفي كل أمر. فمخطئ جدا من ظنّ أن للثعلب دينا، أو أن للحكومة والوزارات والوزراء صاحباً.

لا عليك، كان يوماً جميلا، حتى وأنا أحاول أن أتناسى هذا الهم عند احتضاره إلا أنني سعيد جدا، بما أنجزه، أخبرك أن لي في المطبعة كتاباً جديدا سيصدر عن دار الفاروق في نابلس أسميته "لا شيء يعدل أن تكون حرا". جمعت فيه كل الشهادات التي كتبتها حول كتاب "نسوة في المدينة"، والقراءات النقدية التي قدمها الكتاب والكاتبات فيه، وبطبيعة الحال سيكون مقالك في هذا الكتاب، بالإضافة إلى فصل يضم مجموعة من النصوص ذات اتصال بكتاب نسوة في المدينة، بعضها سقط سهوا والآخر عمدا. أظن أن الكتاب جيد في فكرته فقد جعلته تحت عنوان عام "في تأمل تجربة الكتابة". وهذا الكتاب أول تلك الكتب.

سيكون في نهاية هذا الشهر توقيع للكتاب ومناقشته في الخليل، لقد أحببت أن أكرّم الكتّاب الذي كتبوا لي وأكرّم كتابي بهذه الطريقة من الاحتفاء، بحيث جعلت له كتابا رديفاً يضيئه، بما يشبه الهامش الذي يعرّف بالمتن. وسيكون حاضرا معي جنبا إلى جنب في حفل الإطلاق والتوقيع.

هذا مشروع كبير موازٍ لمشروع الكتابة ذاتها، أرجو أن أستطيع إتمامه على ما أتصوره. يشمل هذا المشروع عدة كتب، وها هو هذا الكتاب أولها. فلا بد من أن يتأمل الكاتب كتاباته، وأن ينظر إلى نفسه بعين القراء والنقاد والكتاب الآخرين.

لا ينتهى حديث الكتابة أيتها الحبيبة، آمل أن تكوني قد قطعت شوطاً في عملك الجديد، وآمل أن أراه وأطلع عليه، فقد شوقتني له كثيراً، ومنتظرا بشوق لقراءته، فلا يكفي الحديث عنه بعمومية الأفكار. أرجو ألا تطيلي عليّ به.

كوني على ثقة أننا سنلتقي ولن ينقطع هذا الأمل ما دمنا أحياء، إنني أنظر بعين قلبي فأرانا وقد شفي الغليل من الغليل، وتمتع الحبيب بالحبيب فكان الوصال، وابتسمت لك الحياة وابتسمت لي، وتألق وجهك نورا مشعا ونحن نسكر من لذة الحبّ.

حتى نلتقي لك مني كل الحب.

الاثنين: 2021/6/7

مساء النور فراس،

أتمناك بخير. أعتذر عن عدم الرد، والله مشاغل كثيرة هذه الأيام وسفر على الطريق، بالكاد أفتح بريدي.

شكراً لرسالتك، سعيدة جداً بالأخبار الجميلة. أرجو أن تذكّرني بمقالة لي كتبتها عن كتاب نسوة في المدينة، لا أذكر أنني كتبتُ مقالة، أرجو أن ترسلها، ربّما ملاحظات أو رأي عابر. إن كنتَ سترفق شيئًا فأتمنى أن يكون رأيا مؤطرا في شكل واضح اسمه مقالة.

أشدّ على يدك، رائع ما تفعل. الحديث عن وزارة الثقافة حديث شرحه يطول ولا حلّ له.

أحاول هذه الأيام أن أصلَ إلى حقوق ترجمة غسّان كنفاني. أسمعتَ لو ناديتَ حيًا. يقولون الحقوق مع زوجته، وزوجته لا تردّ. أيُعقل أن يكون إرث أكبر وأهم كاتب فلسطينيّ في يد مجهولة؟ أين دور وزارة الثقافة؟ كلّما أردنا أن نصلَ إلى حقوق كبار كتابنا غصنا في دوائر لا طائل تحتها.

على كل، لنا حديث في هذا الشأن وشؤون أخرى.

رسالتاكَ الأخيرتان جميلتان ومعبّرتان وفيهما قوّة وشرارة وأمل.

دمت بألف خير

ر. غ

الرد:

يسعد مساك يا جميلتي.

كنت أحب أن أسمع ردك في تلك الرسالة التي وصفت أثرك فيّ. الصورة التي وضعتها في القصة (الستوري) أنت تعلمين كم أتلذذ بالنظر إليك. فأنت لست جميلة وحسب، وإنما لديك جاذبية لا تقاوم.

بخصوص ما ذكرت من أمر المقال، هو اقتباس منك عندما ترجمتِ رسالة أيروتيكية فاستشهدت بها. جاء الأمر كأنها مقال أعتذر عن هذا.

خصصي لي وقتا لأراك في وقت قريب.

ف. ح

الجمعة: 2021/6/11

غاليتي الجميلة أسعدت أوقاتاً وفرحاً وحبّاً، أرجو أن تكوني بخير، وأن تجدي فرصة لتقرئيني وتكتبي لي. أعرف مشاغلك وما أنت فيه، وسأكون سعيدا جدا عندما أقرأ شيئا منك ولو كان سطرا واحداً. أشتقت إليك جدا، منذ مدة طويلة لم أشاهد لك صورا جديدة، هل ستسعديني ببعض الصور؟

منشغل أنا كذلك هذه الأيام، لقد عدت إلى العمل على النشاطات الثقافية مع منتدى المنارة، أنشطة كثيرة قادمة، كبيرة بحاجة إلى إعداد وتخطيط جيدين مع رئيسة المنتدى الدكتورة لينا، الأمور تسير بشكل جيد واعتيادي وسلس، وها نحن نعمل، على أمل أن نستضيفك يوما في موضوع ضمن اختصاصك، وأود أن يكون لنا نشاط حول الترجمة، أفكر منذ مدة بعمل فعاليات حول الترجمة. كنت قد كتبت حول هذه الفكرة، ولكنني لست مترجماً. أعتقد أن سيكون لقاء مفيدا. ربما عملنا على ذلك في اليوم العالمي للترجمة.
وعلى سيرة الترجمة، طُلب مني للمرة الثالثة ترجمة بعض نصوصي إلى اللغة الإنجليزية لتنشر في مجلات أجنبية، أرسلت دواويني إلى زميلة في الإشراف التربوي لتختار هي النصوص لترجمتها، لم أرد أن أفرض عليها نصوصا معينة، فأنا أومن بالترجمة عن حب وقناعة، وليس بطريقة ميكانيكية. لعلها تترجم لي ثلاثة نصوص على الأقل، للنشر في تلك المجلات. فهل يا ترى سأصبح مقروءا في لغة غير اللغة العربية؟ ثمة ترجمة أخرى قادمة إن حالفني الحظ لقصة قصيرة جدا، ضمن كتاب يضم قصصا عربية تترجمها إلى الإنجليزية الكاتبة والشاعرة السورية هند زيتوني. لعلّ تلك القصة تجد طريقها إلى الكتاب. لم تعد تذكر لي هند أين وصل العمل، لكنها تقول لي بين الحين والآخر أنها تعمل على الكتاب[1].

[1] أعلنت الكاتبة هند زيتوني على صفحتها في الفيسبوك بتاريخ: 2023/11/20 أن القصص القصيرة جدا صدرت في كتاب واحد عن دار الدراويش في بلوفديف، بلغاريا، مترجمة إلى اللغتين الإنجليزية قامت بها هي، وأخرى باللغة الفرنسية بترجمة الشاعر محمد العرجوني. ولم ينجح الأمر لتكون مشاركتي ضمن هذه القصص.

قاربنا على انتهاء العام الدراسي، وسأكون في رام الله الأسبوع القادم أيضاً للتنسيق حول فعاليات ثقافية نقيمها هناك. أكتب كثيرا هذه الأيام. اليوم سيكون هناك ندوة عبر الزوم لمناقشة "أفاق العمل الثقافي في الضفة الغربية"، لم أرض كثيرا عن هذا التعبير "الضفة الغربية"، ماذا على المنظمين لو قالوا فلسطين، كل فلسطين. على أي حال الموضوع مفتوح ومتشعب وآمل أن تتاح لي الفرصة فأقول ما لديّ.

لعلّك اطلعتِ على مقالتي الأخيرة حول الناقد وليد أبو بكر وشعره، ولا شك في أن لديك ما تقولينه حول هذا. أبلغيني شيئا عن ذلك لو أحببت أن توضحي بعض الجوانب. لقد أثني الدكتور عادل الأسطة على المقال، ولكنني نسيت- كما قال- أن أذكر راشد حسين ضمن شعراء فلسطين الذين ظلموا بسبب وهج درويش الشعري. أتذكر الآن ما قاله درويش عن راشد حسين: "أنا جزء من راشد وراشد جزء مني، فادفنونا وانهضوا، انهضوا إلى نشيد الحرية، نشيد الوطن، نشيد الفلسطيني العائد".
منذ مدة طويلة أنتظر نشر مقالة لي حول رواية "مأساة كاتب القصة"، المقال طويل، يقترب من ثلاثة آلاف كلمة، يطلب مني المحرر الثقافي للجريدة اختصار المقال وتكثيفة إلى ألف كلمة. كيف أختصر مقالا، وأكثفه، فأتخلص من ثلثيه؟ إنها مشكلة. الصحف الورقية مساحتها محدودة، وقد سبب لي هذا إرباكا وأنا أكتب أحياناً. المحرر الثقافي في الرأي الأردنية كذلك لا يحبذ المقالات الطويلة. يواظب الدكتور عادل الأسطة منذ مدة على إنهاء مقاله الأسبوعي في جريدة الأيام: "المساحة محدودة والكتابة تطول". الجملة الخاتمة فيها نوع من الاعتراض المبطن والشكوى من تقنيات الصحف التي تحدّ من الإسهاب والإيضاح اللازمين في أحيانٍ كثيرة. لذلك أنتظر طويلا حتى تتاح لي فرصة النشر. المقالات الطويلة أصبحت على ما يبدو مشكلة. أشعر أحيانا أن كل شيء ضيق المساحة هذه الأيام، حتى الفضاء الإلكتروني ضيق ومزدحم. عليّ ألا أخضع عقلي الباطن لاحتياجات الصحف وتقنياتها. يرفض المحرر نشر المقال الطويل على حلقات أيضاً، لأنهم في إدارة الصحيفة توقفوا عن ذلك منذ مدة طويلة. جعلت المقال بين يدي المحرر ولم يحسم إلى الآن، لعله سيفاجئني قريباً فينشر المقال.

غير هذا وذاك، هناك من يعمل على كتاب خاص "أنتولوجيا" شعرية من جزءين لتضم قصائد عن القدس، هكذا يخبرني الصديق حسن عبادي، يرسل إليّ رسالة بهذا الخصوص. لقد تفاجأ حسن أن لي قصائد عن القدس، كل ظنّه- ربما- أنني لا أكتب شعراً إلا في النساء والأيروتيك. إن شأني مع القدس كأي شاعر عربي وفلسطينيّ، فلم يوجد شاعر لم يكتب عن القدس، الكل كتب ويكتب وسيظلون يكتبون عن القدس، بل ربما القدس هي امرأة الشاعر الفلسطيني الأقرب إلى النفس والوجدان، أنا اكتشفت أنني كتبت عن القدس نصوصا شعرية كثيرة، أكثر من 20 صفحة في قصائد متنوعة. إنه كمٌّ يصل إلى حجم "ديوان صغير". مع أنني أتجنب الحديث عن السياسة في الشعر. هناك دراسات كثيرة عن حضور القدس في الشعر الفلسطيني والعربي وتعتبر كشّافا مهما لفريق الإعداد الذين يبحثون عن الشعراء وعن القصائد "القدسية". العمل مسبوق بطبيعة الحال، فقد كان هناك أنتولوجيات عن فلسطين كثيرة، ولعل أهمها "ديوان الفرقان" الذي أعده

مؤلفه "د. أسامة الأشقر" عام 2009 ليجمع قصائد كتبت عن غزة، وكان لي حظ أن يكون لي فيه قصيدة. والعمل المخصص لجمع قصائد الشهيد محمد الدرة، وهو على ما أظن من جزأين. مأساتنا على ما يبدو ملهما شعرياً مكتنزاً. يا للمفارقة يا عزيزتي! الناس تموت والشاعر يكتب شعرا جيدا، يا للسخرية ما أمرّ مذاقها!

ما زلت أنتظر خروج الكتابين من المطبعة "استعادة غسان كنفاني"، لم تنته الدار بعدُ من إتمام الغلاف، أما كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حرا" سيكون بين يديّ آخر الأسبوع القادم أو مطلع الأسبوع الذي يليه على أبعد تقدير.
هذا يا الحبيبة ملخص لانشغالاتي وانتظاراتي القادمة. ما أجمل لو تأتين إليّ يوماً فأستضيفك في نابلس! لن أعرّفك عليها، وما زلت أذكر قولتك البعيدة: "لا تتعامل معي كمرشد سياحي يا فراس أنا بعرف نابلس أكثر منك". يا ليتك تأتين وأنا سائحك المشتاق، وأنت أنت الدليل السياحي والعاطفيّ.
بانتظارك بلهفة كل المحبين. اعتني بنفسك جيدا ولا ترهقيها بالعمل. قبلة لشفتيك الناعمتين اللذيذتين. وكلي شوق لردكّ وصورتك. أحبّك.

الجمعة: 2021/6/11

يسعد مساك فراس،

أرجو أن تكون بخير هذه الأيام.

أعتذر عن التأخر في الرّد، لانشغالات بركانيّة متفجّرة يوميًا. فترة غريبة عجيبة لن أنساها في حياتي.

نعم قرأت مقالتك عن وليد أبو بكر، مقالة جيّدة وتأملات جميلة. ربّما يحتاج إلى تفسير وتأمل أكبر في مفهوم "هجران" الكتابة، أو الهجران عمومًا، الجرح النرجسي الذي يصيب الكاتب وهو يتنقّل بين أجناس الكتابة ولا يجد نفسه ملكًا في أي منها، فيختار، ربما طوعًا وربّما قسراً، أن يكونوا فيها دونًا عن غيرها. ربما، الأفضل أن نسأل الكاتب عن اختياره ونترك المجال للتأملات والتكهنات حول الأنا الجريحة.

بالمناسبة يصادف يوم 8.7 ذكرى اغتيال كنفاني، وربّما حان الوقت للحفر عميقًا في عمق هذه الشخصية الكاتبة. لم أر حتى الآن مقالة واحدة تتجرأ على تناوله بشيء من الدنيوية، كل المقالات تأتيه من كل الجهات وتثبّت صورة القدّيس. أحب كنفاني كثيراً، وأحب فارس فارس، وقد انتهيت منذ أيام فقط من قراءة فارس فارس.

وربّما بدأت تتخمّر فكرة لمقالة قادمة حوله كنفاني.

شكراً جزيلا لك،

وكم من شهيدٍ في الكتابة الفلسطينيّة لم يوف حقّه...

(الصّور قصّة مزاج وحالة تأمّل وعفويّة).

ليلة سعيدة

ر. غ

السبت: 2021/6/12

أسعدت أوقاتاً، لقد أصبحت مشتاقاً إليك جداً، ولا أدري متى تطفئين حر هذا الشوق، كنت متأملاً ألا تخضعيني للمزاج والعفوية في طلب الصورة. لكن لا بأس، فكلك بكامل تجليك المجنون مطبوعة في ذاكرتي وقلبي.

لا جديد لأخبرك فيه، عدا أمر هذا القلب، هي الرغبة فقط في احتضانك، ما تدفعني دوما للكتابة إليك. فلست أملّ من الكتابة إليك مطلقاً، أحسّ أنك معي ونتحدث سوياً كلما كتبت لك.

بالنسبة للشهيد غسان كنفاني، وما أشرت إليه من مقالات كتاب "فارس فارس"، بعثت لك رابطا للمقال الذي كتبته حول شخصية كنفاني النقدية، آمل أن يكون مقالاً جيدا من وجهة نظر نقدية وميتانقدية. باعتقادي نحن بحاجة كبيرة إلى هذا النوع من النقد. لكن النقاد يخذلون القراء في أحيانٍ كثيرة.

دمت بخير، راجياً أن تكتبي لي حول المقال، فأنا أحبّ تقييمك، وأثق بوجهة نظرك، لم تصلني النسخة المعدلة من الكتاب بعد، حالما تصلني أحولها مباشرة، الكتاب لا يتجاوز (192) صفحة، أرجو أن يصلني قريباً، أبلغني أمس الصديق حسن عبادي أن الكتاب جاهز في نسخته الإلكترونية بناء على رسالة من نقولا إلى حسن.

أدعو الله أن تأتيك المزاجية العالية في تجليها، لتفيضي بها نورا بصورة تشملني بجنون لذتها.

أحبك.

الثلاثاء: 2021/6/14

أسعدت أوقاتاً، أرجو أن تكوني بخير، وأن تتقبلي هذا العزاء الخجول الذي جاء متأخراً. لن أكون "شيخاً" ولا "واعظاً"، فالموت لا بد منه، طال العمر أم قصر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عاش اليوم، سيموت غدا أو بعد غدٍ. فلست أثق في هذه الحياة مطلقاً، فلا تتأسفي، وعلينا أن نستمرّ، فالحياة مع كل ما فيها من غموض، تستحق أن تعاش.

في الحقيقة، يا عزيزتي، لا أحب أن أكتب عن الموت، بل إنني أنساه وأتناساه على الرغم من أنني أراه يومياً من حولي، في جيراني وأهل بلدتي ومعارفي، لم أعد أحفل بالموت لا من قريب ولا من بعيد، فليأت في أي وقت، وليأخذ من شاء، فمن كانت آخرته التراب فله التراب وحسب، فلا معنى

لأن نفكر كثيرا بتفاصيل الحياة، وهمومها، كل حي منا، يؤدي دورا مرسوماً له، وعندما ينتهي دوره، ينزل عن خشبة المسرح، ويأتي غيره من الممثلين، فلا بقاء إلا للخشبة، أما الممثلون فكلهم راحلون.

وما دمت أتحدث عن الموت، فها هو سعدي يوسف قد مات. أنا لا أحب سعدي يوسف إطلاقاً، لا شاعراً ولا إنساناً ولا مثقفاً. كان منذ سنوات صديقا على الفيسبوك، أنا من بادرت بإضافته بطبيعة الحال، كان جلفاً، مغروراً، يريد أن يقرأه الآخرون، ولا يحفل بغيره، كلنا بالنسبة إليه كائنات تعتاش على مخلفات أفكاره التي لم تعد تنفع. حذفته من قائمة الأصدقاء، لأنني أكره الغرور، وأكره العنجهية. وهذه العنجهية ليست تخصه وحده، بل كل من نقول عنهم إنهم "كبار" هم في الحقيقة متعالون، درويش كان مثله وأكثر، لم أحب من هؤلاء إلا سميح القاسم، كان دائما الحضور مع الناس ومع الشباب، تستطيع أن تتحدث معه وتبادله الأفكار، يقرأ لك، ويشجعك. لم ألتق سميحا، لكنني أحببته من سيرته على لسان معارفه، ولم ألتق أيضا بمحمود درويش، لكنني كرهت فيه عنجهيته من خلال معارفه، أحب درويش شاعرا ولغة، وأكرهه شخصا، كالمتنبي تماماً، أكرهه لتعاليه، وأحبه لتغنيه الشعري الجمالي الباهر.

حدثني يا عزيزتي أحد الناشرين أن شاعرا مرموقاً لم يتقبل هديته وكانت كتابا شعريا لشاعر شاب، تصفح الشاعر المرموق الكتاب، ورماه أرضاً، وقال: هذا ليس شعرا. لاحظي العنجهية والغرور، لم يحترم الناشر أولا، ولم يحترم الكتاب ككتاب ثانياً، ولم يتعامل بلطف ثالثاً. هذا الصنف من الشعراء لو كان يقول قرآنا معجزا لا أعترف بشاعريته. الشاعر أخلاق وسلوك راقٍ أولا قبل أن يكون فنان لغة. سعدي كان من هؤلاء إضافة إلى أن سعدي تطور إلى رتبة "شاعر رديء" في آخر حياته الشعرية، صار يهذي. لم يعد شاعرا جديرا بالقراءة، لولا أن "شلته" من الشعراء أمثاله يصفقون له ويمدحونه. بالإضافة إلى أنني كرهت هذا الشخص لأمر مهم بالنسبة لي، ليس لأنه شيوعي أو يساريّ، فأنا أحب الشيوعيين واليساريين، وأحترم مناقشاتهم العقلية وإن اختلفت معهم. سعدي بذيء وليس مفكراً، أهان بكلام يقول عنه مؤبنوه أنه "شعر" شخصية عائشة زوجة النبي محمد ﷺ، لقد قلّ أدبه كثيرا، ولم يناقش المسألة فكريا أو عقديا، وإنما قال كلاما مبتذلا في حقها وحق الرسول الكريم. إنه سيئ بدرجة السفاهة والسفالة.

لا تظني أنني أحمل أفكار إرهابية منغلقة، لكنني أحب النبيّ محمدا- عليه الصلاة والسلام- حبا جما والله، وأكره كل من يرميه بسوء، أو أن يتحدث عنه بحديث غير منطقي وغير موزون وأمقت كل من شتمه وسبه، المفكرون العظماء حتى من الملحدين والشيوعيين، لا يشتمون ولا يبتذلون في القول إنما يسردون الحديث بالبرهان كما يعتقدون، وهؤلاء أحب أن أقرأهم، لأنهم ينمّون عقلي، ويدربونني على سعة الأفق، والاختلاف بحبٍّ مع الآخرين، فالعالم ليس شكلا واحدا وليس فكرا

واحداً. أعدّ حاليا كتابا حول ظاهرة "شارلي أبيدو"[1] وتفاهة المثقفين والحكام العرب الذين تغنوا بالمستعمرين، ووقفوا إلى جانب الصحيفة وفرنسا الاستعمارية القذرة.

ماذا وجد محمود درويش الذي لا شيء يعجبه في سعدي يوسف ليعجب بشعره، وليكتب له قصيدة ويهديه إياها، أظن أن درويشاً فعل هذا[2]، لم أعد أتذكر هذا النص ولعله التبس عليّ وخانتني الذاكرة، لعله كتب له كما كتب لسليم بركات وللسياب ولغيرهم. أرجو أن تفيديني، لم أعثر على القصيدة، وربما وقعت في الخطأ وأنا لا أدري.

في كل الأحوال، لا أجد كبير حاجة للحديث كثيرا عن الأموات، والزمن كفيل بإثبات شعرهم ومواقفهم، لكنني مستغرب فقط من تسلق ظاهرة "الشاعر الكبير"، فقد تحولت حوائط الأصدقاء الفيسبوكية إلى ملطمة "تتشعبط" على أنفاس الموت.

العزيزة الغالية، أرجو أن تتجاوزي ما أنت فيه، أكاد أشعر بذلك الضيق الذي يكتنف روحك، ولو كنت أعلم ما هي ظروفك لهاتفتك. اكتبي لي أرجوك لأطمئنّ. قلبي وروحي معك. سلام.

الثلاثاء: 2021/6/15

تحية طيبة فراس،

أرجو أن تكون بخير.

شكرا لرسائلك. قرأتها اليوم فقط بعد انتهاء بيت عزاء الوالد.

انتهيت من استقبال المعزّين ودوشة بيت العزاء والكلام والثرثرة. الآن فقط أحاول أن أستوعب ما حصل. هناك أكاديميون ومحاضرون في الأدب يتّصلون بي يسألونني كيف مات غرقًا، وأنا أحاول أن أشرح أن نصّ "أجمل غريق في العالَم" هو نص لماركيز، وأن أبي مات نائماً، وأنا في زيارة لهم، وكنّا قد جلسنا وسهرنا وتعشينا معا وضحكنا. أفقت صباحا وتوجهت إلى غرفته لدعوته إلى الفطور معنا فكان بلا روح.

ربما هو ألم الفقدان مرتين، مرة قبل عامين مع وفاة أخي البكر في الأربعين، وهذه المرة مع وفاة أبي في الستين. ونحن عائلة صغيرة جدا، ولم يعد هناك أحد تقريبا في البيت.

شكرا جزيلا لك،

سأتجاوز

دمت بخير،

[1] صدر الكتاب تحت عنوان "من قتل مدرّس التاريخ" عن دار الفاروق للثقافة والنشر.
[2] قصيدة فرس للغريب.

ر. غ

الخميس: 2021/6/17

شاعرتي الجميلة:

أسعدت أوقاتاً، وأرجو أن تكوني بخير، ما زلت أفتقد وجودك، وأشتاق لرؤيتك، فكلما طلع النهار أتذكرك، هذه حالة يبدو أنها ستستمر طويلاً. لا بأس سنظل على أمل، لعلنا وعسانا نلتقي يوماً.

ها نحن نستعدّ لعقد فعاليات ثقافية بمناسبة الذكرى الرابعة والخمسين لنكسة حزيران المشؤومة، ياه! كم من مناسبات مشؤومة في حياة الشعب الفلسطيني، منذ بلفور اللعين وحتى الآن، يعجز الإنسان عن حصرها. إننا شعب مبتلى بالمصائب. على كلٍّ سيكون هناك أمسية شعرية يوم السبت 2021/6/19، سأكون مشاركا فيها عريفا لها، ولكِ أن تتخيلي كيف يكون شاعرٌ عريف حفلٍ للشعراء. سيشارك شاعران وشاعرتان، آمل أن تكون ناجحة. يوم السبت القادم سيكون حافلاً منذ الصباح وحتى ما بعد العصر. وسيكون هناك حوالي (50) فناناً تشكيليا من الناصرة وأخواتها، مشاركين في رسم أحداث النكبتين المشؤومتين، يبدأون بعرض لوحاتهم منذ الحادية عشرة صباحاً.

من أخباري الخاصة الإيجابية؛ أنه ربما سيصدر لي ديوان شعر قريبا جدا، وهو ديوان "وشيء من سردٍ قليل"، وربما شاركت أيضاً بمؤتمر الرواية القادم الذي ستقيمه وزارة الثقافة في ذكرى استشهاد غسان كنفاني الشهر القادم. الأمور بشكل عام تبدو جيدة جداً، أعمل على ديوان جديد بعنوان "قصائد إلى صوفي"[1]. هذه آخر الأفكار والاحتمالات المستقبلية، ماذا عنكِ؟ أرجو أن تكوني قد تجاوزت الحالة، ورجعت إلى ممارسة الحياة والكتابة بشيء من الرضا والتسليم.

اقترب موعد إطلاق كتابي "نسوة في المدينة" سيكون في مدينة الخليل يوم السبت 2021/6/26، بتنظيم من نادي الندوة الثقافي، أرجو أن تتمكني من الحضور، فها أنا أدعوك برغبة شديدة أن تكوني مشاركة معي، بل يكفيني أن تكوني موجودة بيننا، سأكون سعيدا وأكثر. وربما كان اللقاء المرتقب في مكان لم يكن في الحسبان.

أعددت لإطلاق الكتاب كتابا آخر. أهم ما فيه شهادات إبداعية حول الكتاب والقراءات النقدية. يا لغباء أحد محرري المواقع الإخبارية؛ عدّل اسم الكتاب. تخيلي الفصاحة والكياسة والفراسة واللماحية، غيّر اسم الكتاب وحرره من جديد. غبيّ بكل تأكيد، يصبح اسم الكتاب "لا شيء يساوي الحرية" بدلا عن "لا شيء يعدِل أن تكون حرا". إنها حالة تذكرني بتلاعب الصحف والمواقع الإلكترونية عندما كنت أرسل المقالات، فيقومون بتعديل بعض العناوين؛ ربما رغبة منهم في عنوان لافت كما برر لي أحد هؤلاء. لكن تغيير اسم كتاب مطبوع إلى اسم آخر يودي

[1] صدرت القصائد في ديوان "على حافة الشعر ثمة عشق وثمة موت"، دار بدوي للنشر، ألمانيا، 2022.

بالكتاب وحضوره الإعلامي، أظنها ترقى لتكون جريمة أدبية، إنه تلاعب يخلو من حسن النوايا، إنه جهل مطبق.

أعتقد أنك واجهت مثل هذه المواقف في حياتك الأدبية، قد يحدث في حالة الترجمة كثيراً، فيتم تغيير عناوين الكتب في رحلتها من لغة إلى لغة أخرى. إنها الخيانة غير المحمودة في عالم الترجمة.

سررت برسالتك الأخيرة كثيراً، فكلما كتبتِ لي أزداد شوقا للكتابة، أحب ذلك منك، وتشعرني بأهمية أن أواظب على مراسلتك، لأن كل رسالة أكتبها تحمل في طياتها رداً محتملا إلى درجة اليقين. لا شيء أجمل عندي من أن تكتبي لي. لا تجعليني أنتظر طويلاً، رحمة بهذا القلب الذي يحبك دون حدّ.

بانتظارك متى وأين لا أدري. وحدك والظروف من يقرر هذا.

قبلاتي الحارّة لمبسمك اللطيف.

الجمعة: 2021/6/18

العزيز فراس،

أرجو أن تكون بخير.

شكرا للرسالة.

مبروك إنجازاتك الإيجابية، سعيدة بأنّك تنتج وتعمل وتنشط على الدوام، هذا مهم، إن لم يكن الأهم.

أعتقد أننا سنلتقي قريبا (ربّما في نهاية هذا الشّهر) سأحاول ألا أحدد لقاءات أخرى في نابلس. وسأستلم منك هداياك الأدبيّة.

اليوم، وجدتُ عنوانًا، أخيراً، لمجموعتي الشعريّة، بعد عناء طويل. ربّما الموت كان سببا في ذلك...

العنوان هو "......" بالنسبة للمجموعة الشعريّة.

دمت بخير

ر. غ

الجمعة: 2021/6/18

الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تقاوم، أسعدت أوقاتاً. ماذا تتوقعين أن يحدث عندما أرى صورتك وهي واصفة لكل هذا الجمال الذي لا يقاوم، يشعرني بالجوع إليك، كأنني لم أجرب النساء قط، ولم أتذوق لهنّ طعما قبل ذلك. لا تتخيلي سعادتي عندما أبرقت الصورة في وسط الشاشة، إنها فعل الجلاء والضياء. كيف لا أرى هذا الجمال ولا أشتاق إليكِ، يااااااااااه ما أجمل كل هذا البعيد عني والقريب إليّ!

أخشى أن تحولني الصور إلى مراهق متهور لا يبحث إلا عن متعة في النظر، أخشى أن أموت ولا أتذوق لك طعماً. يا لها من غصة ألا يتذوق الحبيب حبيبته! يا لها من مرارة ألا ينعما بلحظة من الوصل طويلة، لا تنتهي، ولا تبرد، ولا يخف بها الجنون.

بماذا حدثتك نفسك وأنت تطلقين هذه الصورة؟ كعادتك، ساهمة في البعيد، تبحثين عن مجهول بعيد، كأنك تقلّبين كتاب الكون بحثا عن المعنى. لا أدري كيف أفسر هذا الموقف. هل كان عفوياً كما قلت لي سابقاً، أراك في كل صورة أجمل وأشهى وألذ، إنك تفقدينني متعة السيطرة على نفسي وعلى لغتي، وترفعين درجة حرارتي وأصاب بالارتباك كأن لسعة من كهرباء ضربتني. أو أن مسّاً من الجنون تلبّسني.

كم أنت امرأة شهية، بعيدا عن حشري بقائمة "الذكور" والنسوية، في لحظة أنسى من أنا، وأرتدّ إلى طبيعتي الوحشية غير المهذبة، وأفكر في افتراسك دون أدنى رحمة. إنني مجنون في التفكير بك. لا أرعوي وغير مبالٍ، لا أرى إلا الشياطين تؤزّني أزّاً لأخذك دفعة واحدة دون مقدمات.

ماذا فعلت بي أيتها الشقية هذا المساء؟ إنك تحفرين في أم رأسي في عقر دماغي، أشعر أنه يوجعني من شدة الحضور السماوي الأرضي الوحشي الشبق. هل أنا شبق إلى هذا الحد؟ بالفعل لا أدري. أنا لا أشتهيك وحسب، بل لا أعرف إلا أن أشتهيك كل الوقت؛ ليلا ونهارا، فلا يكفّ العقل من استحضارك لتكوني متعتيه الأبديتين.

لن أطلب منك السماح ولا المغفرة، لكنني أطلب المزيد من النار التي تحرقنا معاً في سرير الشهوة الموعود. يا ليت أن ذلك يحدث يوماً، لتذوق كل خلية فيّ كل خليّة فيكِ، فأفرح فيك وأنتشي، وتبرق عيناك ويحمرّ وجهك ألقا من روعة الاختمار في لحظة الغرق الشهيّ.

اللغة تخون يا حبيبة عمري، أكتب إليك وكلي مشتاق، وبعضي يسابق بعضي للارتماء في حضنك، طفلا لا يبحث إلا عن الأمان هناك. الأمان في أن يحتويني قلبك وعقلك وجسمك، لأكونك وتكونيني. يا امرأة لا تُحدّ، ولا تُردّ، ولا ترتدّ إلا وهي السلطانة التي لها كل ما في هذا الكون يخدمها، ويقبل راحتها، ويتأمل اكتمال حضورها. يا لله كم أنت مذهلة وكم أنا ذاهل، تصيبني الرعشة بجنونها، ويصيبني الحب بدائه الذي لا يريد أن يبطئ عدوه في دمائي الفائرة.

أرجوك حاولي ألا تتأخري في اللقاء، والكتابة إليّ، ولا تمنعنّك هذه اللغة المجنونة من أن تمتّعيني بجمال لغتك على الأقل، فلم يعد لي صبر أصبره، وانعدمت المقاومة ورفعتُ الراية، فيا ليتك الآن هنا، ليكون لله قدره فينا يحبه لنا ويباركه.

قبلاتي المجنونة لكلك المبدع البديع.

الثلاثاء: 2021/6/22

أسعدت أوقاتاً، ومتّعك الله بالرضا وراحة البال. منذ ثلاثة أيام وأنا أحاول كتابة هذه الرسالة. لم أكن أستطع أن أنشئ لك رسالة جديدة، لا أدري ماذا حلّ بلغتي وألجم الأفكار. على كلّ ها أنا أحاول للمرة الخامسة. كم هي صعبة أحيانا الكتابة. لا بأس، سأحاول مرة أخرى لعلي أنجح. لقد كتبت ومحوت وتأففت، وانزعجت، كتبت أيضا على الورق فمزّقت وتألمت. شيء غريب أصاب لغتي بالشلل التام. ربما يحدث معك هذا أليس كذلك؟ فمأزق الورقة البيضاء مزعج ومقلق، ويشعر بالضجر، وبالحزن أحياناً.

اليوم أكتب لك من البيت، سأتوجه إلى رام الله، ثمة عمل مشترك سنقوم به أنا والدكتوره لينا الشخشير، تنسيق لفعاليات ثقافية في المدينة، سنلتقي العم نقولا عقل، في مقر مكتبة الرعاة، وسنلتقي المسرحي المشاكس نضال الخطيب، مؤسس مسرح الطنطورة. نضال شخص رائع جدا، عائلته كلها ممثلة معه، يشكلون فرقة؛ عائلة فنية مسرحية؛ زوجته وأولاده. ابنه موسى تعرفت إليه في نابلس السبت الماضي، فتى في مقتبل الحياة، حاصل على جوائز في المسرح. اليوم نحن في ضيافته في بيته لنتعرف إلى عائلته. تذكرني هذه العائلة بعائلات فنية معروفة، كعائلة بندلي وعائلة الرحابنة. وعائلة سمير غانم، وبكثيرين آخرين غير هؤلاء العمالقة.

سأبلغك ببعض التفاصيل عن هذه الجولة في رسالة قادمة، أرجو أن تكوني سيطرت على الوقت، واستطعت إنجاز جانب كبير من العمل. أعرف أن العمل لا ينتهي والعمر ينفد بسرعة، ولكن علينا ألا ننسى أننا بشر ولنا على أنفسنا حقوق إنسانية وترفيهية. حاولت الاتصال بك هاتفيا، لم يكن الحظ موالفا لي، فلم أسمع صوتك ولا رنة ضحكتك. اقترب الوقت كثيرا؛ يوم السبت القادم سيكون -كما أبلغتك سابقا- حفل توقيع ومناقشة لكتاب "نسوة في المدينة" في الخليل. آمل أن تسير الفعالية كما هو مخطط لها في ذهني، على الرغم من أنه إلى الآن لم يعلن الدكتور أحمد الحرباوي عن الموعد والبرنامج. حاولي أن تكوني موجودة بكل ما استطعت، فوجودك حريّ أن يجعل للمكان وللوقت بهجة خاصة.

الأسبوع الحالي أسبوع جيد عموماً أنهيت أعمالي المكتبية، ولم يتبق عليّ أي عمل أقوم به تجاه الوظيفة. وفعاليات يوم السبت كانت ناجحة، الأمسية الشعرية والمعرض الفني؛ (33) فنانا فلسطينيا من الداخل الفلسطيني المحتل شاركوا بالمعرض، رائعة تلك الفسيفساء التي تشكلت في بهو المعرض، ما أثار الانتباه أن عدد الفنانات أكثر من عدد الفنانين. هل هذه مشكلة؟ لا أدري كيف تفسرين الأمر، ربما النساء تحبّذ اللجوء إلى اللوحة لتعبر أكثر من الكتابة، الكتابة فاضحة،

لكن اللوحات مخازن الأفكار، تنتقل من حبسها في القلب إلى حبسها في إطار خشبي، فتنتقل الأفكار من سجن إلى سجن. ربما وقت الفراغ هو المسؤول عن هذه الكثرة في عدد الفنانات. عندنا في قطاع التعليم، صرنا نشهد تفوق الطالبات على الطلاب، والمعلمات على المعلمين، حتى المتقدمين للوظائف يقل عدد المتقدمين ويكثر كثيرا عدد المتقدمات. هل نشهد بعد فترة من الزمن تأنيثا لقطاع الإنتاج، وخاصة وظائف التعليم والاتصالات والبنوك والتعامل مع الجمهور عموماً. والثقافة أيضا فمن الملاحظ أن عدد الكاتبات في ازدياد، كأنهن يردن تعويض الماضي والتفوق على الكتّاب في العدد، وفي الإنتاج، وربما في النوعية، فالكثرة لا بد من أنها ستحتوي من بينها أعمالاً جيدة. وقد يكون صحيحا أحيانا أن التراكم الكمي يؤدي إلى تراكم نوعي جيد.

إن هؤلاء الفنانات- وخاصة بعض مَن عملت معهن مقابلات- لم يحترفن الرسم، إنما هنّ من "الهواة"، وكنّ يجدن صعوبة في التعريف بأعمالهنّ، لقد طلب العديد منهن أن أعيد التسجيل مرات متعددة، لسن مشبعات بالفن ولا بالرؤيا ولا بالفكرة، إنما مجرد تأطير ورسم خال من الهدف أحيانا، سوى الرغبة في الرسم نفسه. أغلبهن صبايا بعمر الورد، فيهن شهوة الحياة ونشوتها، فرحات بالمشاركة. لقد كانت فرصة لهن- على أقل تقدير- أن يأتين إلى نابلس ضمن رحلة فنية في حافلة واحدة. هذا جيد في ذاته أن يسافرن هذه المسافة من أجل أن ينظر الآخرون إلى أعمالهنّ. لقد أحببت فيهن الإصرار والعزيمة والثقة بالنفس والجمال وتلك السمرة الكنعانية التي تحلي قسمات وجههن.

هناك الكثير مما أرغب في قوله. ولكن عليّ أن أنهي الرسالة، وأعدّ نفسي للسفر إلى رام الله، أرجو أن تقرئي الرسالة وتوافيني بردك الذي أنتظره بلهفة كل العاشقين، ليفرح القلب وينتشي. كوني بخير لأكون سعيداً.

المشتاق للمسة من راحتيك والتمتع بالنظر إلى جمال قدّك الميّاس، أيتها الجميلة روحا وفكرا وجسدا وشهوة ولذّة حياة. أحبّك وبانتظار لقائك.

الثلاثاء: 2021/6/22

صباح الخير،

بعدد المحاولات والتأفف كتبت رسالتك بقلم من الروح. تمنياتي لك بيوم ممتع في رام الله لتوافيني المزيد من النشاطات التي تعلقت بها وخصوصاً بحضن العائلة الفنية. أراعي أنك دائماً مشغول بمشاريعك الثقافية والأدبية لذا لا أسقط ولا أثقل عليك كلماتي ورسائلي.

إ. س

الخميس: 2021/6/24

أسعدت أوقاتاً رغما عن الطغاة الجناة المتهورين.

كم أنا حزين على ما يحدث من استغباء لهذا الشعب المغلوب على أمره، إنهم يتعاملون معنا كأننا أعداؤهم، بل إنهم يروننا "لا شيء". يتلاعبون بنا كأننا كرة بيد أطفالهم. الوطن كله لعبة للفاسدين، وعزبة للمسؤولين، لكن "الحق كله علينا" نحن الذي نصبّناهم علينا، يجب علينا أن نثور ضدهم قبل أن نثور ضد المحتلين، فلا حريّة لنا دون أن نتحرر من فسادهم وإفسادهم، لقد بتّ على قناعة أننا نعيش تحت ظل نظام عربي فاشل وغبي وانتهازي، ولا يمتلك أي نوع من الحكمة، يواصل مسؤولوه تقاسم الوطن المنهوب أصلا. كأنه لا يكفينا احتلال واحد، ليجتمع علينا شرّان متحدان ضدنا. نعم إنهما متحدان ضدنا والله، وإنهما في وئام معاً ومتفقان علينا لإذلالنا.

لا تعتقدي يا عزيزتي أن هذا الموقف بسبب ما حدث للناشط نزار بنات، فلم يكن هو الضحية الأولى، ولن يكون الأخير، بل هو موقفي الثابت مذ جاءوا وركبوا على ظهورنا، إنهم كانوا الوباء المستفحل الذي ليس له طبّ ولا دواء إلا بالثورة الشاملة تقلعهم من جذورهم، لتحملهم الريح هم وأسيادهم من الإسرائيليين لنتخلص منهم دفعة واحدة. إنه هو يوم العيد الحقيقي.

أرأيت المهزلة كم تحمل من مفارقة شديدة البعد في طرفيها؟ الأمن ما زال حاضرا في مفاصل ما يعرف عندهم بالدولة والمؤسسات، على الرغم من أنهم يعيشون وهْم "الدولة"، ومستعدون أن يبيعوا الوطن بزجاجة خمر ولمسة نهد من بنت هوى. في كل شيء يجب أن يكون للأمن توقيعه، وإن مررت من مفرزة الأمن فإنك في السليم وستتسلم مهام عمل مدفوعة الأجر أو ترتقي في المناصب أو حتى الحصول على وظيفة متواضعة. تخيلي أن هناك قوائم سوداء توزع على لجان المقابلات، للمعلمين الجدد مثلا ليتم تحطيم أشخاص معينين ليبدو أن المسألة طبيعية، وكأنهم يبحثون عن شرعنة الفساد. إنهم يفكرون كيف يخرج الفساد مؤدبا وخلوقا وشرعيا وقانونياً.

إنني متخم فعلا بالغيظ نتيجة كل هذا الذي يحدث، فلم أعد أومن بأي شخص برتبة "مدير عام" و"أعلى"، فلا يوجد واحد من هؤلاء يملك قراره، فما هم إلا ألعوبة بيد "صعلوك" موظف في جهاز الأمن، لقد مسخوا كل شيء، وكيف يكون لهم مواقف رجولية، وهم أصلا جاءوا برضى "صعاليك" الأمن؟ بل إنهم مستمرون في "العبة العبودية" هذه، لأن عيونهم ترحل كل يوم لكرسي آخر ووظيفة أخرى، ولا يغرنّكِ ما معهم من شهادات وألقاب علمية، فكلهم منقادون لذلك الصعلوك الذي ربما لا يحسن "فكّ الحرف"، يعتاشون من هذه المنظومة العفنة عيشة رفاهية، يصولون ويجولون، وعلى رأي ستي- الله يرحمها- "صار لام سبيت بيت، وصار للخرا مرا يحلف عليها بالطلاق". هكذا أصبحوا مسؤولين وهم خُواء وهواء مطلق.

أشعر برغبة عارمة في أن أصفع وجه العالم، فلماذا يحدث كل هذا الذي حدث؟ يوجعني قلبي والدنيا أصغر من ذبابة فيا ليتني أستطيع إطلاق النار عليها لتكف عن العبث.

أعتذر أيتها الغالية عن هذه الحالة التعيسة التي أمر فيها، أرجو أن تسامحيني، لا حيلة لديّ إلا أن أبثّك أوجاعي، أرجو لنفسي أن تهدأ لأستطيع أن أكتب لك في رسالة قادمة ما هو أجمل من كل هذا الاحتجاج عديم الفائدة.

أرجو أن تكوني بخير. رجائي الخاص أن تظلي هنا لأشعر أنني قويّ. آمل ألا أنهار يوما وأشعر باليأس من إمكانية التغيير. سلامات.

الخميس: 2021/6/24

مرحبا فراس،
أرجو أن تكون أحوالك بخير هذه الأيام.
أشكرك لإرسال المقالة والنص السابق.

أعتذر عن التأخر في الرّد. لا أتواجد كثيرا أمام الإيميل هذه الأيام بسبب الظروف التي أعيشها مؤخرا.
أتمنى لك التوفيق في أمسيتك في الخليل. للأسف سيكون حضوري أمراً صعباً للغاية، لكن الجايات أكثر..
سعدي يوسف؟ عيشة بنت الباشا؟ أحيانا عندما لا نقول شيئًا في رحيل أحدهم، فهذا يقول الكثير. سعدي انتهى منذ سنوات طويلة، ليس من الشعراء الأثيرين إلى قلبي، ناهيك عن سمعته السيئة كإنسان وسلوكيّاته الخرائيّة. الشّعر تجاوزه منذ زمن طويل يا فراس، لهذا كان موته مسألة إعلان مؤجّل.
شكرا لك للاهتمام بإرسال ما تكتب إليّ، وأعتذر عن التأخر في الرّد.
دمت بألف خير،

ر. غ

الأحد، 2021/8/29

طاب مساؤك
أعلم تماما أنني بأمان معك، وأنك لم تسئ إليّ، ليس لأنك كنت تحبني، ولكن لأنني لم أسئ لك يوما بل ابتعدت لأن وجودي أصبح عبئا على كلينا واستنزافا لا مبرر له.

لم أرسل لك يوما حرفا ليتم تداوله ولا ليتم نشره ولو من باب التوثيق، ما كنت أرسله ليس أدبا ولا أظنه من الأمانة أن تقوم بنشره على الملأ تضمينا لما تكتبه، ولن أسامحك بنشر أي حرف يخصني.

أعرف أنك تقلب الطاولة وعليك أن تكون رجلا نبيلا كما ينبغي[1].

---

[1] رددت على هذه الرسالة بالمقالة التي أثبتها في ص 12 من هذا الكتاب "في معنى النبل: لن أكون رجلاً نبيلا إذاً".

ف. ع

الأربعاء: 2021/9/1

لا أدري كم يكون هذا الذي سأقوله مناسبا أو ضروريا، ولكنه لا بد منه، وهو محصلة حاصل لما تعرفين من شئون قلبي المتهدم الأركان الذي لن تبقي منه ذرة إلا وتم سحقها بلا هوادة، وبعد كل ذلك وببساطة تعلنين الانسحاب والتلاشي، فماذا عساي أن أفعل أأصفق فرحا أم أطرب انتشاء أم أنام هانئ البال قرير العين؟

لعله من نافلة القلب الموجوع بلغة الياسمين المطحون في دروب المستحيل أن أقول:

أنه لا يوجد أحد في هذا الكون قد أحبك مثلما أحببتك، ولن تجدي لقلبي مثيلا لا في الأولين ولا في الآخرين، ولكن أنت بماذا تفكرين؟

لعلك تقولين: أحبكَ يا أنت كما لم يحب أحد أحدا أما هو الذي هو أنا فهو مجرد لعبة، قد انتهى دورها وصار أمرها إلى العدم، وفقدت سحرها، فتعطلت أبجديتها ومات ألق حضورها، فهو، ذلك الأنا المقتولة، لم يكن سوى أهزوجة تندرت بها زمنا حتى ارتويت وشبعت، جربت معه ما كان لنفسي أن تعيشه عندما كنت محاصرة ومقهورة، أما الآن وقد جربت ما جربت وتعلمت وتدربت فلا حاجة لي به، فليذهب إلى جحيم ينقله إلى ما يجب أن ينقل إليه، فهو ألعوبتي وتقاذفته كالكرة بين يديّ وقدميّ حتى تهرأ جلده، فما قيمته الآن؟ إنه بالٍ ووبال على نفسه، فليبُل على نفسه فليس له من قيمة عندي سوى ما أخرجه من سبيليه، فهذا هو حقه ومستحقه.

نعم هذا هو حقي ومستحقي بعد أن بذلت ما بذلت من حب لم يكن له في مسارح الأذهان من أبجدية، فصنعت لك أبجديتك الخاصة، أما وقد استنفدت الصلاحية، وانتهى العرض المسرحي، فليس لوجودي أي معنى، ولأعتاد على غيابك في حياتي، أهذا ما تطمحين إليه وتفكرين فيه؟ ربما أكثر من ذلك.

أتذكرين عندما حضرت ولم تكوني مجرد صديقة، كنت من أول حرف وبوح امرأة الشوق واللظى والحنين، كنت من أول ليلة ياسمينة للفرح المقدس والنشوة المعدة بأرجوانية الصفائح الإلكترونية، كنت أنثاي وكنت إنسانك حاضرك ومستقبلك، وكنت لك وكنت لي، تذكري جيدا كيف كنا وكيف أنت الآن تهربين من معمعة الصدى الصارخ في كل كيان الكون بأن جريمة عاطفية ترتكب بحق ذلك المصلوب في الريح، أتدرين من هو ذلك المنقوع في رماد ارتعاشاته؟ إنه أنا، أما زلت تذكرين؟

لا تدافعي عن أي فكرة، فكل الأفكار لديّ، وكل التبريرات حفظتها عن ظهر موت، لا تستجلبي المنطق المعدوم والفلسفة العبثية، كلها تشربتها جرعة جرعة حتى نسيت كل شيء، ولم يبق إلا أنا

وأنت وهو، والحزن الذي يقذفني بعيدا، والفرح الذي يحملك وردة بين أحضانه الملتهبة، فلتنعمي بماء كوثره، ولأشقى بالذكريات، فلا شيء يهم بعد كل الذي حصل.

لا أقول وداعا ولكن سيظل الماضي وجعا ينزف صورا حمراء كلما ناداك باسمك في لياليكما المجنونة بأحمر أرديتها وأصباغها ووردها المنثور على السرير والوسائد، فلا شيء يموت، لا شيء يموت.

الثلاثاء: 2021/10/5

لفراس الجميل سلامٌ

قرأت الليلة الماضية ديوانك في شغف وسهرت الليل بأكمله على نصوصك من ديوان "على حافة الشعر ثمة عشق وثمة موت".

شكراً لأنك شاعرٌ ملهم ومهم في حياتي... وثمة عشق وثمة موت في العشق أيضاً. نصوص جميلة وكتاب جميل.

جمعت النصوص لأصدقائك الأستاذ حسن عبادي ورائد حواري والصديقات جمانة عتبة تزامناً مع ردك لكتاب "نسوة في المدينة" ورجاء شعبان الزاهدة فيك عشقاً.

وأيضاً نشرت نص كيف أنجو من الايديولوجيا الذي كنت حاضرة فيه من بعيد، النص الذي كتبته إرضاء لذوقي، وبكيت وضحكت في نص "عن الفتيات اللواتي لا يعرفن جدهن"... فعلاً خسرت كل الخسارة لأني لم أعرف جدي يوماً... سأبحث عن جدي في المدافن، وأزوره كي أخبره كم أنا خاسرة لفقدانه قبل أن أولد... والمزيد من النصوص من الأيروتيكية لصوفي ونصوص في فترة الحجر الصحي.

إ. س

الخميس: 2021/10/21

أسعدتِ أوقاتاً أيتها الرائعة، كشلال ماء عذب. وكل عام وأنت بخير، لقد احتفلنا بذكرى المولد النبويّ الشريف، فمنحتنا "السلطة" يوم إجازة، كان يوماً مكتظّا بالأعمال لم أشعر به، لقد مرّ سريعا، ها أنا اليوم أتمتع بإجازة؛ اليوم وأمس، تفرغت للكتابة فيهما، أنجزت فيهما الكثير. لكن ما زال لديّ الكثير من المهمّات، أصبت بعدوى الغرق في العمل، مثلك تماماً، لكن لا بأس، لعلّك تجدين وقتاً ولو قصيرا لنتحدث فيه خلال هذا اليوم أو غدا. أتمنى أن تقرئي رسالتي وأنت تتمطين في فراشك في هذا الصباح التشريني الجميل. مع أنني أظنّ أنك صرت منخرطة في معمعة العمل. لكن ربّما حالفني الحظّ هذا اليوم، وتحققت رغبتي، ونلت شهيّة خاطري.

لقد أسعدني جدا ثناؤك على الرسالة السابقة، وكدّر ذاك السرور أنك لم تردي عليها كتابة، لقد أصابك شيء من الخوف أيضاً، وهذا ما توقعته على أي حال. لماذا تخافين من مغازلتي وحبي؟ ولماذا تخافين من الكتابة إليّ؟ تذكري أنني كلما كتبت إليك كأنني أمارس الحب معك. كم أشتاق لهذا الفعل يوماً ما؛ فأنا أشتاقك حد الغرق في مياه شهوتك، لعله يكون في يوم شتاء ممطر، فيدفئني جسمك، وتشبعني ثمارك.

حالتنا ليست غريبة أيتها المشتهاة كتفّاحة، بل إنّ مثلنا في عالم الكتابة كثيرون، لكنهم لا يخافون، ولا يستترون، بل يكتبون ويعلنون الحبّ أعلى من نخلة في سماء أريحا. أضع بين يديك هذا الموقف للكاتبة الكويتية ليلى العثمان وما كتبته في حق الروائي الكويتي إسماعيل فهد إسماعيل. كتبت ذلك في أحد أعداد مجلة العربي منذ سنوات، وقد احتفت المجلة بالراحل إسماعيل فهد إسماعيل، وما زلت محتفظا بما كتبته:

"أمام هذه القامة الكبيرة تعجز الكلمات، مهما ازدهرت بمعانيها عن التعبير، عن بعض ما أحمله في قلبي لهذا الإنسان من حب كبير، لا يخجل القلب أن يعترف به، حب كما صورته في كتابي (المحاكمة). أحببتُ إسماعيل ذاك الحبّ الذي لا توجد له تفاسير في معاجم الكتب، حبّ غير مصنّف في أيّ خانة من خانات الحبّ، ...، كما أحمل له غير الحبّ اعتزازا ومكانة ذات قيمة لا يدرك مساحتها الكبيرة غير قلبي".

أرأيت كيف أنطقها الحبّ؟ لا أخفيك سرّا أنني شعرت بشيء من الشبه، وتمنيت أن تكتبي عني كتابة مشابهة، لا يهم إن كانت في حياتي أو بعد أن أغادر هذه الفانية، فالروح ستعرف محبيها. ما أثار فيّ الانتباه ما قاله المحرر نقلا عن ليلى العثمان، وفيه بيان لاستحقاق هذا الحب وهذا الثناء وهذا الوفاء:

"إن إسماعيل هو الرفيق الأصيل في سفرها عبر الحياة منذ أن عرفته، وهو الصديق الصدوق عبر مسيرتها الأدبية، لأنه وحده من عرفها جيدا، ففرح لفرحها ونجاحها، واحتمل لحظات جنونها وأخرجها ذات يوم من مشكلة كبيرة، وهو وحده الذي يعرفها جيدا".

هل تجدين فيّ شبهاً لإسماعيل كما وجدت فيك شبها بليلى؟ يا ليتك تسعدينني فتكتبي لي رداً ولا تكتفي بمحادثتي هاتفيا، مع أن صوتك عبر الهاتف شهيّ، لكن الكتابة أخلد وأدوم. كلما كتبت لي دخلتِ فيّ أكثر وأكثر. لا تخافي من الكتابة، فهي الحياة والشهوة والجمال والحبّ والخلود. أسعدني جدا أنني سأكون شريكا لك في مشروع الكتابة التي شرعتِ به، بل متلهف أن ننجزه سوياً بأسرع ما يكون، فقد أعجبتني الفكرة جداً.

لم تكن ليلى العثمان هي الوحيدة التي كتبت ما كتبته لإسماعيل فهد إسماعيل، هناك أخريات كتبن، ولعلّ اطلاعك على الأدب العالمي والعربي والفلسطيني وفّر لديك الكثير من الأمثلة. تستحضرني أيضاً الكاتبة غادة السمان وما كتبته وتكتبه باستمرار عن غسان كنفاني، والغريب أن

غادة السمان كتبت لغسان وعنه بعد اغتياله أكثر ما كتبت له وهو حيّ. مفارقة يصنعها الحبّ، وتهندسها الكتابة ذاتها. الآن غادة تكتب كثيرا عن غسان بحب ظاهر، تكتب في ذكرى ولادته أكثر مما تكتب في ذكرى اغتياله، لقد التفتُّ إلى ذلك في كتابي "استعادة غسان كنفاني" وكتبت عن علاقة غسان كنفاني بغادة السمان.

ما زلت عند وعدي لك، أتمنى أن أراك قريباً، نشرب الحبّ والقهوة ولذة الوصال، ونكمل أبجديتنا الناقصة، أحبك كما أنتِ شهية مجنونة، بهية كفراشة، قويّة كسطوة صوفي حالم. وما زلت منتظرا تلك "الصورة الموعودة" فلحمك الشهيّ يثير فيّ جنون الحب والشهوة واللذة أيتها الجميلة الطاغية في اشتهائها واحتدام جنونها. أرجوك إن تأخرتِ عني في المجيء لا تتأخري عني في الكتابة، ولا تتوانيْ عن استحضارك في بهاء الضوء تحت أعين القمر.

المشتاق لكلّ شيء فيك.

الخميس: 2021/10/28

أسعدت أوقاتاً، وأتمنى أن تكوني بخير، كم كان مثيراً لمخيلتي عندما تحدثنا بالهاتف آخر مرة، وقد أخبرتني أنك للتو دخلت البيت، وأنك بحاجة إلى أن تغتسلي، كان مثيرا بالفعل هذا الحدث، أصبحت مخيلتي مكتنزة بالتصور الحيّ وأنت تحت الماء بكامل عريك الذي أشتهيه. آه لو تعلمين كم أشتاق أن أغلغل كلي في كلك الشهيّ.

يأخذنا الحديث بعيدا لنناقش الرسائل السابقة بعد أن أحجمت عن الرد عليها، بدعوى أن فيها تهديدا مبطناً. يا للتعاسة! أيهدد حبيب حبيبته؟ وكيف؟ إنه ليس حباً إن وقع مثل هذا التهديد. ربما لم يعجبك أنني أشتهيك، وأطلب ممارسة الحبّ معك، وتخافين ذلك، لماذا تخافين من الكتابة إلي وممارسة الحب معي؟ فهل ستجعلك الكتابة هامشاً وحواشي كما توقعت. إنك أهم متن في مشروع الكتابة فكيف تتحولين إلى حاشية هامشية. هل فعلا تحبين الحواشي والهوامش؟ لا أظن، فامرأة مثلك تمتلك كل تلك المقومات الفكرية والموهبة الشعرية والبحث والتقصي والجمال لن تكون هامشا أو حواشي.

بدا لي أنك لن تدخلي في زاوية المرأة التي يستغلها الآخرون جنسيا من أجل الحصول على مكسب ثقافي أو مادي، لأنك محصنة تحصيناً قويا ضد هذا العفن المصابة به الساحة الثقافية، أعرف أن هذا الموضوع مقلق لكثيرات من الأديبات. إحداهن تعترض على إحدى المقالات التي أعرج فيها على هذه النقطة وأنني أعمم.

لا أعتقد أنه يوجد امرأة مهما كان حظها من الجمال متواضعا أم فائق الحسن إلا وحاول أحدهم أن يتحرش بها جنسيا بالثقافة المفخخة بالجنس والعبارات المعبأة بالشهوة. لكن ليس كلهم تحقق له الأديبات رغبته. هذا الهاجس الذي عبرت عنه في حديثنا الأخير لن يصيبك منه شرر أو ضرر لأنك أنت كما أنت لست بحاجة الذكور في مثل هذا الوسط العفن. إنك مكتفية بذاتك

وبمواهبك، بل كثيرون يحتاجون إلى ثقافتك وقلمك واهتمامك، فلا تظني أن جمالك "لعنة" بل إنه هبة ربانية لأنعم به، وأنا حبيبك الذي أنتظر مجيئك على أحر من الجمر.

أعتقد أنه قد حان الوقت لتفكري بالأمر الثاني الذي تخافين منه، فالحب لا يكتمل إلا بممارسة الجنس، وليس كما يرى الآخرون. هذه مسألة ملتبسة سبق وحدثتك عنها. الحب أولا، ثم الرغبة الجنسية ثانيا، فهل يحتاج الحب إلى الجنس ليؤكده، يبدو ذلك صحيحا، لذلك جاء السؤال لماذا يحدث الحب؟ أعتقد كما تعتقدين أنه سؤال كبير. هل نحب من أجل الجمال والجنس؟ وهل نحب من أجل القيم والروح؟ أظن أن العامل الحاسم في الحب ليس الجمال، لذلك لا علاقة للجمال بالرغبة في ممارسة الحب، وإلا لاشتهى الرجال كل امرأة جميلة يصادفونها. الحب شعور بالرغبة في الاتحاد والالتحام رمزيا مع الحبيب وبوابته الجسد. فلم يخلق الجسد على هذه الهيأة دون أن يكون له دور فيما هو أهم وأعقد وأجمل.

على أي حال فإن أفكاري واضحة تماماً وأنت تفهمينها جيدا، ولن يكون إلا ما ترغبين به، ليكون لهذا الفعل تجلياته الروحية التي تفيض توردا في الوجه ونشوة في الفعل والإحساس. ألا تشعرين بالرغبة لتكتملي معي؟ ألا تشتاقين إلى ذلك الفعل الحميم لتفعليه معي؟ أظن أنني صرت أقرب كثيرا مما تتخيلين إلى مثل هذا الفعل.

بعيدا عن هذا الاستطراد الذي- ربما- سيشعرك بالضجر، أخبرك أنني شبه غارق في موسم الزيتون، أساعد أحيانا في القطف، هذا الموسم يبدو وفيرا والحمد لله، سيكون الأمر مفرحا جدا إن استضفتك على أكلة "مسخّن" شعبية. سأكون سعيدا جدا، سترين قريتي ومكان عزلتي، وفوضويتي وكيف أعيش وأين أكتب. لن أخبرك أي شيء سترين ذلك بنفسك. أتمنى أن يعجبك هذا العالم شبه البدائي.

الحبيبة المجنونة والمشغولة دائماً، حدثيني إن استطعت، وتصدقي عليّ ببعض الوقت لأسمع صوتك على أقل تقدير، فالقليل منك يكفيني ويغنيني ويشبع خاطري ويجعلني منتشياً أكاد أطير من الفرح.

أحبك أيتها اللذيذة فلا تطيلي الغياب! أخاف أن يباغتك موعد السفر ولا تأتين، يا لحظي السيئ إذاً، لو بقي الوعد لغوياً على الشفاه وعلى الورق.

الخميس: 2021/11/4

يا إلهي لو كنت أتيتِ السبت الماضي إليّ لقضينا يوماً ممتعاً في نابلس، لقد كانت الظروف كلها مواتية. حزنت قليلاً لما أخبرتني أنك في طريقك إلى المطار. هذا ما كنت أخشاه، أن تسافري قبل أن أراك، ها قد سافرتِ، وصدق الحدس، حدسي الذي يشعرني أنك ما زلت بعيدة.

لا يهمّ هذا الآن، ما هو مهمّ فعلاً أن تكوني بخير، وأن تنقضي هذه السفرة بسرعة، وأن تنجلي عن جلوتك المحببة في لقاء جميل، وأن تعودي إلى البلاد، وأنت بكامل الألق والجمال. سأنتظرك بلهفة، وشوق، كم تمنيت أن أكون معك، أو على الأقل أحظى بفرصة أن أغمرك قبل أن تطير بك الطائرة إلى الجهة الأخرى من هذا العالم. أشعر بشوق غامر جدا إليك.

أشياء كثيرة كنت أودّ أن أخبرك بها، وكنت أنوي كتابة رسالة غير هذه قبل أن تخبريني بسفرك الذي فاجأني، ولكن لا أدري هل سيسمح وقتك وظروفك وانشغالاتك خلال سفرك أن تصغي إليّ، وتقرئي هذه الرسالة، أصبح الأمر الآن غير مهمّ لأكتب ما كنت أود أن أكتبه.

منذ وعيت وأنا أكره السفر. أخاف منه وأخاف على أحبابي منه، ولا أحب أن أسافر ألبتة. أتشاءم جداً من كلمة سفر "باب السفر جوعان"، هكذا دائما أظل قلقاً. كثيرا ما أكرر هذه الأفكار، لكن لو كنت معك في هذا السفر، أيكون رأيي في السفر مختلفاً؟ تخيلي كم أنا محظوظ لو سافرنا سوياً، لنكون معاً طوال الوقت. أعرف أنني غارق في حلم يقظة سيقتلني لو تماديت فيه كثيراً.

ستكون باريس جميلة بك، سيدة جميلة في مدينة جميلة، يا ليت أن وقتك يسمح لك فتهاتفينني من هناك، لأراك في صخب المدينة وهدوئها. قلبي وروحي وكياني كله معك، وبانتظار عودتك. أحبّك أيتها الفضيّة العميقة مثل ضوء باريس!

المشتاق لكلك لتغمريه بكلك.

الجمعة: 2021/11/5

أسعدت أوقاتاً من هنا حيث الناس ما زالوا يقطفون الزيتون، وأنت هناك حيث تتمتعين بأضواء باريس وأجوائها. كم كان صوتك شهيّا هذا الصباح، على الرغم مما عكر صفو الرحلة، من مماطلات المطارات وتعطيلاتها ووصولك متأخرة، ونسيانك حقيبة ملابسك في المطار، لا بأس ستشترين غيرها، ولعلك اشتريت، فهل ستخبرينني بذلك؟ أتمنى أن تتحدثي بالتفصيل عن ذلك إن أسعفك الوقت للحديث اليوم ليلاً. سأكون بانتظارك.

أنهيت موسم قطف الزيتون، وكان الإنتاج جيدا، والحمد لله، وها أنا بانتظار مجيئك، لنتناول معاً أكلة شهيّة من "المسخّن"، سنعدّه خصّيصاً لك، فتعجلي في المجيء قبل أن تذهب حُرقة الزيت الطازجة اللذيذة.

على فكرة، هل ستسعديني ببعض صورك الشهية وأنت في باريس؟ يسعدني ويبهج خاطري مرآك وأنت في كامل أناقتك وجنون شهوتك التي أحبها وأتوق إليها.

أقبّلك وكلّي رغبة للالتحام بجنون لذتك المتفتحة في ليل باريس المنعش.

الجمعة: 2021/11/12

أسعدت أوقاتاً، وأتمنى أن تكوني بخير، كم أتمنى لو أراك وأنت تقودين دراجتك الهوائية، تخيلي لو أنني معك الآن وأتابع تلك الرحلة، أكتب لك الآن وأنت تمارسين هذه الرياضة التي لها آثار نفسية إيجابية، فهي جزء من علاج نفسي وتشعر المرء بالارتياح والهدوء والسكينة وهو يسير تدغدغه نسمات الهواء وعلى جانبيه المناظر الخلابة. إن بلادنا جميلة كما قلت، بل أجمل مما نتخيل. إننا لا نعرف بلادنا بالقدر الكافي. كان كلامك عن البلاد في غاية الواقعية والجمال والحب. أحببت ذلك كثيرا، وكم شعرت أنك تشبهين طينتها السمراء الخصبة المختزنة بالجمال والنشوة والحياة.

أعاد حديثك عن ركوبك الدراجة الهوائية في "سيران جماعي" الحنين إلى يفاعتي، حيث كنت بارعاً في قيادة دراجتي الهوائية التي ركّبت قِطَعها واحدة واحدة، فاكتسبت مهارة تصليح الدراجات أيضاً. كنت في تلك الفترة من حياتي أكثر نشاطاً، وأكثر قوة، كنت أستطيع أن أصعد الطرقات الجبلية وأنا أقود الدراجة، لقد ساعدتني دراجتي الهوائية على أن أمرن عضلات رجلي اليسرى، وأن أتجاوز ما بها من ضعف بحكم الإعاقة في الأطراف اليسرى.

أحدثك عن ذلك الوقت الذي كنت فيه طالبا في المرحلة الإعدادية، كنت بلا أصدقاء. كانت دراجتي هي صديقتي، كنت أقودها في حارتنا. السيارات كانت قليلة في القرى، والبيوت كانت قليلة، الشارع مسفلت واسع نظيف مفتوح، والوقت بعد العصر، كنت دائما أغني الألحان الشعبية وأنا أقود الدراجة، كانت المعاني والأبيات تنثال عليّ انثيالاً. كنت أرغب أن أصبح زجالاً شعبياً. لكن لا أدري من أو ما الذي قتل عندي هذه الموهبة. لعلّها تحولت وتشكلت على ما أنا عليه الآن. إلى الآن عندي حنين وحب جارف لأغانينا الشعبية: العتابا والميجانا والمربّع والمقسوم والشروقي.

أعدك أن أقود وإياك الدراجة الهوائية إن جئت إليّ زائرة، حارتنا ما زالت مفتوحة الطريق ممتدة والشارع أوسع من الشارع أيام الطفولة قبل أكثر من ثلاثين عاماً، زادت السيارات بلا شك، وكذلك البيوت، لكنّ أهلها ليسوا فضوليين، ولن يقفوا وراء شبابيكهم ليراقبونا. إنهم أفضل من أن يفعلوها. لن يلتقطوا لنا الصور والفيديوهات ولن يشهروا فينا على الفيسبوك وعلى التيك توك. أعدك أن لا شيء من ذلك سيحدث. إن أهل قريتي أناس رائعون بالفعل. وخاصة أهل الحارة التي أسكن فيها.

أتمنى لك السلامة في رحلة اليوم أيتها المبروكة الشيخة، فبركاتك ستحل على الفريق، وأرجو أن تحلّ عليّ أيضاً فتزوديني ببعض الصور. أراك شهية مجنونة كفراشة وأنت تطوين الطريق مترا بعد متر.

هل يا ترى ستحادثينني بعد عودتك وقبل أن تغتسلي؟ أرجو أن تخبريني عن هذه الرحلة، وعن انطباعاتك فيها، وعما حدث فيها من مواقف طريفة، لا بد من أن هناك الكثير من المواقف التي تحدث للإنسان رغما عنه أحياناً.

أرجو لك رحلة ممتعة، وبانتظارك أيتها النشيطة الحلوة، فبركاتي- كوني شيخاً سابقاً- ستحل عليك أيضاً، وليس كتلك البركات التي يريدها بعضهم، وتحمل معنى أيروسيا كما قلت. لن تصابي بأي مكروه، فلتحرسك العناية الإلهية، وليحفظك الله من كل ما يسوءك.

حبيبتي الرائعة، أرجو ألّا توصيلني البحر وأعود منه عطشاً كما أومئت لي بتعاملك مع الآخرين، فأنا لست كأحدهم. فثمة شوق في الحنايا لا بد من أن يطفأ في مرجل الحب والوصال واحتدام الشهوة واضطرامها في لحظة صوفيّة، لا أرجو لها أن تموت، أو أن تظل محل احتمال قد لا يحدث.

أتمنى ألا تنسي طلبي ببعض الصور. أحبك، وبانتظار عودتك بكل ما أوتي العشاق من قوة وبهجة وجنون.

السبت: 2021/11/16

صباحك الحبّ أيتها الرائعة الشهيّة في كلّ شيء، ها قد أتى المطر ولم تأتي، وتقولين قد بدأ العدّ التنازلي، ولمّا تحضري، ألم تعلمي أنّني منذ وعدك الأوّل باللقاء، وأنا أعدّ تنازليّاً؟ لكنْ لا شيء بعيد ما دام أنّه لا بدّ قادم. وها أنا أعود إلى مراسلتك بعد انقطاع طويل؛ أملاً فيما تتوق له النفس وترجو.

كان الوقت كلّه حافلاً، ما زلت أكتبُ وبغزارة، أتأمّل كلّ شيء من حولي، وأحاول أن أجعلها كلّها قابلة للكتابة، ربّما هذه هي مهمّة الروائيّين، لا مهمّة النقّاد أو الشعراء. على أيّ حال ثمّة أشياء حدثت تهمّ الكتابة، أحببت أن أطلعك عليها، وأوّلها: أنّني بانتظار خروج كتابي الثالث والعشرين من المطبعة "من قتل مدرّس التاريخ؟"، كتاب مختلف في موضوعه؛ إنّه يتناول ظاهرة الصحيفة سيّئة السمعة والصيت "شارل أبدو" واستفزازها المشاعر الدينيّة، فجمعت كلّ ما كتبته في هذه القضية ضمن هذا الكتيّب صغير الحجم، لأثبّت رؤيتي ووجهة نظري تجاه بعض القضايا المبدئيّة في الحياة. وما زلت منتظراً ديوان "وشيء من سرد قليل"، فما زال في المطبعة، ويستعصي على الخروج والانطلاق، لا أدري ما الذي يقيّده هناك!

في زيارتي الأخيرة لمدينة جنين للقاء مجموعة من كتّاب فلسطين المحتلّة عام 1948، ثمّة أمور مزعجة كثيرة، فقد اكتشفت خلال هذه الرحلة مهمّة جديدة للكاتب، أو لي أنا على الأقلّ، إنّ مهمّتي أن أوذي كلّ من عرفت، هكذا تقول لي امرأة غاضبة، لها بي صلة عابرة، أو على الأصحّ هي تقول إنّ صلتي بها صلة عابرة، تبعث لي برسالة "حقودة" بائسة تقطر سُمّاً، تقول في جزء منها: "أنت تلحق الأذى بكلّ من عرفك". يبدو أنّ كلامها صحيح نوعاً ما، فالكتابة تثير المتاعب والمصاعب. صديقة كاتبة أخرى، لها وجهة النظر ذاتها تعبّر عنها وهي تضحك بعد أن قرأت ما كتبته مؤخّراً منتقداً مجلّة ميريت الثقافيّة، وتقول: "يا لك من كاتب، لم توفّر أحداً، خِفّ عنهم يا زلمة". صديقتي هذه لم تصفني بالمؤذي لكنّ اعتراضها يحمل هذه الصفة.

أظنّ أنّكِ أيضاً قد وقعت في هذه الورطة من الكتابة. تذكّري مثلاً كم مرّة جرّتك الكتابة للدفاع عن النفس أو أدخلتك في متاهات لا تدرين كيف دخلتِها. ربّما الآخرون أحياناً يدفعونك لتكون مؤذياً.
الغريب أنّني شخص مؤذٍ، هكذا قال لي أصدقاء كثيرون، وهو نفسه السبب الذي جعل امرأة ما منذ سنوات تتركني إلى غير رجعة، بل وتكرهني كأنّني "لا شيء" كما قالت. الكتابة كانت سبباً في انفضاح أمرنا، وقد كان سرّاً، اكتشفَنا الفضوليّون بسرعة كبيرة، وصاروا يتابعون ما أكتب فيلمزونها بالحديث عنّي، فتزداد خجلاً أمامهم، ليتخلّق حقدها عليّ ليصبح هجراناً تامّاً غير جميل. هي الآن تعتبر نفسها ضحيّة من ضحايا كتابة كاتب مؤذٍ جدّاً. لذلك كثيراً ما تمنّت لي الموت في رسائلها العاجلة التي كانت تكتبها بين الحين والآخر.
المرأة الأخيرة التي أوقعتني في شركها سنة كاملة باسمها المستعار وهي تكذب عليّ وتمثّل أنّها تحبّني، أيضاً اتّخذت الموقف ذاته، فأنا مؤذٍ جدّاً بالنسبة لها، هكذا قالت لي في إحدى رسائلها المقتضبة قبل نحو ثلاثة أشهر. لقد غدت الكتابة عنها كتابة تجلب لها التعاسة، بل ربّما ساهمت في تقويض حياتها. تركتني من أجل أن تظلّ بسلام، ليس هذا هو تهديدها الأوّل، بل إنّها منعتني من أن أنشر نصوصاً كثيرة، وهدّدتني قائلة إنّك لن تراني ولن تسمع صوتي بعد ذلك لو نشرت ما كتبته، نشرت تلك النصوص متجاهلاً تلك التهديدات. أعتقد الآن وقد رحلت إلى غير رجعة أنّ معها بعض الحقّ، فقد كانت هي أيضاً امرأة مؤذية، وأنا كنت كاتباً مؤذياً.
هي ذاتها التي تعتقد أنّني "كاتب غير نبيل" لو قمت ونشرت ما بعثَتْه لي من رسائل، ولو حرفاً واحداً منها. سأقوم بنشرها بالتأكيد في الوقت المناسب في كتاب، فكل ما كتب لي فهو لي وهو من حقّي، وأتصرّف فيه كيفما أرغب وأشاء. لقد باتت على قناعة تامّة أنّ كثيرين يعرفون أنّها هي المقصودة في كتاباتي الأخيرة. لا أظنّ أنّ هناك شيئاً أثقل على النفس من امرأة كانت محبّة وتهدّد، لا أتصوّر امرأة شفّافة تحمل شيئاً من نزق البلطجيّة، وهذه خيبة كبرى وليست فقط مجرّد إحساس بالأذى. هذه المرأة أبعدها الخوف، والأولى أبعدها الكره، والنتيجة واحدة، هي الكتابة.
كذلك أخاف أن تجبرك الكتابة على أن تبتعدي عنّي كالأخريات، فهل يحدث ألّا أراك نهائيّاً، وأظلّ منتظراً؟[1]

لا تستغربي منّي هذا التوجّس، النساء اللواتي يتعرفن عليّ يبدين خوفهنّ منّي لأنّني مؤذٍ، سأكتب عنهنّ، وعن قصصهنّ معي أو مواقفهنّ، إحداهنّ لا تخاطبني إلّا بـ "الشرّير". تنبهني كثير من النساء ألّا أفعل وأكتب عنهنّ، إحداهنّ؛ امرأة جميلة ذات حكاية طريفة، تستلّ منّي وعداً مغلّظاً باليمين من أجل ألّا أكتب عنها. وعدتها ألّا أذكرها بخير أو بشرّ في أيّ نوع من أنواع الكتابة، فارتاحت واطمأنّت، وما زالت ترافقني إلى اليوم براحةٍ وهدوء بال. بل لقد صار بيننا أشياء مشتركة كثيرة، ومشروع كبير مفاجئ؛ لعلّه يرى النور قريباً. إنّه ليس مشروعاً كتابيّاً على أيّ حال، فالكتابة لن تأتي بخير أو جمالٍ أبداً.

[1] لم ألتقِ بهذه المرأة (ر. غ) نهائياً، حتى امتنعت عن الكتابة إليّ، خوفا من نشر رسائلهما، كما فعلت (ف. ع) أيضاً.

ليس فقط النساء العاشقات من يشعرن بالأذى، الأصدقاء يرونني مؤذياً أيضاً، صديق آخر تتعرّض سيارته لحادثين وأنا معه برفقته؛ واحد أوّل النهار، والثاني آخر الرحلة. يكلّفه الحادثان بعض المال ويسبّبان له الإرباك في حياته الاجتماعيّة، أنا كنت سبب خسارته وإرباكاته، فلولا أنّه يحبّني ورافقني بناء على دعوتي له لم يكن ليحدث كلّ هذا. صديقي هذا لم يتحدّث معي بعد الحادثين، اكتفى بمراسلتي لأقرأ له ما يكتب. لقد قالها مازحاً وجادّاً: "أرأيت كيف الحبّ يجلب الأذى؟". لعلّه رأى أنّ في امتناعه عن التواصل معي بعض الراحة والبعد عن الأذى. تخيّلي لو أنّ سيارتك المسروقة سرقت وأنا برفقتك هل ستربطين هذا بذاك كما فعل صديقي؟

صديقي المقرّب يحاول أن يقول الشيء نفسه، لكن بطريقة أخرى، فالفولة لا تُبلّ بفمي، بمعنى أنّ كلّ شيء أسمعه أحوله إلى موضوع كتابيّ. الأمر مزعج مؤذٍ، هذا ما يريد أن يقوله لي صديقي، فهو دائماً حذر في الحديث معي، لأنّني سأقول كلّ شيء يوماً ما وأكتبه، ولذلك فأنا مصدر قلق وأذى له ولغيره من الأصدقاء.

على ما يبدو أنّني كاتب سيّئ الحظّ، وليس فقط عاشقاً سيّئ الحظّ، إن أتيتِ فلن أكون عاشقاً سيّئ الحظّ بالتأكيد، على الرغم من أنّني لست حقوداً ولا حسوداً، وأحبّ الخير لكلّ الأصدقاء، ربّما يعود كلّ ذلك إلى مغالطات الربط بين السبب والنتيجة، ولا أريد أن أفلسف الأمور، فقط أردت أن أخبرك كيف يتمّ التعامل مع بعض الأحداث، وكيف يتمّ تفسيرها.

رأي أصدقائي ومعارفي وأحبابي فيّ يثير حزني كثيراً إلى حدّ البكاء الداخليّ. نعم لقد صرت أبكي سرّاً في داخلي، كلّ من حولي من الأصدقاء يذكّرني كم أنا شخص سيّئ، أجلب الأذى، حتّى الزملاء، بعض الزملاء والزميلات يقولون عنّي أنّني شبهة وسُبّة، والبعد عنّي مكسب. فمن أتعامل معهم في العمل في مواقع كثيرة يعتقدون أنّني أيضاً على قدر كبير من الأذى.

في الحقيقة، أيّتها الحبيبة، لا أستطيع احتمال هذا الشعور الضاغط عليّ في أنّني شخص مؤذٍ، هذا شعور قاسٍ بالفعل. فكّرت في الاعتزال التامّ، لكنّني لا أستطيع؛ عملي يجبرني على أن أكسر طوق العزلة يوميّاً عن نفسي، لا أستطيع المكوث في المنزل دون عمل، ثمّة مسؤوليّات يلزمها أن أعمل، صرت أكثر صمتاً في العمل، لا أدخل في أيّ نقاش، لأنّ النقاش سيجعلني شخصاً مؤذياً. احتكاكات العمل جعلت منّي كائناً مزعجاً، مؤذياً. ربّما يلزمني إجازة طويلة؛ لا أرى فيها أحداً، ولا أحد يراني. كيف أوفّر هذه الفرصة؟ لا أدري. فكّرت في الانقطاع عن العالم واقعيّاً وافتراضيّاً، أغيّر أرقام الهاتف، بل لا أريد هاتفاً نهائيّاً، وأرغب في التخلّي عن كلّ ما يوصلني إلى الآخرين أو يوصلهم إليّ، وهذه أمنية قديمة ورغبة تلحّ عليّ منذ سنوات. فكّرت في التوقّف عن النشر، وليس عن الكتابة، لكن ثمّة ما يدفعني لأظلّ موجوداً. عندي هوس لا أعرف كيف أتخلّص منه، الأذى جزء من هذا الهوس. كثير من القرّاء يشتمونني؛ لأنّني أؤذيهم بأفكاري المتحرّشة الصادمة التي تجبرهم على خلع ملابسهم الداخليّة وتحسّس أعضائهم التناسليّة ليطمئنّوا على سلامتها وفاعليّتها، فأكسر حلقة الهدوء حولهم، وأنبش في أشياء يجب ألّا تنبش.

أشيري عليّ، ماذا عليّ أن أفعل لأجنّب الآخرين أذى الكتابة؟ هل كان أصدقائي على باطل ووحدي على حقّ أم على العكس تماماً؟ هل كلّ شيء صالح ليكون موضوعاً للكتابة؟ يريد أصدقائي أن يردّوني إلى المربّع الأوّل، إلى مقولة: "ليس كلّ ما يُعرف يقال"، بل ليس "كلّ ما يقال يفهم كما هو". ما رأيك؟

بالفعل أشعر بالتعب، وصرت أعاني من الصداع كثيراً وهذه هي حالتي وأنا اكتب لك الآن. أخاف أن أصاب بالأمراض المزمنة؛ نتيجة شدّ الأعصاب والتوتُّر الدائم. فهل الكتابة مجرّد صنعة أم أنّها صنعة مؤذية؟ تبدو الكتابة هكذا في حقيقة أمرها. كثير من الكتّاب تعرّضوا للضرب بسبب ما كتبوه، كدت أقع في هذا الفخّ منذ سنوات، فامتنعت عن الكتابة كي لا أضرب على أيدي الزعران والبلطجيّة، كما تعرّض يوماً ما أحد النقّاد إلى البلطجيّة الثقافيّة من أحد الكتّاب، فأرسل له من يؤذيه، لأنّ هذا الناقد كان مؤذياً فيما كتبه عن ذاك الكاتب البلطجي.

سلسلة من الأذى تصنعها الكتابة. فيا لها من صنعة شرّيرة شيطانيّة، تفرّق المحبّين، وتوغر الصدور، وتجلب الأعداء، وتفسّخ عقود الأصدقاء وعهودهم، كثيرون غاضبون منّي بسبب هذه الكتابة، فمن تناولت كتبهم بالنقد ولم يعجبهم ما كتبت تفيض نفوسهم حقدا وغضباً عليّ، بل إنها لتفور في مرجلها، وتتمنّى ليَ العثرة والاندثار، ولا داعيَ لأعدّد لك الأسماء، فهي كثيرة ومزعجة.

هذه المسألة قد تدفع الكاتب ليمسي وحيداً يجترّ حزنه وألمه ووحدته، ويأكل أصابع الندم، فيموت بالسكتة القلبيّة دون أن يجد من يقول: "عليه رحمة الله". بل "الحمد لله لقد ريّحنا من شرّهِ وأذاه".

لقد آن الأوان لأراجع نفسي وأصلح من أمرها، عليّ أن اختار بين الكتابة ومتطلّباتها وبين الراحة والهدوء. ولا أعتقد أنّ هذا القرار سهل، أو أنّني قادر على اتّخاذه- على الأقلّ- في المدى المنظور.

أراك قريباً كما وعدتِني، ولا تنسيْ فالمطر أتى ولم تأتي، وبدأتُ العدّ التنازليّ منذ أمد بعيد، منتظراً لحظة الصفر. أحبّك، فكم أنا مشتاق لاحتضانك، لعلّ المطر الخارجيّ يمطرنا بنشوته ولذّته ونحن معاً. فلا تخلقي عندي عقدة الشاعر نزار قبّاني، فأنا كذلك مثله: "أخاف أن تمطر الدنيا ولستِ معي/ فمنذ "وعدتِ" وعندي عقدة المطرِ".

الخميس: 2021/11/18

أسعدت أوقاتاً، وأرجو لك سفرا آخر موفقاً. كنت آمل أن نتحدث هاتفياً قبل صعودك الطائرة، لكن يبدو أنني تأخرتُ وأنك مشغولة، أقدّر اهتمامك بالأصوات الجديدة في أدبنا المحليّ، وبحثك عن تلك "الحساسية الشعرية والأدبية الجديدة" في الأدب، لا سيما أدبنا المكتوب عن معاناة غزة، والخارج من معمعة الأحداث وقلب الواقع هناك. الأمر مأساوي جدا يا عزيزتي في غزة المحاصرة.

عندما ناقشنا قبل أيام مجموعة "غزة أرض القصيدة" الشعرية وجدت فيها الكثير من صور الواقع التعيس على كل المستويات، وأسعدني اطلاعك على ما نشرته عن المجموعة. الحديث عن المجموعة لا يغني عن قراءة تلك القصائد. ما زلت مشغولا في أمر تجميع تلك القصائد لأزودك بها، لتطلعي عليها كلها.

أتمنى أن تكون هذه السفرة موفقة كسابقتها، وأن يكون هناك متسع من الوقت لنتحدث على هامش أعمالك، وأن تزوديني ببعض صورك في تلك البلاد الساحرة الجميلة.

كما تعلمين خرج كتابي الجديد من المطبعة "وشيء من سرد قليل"، وكم سرني اتصالك بي وبكل فرح وحب تهنئتني بصدوره. سيكون للكتاب أمسية إطلاق وإشهار ومناقشة في متحف محمود درويش، رتب لي الأصدقاء في وزارة الثقافة هذا الأمر مع إدارة المتحف ومع الشاعر والناقد الدكتور المتوكل طه الذي أسعدني جدا بقبوله تقديمي في هذه الأمسية، وأنتظر تحديد الموعد، سأخبرك بالموعد تحت أي ظرف من الظروف، كم أتمنى أن تكون حاضرة معي وبقربي. أظن أن الأمر ضرب من الخيال، وغدا أمنية مستحيلة. إلى الآن لم نلتقِ على الرغم من كثرة التأكيدات أن نلتقي قبل هذا السفر، لكنك طرت في أعالي الجوّ وتركتني مع أسمهان! وما نفع أسمهان وأنت لست معي؟

سيكون اليوم أيضا بُعَيْد الساعة 12:00 ظهرا لقاء إذاعي، تستضيفني فيه المذيعة راية حمدان في برنامجها طلات ثقافية لأتحدث عن كتاب الصديق الرفيق الأسير كميل أبو حنيش "وقفات مع الشعر الفلسطيني"، هذا الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة مع ديواني "وشيء من سرد قليل"، وقد حررته، وكتبت مقدمته، وفيه عن دواوين ثلاثة لي وقفة رائقة. سأزودك باللقاء، سيكون مسجلا على صفحة وزارة الثقافة الفلسطينية.

على أيّ حال هذه هي أخباري التي لم أستطع أن أخبرك إياها اليومين السابقين.

سأنتظر قدومك إلى البلاد بكل صبر وشوق، لعلّ حظاً يحالفني فنلتقي. قلبي وروحي وكياني كله معك، وبانتظارك لعلّنا نرتوي ولن نملّ من الحبّ، فاستعدي أن تغرقي معي لنذوب معا في لحظة الوصال المرتقبة.

أشتهيك، وأحبك، وبانتظارك، فتخلصي من كلّ ما عدايَ وتعاليْ إليّ.

الجمعة: 2021/11/19

عزيزتي وغاليتي وشهيّتي المنتظرة، أسعدت أوقاتاً، أما بعد:

فها هو المطر نازل سحٌّ مدار، يشجي صوته أذني ويثير شهيتي للقائك. لا أدرِ كم ستمكثين في سفرتك هذه، سأنتظر على أية حال، صديقي يشاكسني ويكتب ردا على الرسالة السابقة "يا طول مشيك في البراري حافي"، عندما أنهيت الرسالة السابقة بأني سأنتظرك. صديقي يتابعني ويتشفى

بي، فأنا صرت أثير شهية الشفقة لديه، على طول رسائلي السابقة، وأنا أقول سأنتظر. صار الأمر مثيرا للشفقة فعلا. لكن لا بأس، فهو لا يعرف يقيني بك، ولا حبي لك، فأنا مستعد أن أنتظر أكثر مما انتظرت أضعافا، ما دام آخر العطش ريّ ووصال. أنا على يقين من هذا، ولعلمي أنك لست مراوغة، ومقدر ما أنت فيه من شغل وانشغالات.

حبيبتي القريبة مني والأقرب من روحي إليّ، هل تصدقين أنني أشعر بالدفء وبحرارة الدم تتدفق في شراييني وأنا أكتب لك على وقع المطر في الخارج؟ صوت الماء يشعرني بالسعادة، الجو لطيف نوعا ما وهو شاعري، يجعل وجودك ضروريا ولو بصيغة هذا التخيل الجميل. إنها حالة شبيهة بحالة "برد ورياح ومطر، تكتك على الشباك" لكن دون البرد والرياح، مطر فقط، نازل بهدوء وحنان ورقة كأنه ذلك الوصال المتدفق الجامع بين السماء وبين الأرض، التقاء محبين، وليس عنف محاربين. هذه هي الحالة في الخارج الآن. إنها حالة من الجمال الكوني التي تفيض نشوة في الروح.

أتمنى أن تكون أمورك بخير كلها، إلى الآن لم تتحدثي معي، عسى المانع خيرا، أخبريني إن استطعت ولو شيئا قليلا عن أحوالك، أنتظر كل شيء منك وأي شيء، وأرجو أن تكون صور المواد والقصائد التي أرسلتها لك نافعة، إلى الآن لم أستطع الحصول على ما وعدتك به، ووعدني أحدهم به. لم يعد الاتصال بي، ولم يرسل لي رسالة على الفيسبوك، يبدو أنه لم يتمكن من الحصول على المطلوب. لا تقلقي، الكتاب الأصلي بحوزتي، وسأزودك به في لقائنا المرتقب. فلعله قريب.

غدا بعون الله سألتقي ببعض الأصدقاء، لنذهب سويا لتقديم واجب العزاء في صديقنا المرحوم، أبو رأفت[1]، لقد عانى كثيرا رحمه الله في الفترة الأخيرة وتألم، لكنه لم يضعف، نابلس في الفترة الأخيرة خسرت كثيرا من أعلامها. يا لها من مدينة مستنزفة في كل شيء!

لا تنسي أن تتكرمي عليّ ببعض الصور من هذا السفر. أتدري ماذا فعلت اليوم؟ لقد جمعت كل صورك على الحاسوب في مجلد واحد، وأخذت بتأملها واحدة واحدة. صور وملامح تقول ما تعجز اللغة أن تقوله، ليست صامتة إلا لأنني عاجز عن الكلام وعن تفسيرها، إنما هي صور ناطقات بليغات، أقصى ما تكون البلاغة والفصاحة.

الساعة عندي الآن تعدت الحادية عشرة ليلاً، مستأنس وأنا أكتب إليك، كأنك هنا. وضعت اليوم اللمسات الأخيرة على ديواني الجديد "على حافة الشعر: ثمة موت وثمة عشق"، وقد قدمته بحب وجمال فارهين الصديقة العزيزة هند زيتوني. إنها كاتبة وشاعرة رائعة بحق. سأعمل على نشر الديوان في السنة القادمة (2022) إن بقينا من أهل الحياة والشعر والحب والجمال والحيوية.

الحبيبة الغافية بعيدا هناك في بلاد البرد والبعد، أراك بقلبي، دمت لي روحا لا تنقطع عن بث الحب والحياة، وإلى لقاء قريب أيتها المغردة في قلبي كعصفور دوريّ.

---

[1] الناشر محمد عبد الله البيتاوي، صاحب دار الفاروق للثقافة والنشر. توفي بتاريخ: 2021/11/18.

المنتظر بحب ولهفة.

الأربعاء: 2021/11/24

عزيزتي الجميلة الشهية، كل وقت وأنت أجمل مما أراك، وأشهى مما أتمنى، وألذّ مما ينبغي.

سعدت سعادة لا توصف، وقد سرقنا الوقت في الحديث أمس لأكثر من ساعة ونصف، كنتِ مليئة بالأفكار، مليئة بالغضب، مليئة بالحرقة، كنت رؤيوية مستقبلية أكثر مما قد يستوعب الآخرون. أحمد الله على أن تمت الأمور بسلام، وأنك لم تصابي بأي مكروه في رحلتك الأخيرة. كنت قلقا جدا وأنت لم تردي على رسائلي القصيرة المرتبكة كل حين. قلب العاشق دليله على ما يبدو.

هل صار الوقت أقرب من أي وقت لنلتقي، آمل أن يكون بعد أسبوع من اليوم كما توقعتِ، سيكون لقاء تاريخيا بالنسبة لأفراح قلبي المبتهل والمتبتل في محراب جمالك الشهي، يا ليتك تدرين ماذا أعد لك من جمال الاحتفاء والاحتفال بذلك اليوم. أرجو ألا تخلف الظروف موعدنا فتنكسر نشوة القلب ويغضب وجه العالم، وتسودّ صحائف الملائكة الرابضين على كتفيّ وكتفيكِ.

الحبيبة التي أغرق في تفاصيلها حتى قبل أن أراها. ألا انظري في هذه الطقوس لتستعدي لها، واتركي الأدباء والشعراء والنقاد جانبا ولا تدخليهم بيننا في اللقاء المرتقب، إنه لقاؤنا نحن، نجوانا نحن، حديث في الحب والغزل والشوق والنشوة. لقاء تأمل الجمال وتفاصيل التفاصيل في كلك المعلن والمستتر. يا له من لقاء يذيبني على شفتيك بقبلة تعيد إحيائي على صدرك المنتشي.

حبيبتي الجميلة الفارهة في كل ما يخطر على بال، وما لا يخطر في قلب حبيب بعد، أدسّ لك قلبي في تلافيف هذه الرسالة مغلّفة بهذه القصيدة المعدّة للقائنا فتأمليني على هديها. أحبك حتى يرضى الحب عنّي وعنك، ويشملنا بعطفه وكرمه.

من أين أبدأ طقسنا الموعود في ذاك السريرْ؟

تعاليْ بملابس الحبّ الأنيقةِ

مثل ضوء الشمعدانْ

وهيِّئيني قبل ذلكَ باغتسال مستطيل في مياه دافئةْ

واسترخي بقربي دونما تعب وخوفْ

لأعبر فيك بعد بعض مقدماتْ

وأكملي نقصي المعرّف ههنا

واكتملي بحرف من نشيدْ

عطشي شديد يا كؤوس الظلّ يا ولهي المديدْ...

تعالَيْ كِيْ أعدّ أصابعكْ
عشرين مرّة
ستاً وعشرين سنةْ
وأزرعُ بين نهديكِ الصغيرينْ
بين كلّ خليّتينِ
عبارتينِ
ووردة وقصيدة وحروفَ باءْ
تعالَيْ كي أغوصَ في كلّ التفاصيل المثيرة والقريبة والبعيدة في التخيُّلْ...
وأفوّضُ أمري للأصابعِ
للحكايات الغريبةْ
للصدى الممتدّ عند الدغدغةْ
واستقيمي في متون الآه عند إشباع الفراغ لتلك المحبرةْ
مُبْيَضّةً وحليب ماءْ
تعالَيْ مثلما تأتين منّي
خليّة مرويّة مجليّة مثل بلَّوْر مُضاءْ
واستكملي أنثاك فيّ بكلّ أصناف "الذكاء العاطفيّ"
وجِنّي في اشتعالات الضياءْ
تعالَيْ مثل رائحة الشِّتاءْ
بما تبدّى من ربيعك عندما تجلى على شفتيكِ أحلام النساءْ
تعالَيْ مثلما تأتي الغيومْ
واستفيقي في مساحات امتداد أصابعٍ عشرينَ في مرح السماءْ
تعالَيْ مع حساسينٍ وجوقة أنبياءْ
ورياح ناعمات الخطو مع ذاك الفضاءْ
لا تتركي شيئاً وراءك دون أن يحلو على مسّ الصفاءْ
تعالَيْ والشفاه نديّة محمرّة عطشى تردّدني بين حرف ندائها من قبل أن يصدى النداءْ
تعالَيْ قامة حوريّة ورقاء مثل يمامة هدلتْ
وأشجت في الغناءْ
تعالَيْ يا ابنة الكرم المعدّ من اغتباقك كلّما حلّ المساءْ

تعالَيْ مثل نهر جامح على شطّيْهِ مغتسلي
وتعمّدي طقساً تمرّد مثلما شئتِ يشاءْ
تعالَيْ علّنا في الوقت ندخل دون لعبته الطويلة في افتعالٍ واقتضاءْ
دون فلسفة أو كسرة من فكرة أو ربّما شيءٌ يؤخّرنا عن المضمون في كلّ ابتداءْ
تعالَيْ دون أيّ شَيْءٍ
غير أنتِ
أنت أنت الاشتهاء الكامل الإحراق في كلّ اشتهاءْ
أنتِ الإضاءاتُ المسافرةُ النقيّةُ كلّما أزهرت رؤيا
واستعرت الحرف من خلل السناءْ
تعالَيْ كي تعدّيني كما كنتُ فعلتْ
وتخفّفي من لحظتين جريحتين قصيرتين في هذا اللقاءْ
وتفرّغي منّي إليَّ بكأس الخمرة النشوى تدفّق في انتشاءْ
تعالَيْ كي أقصّ لك الحكاية كلّها
فعند طفولتي الأولى تعلّمت الرواية
وتركتها مكتوبة على جدران ظلّي
ولم أكمل نهايتها
وبدأتها بوشايةٍ العرّافة الكبرى
تعلّمني اغتيالي في يديك مشيتُ
أصغي لأشجاري وعرّفني النداءْ
تابعاً صوتاً بعيداً قادماً من غربة محفوفة
تقتات من عسفِ الخفاءْ
تعالَيْ واسمعي ضوئي
تشرّبيني أغنياتْ
فأشيائي الخفيّة ناضجةْ
ويرضعها الخافت المحموم أكثر من شتاءْ
تعالَيْ واكتبي إحياء أسفاري على وهَج اللقاءْ

حبيبتي التي يجلها الوقت وترفعها اللحظة إلى مقام القديسة إنني لمنتظر على أحر من الجمر. سأخبرك سرا عندما نلتقي ماذا حدث معي وأنا أكتب لك هذه الرسالة الغارقة في نشوة الرضا والجمال.

الاثنين: 2021/11/29

حبيبتي وشهيتي أسعدت أوقاتاً،

منذ أمس وأنا لا أستطيع التفكير إلا بشيء واحد هو أنت وشهيتك الباهرة. لأول مرة في حياتي تستولي عليّ هذه الحالة، كلي مشتاق لكلك وإلى الآن في هذه اللحظة، أريدك بكل ما أوتيت القوة من طاقة، صورتك وحديثك وهيأتك وشهوتك وضحكتك لم يفارق أي منها عقلي. إنني أتوجع يا ... وجعاً لا أستطيع تحمله.

نسيت ما يفصلنا من مسافة، وصرت فيك في طرفة عين، نقلتني مما كنت غارقا فيه إلى بهجة روحية وحسية لم تكن لتتكرر أو لتكون أصلا لولا تلك المفاجأة التي جعلتني مندهشا مشدوها، هربت مني الكلمات وعجزت عن التعبير. كل ما كنت أريده هو أنت؛ لأنعم بك وبشهوتك وأطفئ حرارة تجتاحني بعنف ليس لي قدرة على وصفه.

حبيبتي المتصببة جنونا وجمالا، أكتب إليك لأنيم ما صحا فيّ من جنون وشوق، فهل تستطيع الكتابة أن تردّ إليّ جزءا من هدوئي. يا ليتك الآن معي، وبقربي، لكنا صنعنا ما يجب أن نصنعه، ولكنا خلقنا اللحظة التي فيها نحترق سويا في مراشف العشق الندية التي تحولنا إلى نبتتين خضراوين نابتتين على أطرافنا.

ها نحن أيتها الحبيبة على مشارف الوعد، فلا تجعلي المسافة أطول مما هي، فتعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي، منتظر ومشوق وممتلئ بك كلي. أكاد أشم رائحة النشوة في صدرك وفي وردتك الناضجة وفي سمرة جسدك المشوب بالزهرة الناعمة.

تعالي يا .... تعالي، لقد احترقت بك، فلا تنتظري أكثر، ولا تجعليني رمادا تذروني الرياح في معمعة العاصفة المجنونة التي صنعتها في كياني وأبت أن تهدأ إلا أن أعبرك بكل جلال وقداسة النشوة. لقد امتقعت بمائي مرتين وأنا أكتب لك، فهلا رحمتِ جنونك فيّ أيتها الإلهة التي لا تقاوم.

أحبك فلا تتأخري عني.

رسائل 2022

أحبك وأنت كآلهة تعلو على كل بشري لتضيئ وجه العالم باللغة

الجمعة: 2022/8/5

سيدتي وسيدة الشعر، صباحك مثل وحي يرتل أغنية.

أعود إليك في كل حين، أطالع سعدك الميمون وأقدارا جمعتنا، وأشم أزهارا أهدتنا رحيقها الصباحي معمدا بندى الشهد المقطر من شفتيك القرمزيتين، أعود إليك في كل التفاصيل، في رسائل الصباح الغامرة بالمحبة والمودة وأشكال الحظ المتشكل في صورة الورد وفي بوح أغنية تحمل عني وعنك ما نكابده ونشتاق لأن نقوله في أجمل تعبير يتجاوز حدود الحروف ويتسامى فوق أحجار الأبجدية الصماء، فهل لها أن تحمل ولهاً عميقا كالذي نحمل يا سيدة الشعر؟

أعود إليك وإلى تلك الرغبة الجامحة في أن تلقي بتعبك على كتفيّ فترتاحي وأنت تتنفسين أنفاسي، وتشعرين بالأمان، فلا تجدين من أحد سواي لتبثيه ذلك الهمّ المتجمع كغيمة أحاول أن أبددها بلمسة شوق تنهال كرذاذ الربيع لتغسل كل ألم.

أعود إليك، وتعودين إليّ كلما ضاقت النفس بأسرارها، لأجدك حضنا دافئا، يحضنه الصباح، ويخصه بكل بوح جميل في معناه، مسافر نحو دهاليز النفس، يفتش عن كل بارقة نور تسطع هناك؛ لتلقاني وقد تهيأت لأكونك وردة تضمينها إلى ورود بساتين العاشقين، فتروينها بكأس من خمرة القبل المعتقة الحنين.

أعود إليك كما يعود النهر لمصبه، فيسكب كل مائه كطهور الروح التي تعفنت بأورام الواقع الأليم، فتصنعين الأبجدية الملقاة على عاتق اللغة لتقول عني ما يجب أن تبوح به، أعود إليك كطفل بريء إلا من غواية الحب العفيف الذي يطلبك كل صباح ليراك أسنى وأبهج وأكمل.

أعود إليك في نغمة الرسائل الملتاعة، لأكون قربك حيث أنت هناك تعانين مما أعاني من سيطرة الرقباء المتربصين ببوحنا، فينتابك بعض من خوف وشوق وحب، أعود إليك كما تعود الموجة الهاربة فتنداح مطمئنة في أحضان حبيبها ذلك البحر الذي ضمها ليعيد تشكيها على هدي نور القمر الجميل، يا سيدة الشعر الجميل.

أعود إليك مع كل رشفة من فنجان قهوة علاها السحر من طعمها المرّ، ليحلو الزمن، ويعود كما كان أول ما كان، خاليا من كل ما عداك من صور وأغنيات وأمانٍ شارحات جمال الجنون، وقد تعالقت الأرواح، وتغازلت القهوتان بصورتي وصورتك في ذات الحلم القديم الجديد، وكأنه عزف متصل لا نهاية له.

أعود إليكِ وأنا الذي لم يفارقه الحنين، أعود إليك كما لم يعد شيء لأصله، أعود إليك ليكون ذلك الذي نطمح أن يكون، فلا شرف كشرف الحب الطاهر، ولا نفْس كنفسك الفائحة عطرا أبديا يا سيدة الأبدية، إليك إليّ أعود، ولن أبرح أن أغني لك كل صباح ما نبت في خاطري من بهجة اللقاء

القريب، حتى وإن كان أملا وحلما لن ينتهي التفكير فيه، فأنت ذات وصال الروح ولا مندوحة عن أن تكتملي في ذات بهجة ذات صباح في يوم هو إشراق المنى يا سيدة الشعر.

دمت للصباح ورده، وللغناء لحنه، وللصورة سحرها، وللزمان عبيره، ليحملك الصباح على أجنحته فيضمك الزهر والنسرين وطوق الياسمين، فيفرح القلب المشتاق وقد ارتوى من كؤوس الوصال من جمال جمالك الذي ليس له مثيل.

يا سيدة الشعر أحبك وأنت كآلهة تعلو على كل بشري لتضيئي وجه العالم باللغة.

الجمعة: 2022/8/12

سيّدتي وسيدة الشعر المحمّل على مراكب التاريخ، صباحك الجمال والحب، أمّا بعد،

ما زال في الورد سر لم يُذَع بعدُ، ولم يكن ذلك الماضي الذي ربما توجست منه إلا عاملا من عوامل صياغتي كما أنا الآن فعلا، فما هو أنا غير ذلك العمر المتراكب في ذاتي ووجداني وعقلي، صقلته التجارب ونحتته الظروف ليخرج في نهاية المطاف أنا بصيغة ما، ولولا كل ذلك لما وجدتني الآن كما أنا في ذلك الذي تحبينه فيّ.

سيدتي وسيدة البهاء،

يكتبنا الزمان بسفره كما يحلو له القدرُ، وهل لنا أن نعترضَ؟ وهل لنا أن نعاند؟ وهل لنا أن نغيّر مجرى مجهولٍ لا ندري إلى أي الدروب يسحب قامتنا النحيلة الواهية؟ فأينا يملك روحه ليملك مستقبله؟ شيء جارح ربما، لكنه وقفة تأمل لعلك ترتاحين قليلا من همّ اللحظة وثقلها، فالغيب ليس لنا، وما علينا إلا أن نُعدّ للخطوة القادمة، مهما كانت مجنونة، لكنها بالتأكيد ضرورية جدا لاستمرار بوح الورد والأغنية والعمر المصنوع من مواضٍ تتخايل كبعض تباريح في ريح قادمة، علينا أن نصمد في وجهها، نتحداها لنكون أجمل.

سيدتي وسيدة المعنى المكتمل بضياء الروح،

عرفتك جيدا، بتفاصيل مكتوبة على لوحة من أمنيات، كتبتُ لك وأنا على قناعة بأن الغد القادم أجمل، فالماضي جهزنا بعقاقيره المؤلمة، لنكون بصحة وعافية، وأرقدنا على سرير مشافيه لنكون أصلب عودا، لا أن نعود بكامل سذاجتنا إلى السرير نفسه مرة أخرى في ذات المشفى لنتناول الدواء نفسه، فلا شك أنه لن يصلح الآن بعد هذه المدة التي مرت ونقلت خلايانا إلى نوع جديد من العيش والأمل، فلا يصلح غذاء الأمس ليكون طعاما للغد.

سيدتي وسيدة اللحظة المتوهجة،

من منا لا يعيد التفكير، ولا يعاوده الحنين؟ من منا يقبل لنفسه أن يغتسل في ماء اغتسل فيها قبل حين حتى أسنت؟ من منا لا ينظر إلى سنيّ عمره المقطوعة كأنها غابر وعابر وشيء ما؟ ولن نقول

إنه لم يكن، بل علينا أن نعترف أنه كان، وأنه جزء منا، ولكنه ليس لنا من أوجاعه المعاصرة نصيب، فنحن الآن لسنا نحن قبل أيام، فكيف وقد مرت السنوات الطوال، علينا أن نلتفت إلى شؤون قلبنا، ونعترف بأنّ له حقا علينا، يجب أن نؤديه لا نتركه مهملا، فإنه لا شك سيموت ويذبل، ونصبح شبه آلات تحركنا الحياة واحتياجاتها، لنصل في آخر محطة العمر، وقد ندمنا ندما شديدا على أننا لم نقتنص فرصة العمر السانحة.

سيدتي وسيدة القمر المطل علينا من علو شموخ ليلته الوردية،

كان ما كان، ولم يكن ليكون غيره، فهذا هو القدر، بخيره وشره، فلا تندبي الحظ لا قليلا ولا كثيرا، وكل ما عليك وعليّ مجابهة ما يعترض قطار وصولنا لمحطة اللقاء الأخيرة، ولنكن على أتم الاستعداد والجاهزية، فالعمر قصير، والأماني مشبعة، فلندعها تهطل بالوصال القريب.

ثلاث رسائل من (ص. ز)

الثلاثاء: 2022/3/1

يا لمحاسن الصدف، كيف عثرتُ عليك فجأة؟ لقد سرني جدا وأفرحني أنني قرأت ديوانك الجديد "**وشيء من سرد قليل**"، أعجبني ما فيه من أفكار. أظن أنك كنت تكتب على جسدي أنا وليس على جسد حبيبتك التي اشتهيتها وربما أغرقتها بمائك وغرقت هي بمائها وهي تقرأ. يا لها من امرأة محظوظة، كيف لك أن تربي نهديها بهذه الرقة وبهذه العذوبة، تمنيت أن يكون نهداي هما من رسمتهما أو تبتلت على قبتيهما ومسدت أديمهما ولاعبت حلمتيهما. إن لي نهدين أجمل من نهديْ حبيبتك. صدقني ستجن لو رأيتهما، سأرسل لك صورة لترى.

كيف أثرت شهوتي وشهيتي أيها الـ ....، القبلة عندك في هذا الديوان عالم مفتوح، جعلتني أعود إلى تلك المرات التي استمتعت بها عندما كان يقبلني حبيبي خلسة يسرق قبلاته من خدي في غفلة عما حوله، إنما أجمل تلك القبل هي القبل الثورية التي تفجر المشاعر وتذيب الكيان، تخيلتك بي تقبلني بكل هذه القبل التي مررتها على شفتيْ ونهديْ وبطن وشيء ورقبة حبيبتك، يا ليتني كنت أنا التي تقبلها وتعصر شفتيها بشفتيك، لتحييني، أنا الوحيدة التي تنتظر حبيبا يعيدها إلى الحياة أو رجلا يشغف بها فيأتي بها ويرفعها إلى نشوتها القدسية. لا تخف لم يبق من أثر قبلته على شفتي وجسدي شيء، فقبلني في أي مكان وستراني كما تحب فلن تشم رائحة ذلك الرجل الذي رحل منذ سنوات، نسيته تماما فلا تقلق لن تشعر بالغيرة وأنت معي، ستنسى أنك على الأرض، سنكون وحدنا في جنة الشهوة، وحدنا وحدنا!

لا تستغرب أيها العاشق الفنان، لقد خلعت كل أعذاري وأنا اكتب لك، متجرئة شجاعة. أكتب إليك وأنا عارية تماما في السرير أشتهيك وأكتب فتضطرم شهوتي فأفيض فأرتعش فأشعر بالبرد فأبكي وأشتمك، يا إلهي كم عذبتني أيها اللئيم بهذا الشعر الذي أحرق روحي وأشعل جسدي.

كتابك هذا مجنون مثلك أيها النحيل النحيف، أعرض عليك أن تأتي إليّ في شقتي لتقضي معي ما شئت من الوقت حتى ترتوي مني وتشبع، وأعصرك في سريري كحبة ليمون وتعصرني كحبة برتقال شهية ناضجة، كرزتاي على صدري تنتصبان كلما قرأت جملة من هذا الشعر، ووردتي بين فخذيّ تبتلّ كلما مددتَ يدك نحو وردة حبيبتك.

لا أريد أن تحبني ولكن أريدك أن تروي عطشي أيها المجنون، تعال ولا تبطئ عليّ ولا تبخل علي بك. وإياك أن ترفض فسأقتلك لو راوغتني وتركتني رمادا دون أن تعيد لي بعض زهر قد ذبل. أنت الرجل والشاعر الذي أعطيه كل ما يريد فأنا لك كيف ما أردت ومتى أردت.

أرجوك لا تقل عني شبقة أو عا....رة. إنما من حقي أن أشتهيك أنا أيضا. لو رأيتني جنبك في السرير أعلوك حينا وحينا تعتليني ستنسى العالم؛ فلديّ صدر سيشبعك، وفرج سيسعدك، وردفان

يزغللان عينيك ويمرجحان شهوتك بانتصاب كامل، وفخذان شهيتان مكتنزتان وشفتان لم تتذوقا طعم قبلة منذ سنوات. فالنهر فيّ يعود إلى الجريان بفعل شهوتك التي لا تقاوم!

طلب أخير مسموح لك أن تنشر هذه الرسالة إن أحببت فلا شيء عندي أخاف عليه أو منه. إنما الخوف كله ألا أكون بجنبك ولو لساعة من زمن.

أشتهيك يا رجلُ فلا تتأخر!

ملاحظة: صورة المرأة[1] التي في هذه اللوحة العالمية تشبهني كثيراً.

الجمعة: 2022/3/11

صباحك قبلة تنعش روحك الحلوة. صحوتُ من النوم باكرا جداً، كنتَ فيَّ، غارقاً في حرير جسمي وتعوم في شهوة مائي. يا لتلك اللذة ما أبدعها معك! يا ليتك بقيت مدة أطول، وليتني لم أصحُ...

أرجو أن تقرأ رسالتي قبل أن تقوم من مقامك. أعتقد أن سريرك دافئ بمن فيه، لكنني لو كنت أنا التي فيه لأصبح أكثر دفئاً. فلو كنت معي وبجنبي لكان للوقت طعم الجنة... إياك أن تشك بمثل هذا!

يكاد يقتلني الفضول لأعرف... أظن أن حبيبتك قد سألتك عني، أليس كذلك؟ أعرف أنك لن تجيب على رسالتي هذه. أشعر بخيبة أمل أنك لم ترد على رسالتي الأولى، واكتفيت بنشرها على الملأ. لا مشكلة لديّ، انشر ما تريد، وأشبع غرور ذكوريتك. أصدقاؤك مثلي يقتلهم الفضول يا ليتك حدثتني عما حدث بينك وبينهم، يحسدونك عليّ أليس كذلك؟

في فترة انتظار رسالتك التي لم تأتِ قرأت كتابك "نسوة في المدينة"، لم يعجبني كثيرا، هناك مشاهد قصصية جميلة لكن الكتاب بالمجمل كتاب ليس جيدا، تعاطفت مع امرأة الفصل الثاني، يا ليتني كنتُها، هل هي بالفعل حبيبتك التي تكتب لها كل شيء كل يوم؟

سأبوح لك بسر لو طاوعتني، فإنني أعرفها جيدا وقابلتها كثيرا، أظن أنها لا تستحقك بالمرة، لو كتبتَ فيّ ما كتبتَه فيها ووصفتني كما وصفتها لم أدعك تفلت مني دقيقة واحدة قبل أن أعصرك كلك فيّ. وأريك كل شيء كما وصفته، ما زلت أحفظ شكلها كما ترسمه في قصائدك... كلما قابلتها تفحصتها وأقول: كم أنت بارع في الوصف والتصوير. أعجبني جدا تركيزك على عجيزتها ونهديها، أؤكد لك أن لها عجيزة رائعة ومن حق لعابك أن يسيل على شقّيها وما بينهما، ونهداها جميلان ومغروران يقتحمان العين دفعا لانتصابك مع أنها قاربت الستين عاما على ما أظن، أعذرك لكنها لا تقدر قيمتك!

---

[1] ترفق مع الرسالة صورة لوحة للفنان أنتولي كولوجين (Anatoliy Kalugin).

المرأة في الفصل الرابع امرأة غير ناضجة لغويا، ولا مشاعريا، أعتقد... إن كانت فعلا حقيقية، ستصحو من سكرتها وستتركك.

اسمع، أعرفك كلك، وكل ما فيك أعرفه حتى موضع الشامات في جسدك، ستقول أين لي هذا سأخبرك لو شاركتني ليلة واحدة على الأقل في شقتي. ها أنا أطلب منك للمرة الثانية أن تزورني في شقتي، لا تدّعي أنك يوسف عصرك، تعال واشبع مني وأشبعني إلا إذا كنت لا تستطيع... فالأمر مختلف.

كل يوم تنام صورتك معي، تخيل أنني أضع صورة لك على صدري يوميا قبل أن أنام... أغفو وأنا أتخيلك تمارسني برقة حتى أصل لكامل شهوتي وأنت فيّ.

لعلك لم تصدق، ومعك حق، ولكن تعال وانظر، وادخل إلى غرفتي ونم معي على سريري وتمتع بي. واستحمّ معي سترى جنوني، سأعيد صناعتك على مهل. وأنسيك كل النساء العالقات على جثتك، سأزيلهن كلهن، وأتركهن ماضيا يعيش في كتبك وقصائدك.

كم أشتاق أن تكتب ردا على رسالتي، هل تخاف مني؟ أطمئنك أنني لست مخابرات لأوقعك وأستغلك، كل ما في الأمر أنني أشتهيك، وأريدك، ولن تفلت مني مهما حاولت، سألاحقك لآخر نفس فيك وفيّ، وستجثو يوما بين فخذي لتُروى. أنا متأكدة، ولن يطول بك التمنع حتى تهطل مطرا غزيرا يغسل لوعتي وحر اشتياقاتي.

قبل أن أختم...

جميلة مقالتك حول فيلم صالون هدى، وأشاركك الرأي فأنا يسارية التوجه مثلك، كم كنت مذهلا في التحليل وخاصة فيما له علاقة بالسلطة والمقاومة. أرجو ألا تنسى أنك أيضا معلمي، تعلمت على يديك أشياء كثيرة، فدعني أرد لك جزءا من هذا الجميل، لأعطيك نفسي راضية مرضية.

لن أرسل لك صورا لي هذه المرة حتى ترد على رسالتي أو تأتي إليّ، ستجد مع هذه الرسالة شيئا من جمال الطبيعة في الصورة المرفقة، وهي مسروقة عن صفحتك تحمل أمنيتي لاحتضانك كما احتضنت الزيتونة شجرة لوز مزهرة!

على أمل قريب باللقاء!

الثلاثاء: 15/ 3 / 2022

مرحبا،

عساك بخير، أنا لستُ بخير مطلقا ونهائياً، لم أستطع الانتظار حتى موعدي الأسبوعي الذي قررته أن يكون موعدا رتيبا بيني وبينك، أشياء دعتني لأكتب لك قبل هذا الموعد.

لم أنم طوال هذه الليلة، الكوابيس تلاحقني، تسيطر عليّ صورتك، صرخت مرات عدة في عمق الليل، صرت أشبه بالمجنونة، فكرت بالاتصال بك عدة مرات، بين الاتصال وعدمه ثوان، أكاد أجن، أكاد أجن، لا شيء فيّ هادئ كل ما فيّ يطلبك ويشتاق إليك، لا شيء ينقذني من هذا الضياع سواك، أخاف أنني تجاوزت مرحلة التعلق الجنسي بك إلى الحب. هل سيحدث ذلك؟ جواب هذا السؤال عندك.

لا أعلم؛ هل صرت تنتظر رسائلي، وما هي ردة فعلك عليها؟ كم أنت غامض يا فراس، كم أنت جبان. لماذا لا تبعث إليّ ردودك؟ لماذا فقط تقرأ وتصحح أخطائي الإملائية والنحوية وتنشر رسائلي؟ هل حولتني بهذه السرعة إلى مشروع كتابي؟ كم أنت انتهازي لئيم!

كدت أختنق في جوف الليلة الماضية وأنا أشعر أنني أغرق في فضاء لستَ فيه، ليس هناك هواء، يا ألله أين ذهب الهواء؟ أين الأكسجين؟ هل سترقّ لحالتي وتراني، على الأقل في مطعم أو مقهى؟ لا أريد منك أكثر، رسالة فقط، رداً من كلمتين أو حتى كلمة، لا أريد منك أكثر... لا تتركني فيك معلقة بين أرض باردة وسماء لم ترحمني.

أحس نفسي أنني على حافة الانهيار، هل يرضيك سقوطي وانتحاري للخلاص من هذا الجنون؟ صدقني لو قلت لك إنني سأنتحر لو بقيتَ على هذا الصلف والتكبر، لا تجعلني أكرهك.

كل ما يجنني ماذا ينقصني لماذا لا تريديني، وأنا امرأة كاملة مكتملة كل شيء فيّ طيب وناضج وشهي، يا لهذا العفاف الذي يحيطك فجأة وأنت الذي لم تقصّر في أكل النساء وشربهن وتمزيق لحومهن، والانغماس بين أفخاذهن واستعمار نهودهن ومصّهن وعرك فروجهنّ. وقّفت عليّ! يا لك من ساديٍّ لئيم مجنون غبي! إياكَ أن أموت بسببك، لعنتي ستظل تلاحقك طووووول عمرك!

رسائل صوفي

فيضٌ عليك وألفُ يا وردة في الروح تهفو

الأربعاء: 2021/3/2

عزيزي فراس

عندما نحيا ونتمنى ونأمل ونتأمل لا ندرك الخافيات، إنها تقاديره سبحانه وتعالى، لقد منحتني الحياة الكثير، عائلة أحبها جدا، وإنسان مثلك كنت السند والصديق ومجمع كل شيء جميل بالنسبة لي.

حاولت مرارا أن أتحايل على نفسي وأكتب بطريقة لا أزعجك، لكن الطرق أمامي مسدودة، علينا أنا وأنت أن نواجه مصيرا حددناه في جموحنا وأفكارنا، أن نواجه الواقع، أكتب إليك وكلي أمل أن تفهم موقفي، ربما لو التقينا في زمن آخر لكانت لنا حياة جميلة معا، أما وقد اجتمعت علي الكثير من الأمور الصعبة فقدت رغبتي في كل شيء، زهدت، زهدت في الحب، وزهدت في الأحلام.
أعرف أن القرار الذي اتخذته اليوم سيكون صعبا على كل من حولي، بل وصعبا علي، لكني أمّ أولا وآخرا، وكل همي أن أسلم الأمانة وأنا مطمئنة وراضية، لقد قررت اليوم العودة إلى زوجي والد أبنائي، اعترضت العائلة كلها على هذا القرار لكني أعرف تماما أن هذا هو ما يجب أن يكون، لا أريد أن يموت أحدنا وقلب أبنائي ممزق بالشكوك والظنون، لا أريد هذا الشتات لأطفالي، لقد رأيتهم كيف يضيعون مني، تائهون بيني وبينه، خاصة بعد فحوصاتي الأخيرة وبدء انتشار المرض.

فراس.

لقد كنت صادقة معك كل الصدق، لكني الآن عاجزة عن المضي قدما، لم يعد لدي أي رغبة، وأنت تعرف تماما طبيعة العلاقة بيني وبينه، وكان شرطي أن نبقى كما كنا، كل في زاوية لكننا تحت السقف ذاته.

سأترك لك خيار أن نبقى معا أصدقاء نتشارك كل شيء، أو إذا فضلت الابتعاد سأحترم رأيك مهما كان مع العلم أنني متمسكة بك لكن بصورة أخرى بعيدة عن فكرة الزواج.

عزيزي فراس.

أتمنى لك مزيداً من الإبداع وأن يتم الله عليك العافية والرضا ويسعدك مع عائلتك وزوجتك التي لم يفارقني حتى اللحظة صوتها المخنوق عند علمها بالأمر.

ورغم ذلك مضيت، لكن حكمة الله غلبت كل شيء.

سأواجه ابتداء من الأحد علاجا جديدا سأبدأ معاناة أخرى فوق معاناتي ولا أعرف إلى أي مدى سأصل. كن بخير. ممتنة للحياة التي عرفتك فيها.

إلى اللقاء.

صوفي

الأربعاء: 2021/3/2

عزيزتي صوفي

أعرف أن أحلامي الجميلة عمرها قصير، لكن هذا الحلم كان أجملها، لذا فإنه أقصرها، تتنازعني الآن عاطفتان، لا أخفيك أنني من داخلي صدمت، من رؤية هذه الرسالة الطويلة، وقدرت أنها ستحمل شيئا مزعجا.

لقد توقعت منك موقفك هذا أمس، عندما أبلغتني بما حدث، وربما أنا شخصيا للحظة، تعاطفت، وتخيل إليّ أنك عدت إليه أو أنك ستعودين إليه، وهذا ما تمّ. قلب العاشق دليله.

يؤكد موقفك كم أنت نبيلة وشفافة، مع أن القلب يقول لي عكس ما يقول العقل في هذه اللحظة، إلا أنني أقدر موقفك هذا تقديرا عظيما، على الرغم من أنني أغالب حزني الشديد على كثير من الأشياء، والأحلام والتصورات والتمنيات. الموقف صعب، لكنك اخترت ما هو صائب، أقول ذلك وأنا أدعس على قلبي وأخنقه بحزنه.

أحترمك وأقدرك وأحبك، وأتمنى من الله العلي العظيم أن يشفيك وأن تتحسن الأحوال، ويزهر الربيع في دروبك كلها.

سيظل لك في قلبي مكانتك الخاصة التي لا تضاهى.

ف. ح

السبت: 2022/3/19[1]

أيُّها المجنون:

كيفَ سوّلتْ لكَ نفسُكَ أن تقرأَ رسالة تلكَ الماكرة؟ ألم ترَ كيفَ دسّتْ سُمّ شهوتها في السطور؟ هل تلذذتَ بكلماتها، هل تخيلتها؟ إن كان لديك القدرة أجبني. هيا، اعترف، هل تحركت فيك مشاعر الرغبة؟

هل عضضتَ شفتكَ السُّفلى بينما تقرأ شبقها المُتناثر كقنبلةٍ متفجرة، ماذا عن شظاياها، هل لامستْ أعضاءك عضواً عضواً، هل غفوتَ على وسادتكَ مع ابتسامةٍ متلذذة بما قرأت ووسع خيالك كل شيء؟

أنا أكرهك، أكره هذه العنجهية التي تناولتَ فيها رسالة من غريبة، وددتَ لو كانت منذورةً لك، بينما تدفعُ بها إلى صفحتك وبريدك الإلكتروني مغترّاً ومُتشاهياً، لا أدري إن كان بوسعي أن أصمت أكثر، فأنا أعتصر قلبي بين يدي وألوكُ عُصارتهُ، ثم أقذفُ به آخر الدرج ليتدحرج أمامي على الشارع فيدوسه المارة، لن يشفي غليلي سوى تقطيعه إرباً إرباً، ومحقه محقاً وتسويتهِ في الطريق فيتحجرَ ويصبح كالأسفلت.

---

[1] تعترض على الرسالة الأولى للمرأة المدعوة (ص. ز)

أيّها المجنون،

قفزة واحدة صوبَ جهنم أهونُ عليّ من امرأةٍ أخرى تُصاحبُ جنونكَ واشتهاءك، لذا، عليكَ تقديم نذورك، إما أن تراني كل نساء الأرض، أو تراني كلّهن، لا خيارَ ثالثاً بينهما أو سواهما، وإلا سأحلّ سفكَ دمي للغيم يبعثرُ جثتي كنسيمٍ رطبٍ يتبخرُ لحظة شمس، وسأتبرّعُ بعينيّ التي تراكَ في كل شيء للكلاب الضالة في الشوارع لتفقأ فيها كلّ الحب، وسأجهشُ بروحي، أصرخها كصرخةٍ أخيرةٍ لا تقوم بعدها إلا الساعة.

فهلا أرحتَ قلبي وقلتَ لي إنكَ من كتب تلك الرسائل لتثير فيّ براكين الغيرة، أو أنّ تلك المعتوهة بشعة للغاية وعجوزاً هرمة وتكتب لكَ من باب الدعابة لا أكثر، لا، لا أريد هذا الحل أيضاً، فهي بكل الأحوال امرأة.

أخبرني كيفَ أعفو وأصفح عنكَ الآن، بينما أرفعُ صخرتي أعلى الجبلَ، فتتقاسمُ العصافيرُ ضحكاتها على خيبتي، ثم أنزلُ الجبلَ مرةً أخرى، أحملُ صخرتي وأرتفعُ بها غير آبهةٍ لتقوّس الخوف في جنباتي.

كم أكرهك، أيها المجنون، ليتَ كل نساء الأرض يتحوّلنَ ذكوراً سواي، وأبقى امرأتكَ الوحيدة حتى أموت.

صوفي

الاثنين: 2021/4/19

أعرف أنني لن أجرؤ على إرسال هذا النص إليك، وأحاول قدر استطاعتي بل وسأبذل جهدي أن لا أرسله، لكني في النهاية سأقوم بذلك.

وسط كل تلك القفزات لا أريد أن أقول لك إنني فجأة تحولت إلى كنغر، أقفز كثيرا بقائمتين أماميتين أقصر من الخلفيتين، لكن ما يثير اهتمامي أنني أحمل في جعبتي الكثير، قناديل تتكور في رحم الكلام، كتّاب عميان عاثوا في الورق خرابا، وحجارة أنوي أن أجلخ بها الحكايات التي تتعاظم في رأسي... كل ذلك ونسيت أن أخبرك عن بقايا عطر امرأة بتّ معها في كوخ بعيد ليلة كاملة، امرأة اشتهت رجلا في البعيد وتعثرت في الوحدة، سردتما أحاديث كثيرة لم أعرفها، وشربتما الشاي معا دون أن أعرف هل حلو كثيرا أم فيه بعض المرارة، أعرف أنكما في تلك الليلة الباردة لم تفكرا في حضن دافئ يجمعكما، لا لأنك قديس فلم تربك أنوثتها، ولا هي كذلك لتغمر فجوة عميقة داخلها، بل لأنكما قصيدتان تترنحان في بال شاعر مغمور هيأ للحياة فضاضة المعنى.

أعرف أنني لست جريئة إلى الحد الذي أخبرك فيه بغيرتي منها، ولا أجد تفسيرا لذلك.

هل لأنها أخذت فسحة ليلية كان من الممكن أن أخلق فيها تكوينا آخر معك؟

أم أن الشياطين الكامنة فيّ كانت مترنحة كثيرا وأيقظت آلهة غيظي؟

أجل، أنا امرأة غيورة جدا أذوي في حديقة منسية نبتت في عطر امرأة أخرى اخترق الحدود إليك.

ربما أجرؤ ذات يوم وأرسل لك هذه الرسالة لسبب بسيط، أريد أن أغيظك، ربما نبشت الكلمات العالقة في رأسي وتخلصني من كل هذا الطنين.

صوفي

يضمني بساعد اللهفة، يلفني بأولى همسات الشبق، وحيدة أدنو إليه دون رحمة برعشاته، سأعاقب الغياب بقبلة أقول في سرى وأختبئ في ثنايا صدره.

أطوي خجلا قديما، أتسلل بشفتي على عنقه الرطب أقبل كل خلية، أدنو من شحمة أذنه، كم هي شهية بين شفتي، أنصت لتأوهات لذته فيذوب كل الثلج الرابض فيّ، وأعرف أني مثل اللهب سأهب في الجسد، كل الجسد كلما اقترب.

أفترس صدره، عالمي الذي روضته بيدي وقبلاتي، أخلع عني ثيابي ليصطك اللحم باللحم فنلتصق مثل توأمين خلقا في جسد.

يلتحم الصدر بالصدر واللسان باللسان، تلتحم النار بالنار وتتأجج الشهوة.

يدفعني إليه، ينتصب فوق أحلامي وشغفي أمنحه جسدا فائضا بالشهوة، وأشعل له لهيب غنجي ودلالي، أغرز أظافري لذة في ظهره ويمنحني كثيرا من القبل.

أباعد بين شجرتين عالقتين في جسد الحب...

فيهتز الكون.

صوفي

قصيدة ورسالة

أريدها مثلَ النهارِ واضحةً، تقشّرُ أشياءها على مَهْلٍ معي

عشرونَ قنديلاً لحبيبتيَ الغائبة[1]

1

نصبح فينا على خيرٍ

الآنْ

ننهضُ مِنْ علينا

نضحك لآخر ما تبقّى من حلمْ

فينا وحدنا

يتنفّس الورد عطور صباحنا

وجهكِ وحده الساطع في وسْط العتمةِ

والبردِ ودفقِ المطرْ

يا ليتني الآنَ بعمقِ حِضنكِ دافئاً

لأشعرَ أنّني حرٌّ وحيّْ

2

هذا الصباح الياسمينُ

لمن يكونُ؟

لحبيبة تُهدي الجمال بعمقهِ

فيشتعلُ الحنينُ

هذا الصباح الياسمينُ الفذُّ

كيف يكونُ؟

لك الأزهار شعشعها الصبا

فالحبّ دينُ

3

هذي الأنا اللّا شيءْ

تغرق في اللّا شيءْ

تنقذني نسائم وحيكِ الفجريّ

ضحكة وجهكِ في الصّباحِ النّديِّ

المحمّلِ أغنياتْ

[1] نشرت القصيدة على عددين في صحيفة التآخي العراقية، 2023/2/8، و2023/2/22.

تخلقُ لي عمراً جديداً
يستريحُ على غصونِ يديكِ
4
موجودٌ على طرَفِ العالمِ النائي
القريبُ إليكِ جدّاً
أسمعُ كلّ شَيْءٍ
من صفيرِ الرِّيحِ في الشّباكْ
لحفيفِ صوتِ سعادتِك
أحسّ فيّ دفءَ همسِ وسادتِكْ
ولذيذَ طعمِ الصّحوة الأولى
بحضنِ منابعكْ
أردّ فيكِ الشَمسَ نوراً
يستلذُّ بفيضِ أشعّتِكْ
وتعانقينَ أصابعي
وتعلّقين عليّ وردَ أصابعِكْ
كقصيدةٍ نشوى
يصلّى الحبُّ فيّ افترارُ قصيدتِكْ
فيا لهذا "الوحيِ"
الجنونيِّ المسمّى في القصيدةِ
فيضَ سرّكْ
5
هُمُ الأحبة إن غابوا
وإن حضروا
في القلب مسكنهم كالروح
في البدنِ
فأستضيء بهم
بنور الشوق
إنّهمُ فرحي وسرّ حروف الشعرِ

والشجنِ

6

أيّتها الساكنة خلف حدود الخيال

لا تبكي

فالدمع البادي في عينيكِ

جمرة في سويداء قلبي

المملوء بطيفك

7

وأنا السائرُ للخلفْ

فلعلّي لم أكبرْ أبداً

قد وهن الجسمُ

حنيناً وترهلْ

والروحُ الطفلةُ قد خفتتْ

والليلُ الساقطُ في جلْدي

أشلاءُ كيانٍ يتخلخلْ

8

وأنا أقول لها بكلْمتينِ

وقُبلَةْ

وأعدّل اللغة الخؤونة في سطور صباحها

لتقوم قبلَهْ

ويغرّد الشعر الجميل على غصون الوردِ

يفوحُ مثلَهْ

هي كلّ شوق في الحنايا

ساكنٌ

يهدي الغرام سبيلَهُ

فيصير حِلّهْ

9

من ألف عامٍ يا سيّدتي

وعمري أربعون طفلْ
ما زال يسبح في خليّته الجنينيّة
يحتاج حليبه الأوّل المنسيّ في أنساغ أمّهْ
ما زال حضنكِ دافئاً
كما هو قبل ذاك الماء الساكن في عروق الياسمينْ

10

الحروف مثلي جائعة لمعنىً
فيكِ مختبئٌ
ومشتبكٌ فيّ
كمثل شهيّتكِ الأخرى
تراوغني على ثقة شهيّة ثالثة
محرّمة كسنبلةٍ خضراء مبتلّةْ
أستجدي إسمكِ
أقضمه حرفاً فحرفاً شبه تفّاحةْ
فيبدو سائغاً في الفكرة الجائعة

11

أغمضتُ عيني
أردّ بعضي نحو بعضي
أصلّي على أطرافكِ الملأى بذاتي
أراكِ نبيّةً
تشعلُ البخور في رؤيا الصَّلاةِ
أغمضتُ عينيَ
كي أراكِ هناكَ نور ملائكةْ
ولحن عطر قرنفلةْ
أشربُ من راحتيكِ ملذّتي المترائيةْ
أغمضتُ عيني
أشرقتِ فيّ إلهةً متساميةْ

12

ليس بوسعي أن ألمّ صورتها وأمضي

ناعمة الخدّين

كأنّه الندى المسروق من لؤلؤ وشذىً

طافح الحمرة راوٍ بالفرح

تضحك مثل أغنية جريئة

أستعمل معها الكناية كي أواريَ ما تعرّق من شفاهي السائلةْ

أكتبُ شيئاً سريعاً كي أوثّق ضوْءها المنساب في ذاكرتي

ولا أمضي لشيءٍ غيرها

هل أهاتفها؟

وهل ستأتي مثل موج الصوت كركرة العذوبة في غدير الماء؟

13

وتفجّري مثل النّهَرْ

حبّاً وشعراً

ومطرْ

فيضي عليّ شهيّة

وبهيّة في كلّ أمرْ

دفئي ومائي والهوى

تجري إلى ذاك المقرّ

جِنّي بحبّي

وانتشي

جسداً وروحاً وزهَرْ

14

شهرزادُ يراعُ المحبرةْ

ترتق ألفاظَ الغلاف الخارجيّ لوحيِ نصّ

وتعلّقُ الكلماتِ أثماراً على شفتيّ

تخلقني في راحتيها لحن همسْ

مختالة مثل الضياءْ

مثل خطو الكبرياءْ
تحرسُ الأحلام في ولهِ الدّماءْ
ترتديني فكرة عليا
نغنّي في اتّحادٍ حلوَ جِرْسْ
15
لَنْ تتوهَ وهْيَ معي
ولن تضلّ وتشقى
سأشفى بها
ويتّسعَ المدى برحيبِ طُهْري
لن تتوه غارقة ببحري
ستسري نجمة علويّة
لتكتبَ في أناملها الرهيفةِ سِفْري
لن أتوهَ ولن تتوهَ
سيصفو بالكؤوسِ اللامعاتِ
على الشفاه نقيّ خمري
لن نتوهَ
أنايَ بعضُ أنينها
وهذا الهادئ الأبديّ عطري
16
يا امرأة الصورة
فيضي
واسكنيني
واستبيحي كلّ ما يأتيك منّي
واجرعيني
واستجيري بالصباح الحلو
بالمعنى اليقيني
أيّهذا الظلُّ
لا تعتم رؤاك على ظنوني

كم سيكبر من جنونك في الموجِ

جنوني

17

أصدِّقُ وجهكِ القمريّ

إحساسَ اللّغةِ البعيدةِ

والقريبةِ والحزينةِ والسّعيدةْ

أصدّقُ مَحْبَرَة القصيدةْ

ظلالَ أصابعكِ الطّريّةِ تكتبُ للصّباحْ

أصدِّقُ أخيلةَ المرايا

أصدِّقُ نظرتي نحوَ امتدادِ بصيرةٍ تُبْصِرُنا

أصدِّق كلّ شَيْءٍ حيٍّ

ما دامَ وجهُكِ صادقاً مثلَ طعمِ الضَّوْءِ فيّ

مثلَ نهرٍ جامحٍ يجري ويجري

يشرحُ في تجلّيه الحكايا

أصدِّقُ لونَ خَمرتكِ اللذيذةْ

أصدِّقُ طعمَ نفسي

إذ صرتِ بعضاً من أنايَ

18

طعمُكِ هذا

الذي ما زالَ على بقايا أعضائي

يغمرني بالصهيل

ليس لي دعوة سوى

"أن يكلؤكِ اللهُ فيّ وتراً من نشيدْ"

19

عشق الجمال جمال روحكِ

والنقا

يا سر روحي يا أماني المنتقى

يا بوح أغنية الصباحِ

تألّقي

كالضوء يعلو في معالي المرتقى

كالغيم يسكن في مسارحِ

مائه

يهمي اشتياقاً ورواءً

فسقى

20

هُوَ النّصّ الأخيرُ

كأوّلِ نصّ كنتِ فيه

روايةً لن تنتهي

دائريّ، لولبيّ

متمردٌ مثلي عليكِ

عليّ

في عجينة أضلعي

هو النصّ الأخير مراوغٌ

ومشاكل معناك فيّ

ما كاد ينهي حرفه إذ يرتديك

ويبتدي

الثلاثاء: 2023/2/7

صباح القصائد العبقة شوقاً ومحبة، صباحك عشرون قنديلاً يضيء وجهك حبا وعشقاً ولوعة المشتاق.

منذ أن أرسلت لي قصيدة "عشرون قنديلاً لحبيبتي الغائبة" وأنا أسبح بكل كلمة وحرف في القصيدة بحواسي الخمسة. أيّة لذة تنساب من حروفك، وأي كلمات تتدفق من مياه حميمية المعنى "عشرون قنديلاً" أنار وجه قصيدتك بكل حب وبكل اشتهاء.

يا فراس لولا غياب الحبيبة ما كنت تصنع لنا نصاً كله طراوة واشتياق، أحبك فراس، ومعك لن أتوه ولن نتوه، بل سنجني ثمرة الحب واللقاء والصباحات ونضحك من ثغر الياسمين الأبيض.

إ. ش

التعليقات على الرسائل

اكتشفت أن الشعراء والكتاب أيضا أطباء

خالد ياسين ذياب

مقال[1] لافت للكاتب فراس حج محمد، في تسلل أفكاره وترابطها ووضوح قناعاته ومفاهيمه وحياده، وسعة صدره و(تسامحه المدروس) المنبثق عن إحاطة أستاذيّة بدقائق الموضوع الفلسفي، تجاه السابقين والمعاصرين ممّن أنهكوا الفلسفة وفكرها ومنهجها في سراديب الجدليات السفسطائيّة، أو على الأقلّ غير المتجلّية في تفاعلاتها وارتكازاتها للكثيرين من الدارسين، كما والتعبير عنها بعمق ووعي وتركيز ولغة مفهومة من الجميع وسلسة في كلماتها وصياغتها.

ولعلّ ما يزيّن كلّ ذلك هو (النفسيّة الطيّبة) للكاتب والمؤمنة بيقين راسخ والمتفائلة والمنبسطة في روحيّتها وآفاقها الإنسانيّة السويّة والعلميّة المستوعبة بمحبّة للكثير من المدركات التي ينمّ عنها المقال.

أحمد إسماعيل أحمد

صدقت، فقد أثقلنا بعباراتهم وتفسيراتهم التى عليك البحث عن حقيقة مقاصدهم، إلا أنني أقرأ لهم دائما حال شعور أن هناك حالة من البلادة هلت على عقلي، وأريد أن أقوم بحركة تنشيط له، أو أن أكون في حالة بحثية لأمر أقوم به. وإن أردت الغوص فى الفلسفة فعليّ أن أذهب إلى الأشاعرة والمعتزلة، ومن على شاكلتهم، وأنا مع قولك لمَ يدخلون الفلاسفة في أتون الغموض ولا نصل إلى نتيجة إلا ما يخيل لنا أننا قد وعينا هدفهم.

عبد الهادي شلا

أحييك على هذا المقال، والنبش فيما غرق فيه الناس ولم يتدبروه... أعجبني أن وضعت النماذج التي لا يتجادل فيها عاقل... بل يميل إليها... يبقى أن نملك القدرة على فهم و التعامل بهذا المنطق العميق...

نوال زحالقة

رسالة هادئة سلسة ممتعة، رغم جفاف المنطق الذي نعرف. ما إن أنهيت قراءتها حتى أثارت عديدا من الأسئلة وذكرتني برسالة "التربيع والتدوير" للجاحظ التي قامت على فكرة التضاد والتناقض باستقصائها ودقتها. أما ما نعلمه في مدارسنا من مفهومي الترادف والتضاد، فليس دقيقا، والهدف منه لا يتعدى تكريس المفهوم أكثر من معرفة المتضادات والمترادفات في اللغة، علما أن طلابنا ومعلمينا أيضا لا يتغلغل مفهوم التضاد لديهم أكثر من المستوى الشكلي المرئي، وما دمت أعملت المنطق في محاكمة الاشياء بالتأكيد ستصل إلى فلسفة التوحد بينها رغم تحورها وتماهيها وفقا لمقتضيات الحاجة. من الموجبات للقراءة في ظرف خلت الصفحات الزرقاء منها.

---

[1] كثير من القرّاء تعاملوا مع هذه الرسائل على أنها مقالات.

سمر لاشين

بخصوص محتوى الرسالة والحديث عن انتخابات اتحاد الكتاب باختصار هو تكملة لمنظومة الفشل بالوطن العربي، نحن كأمة عربية لن نتقدم خطوة للأمام، ما دام هناك تعين للمواقع والمؤسسات والهيئات المهمة بأي دولة يخضع للواسطة والمحسوبية والرشوة والشللية، وليس على أساس الكفاءة والأحقية بتولي المنصب.

بخصوص أدب الرسائل لاحظت في الفترة الأخيرة وجود منشورات عديدة بخصوصه، هل هذا الأدب له مقومات معينة حتى نكتبه بشكل جيد أم أنه يكتب كما كنا نكتب رسائل ونرسلها للغير نكون على طبيعتنا فيها؟

فراس حج محمد

هو فن قديم، وفيه يخرج الكاتب عن التزامه بحرفية الكتابة ليكتب بأريحية، وهو يندرج ضمن أدب البوح والاعتراف، وعادة ما يكون الأسلوب غير متقن، لأن من كتبه لم يفكر بنشره وما نشر منه نشر بعد وفاة كاتبه. تتيح لي كتابة الرسائل الإطناب والانتقال من موضوع إلى آخر بحرية أكثر من المقال.

سماح خليفة

بالمناسبة قرأت ديوانك "مزاج غزة العاصف" منذ زمن، وهو قيّم بالفعل وجذبني حقيقة، أما "وأنت وحدك أغنية" قرأت جزءا بسيطا ولم أكمله لظروف... أنا حضرت نقاش كتب في دار الفاروق، ولا أظن أن ديوانك سينصف هناك، المشكلة تكمن في حالات كثيرة جدا، في تخزين فكرة ما عن الكاتب لحدث ما اختزل في الذاكرة، وبناء عليه يحاكم الديوان، وشيء طبيعي في ظل هذه البيئة- إن صح التعبير- أن يظلم الديوان وكاتبه.

أحب أن أضيف أن ما كتبته سابقا بخصوص المرأة أو الأنثى يكاد يكون متشابهاً أو ربما هيئ للقارئ ذلك، ولذلك أصاب القارئ بعض الملل من جراء ذلك، أما ما كتبته سابقا خارج هذا النطاق فقد أبدعت بحق، وأنا من الأشخاص الذين شدتني كتاباتك لتفردها وتميزها.

أما إصداراتك الحديثة فلم أحظَ بشيء منها لأبدي رأيي.... وتبقى يا أستاذ فراس الكاتب المبدع الذي حفزنا على القراءة والكتابة....

سامح أبو هنود

فراس حج محمد موسوعة أدبية متحركة.. هذا الإنسان رائع له كل الاحترام والتقدير

نور التوحيد يمك

لست أدري ماذا يسمى هذا اللون الأدبي ربما هو بوح محشوّ في رسالة أو أنّه فن أعمق منه، غير أنّه شدني إلى أن اصطدمت بالكاتب هذا الاسم الّذي لو وقع بصري عليه من البداية لتحاشيت القراءة، فلتعذر صراحتي. راقني حكمه على الروايات المذكورة التي يستند إلى دراية بالبناء اللغوي الذي يولد على أساسه النص. لم أقرأ "حرب الكلب الثانية"، لذا سأكون حيادية فيما يتعلق بها، لكنني قرأت "مصائر " وأعتبرها من أقوى الروايات، بل وأتمنى أن تتواجد في كل بيت وأمقت كل من يتهم الكاتب بالتطبيع. قرأت كذلك "مملكة الفراشة" وفكرت في تمزيقها كما فعلت مع رواية أخرى للكاتب نفسه. أنا الآن أقرأ أكثر في كتب النقد، ربما لأنني لا أريد لذائقتي فقط أن تحكم على العمل الأدبي.

نور التوحيد يمك

أنا لا أقصد أن أطعن في الكاتب وربما أكون فعلاً بحاجة الى الكثير من القراءة والخبرة لأفهمه لكن ما يسميه هو تحرّراً في كتاباته يطلق عليه السواد الأعظم من القرّاء في دولتنا (انحراف)، خاصة أننا بلد محافظ موشوم بالحياء... أنا لم أقرأ له شيئاً باستثناء هذه الرسالة، غير أنني رأيت الغضب في عيون من قرأوا له، ولو كانت جلّ كتاباته بهذه الشاكلة لعكفت على قراءتها. لا ننكر أنّه موهوب وإبداعه يسبق زمانه لكن كتاباته كما قلت متحررة ولن تجد بسهولة تقبّلاً لها لدى القرّاء.

أ. نزهة الرملاوي

الكاتب فراس حج محمد يتقدم في كتابة الرسائل... لأنه يمتع القراء بأسلوبه السلس أثناء توصيل المعلومة... فلا يفرض عليه أسلوب التلقين ولا يعتمد جفاف المعلومة... بل يتعمد تبسيطها بشكل لافت يروق للقارئ...

مريم ربيع مريم

ليت لنا في كل مكان نسخة من السيد فراس حج محمد... جميل سردك... محبب أسلوبك.

مادونا عسكر

الأستاذ فراس أستاذنا كلنا. يعلّم ويوجّه ويمنح من خبرته دون غاية، ما لن نجده إلّا نادراً في زمن المصالح على جميع المستويات.

خلود نزال

فراس إنسان رائع وراق يطيب لنا الحديث معه أو عنه أو الجلوس مع كتاب خطه بقلبه ليهبنا جمالا لا ينسى.

شريف سمحان

فراس ومن خلال سنوات معرفتي به... فهو شخصية قد تكون جدلية عند البعض... لكنها متفانية ومتجددة في عملها ونتاجها... كاتب متجدد ومتمكن من أدواته ومفرداته وتطويعه للنص. فراس حالة متشظية... أفكاره جنونية إلى حدٍ ما... مُختلف في أشياء كثيرة. المفارقة عن غيره أنه الأجرأ.

صبحي فحماوي

ليس صحيحا أن كل من يكتب الرواية يكتبها بهدف الجوائز... فلم تكن أيام غسان كنفاني ولا توفيق الحكيم ولا حنا مينا ولا ألف ليلة وليلة جوائز. ليس صحيحا أن الروائيين ليسوا معنيين بالإبداع، بل معنيون بالنشر والترشح للجوائز. هذا تسطيح لفن الرواية... وسطحية في فهم المبدعين من الروائيين... المسرح مات لأسباب عدة منها التلفزة، ومنها أن كل مخرج يريد أن يكون هو المؤلف والموسيقي والممثل وموزع التذاكر وفني الديكور والملابس والمؤثرات السمعية والبصرية، فوصل إلى مرحلة أنه هو المشاهد الوحيد لمسرحياته الحداثية الساقطة.

بسام أبو غزالة

بدأت في قراءة رواية إبراهيم نصر الله "حرب الكلب الثانية". أراها مملة فعلا. لكنني سأتحامل على نفسي لإنهائها، لأنها نالت جائزة البُكر العربية. (لاحظ كيف كتبت اسم الجائزة: بُكَر" بضم الباء لا بالواو. لأنها بالأحرف اللاتينية (Booker) - لا (Poker)!!!

إبراهيم جوهر

جميل ومدهش... هذا الفتى الطّريد المشاكس (فراس) يكتب بوعي وحزن كبيرين ليعرّي المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة...!

صديق من الفيسبوك

كنت أظن الأطباء فقط يكتبون وصفات تصرف من الصيدلية، إلا أنني اكتشفت أن الشعراء والكتاب أيضا أطباء. وأما قولك أنك غسان فالغساسنة كثر، وقولك هي غادة، فالغادات أكثر.

ابق اكتب.

لا أدري كيف تستطيع وصف تلك الدقة في المشاعر وكيف تتوغل بها بحيث تنقلنا معك في معاناة الكاتب ونشعر بأنك تتحدث عنا. وسعيدة بأنك عدت لكتابة الرسائل.

صديقة من توتير

أولاً وقبل كل شيء تحية طيبة، اشتقت جدا لقراءة مقالاتك. عبثا أحاول أن أنقل لك إحساسي بعد قراءة القصة، فلا أعرف لملمة هذه الحروف بين أصابعي، ولا هذه الدموع التي تجمدت في عيوني.

كنت دوما أقرأ القصة وأعيش تفاصيل حروفها في الخيال، لكن لربما لأول مرة أقرأ شيئاً لك بهذا العمق من الحزن.

ثم هذا الرد بعد أن نشرت التعليق على حسابي في توتير.

جميل رد الجميل فراس....

وجميله هذه الابتسامات التي لم أعرف كيف أوقفها... لتتحول بسحر فيزياء الفرح إلى بهجة القلب.

إن شكرتك عنها لن أوفيك حقك لأنها فعلا أتت في وقتها...

وكأن شيئاً ما ومن غير سابق إنذار أخبرني أنني سأجد شيئاً يحملني من حزني هذا ...

من كل قلبي... شكرا

وفاء القاضي

ترتجف يد القارئ دهشة وهو ينظر إلى نفسه وقد اتشح السواد حتى ألفه، فيتوهم أن الكاتب التقط صورته ونثرها في نهاية العام رسالة اعتذار، ثم يفيق عند النقطة الأخيرة وهو يرى فضاء يضج بأشباه له قد ألفوا السواد وألفهم، إنها الحياة في صورها الكثيرة.

كل عام وأنتم بخير أستاذ فراس.

ع. ح

أنت تمتلك ناظورا له قدرة على التسلل لأعضاء الجسد وأخذ صور تشخيصية لها... إضافة إلى صور طبقية للدماغ... قادر على فض عري الروح، وعلى رؤية نفسك عاريا أمام المرآة مع بعض النتوءات والتضاريس والتشويهات غير المرغوبة في الجسد!

وهذا شيء لا يجسر عليه أي أحد، أتساءل لماذا يزعل الأصدقاء من سرد بعض المواقف معهم إن لم يكن هناك شيء ما يدلل على أنهم هم...؟ لماذا لا يعتبرون أنفسهم سينا أو صادا، وكثيرا ما تتكرر إحداثيات تلك المتغيرات في معادلة أناس كثر؟

لن أقول لا فضح الله أحدا أمامك، لكني لن أخاف من أن تسرد بعضا من مواقفي طالما أنك لن تبلل خصوصيتي بماء تشهيرك، وطالما أنك لن تضع شيفرة لحديثك، يستطيع أحدهم فكها، لن أخاف منك، ولن أكسر مرآتك، ليس لي بطحة، وإن كانت لن أحسس عليها.

هـ. ف

مارس الحب بلا انقطاع لآخر رمق فيك، ودع قلمك يخط على الجسد ما يشتهي. عندما أقرأ رسائلك لا أحسها تخاطب جميلتك فقط، أولا تخاطبني أنا عاطفياً قبل عقلياً، ومن ثم للعالم بأسره.

فكيف استطعت تصوير الكتابة، وما يعتري الكاتب بالشهوة والشبق الجنسي؟ والمصيبة أن كلامك صحيح مائة بالمائة. بالفعل عندما فكرت ما يختلج من مشاعر عند الكتابة تشابه الأحاسيس عند بلوغ الذروة. يا ربي

وتعرف الغريب أمس قلت مثلك "لا تضع قلمك في محبرة غيرك" لـ ....، واليوم تكتب عن القلم ...، ما هذه المصادفة؟

فراس أنت كاتب رائع وإبداعك لا ينتهي. أنت تستحق كل الحب والتقدير.

ز. أ

يا من تظن أنك تجلس على عتبات القلب تنتظر الإذن بالدخول، سأبدأ من حيث انتهيت أنت بكتابتك عن أحوالك، كنت قد سألتني بذلك عن أحوالي، لأني أنا هو أنت وأنت هو أنا، فأخبارك هي أخباري أنت سألت وأجبت في ذات اللحظة، أو تظن أن المشاعر أحضان وعناق؟ المشاعر توارد خواطر وأحاسيس، أنت تألمت، فأنا أشعر بالإعياء أيضا، أما بالنسبة لعملي فكما وصفت. لكن سأوضح الصوره قليلا.

أنا أجهد نفسي كي أروضها، كي لا تكف عن التفكير بك، والنفس أمارة، لذا لا بد من جلدها كي تكف عن شهوتك، فأنا أقاتلها، وأمنع عيوني من القراءة؛ كي لا أشعر أنني أخونك عندما أقرا لغيرك، وبالقراءة لك فالإثم الأعظم أشعر أنك تحدثني أنا والغيرة تهب كالإعصار ويلي كتابه وصورته بين بيدي وصدر هذه وتلك وعندها. ربما أسبّك وأشتمك نحن بنات حواء جبلنا على حب التملك ونبذ الشرك بالحبيب...

ربما مجنونة، كيف لا وأنا أزور المكان الذي جمعنا كلما سنحت لي الفرصة، ويراودني شيطاني عن نفسي بطرد من أجدهم هناك، إلا إن الحياء يمنعني، فهذا مكاننا، كيف لهم التعدي عليه؟ ويكون بودي إغلاق المكان، كما أغلقت صفحتك وأنا على يقين بصدق كلامك لأني مؤمنة بك وهذه تكفي...

ليس الانحناء للريح ضعف، فالورود ربما تنحني للريح، لكنها بذات اللحظة تراقصها وتتمايل، وتذهب الريح التي نتعوذ منها كلما هبت، وتبقى الأزهار بجذورها تنمو وإن حاولت الريح أن تقتلها فشذا الزهر ينتشر، ولا يستطيع أحد أن ينكره...

وأخيرا وليس آخرا سعدت بكلامك عن تحسن صحتك والمال يأتي ويذهب، وحالك أفضل من حال (أمل دنقل) وغيره. امض قدما وأبلغ صديقك الحواري تحياتي. فرحت بك، وبنشر كتبك وأنتظر أن تقول لي إنها في المكتبات وهنا وهناك...

إلى لقاء ورديّ يليق بي وإياك.

إبراهيم سرحان

أستاذ فراس...

لا أخفي عليك أنني كلما قرأت لك نصاً؛ نثراً كان أم شعراً، فإني أغبطك على سعة خيالك، وتمكنك من تطويع اللغة ومفرداتها في الوصف الذي هو أكثر أغراض الشعر حاجةً لمفردات اللغة واشتقاقاتها إن صح التعبير. تتحفنا دائما بإبداعاتك وينتابنا إحساس أن ما عجزنا عن استخراجه من قلوبنا قد أتى لنا جاهزاً، وعلى طبق من ذهب، من خلال بلاغتك وصورك البيانيه الرائعة... فلك الشكر على كل إبداع تتحفنا به.

ماجدة الفرجاني

لماذا أغلقت التعليقات على منشور محاسن الصدف[1]، لأنك تعلم جيدا بأنك ستفتح النيران على نفسك، وستتلقى ضربات النيران الصديقة، لأن المقال عبارة عن ترجمة صريحة قبيحة لفيلم بورنو سيئ جداً والتعليق لهاوية وعلى بطل من هذه النوعية، ولولا نظرياتك العلمية المدروسة جيدا وصحيحة وبعض كتاباتك وأشعارك الجيدة فلن تجد قارئا واحداً.

قمر عبد الرحمن

لو كان هنا مَن يقدّر الأدب كما يجب لكنتَ بلا منازع شكسبير فلسطين. وما أقوله يقيناً بلا مجاملة بعدما قرأت لك عدّة إصدارات أذهلتني! لا تستعجل ربّما المجد الحقيقيّ بعد الرّحيل، وهذا مفرحٌ ومبكٍ في ذات الوقت.

جمانة العتبة:

لقد عرفتك منذ سنتين تقريباً، ولا زلت أرى فيك كاتباً فذّاً ورائعاً، رغم اعتراضي على بعض النصوص أو الأشعار، وهذا رأيي الشخصي والذي بكل بساطة أؤمن بأن ما يزعجني أستطيع أن أقفز عنه بكل بساطة... فإذا لم يعجبني ما كتبت حتى لو سطر أستطيع أن أقفز عن هذا السطر أو أن لا أقرأه أولسنا نملك الخيار ونملك الإرادة؟ ولكني أؤمن أيضا بأنني وأن قفزت عن بعض السطور فباقي السطور لها أهمية كبيرة، يجب أن أقرأها لعدة أسباب... الموضوع عادة يكون له أبعاد أكبر

[1] تشير إلى الرسالة الأولى لـ (ص. ز) [الثلاثاء: 2022/3/1].

من السطور المعترضة عليها... وفي مقالاتك اللغوية أجد قوة في اللغة ووجهة لكل كاتب ولكل من أراد التغيير بداخله عما هو موجود... والأهم بأنك تسطر بقلمك ما ينبش أفكارا لم يتسابق إليها كتاب آخرين... فأنت مميز بكتاباتك.

أما عن الشعر فأنت تمتلك اللغة القوية والتصاوير القوية أيضا... لك كتاب لم أجد بيتا يشبه الآخر، وقلت لك ذلك وقتها... وبنظري ليس كل الشعراء قادرين على ذلك.

هل أنت مؤذ بكتاباتك... لا أجد للكلمة معنى هنا، فمن يؤذي فقد قرر الأذية، ولكنك مزعج ربما "لمن يعترض على بعض مقالاتك". وكل إنسان يختار أن يبتعد عما يزعجه فهي حرية شخصية... أتابع مقالاتك دائما وقلت لك أقفز عما يزعجني، ولكني أقرأ الباقي لأن فيه فكرة، ولأن لغتك في وصف الفكرة دائما في مكانها.

لا تنزعج يا فراس أو انزعج قليلا لك الحق، ولكن لا تجعل ما يزعجك يؤثر عليك... فهناك من ينتظر منك الأفكار الجديدة والجميلة فلك الحق في أن تكتب عن الحق والخير والجمال... وسأبقى أقفز عما يزعجني وأعمل على قراءة باقي النصوص.

زياد الجيوسي

يا صاحبي أنت مشاكس، ولست شريرا، اكتب ولا تهتم طالما أنك تبتعد عن الشخصنة، فكلنا في بوحنا نستند فيما نكتب لحدث ما أو امرأة ما أو حكاية ما، وتأتي البراعة بالقلم وخيال الكاتب لإبعاد المعنيّ أو المعنية، فلا يفهم رمزية ما نكتب إلا هم... لكن كما يقول المثل: "يلي على راسه بطحه بحسس عليها" فيظنون أن كل الناس التي ستقرأ ستعرف أسرارهم.

منى النابلسي

"أنتَ كلّما احترقت أشرقت أم أنّك كلّما أشرقت احترقت؟ ستقتلك الكتابة. أرجو لك موتاً مدهشا، وحياة أبهى من الحياة".

زهراء فاضلي

شخصيتك الواضحة والصريحة انعكست على كتابتك، وجعلت الوضوح يتسيد على ناصية الكتابة لديك، أي عندما كنت أقرأ ما أرسلته لي كنت أراك دون قناع ولا توظيف رمز، لتقي نفسك من الآثار الموبقة، وهذا ما جعلني أخاف عليك من قلمك.

توظيف الرموز في أرض كفلسطين سائر عند الأدباء، نظرا لإخضاع كتبكم ومقالاتكم للاحتلال وأنت تعرف بأنهم يراقبون كلمات معينة. ليتك لو اتخذت جانبا لا يسبب إشكالات أو بالأحرى تعرب عن الخلل الموجود بصورة رامزة. وبذلك تؤدي مهمتك بالحياة كما تقول، وأنت على حسب معرفتي لك، ولما تكتبه خلال هذه الفترة الوجيزة، عندك القدرة وأي قدرة على فعل ذلك. وفي أي مقام تكتب فيه، تبدع.

مثلاً إذا وضعوك بوادي الشعر تصبح سيدا للشعر، وإذا كتبت عن الفلسفة والربيع تغدو كذلك أيضا وقس على هذا، كما يقول النحاة.

وبالتالي الأمر إليك، وافعل ما تراه صوابا... بشرط أن لا تسبب الأذى لنفسك ولمن يحتاجون لحضورك بجانبهم.

المقال حول ما جاء في قصيدة المحاكاة "ما حاجتي لرجل؟"

لقد آلمني أن حبيبتي تُسْرِقُني القصيدة

السبت: 2020/4/18

في طفرة المشاعر الجياشة تقودني حماقتي لأرسل، كالعادة، قصيدة لتلك المرأة التي أحبها، أو هكذا أوهم نفسي، أو ربما هي أوهمتني بذلك، ولا أدري إن كان هناك احتمال رابع لهذه الحالة البائسة التي أعيشها منذ تسرّبت إلى دمي وفكري وخلايا حياتي. ومعي كثير من العشاق مثلي يعانون مما أعاني، المهم في الأمر أنني في أعلى حالات الوهم من العشق والشعر معاً أرسل لتلك المرأة قصيدة[1]، فرحا مسرورا، فيأتي ردها السريع على تلك القصيدة مغلوطا سيئا، فقد كتبتْ رسالتها بعنف عاطفي واضح:

الثلاثاء: 2019/11/19

بائعات الهوى ينثرهن عطر مجونهن على الطرقات

يدلقن شهوتهن على المارّة

يستوين مع اللواتي في خدورهن يتعشقن رائحة الحبيب ويسكرن من مجرد الفكرة.

ف. ع

كأنها أرادت أن تقول أنْ لستُ من هؤلاء أيها المجنون، وهي بالفعل ليست منهنّ. كانت القصيدة التي أرسلتُها تتعلق بالشوق وتتوق لها، إذ "ما حاجتي لامرأة لم تقضمني التفاح ولم تلعب معي"، واللعب الذي كنت أقصده لعب الحبيبة مع الحبيب، اللعب المفضي للنشوة واللذة، لا لعب المراوغة واللعب بالأعصاب؛ كما يحدث بيننا في العادة، إذ هي كثيرا ما تجيد اللعب بأعصابي، فقد اعتادته زمنا طويلا حتى أتقنته، ووجدت عاشقا غِرّاً جهولا، فتدرّبت جيدا، حتى غدت بي لعوبة محترفة.

تلك المرأة التي أتوهّم أنها حبيبتي وشاعرتي وملهمتي تختزن قصيدتي أربعة أشهر في بريدها الإلكتروني قبل أن تعود لي بقصيدة على منوالها، فأجبتها أن القصيدة مسروقة عن قصيدتي تلك. آلمني أن حبيبتي تسرق قصيدتي، وتخفيها بقصيدة لها، وليس عندها الجرأة لتقول، كما كانت تقول في السابق، إن هذه القصيدة من وحي قصيدة لي، وتسمي اسمي فأشعر بالنشوة. أبلغها أن القصيدة مسروقة عن قصيدة لي كتبتها لها في لحظة شوق مجنون لوصالها هي، وطردا لكثيرات يحُمن حولي، أو أحوم أنا حولهن، بصورهنّ الطافحة باللذة المكشوفة، نساء ذات صدور وأفخاد مكتنزة، تفوح من صورهنّ الشهوة.

تضحك كعادتها ضحكتها الصفراوية بعد أن وصفت نصها بأنه "نص متهور منتفض على نصك". لست أدري هل كانت تردّ على تلك القصيدة أم تتحرّش شعرياً بقصيدة "**النهود في حجرها**

---

[1] رسالة الثلاثاء: 2019/11/19. (من مجموعة رسائل 2019، ص 174)

الصحي"، فقد بعثتْها ردًّا على رسالة قصيدة "النهود في حجرها الصحي"[1]، لكن النص نفسه محاكاة واضحة للنص الأول، ولأنها مجيدة في حرق الأعصاب وبارعة فيه تريد خلط الأوراق واختلاطها. هكذا أفكّر فيها عندما تريد أن تلعب معي لعبة لغوية شعرية من هذا النوع، وتعبّئ من دمي بعض قصائدها. أتخيلها الآن تمصّ دمي وتعيد حقنه في نصوصها. إنها هادئة تماما وهي تفعل ذلك.

المشكلة ليست هنا بكل تأكيد، بل في أنها تسرق نصوصي وتعيد إنتاجها على بُعْدٍ مني وبهدوء غير عاطفيّ، ولتكون تلك القصائد مجالا لتضحك عليّ بها متى وجدت مجالا لتلعب معي هذه اللعبة من المراوغة البادية جدا في ردها عليّ: "*حلو أنه مسروق، يعني هكذا تحليلك مسروق، هذا الذي قدرت عليه، لماذا لا يكون تماهيا معه. يعني أنت بعثته لي من أجل أن أسرقه؟*" . **(ف. ع)**

سألت نفسي حينها: هل تحتاج أربعة شهور لتتماهى مع النص؟ يا لها من "ثعلب"! كيف خطر على بالها هذا الرد؟ لم أقل لها هذه النقطة من الاعتراض، اكتفيت بحديثها، وأخذت أحدثها عن حلم حلمته بها الليلة الفائتة. تركتني أهذي وحدي، ولم تردّ على ما تبقّى من لغتي في محقن الرسائل الإلكترونية.

إنها ليست أكثر من خدعة، وخدعة قاسية جدا، لكنني أصبحت محصنا؛ فلن تنطلي عليّ الخدع إطلاقا بعد أن انطلت عليّ خدع كثيرة شتى سابقة. لماذا خدعتني هذه المرأة بهذا الشكل؟ ولماذا صدّقت خدعتها في كل مرة؟ لا أدري كل ما أعرفه ومؤمن به هو أنني لست أكثر من ذكَرِ قردٍ تتسلى به وقت الفراغ، وكلما رأت أن لديها فائضا من الملل، أو عندما تشعر بعسر في الكتابة تحدثني، ريثما تتحسن نفسيتها قليلا، ومن ثم تغادرني طويلا، ولا أسمع صوتها، ولا أقرأ لها جملة واحدة في رسالة عابرة. لا أقول ذلك تحرّشا بها كي تراجع نفسها لتتحدث وتعترض، لا شيء من ذلك أرجو، كل ما في الأمر أنني أتأمل فعلها وفعلي وفعل القصيدة ليس أكثر.

تأخذني هذه المرأة هذه المرّة وتدخل بي إلى رواية "**عندما بكى نيتشه**" للروائي إرفين د. يالوم، وهي رواية عظيمة في تصوير حالة الالتباس بين نيتشه وتلك المرأة المسماة "لو سالومي".

هذه الفكرة، وتلك الأسئلة الواردة في الرواية ليست جديدة، إنها شغلي الشاغل منذ عرفتها وحتى اليوم، كررتها كثيرا حتى أنني بتّ أخشى من التكرار والملل. أعود فأكتب لأذكّر نفسي بأنني أكتب وأنا لا أستطيع عنها فكاكا على الرغم مما في القلب من "حقد لذيذ" تجاهها متمنيا أن أفرغه يوما في أحشائها ونحن في التحام وصالنا المجنون، ساعتئذ سترتاح بلابل قلبي، وتهدأ صقور أفكاري، وليذهب الشعر بعدها إلى الجحيم وإلى الهاوية ولتسرقه كله إذا شاءت، ولكن ليس قبل أن تأكلني كما ينبغي لامرأة لعوب، تفرغ كل جنونها ومجونها دفعة واحدة، وهي تتمرد بعنفوان على موائد لذتي بجسدها الماسيّ المصقول، كأنها جملة برّاقة في جسد القصيدة المغمس بحليبنا الشّفاف.

---

[1] نشرت القصيدة في ديوان "على حافة الشعر- ثمة عشق وثمة موت"، في مجموعة قصائد "في حبسة الكوفيد التاسع عشر، ص 212.

وأخيراً...

كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليبُلْ في فمها الثعلب، وتلعب بنهديْها الفئران، وتعشش تحت أبطيها العناكب، ولينم في فرجها الذباب، وليكن ظهرها مسرحاً للجنادب، وبطنها مأوى للنمل، ولتمصّ دم فخذيها العقارب، وتصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة.

الفهرس

الإهداء: 5

المقدّمات 7

لماذا توقّفت عن كتابة الرسائل؟ 9

في معنى النبل: لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً 12

التصدير 14

رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح) 15

رسائل (2016 و2018) 25

رسائل 2019 157

رسائل 2020 179

رسائل 2021 187

رسائل 2022 246

ثلاث رسائل من (ص. ز) 251

رسائل صوفي 256

قصيدة ورسالة 262

عشرونَ قنديلاً لحبيبتيَ الغائبة 264

التعليقات على الرسائل 272

لقد آلمني أن حبيبتي تُسْرِقُني القصيدة 283

وأخيراً... 285

الفهرس 286

جانب من سيرة ذاتية 288

فراس عمر حج محمد

كاتب فلسطيني مقيم في قرية تلفيت؛ إحدى قرى محافظة نابلس، ولد في (1973/7/30م)، حاصل على درجة الماجستير في الأدب الفلسطيني الحديث عن بحث بعنوان "السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي 1948-1993".

نشر العديد من المقالات والقصائد والنصوص في مجالات النشر المختلفة؛ المواقع الإلكترونية، والصحف، والمجلات العربية، في فلسطين والوطن العربي، والمطبوعات العربية حول العالم، وفي كتب الاختيارات (الأنثولوجيات) الخاصة بالشعر الفلسطيني؛ ديوان "الفرقان- قصائد عن حرب غزة 2009"، وديوان "الشهيد- قصائد عن مجزرة كفر قاسم".

عضو مؤسس لمنتدى المنارة للثقافة والإبداع في مدينة نابلس، وعضو الهيئة الإدارية لجمعية الزيزفونة لتنمية ثقافة الطفل لعام واحد، ومحرر في مجلتيها (الزيزفونة الصغيرة، والزيزفونة الكبيرة)، وعضو اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين. وعضو لجنة قراءة في عدة دور نشر محليّة. ومسؤول مكتب فلسطين ضمن هيئة تحرير مجلة الليبي التي يصدرها مجلس النواب الليبي. عمل معلما لمدة تزيد عن (12) عاما، ومشرفا تربويا منذ عام (2008) وحتى الآن.

أصدر (34) كتاباً، وله أيضاً مجموعة من الكتب النقدية والشعرية والسردية المخطوطة والمعدة للنشر، وحرّر (12) كتاباً، ووردت للكاتب ترجمة في كتاب "دليل آفاق حرة للأدباء والكتاب العرب" (الأردن، 2020)، الجزء الثاني منه؛ الترتيب (172).

كتب عن هذه الكتب والنصوص الأدبية شعرية وسردية العديد من الكتّاب والنقاد العرب والفلسطينيين، وأجريت مع الكاتب عدة حوارات صحفية منشورة ولقاءات تلفزيونية وإذاعية. وشارك في العديد من الأنشطة الثقافية المحلية في فلسطين (مؤتمرات، وندوات، وأمسيات ومهرجانات شعرية، وحفلات توقيع الكتب ومناقشتها).

اشترك في العديد من الأنشطة التربوية مع وزارة التربية والتعليم الفلسطينية في مجال التدريب وإعداد المواد التدريبية، وكان من ضمن فريق إعداد وتحرير الإصدار الثاني من مجلة القانون الدولي الإنساني التي كانت تصدرها وزارة التربية والتعليم الفلسطينية من أجل تعريف طلاب الصف الحادي عشر بالقانون الدولي الإنساني، وعضو الفريق الوطني للتعليم الإلكتروني في فلسطين.

أشرف على مجموعة من كتب الأسرى قبل الطباعة، وراجع مجموعة من الكتب والأبحاث لمجموعة من الكتّاب الفلسطينيين.

الكتب المطبوعة:

- كتاب "رسائل إلى شهرزاد"، دار غراب للنّشر والتّوزيع، مصر، 2013
- كتاب "من طقوس القهوة المُرّة"، دار غُراب للنّشر والتّوزيع، مصر، 2013

- مجموعة "أناشيد وقصائد" (للفتيان والفتيات)، جمعيّة الزّيزفونة، فلسطين، 2014
- ديوان "أميرة الوجد"، جمعيّة الزّيزفونة، فلسطين، 2014
- دراسة "قراءة في كتاب قلب العقرب للشّاعر محمّد حلمي الرّيشة، ذلك المنتبه المختلف"، فلسطين، 2014.
- كتاب "دوائر العطش"، دار غراب للنّشر والتّوزيع. مصر، 2014
- ديوان "مزاج غزّة العاصف"، جمعيّة الزّيزفونة، فلسطين، 2015
- كتاب "ملامح من السّرد المعاصر- قراءات في القصّة القصيرة جدّاً- دار موزييك للتّرجمات والنّشر، الأردن، 2015
- ديوان "وأنتِ وحدكِ أغنية"، دار ليبرتي بوكس، القدس، بالتّعاون مع بيت الشّعر في فلسطين، 2015.
- كتاب "يوميّات كاتب يدعى X" (قصص وسرد -1)، دار الرقميّة، فلسطين، 2016.
- كتاب "كأنّها نصف الحقيقة" (قصص وسرد -2)، دار الرقميّة، فلسطين، 2016.
- كتاب "في ذكرى محمود درويش"، جمعيّة الزّيزفونة، فلسطين، 2016.
- ديوان "الحبّ أنْ"، دار الأمل، الأردن، 2017.
- كتاب "شهرزاد ما زالت تروي- مقالات في المرأة والإبداع النسائي"، دار الرقميّة، فلسطين، 2017.
- كتاب "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في الرواية"، مكتبة كل شيء، حيفا، 2017.
- كتاب "ملامح من السرد المعاصر- قراءات في متنوع السرد"، مؤسسة أنصار الضاد، أم الفحم، 2019.
- ديوان "ما يشبه الرثاء"، دار طباق للنشر والتوزيع، رام الله، 2019.
- كتاب "بلاغة الصنعة الشعرية"، دار روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.
- كتاب "نسوة في المدينة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2020.
- كتاب "الإصحاح الأول لحرف الفاء- أسعدتِ صباحا يا سيّدتي"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- كتاب "لا شيء يعدل أن تكون حرا- على هامش كتاب نسوة في المدينة"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- كتاب "استعادة غسان كنفاني"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- كتاب "من قتل مدرّس التاريخ"، دار الفاروق للنشر والتوزيع، نابلس، 2021.
- ديوان "وشيء من سرد قليل"، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2021.
- ديوان "على حافّة الشعر: ثمّة عشقٌ وثمّة موت"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2022.
- كتاب "في الوجه والمواجهة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- كتاب "متلازمة ديسمبر"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2023.
- كتاب "في رحاب اللغة العربية"، دار بدوي للنشر والتوزيع، ألمانيا، 2023.

- كتاب "سرّ الجملة الاسمية"، دار الرقمية، القدس، 2023.
- كتاب "تَصَدُّع الجدران- عن دور الأدب في مقاومة العتمة"، دار الرعاة وجسور الثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- ديوان "في أعالي المعركة"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2023.
- كتاب "مساحة شخصية- من يوميات الحروب على فلسطين"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2024.
- كتاب "الثرثرات المحببة- الرسائل"، دار الفاروق للثقافة والنشر، نابلس، 2024.

تحرير الكتب:

- كتاب مؤتمر الزيزفونة الأوّل لأدب الأطفال، (نحو أدب أطفال فلسطيني وطني)، مع أ. شريف سمحان، جمعية الزيزفونة، رام الله، 2016.
- ديوان "اصعد إلى عليائك فيّ"، فاطمة نزّال، مكتبة كل شيء، حيفا، 2017.
- كتاب "إيفا شتال حمد- أممية لم تغادر التل"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2020.
- كتاب "لا تعجب زعترنا أخضر- قصائد"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- كتاب "الكتابة على ضوء شمعة"، بالاشتراك مع أ. حسن عبادي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2022.
- كتاب "وقفات مع الشعر الفلسطيني"، كميل أبو حنيش، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، 2021.
- كتاب "تحيا حين تفنى"، ثائر حنيني، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2021.
- ديوان "أنانهم"، أحمد العارضة، دار طباق، رام الله، 2021.
- ديوان "العزيمة تربّي الأمل"، أماني حشيم، حيفا، 2022.
- ديوان "أنا سيّد المعنى"، ناصر الشاويش، حيفا، 2022.
- رواية "المعبد الغريب"، للأسير رائد الشافعي، دار الرعاة ودار جسور ثقافية، رام الله وعمّان، 2023.
- ديوان "تمرّد"، للأسير عبد العظيم عبد الحق، مخطوط.

الكتب المخطوطة:

- السخرية في الشعر الفلسطيني المقاوم بين عامي (1948-1993).
- في حضرة الشعراء.
- مقالات في الدين والدولة والمجتمع.
- نظرات في التجربة الشعرية.
- نظرات في الواقع الثقافي.

- نظرات في الكتابة النقدية.
- الوقوع في اللهب.
- ديوان "أي امرأة كنت أنا".
- ديوان "ثلاثية الشاعر والظل".
- ديوان "تنهيدة... تنهيدة ثم المطر".
- ديوان "رسائل خاصة جداً".
- كتب ومؤلفون.

كما يوجد تحت الطبع كتاب "انتباهات الطليعي في عوالم الكتابة" للناقد رائد الحواري، متحدثاً عن تجربة الكاتب الكتابية. وكتاب "مقدّمات نسائيّة"، مقالات لمجموعة من الكاتبات متحدثات عن الكاتب وكتبه وأشعاره ورأيهنّ فيه كاتباً.

ملحق

قراءات في كتاب الرسائل

محمد الشبراوي

حسن عبادي

رائد الحواري

د. سرمد التايه

ناشرون فلسطينيون

مدونات

الكاتب بين مطرقة تأثير الهالة وسندان النقد

محمد الشبراوي

24/8/2018

قرأت منذ أيام قصة* للشاعر والناقد الفلسطيني فراس حج محمد، ويستدل بها على قتلى الأدب والكتابة، لكنهم قتلى من نوع فريد؛ فهؤلاء يكتبون ولا يجدون صدى لما يسطرونه، وربما يفضي الأمر إلى اليأس واعتزال الكتابة. فريق من هؤلاء الكتّاب يختارون طريقًا مغايرًا، يثبتون أن المجتمع مسكون بعدوى "تأثير الهالة"، وأن خصومة المجتمع لكتاباتهم مردها إلى أنهم مغمورون؛ فإن سُلطِت عليهم الأضواء، أصبحت كتاباتهم "بقدرة قادر" قمة في الإبداع والعمق والتأثير!

من أرشيف ذكريات الدراسة بكلية اللغة العربية، يحكي فراس أن صديقًا له كان يقرض الشعر، ولم يجد له جمهورًا في أوساط الكلية ومن ثمَّ الجامعة، ومبعث ذلك أن الناس أسرى الأسماء الكبيرة، أما المغمورون فإن فرصهم مع الأسف محدودة.

كان هذا الطالب الشاعر مؤمن بموهبته، وإمعانًا في تأكيد موهبته، ارتأى أن يختبر أذواق الزملاء والأساتذة بالكلية؛ فنشر في مجلة حائط الكلية قصيدة هي بنت فِكرِه، إلا أنه ذيلّها بتوقيع محمود درويش. لاقت القصيدة استحسان الأقاصي والأداني، وضرب الشاب أخماسًا بأسداس، ولا عزاء لأصحاب المواهب عند حضور الأسماء الكبيرة، وهذا يجسد التأثير البالغ للأسماء في دنيا الأدب والثقافة، ويحرم كثيرًا من الموهوبين من الحضور، ولعلنا في هذا الإطار نذكر توقف عادل كامل عن الكتابة، وهو الذي فاز بجوائز تقديرية عديدة وبالمناصفة مع أديب نوبل نجيب محفوظ، لكنه استسلم بعدما بعُدت الصلة بينه وبين الشهرة وتأخرت، ولم يواصل على

* في الرد على رسالة الأربعاء: 8-8-2018، ص 108.

عكس صاحب نوبل الذي كتب دون اكتراث بتأخر الشهرة أو انتظار وصولها من الأساس.

لا تنتظر الثناء على ما تكتب، ولا تتلكأ لتسمع مديحًا من هنا أوهنالك أو هناك، امض وواصل دون تردد؛ فالناس تحكم عليك أحكامًا لا علاقة لها بالإنصاف

الشاعر في مجلة الحائط أراد أن يقطع شكوكه في موهبته، ويفهم هل ركاكة النص ورداءة السبك وكسر الوزن هي السبب أم أن الناس يؤمنون فقط بالأسماء المعروفة؟ وخلص من تجربته إلى أن الناس لن تعترف بك إلا بعد أن تصبح لامعًا، وقبلها فلا تنتظر أن يشجعك أحدهم أو يثني على عملٍ لك مهما بلغ من الجودة والإتقان. شاعر مجلة الحائط لم يأتِ بجديد، وقد سبقه كثيرون من أهل الفكر والأدب، وليس في ذلك انتقاص من قدر هذا الشاعر، لكن المراد أنه أكد على ما سُبق إليه، وتدخل في نطاق تضافر الأدلة. ولعلك سمعت عن المسرح العبث، وزلزال مجلة الكواكب الذي رمى حجرًا في المياه الراكدة، وأشار لخطورة تأثير الهالة على الحياة الأدبية.

ظهر مسرح العبث بعد الحرب العالمية الثانية، وازدهر في خمسينيات القرن العشرين، ونظرته تشاؤمية معبرة عن الانكسار الذاتي للشخصية الإنسانية. تأثر مسرح العبث بالفكر الوجودي وكتابات جان بول سارتر وألبير كامو، وله مسميات أخرى مثل المسرح الطليعي، واللامعقول، والتجريب، أو مسرح الضد، ومن رواد هذا المسرح صامويل بيكيت، ويوجين يونسكو، وآرثر أداموف، وفريدريش دورينمات. وقد حاول توفيق الحكيم الكتابة على طريقة مذهب العبث، وكتب مسرحية "يا طالع الشجرة"، ثم تبعه آخرون ينسجون على منواله ويتسمّون بسِيمَاه.

في بدايات سنة 1963 ادعى أحمد رجب -محرر مجلة الكواكب يومها- أنه ترجم نصًا مسرحيًا عنوانه "الهواء الأسود" لفريدريش دورينمات، وطلب رجب من أربعة نقاد كبار في مصر (عبد الفتاح البارودي، رجاء النقاش، سعد أردش، وعبد القادر القط) تقييم العمل وتقديمه لقراء المجلة. كتب النقاد عصارة خبرتهم في تقييم العمل المسرحي، وأثنوا على براعة دورينمات في الحبكة وانتقاء الألفاظ، وأفرطوا في التقريظ والثناء، ثم جاءت الطامة على صفحات المجلة! كتب المحرر أن المسرحية

من تأليفه، ثم سلط مداد قلمه على النقاد؛ فكانت ضربة قاسية وموجعة للنقاد الكبار وبصورة بشعة.

اتسع الخرق على الراتق بعد أن بالغ أحمد رجب في طرحه؛ فادعى أنه كتب المسرحية في ساعة واحدة، وأنه تعمد كتابه نصٍ لا رابط بين أجزائه ولا هدف من ورائه، كما أنه لا يهدف لإرساء قيمة أو نقد مثالب مجتمعية أو قيمية أو غيرها! وأن الهدف من ذلك هو إثبات ولع النقاد بعقدة الخواجة، ونشر أحمد رجب تحقيقًا صحفيًا تحت عنوان: "فضيحة الموسم.. أنا المؤلف الأوحد لمسرحية الهواء الأسود". انبرت الأقلام الصحفية تقصف النقاد، ورمى العقاد عن قوسهم وأثنى على شجاعة المحرر، بل ودخل في معركة مع كاتبٍ من سن أحفاده، وهو رجاء النقاش، واعتبر توفيق الحكيم تلك الفضيحة مقلبًا أدبيًا لطيفًا، في حين قال إحسان عبد القدوس: "أتمنى أن يصر النقاد على رأيهم ويرفعوا أحمد رجب إلى منزلة الكتاب العالميين"، وأدلى صلاح عبد الصبور بدلوه قائلًا: "ده أعظم عمل نقدي للنقاد".

دافع النقاد عن وجهة نظرهم بأن المسرحية المختلقة ليست كما أوهم محرر الكواكب القراء، لكنها تقليد دقيق لمسرحية (في انتظار غودو) لصمويل بيكيت، ومبنية على فكرة الانتظار، وأنها أقرب إلى الأدب الرمزي العادي منها إلى فن اللامعقول، وأن هذه الفكرة تتردد كثيرًا في الأدب الأوروبي المعاصر، وهي أكثر شيوعًا في أدب الوجوديين. وقال عبد الفتاح البارودي: "إنها فضيحة فنية للتافه الأوحد"، وقال النقاش: "دي فضيحة لكم وليست لنا"، وأصر أردش على جودة العمل وأنه تأثر واضح بالمسرح العالمي ويستحق الإشادة.

عاشت الحياة الأدبية على صفيحٍ ساخن بعد "مقلب" أحمد رجب في النقاد الأربعة، وأثيرت أسئلة كثيرة حول ملابسات الحكم على المواهب الشابة، وتقيُّد النقاد إلى درجة ما بالإطراء حد الإفراط على المشاهير من الكتَّاب، والزهد في أعمال جيدة وربما ممتازة للمبتدئين. ونصح عدد من كبار الأدباء الشباب بالكتابة دون توقف، وأن يطوروا من طريقتهم وألا يرضخوا للنقد السلبي أو ييأسوا من تأخر شهرتهم أو نجاحاتهم؛ فالكبار لم يصلوا بسهولة ولم يتوقفوا عن الكتابة، وهذا ما هذب كتاباتهم وأثبت قوة موهبتهم.

أفضل العمل أدومه وإن قل؛ فلا تبحث عن مخرج لتتوارى، وابذل نكيثتك وغاية جهدك لتصل إلى حديقة النجاح، والغلبة لمن واصل وصبر

إن كنت على أول الطريق فإليك نصيحة خالصة، لا تنتظر الثناء على ما تكتب، ولا تتلكأ لتسمع مديحًا من هنا أوهنالك أو هناك، امض وواصل دون تردد؛ فالناس تحكم عليك أحكامًا لا علاقة لها بالإنصاف ولا المنطق؛ فلا تقتل موهبتك بالركون إليهم، وكن أحرص الناس على تحسين أسلوبك وتطوير طريقتك، واستشر من تثق في صدق نصيحته ولا تأخذك العزة بالإثم إن صادفت نقدًا صادقًا أو توجيهًا مخلصًا، المهم أن تستمر وألا تُحبط أو تتراجع، وقد أبدت الرغوةُ عن الصريح.

كان الكاتب الكبير صاحب قفشات ومقالب أدبية ساخرة، وقد عاود الكرة مرة بعد مرة، وأحدث ضجة في الوسط الأدبي والفني بتقريره عن الهواء الأسود، وقد سبقها بواقعة أخرى كان ضحيتها عدد من الكتَّاب المعروفين؛ فاختار مقالًا قصيرًا وقديمًا لتوفيق الحكيم، وعرضه على عددٍ من الكتاب والصحفيين على أنه بقلم أديبة ناشئة، وطلب منهم التعليق على هذا المقال.

قال عباس محمود العقاد: "هذه سطور كاتب في منتصف الطريق يستحق التشجيع"، وقال إحسان عبد القدوس: "أفكار قديمة وأسلوب غير صالح للنشر"، أما أنيس منصور قال: "والله أسلوب مش بطال"، لكن علي حمدي الجمال قال: "صفر على عشرة" أما أحمد بها الدين فقال: "هذا هو أسلوب توفيق الحكيم!". نشر أحمد رجب رأي هؤلاء جميعًا تحت عنوان: "آراء صريحة جدًا في أسلوب توفيق الحكيم".

تأثير الهالة أشبه ما يكون -لدى الغالب الأعم من الناس والنقاد- بالأرقام القياسية، ليس من اليسير تجاهلها، وهي صعبة الكسر ويملك أصحابها امتيازات كبيرة. ستشعر بالفخر إذا حققت رقمًا قياسيًا، ولا يمكن تصور شعورك بالمرارة لو سُحِبَ منك هذا الإنجاز دون وجه حق، وأقول ذلك للتنبيه على نقطة مهمة، وهي أن الوصول للرقم القياسي وتأثير الهالة لم يأتِ عفوا صفوا، ويحق لأصحاب الأرقام القياسية أن يفخروا بما قدموه، ولك أن تبذل وسعك وتصرف عنايتك في فنك، ولا

تتلهف للشهرة فلها وقتها، وفي ذلك ما يُخرجك عن غيظك ويضعك على جادة الطريق، ولكل مجتهدٍ نصيب؛ فلا تيأس.

الكاتب الكبير كان مبتدئًا يوما ما، وحقق نجاحه بمتابعة مشوراه لأنه تابع مسيره، لم يقف طويلًا عند مواقف الخيبة والانكسار، مسألة سيكولوجية تصنع فارقًا بين النجاح والضياع، ومع أنها قد تبدو بسيطة للوهلة الأولى إلا أنها مؤثرة للغاية، وأفضل العمل أدومه وإن قل؛ فلا تبحث عن مخرج لتتوارى، وابذل نكيثتك وغاية جهدك لتصل إلى حديقة النجاح، والغلبة لمن واصل وصبر.

برح الخفاء وانكشف الغطاء؛ فإياك النكوص والبكاء، والبحث عن سرابٍ بعد ماء؛ فدونك الجهد والعرق، واطرح التجهم والقلق، فلو صحّ منك الهوى أُرْشِدْتَ للحيل، ومن شواهد النجاح ألا تَمَلَّ العمل، ومن رام أمرًا راش له سهم الأمل، ومن طلب شيئا وجده وعلى الله المُتَّكَل.

مَحَضْتُكَ النُّصْحَ عن خُبرٍ وتَجرِبةٍ واللهُ سُبحانَهُ الهادي إلى الرَشَدِ

"الفولة لا تُبلّ بفمي"

وقفة مع كتاب "الثرثرات المحبّبة – الرسائل"

حسن عبادي| حيفا

وسم فراس حج محمد كتابه "الثرثرات المحبّبة": رسائل (292 صفحة، صممت الغلاف الفنانة ميسم فراس، لوحة الغلاف: "قارئة الحسناء" (La Liseuse) للفنان الفرنسي جان هونوري فراجونارد، الصادر عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس).

لفتت انتباهي لوحة الغلاف كعتبة نصيّة أولى؛ لوحة رُسمت بالزيت على القماش عام 1776، لفتاة جالسة على الأريكة جلسة مستقيمة، عكست جمال المرأة حين تحمل كتاباً، تقرأه بشغف، لا لدراسة أكاديميّة بحثيّة، بل من أجل المطالعة، لا غير.

وكذلك حال الإهداء كعتبة نصيّة، يخصّ به نساءه، وهن كُثُر "إلى كلّ امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحبّ والتقدير، وإن انتهت العلاقة إلا أن اللغة لن تنتهي، فما زال في جعبتها الكثير لتقوله..."

يضم الكتاب مجموعة من الرسائل (حوالي 150 رسالة) التي كتبها فراس إلى مجموعة من الشاعرات والكاتبات؛ لم يبُح بأسمائهن، بل عاد للعبة الحروف وأشار لكلّ منهن بحرفين من اسمها، سبعُ نساء: "أميرة الوجد (ش. ح)، صوفي، ف. ع، ل. م، إ. س، ر. غ، ص. ز". وتبدو للوهلة الأولى رسائل عشق ومجون وفُحش، ولكن حين قراءتها بتأنّ وتمعّن وجدتها ذات بعد فلسفيّ عميق، تتناول مواضيع اجتماعيّة وسياسيّة وأدبيّة وتربويّة، يحاول إيصالها عبر أجساد "نسائه"، ضحايا؛ كنّ شمّاعات يحاول عبرهنّ رمي سهامه الفلسفيّة وأفكاره لعلّها تصيب، وكلّما هربت منه إحداهن يصطاد بديلة لها، وعلى الرغم من تحفظّ غالبيّتهن إلا أنّه يتصرّف وكأنّ من حقّه نشر غسيلهما، وما يدور بينهما، على الملأ، ويقولها بصريح العبارة "أنا أعتقد أن كلّ شخص يرسل لي جملة من أي مكان، وبأيّ شكل كانت، أصبحت جزءاً من معرفتي، ويحقّ لي أن أقتبسها وأستخدمها، فقد قيلت لي، فهي ملكي إذاً بمعنى أو بآخر".

حين قرأت الكتاب استوقفني ما كتبه "صديقي المقرّب يقول لي... فالفولة لا تُبلّ بفمي، بمعنى أنّ كلّ شيء أسمعه أحوله إلى موضوع كتابيّ. الأمر مزعج مؤذٍ، هذا ما يريد أن يقوله لي صديقي، فهو دائماً حذر في الحديث معي، لأنّني سأقول كلّ شيء يوماً ما وأكتبه، فلذا فأنا مصدر قلق وأذى له ولغيره من الأصدقاء". (ص 236) وأترك الأمر للقارئ كي يحسم أمرهما!

راقت لي نظرته للسلطة وموقفه الثاقب منها؛ "الوطن كلّه لعبة للفاسدين، وعزبة للمسؤولين، لكن "الحق كله علينا" نحن الذي نصّبناهم علينا، يجب علينا أن نثور ضدهم قبل أن نثور ضد المحتلين، فلا حريّة لنا دون أن نتحرر من فسادهم وإفسادهم، لقد بتّ على قناعة أننا نعيش تحت ظل نظام عربي فاشل وغبي وانتهازي، ولا يمتلك أي نوع من الحكمة، يواصل مسؤولوه تقاسم الوطن المنهوب أصلا. كأنه لا يكفينا احتلال واحد، ليجتمع علينا شرّان متحدان ضدنا. نعم إنهما متحدان ضدنا والله، وإنهما في وئام معاً ومتفقان علينا لإذلالنا". (ص 225)، وللسياسة، وموقفه المعارض لما يجري على الساحة الفلسطينية، حضور عبر رسائله.

تناول الكاتب ظاهرة الشلليّة المقيتة المتفشّية في عالم الأدب والأدباء، العلاقة بين الكتّاب والناشرين في العالم العربي وظاهرة (ادفع تطبع)، والجوائز الأدبيّة وركض الكتّاب صوبها وأثرها على تردّي المستوى الأدبي، ما يجري في اتحاد الكتاب والأدباء الفلسطينيين والانتخابات لمؤسساتها والكوتة الفصائليّة المقيتة، وأثر مقالته "الشعراء الصراصير" على فشله في الانتخابات، حسب تصوّر صديقي إياد شماسنة، ظاهرة "الحذف" السلطوي الرخيصة المقيتة "لقد تم حذفنا جميعا: أنا وحسن ولينا كليّة من المشهد، فقد قصقصوا التقرير الذي أعددته ونشروا ما يخصهم، هذا الفعل ينم عن وقاحة بالفعل (ص 196) (بسيطة يا فراس، والله متعوّدين عليها... وأكثر)، المثقّف الموسمي (ص 126)، دوره في مواكبة ومرافقة وتشجيع الأقلام الصاعدة، الشاعر لطفي مسلّم مثالاً، علاقته بالأصدقاء، الرائد رائد الحواري مثالاً، وشبح أستاذه عادل الأسطة يلاحقه في كلّ زمان ومكان.

فراس قارئ ومثقّف لأبعد الحدود، لكنّه مصاب بهوس العظمة والعظماء والتقرّب من عالمهم؛ وتروق له رِفقة فرناندو بيسوا وأوفيليا، فدوى طوقان وسامي حداد،

فرانز كفكا وميلينيا، جبران ومي زيادة، هنري ميلر الثمانينيّ وبرنتا الثلاثينيّة، الفيلسوف الألماني مارتين هيدغر واليهوديّة حنه آردنت، وغادة السمان تتقلّب بين أحضان غسان كنفاني وأنسي الحاج، والفارق بينهم أنّ فراس يودّ تخليد مُراسلاته في حياته وليس في مماته كمن سبقوه.

صوّر الكاتب بحرفيّة مشاهد جنسيّة بورنويّة فاضحة من خلال تراشق الرسائل بينه وبين (ش. ح.) أو كما يحلو لهه تسميتها "أميرة الوجد"؛ حيث كتبت له: "أردنا الوصال... بدأ الوصال بحجمه الكبير ويكبر ويكبر يريد غمده ليغلق منافذه يركض نحوه مندفعاً بخوذته، يرتفع الصراخ وتعلو التأوهات يستمر في محاولة الاستقرار، يخرج ليتنفس ويعاود الكرة، يهتز ويهز الجسد، استقراره لا يكون سوى بتدفق الدفء وسيلانه"، ويجيب على رسالتها: "... تتقدم خطوة أخرى فتصف الإيلاج وكيف تشعر فيه داخلها، وقد انتفخ العضو وامتد ليسد منافذ الوردة القطنية، يكبر ويكبر، يحشر نفسه فيها ليعطيها إحساسا بالامتلاء والانتفاض والهزة الكاوية. لتصل إلى اكتمال العملية" (ص 21-22). والله كثير هيك يا فراس!

جاءتني رحلته الجنسيّة الماجنة مع (ش. ح) (نعم؛ ذات الأميرة الماجنة!) لأربع ليالي فندقيّة، كلّها لذّة ونشوة ووصل وجماع "أولجت فيها ثلاث مرّات، وفي كلّ مرّة أرى دمها عليّ، أسترجع تلك اللحظة كيف كانت نشوتها لا يمكن وصفها، ارتبكنا معا، لنعرف في الصباح أنه كان دم بكارتها". (ص 101 في كتاب سابق له "متلازمة ديسمبر")

تناولت في حينه ديوانه الشعريّ "على حافة الشعر: ثمة عشق وثمة موت" ولفتت انتباهي خمريّته، حضور النبيذ والخمرة في الديوان، وتساءلت بيني وبيني عن العلاقة بين الدين والخمر وأشعاره، فوجدتها "خمراً عذرياً"، خمريات رمزية، مجازية، وكأنّي بها مناجاة الذات الفراسيّة والذات الإلهية، والتعبُّد، كأنّي به "الحبّ الإلهي"، إن جاز التعبير، وجدت الخمر عنده رمزاً لرغبته في الانتشاء والشعور بالسعادة، وتدلّ على رغبته في التمرّد والمشاكسة الفراسيّة، وها هو في هذا الكتاب يقولها بصريح العبارة أنّه لم يذق طعم الكحول.

وهنا أكاد أجزم بأنّ العلاقات الجنسيّة الإباحيّة مع مُراسلاته عبر الرسائل ما هي إلا "جنس عذريّ" إن صح التعبير، وكأني بـ (ر. غ)، أو غيرها، يتقلّبن في فراشهن ينتظرن تلك القبلة و/ أو ذاك الجماع المتخيّل، مع زير النساء، فراس، عبر الكيبورد، وأراد الكاتب تمرير فلسفته عبر نهودهن وأجسادهن وعبر تلك القبلة المشتهاة يقصّر المسافات ويسهّل إيصال الفكرة.

لا بدّ من وقفة مع الرسائل المتبادلة بين الكاتب وصوفي (ص 255- 260)؛ حيث وجدت لها ميزة خاصّة وبعداً آخر؛ تبدّلت الأدوار فهي من اتخذت القرار، وحدها، وما كان له إلّا أن يستسلم راضياً مرضيّاً، رفعت لها القبّعة حين حطّت الحد عالجُميّزة وكتبت: "أعرف أن القرار الذي اتخذته اليوم سيكون صعبا على كل من حولي، بل وصعبا عليّ، لكنّي أمّ أولا وآخرا، وكل همي أن أسلّم الأمانة وأنا مطمئنة وراضية، لقد قررت اليوم العودة إلى زوجي والد أبنائي، اعترضت العائلة كلها على هذا القرار لكني أعرف تماما أن هذا هو ما يجب أن يكون، لا أريد أن يموت أحدنا وقلب أبنائي ممزق بالشكوك والظنون، لا أريد هذا الشتات لأطفالي، لقد رأيتهم كيف يضيعون مني، تائهون بيني وبينه، خاصة بعد فحوصاتي الأخيرة وبدء انتشار المرض" (ص 257)... وهذا كلّه رغم أنها تقول: "يدفعني إليه، ينتصب فوق أحلامي وشغفي أمنحه جسداً فائضاً بالشهوة، وأشعل له لهيب غنجي ودلالي، أغرز أظافري لذة في ظهره ويمنحني كثيرا من القبل. أباعد بين شجرتين عالقتين في جسد الحب... فيهتز الكون" (ص 260). يا لها من إيروسيّة فاضحة، وأكاد أجزم، ثانيةً، أنّهما لم يلتقيا البتّة وما زالت تنتظر تلك القبل الموعودة المشتهاة. يا له من جنس فاحش صاخب، ولكنّه بقي عذرياً.

همسات لا بدّ منها: لم يرق لي لبسه قبّعة المرشد التربوي والمُريد لتمرير فلسفته الحياتيّة بنصوص موجِّهة، بعيداً عن كاتباته وشاعراته وغزله العذريّ الفاحش والنص وبمعزل عن مجرياته.

كما ويظهر جلياً نرجسيّته المفرطة، (ع فكرة، مش غلط).

تبيّن الرسائل علاقة الكاتب السمبيوزيّة بقرّائه وما يكتبون عنه، وهوسه بالبحث والغوغلة عمّا يُكتب عنه وعمّا يُنشر له هنا وهناك وفي كلّ مكان، فله حضوره اليومي

عبر الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي، وكذلك متابعته الحثيثة، المرضيّة أحياناً، لإصدار ونشر كتبه.

راق لي ما كتبته الصديقة مادونا عسكر "الأستاذ فراس أستاذنا كلنا. يعلّم ويوجّه ويمنح من خبرته دون غاية، ما لا نجده إلّا نادراً في زمن المصالح على جميع المستويات"، والصديق المقدسيّ إبراهيم جوهر: "هذا الفتى الطّريد المشاكس (فراس) يكتب بوعي وحزن كبيرين ليعرّي المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة...!"

وأخيراً؛ كم أتوق للقاء يجمعني بفراس وكفكا ونيتشة!

الإثراء الثقافي والثراء الإنساني في كتاب "الثرثرات المحبّبة- الرسائل"[*]

رائد الحواري| فلسطين

في عصر تفشي طباعة الكتب، وبعد أن أصبح متاحا لكل من يمتلك المال طباعة ما يكتب، أمسى القارئ في مهب الريح، فمن كل عشرة كتب لا يجد كتابا واحدا ذا قيمة، والباقي مجرد (هذيان) يمغص القلب ويوجع الرأس. وفي عصر سطوة (الرواية) على الأجناس الأدبية الأخرى، قل نصيب هذه الأجناس، إن كان من خلال الإنتاج، أو من خلال تناول تلك الأعمال، من هنا أصبح حالنا مزرياً، فلم نحسن كتابة الرواية، وضيّعنا الأجناس الأدبية الأخرى.

"فراس حج محمد" يقتحم هذا الواقع البائس، ويقدم جنسا أدبياً؛ "الرسائل"، رغم أن القلة القليلة كتبت فيه، وهذا يمثل (مغامرة) أدبية تتجاوز المألوف، وما هو سائد، على صعيد الإنتاج وعلى صعيد القراء.

الكتاب كبير الحجم يقارب ثلاثمائة صفحة، وحجم كبير، وخط 12 أو 14، وهذا ما (أرهق) القارئ صاحب النظر الضعيف، لكن، ورغم هذه الإشكالية في حجم الخط، إلا أن مضمون الرسائل، والشكل الأدبي الذي قدمت به، والأفكار التي تحملها، وحالة (التخيل) الحاضرة فيها، ووجود شواهد (واقعية/ حقيقية) ووجود أفكار فلسفية حول العديد من القضايا الأدبية والفكرية، تجعل "الثرثرات المحبّبة" كتاب العصر، كتاب جديد على مستوى الشكل والمضمون، كتاب ممتع وشائق رغم أنه خارج (سطوة الرواية) حتى إننا نجد فيه (صراعاً) بين حقيقة الرسائل وتخيل/ افتراض المرسل إليها، فليس كل من يقف وراء هذه الرسائل شخصيات حقيقية، هناك العديد منها متخيل، وغير واقعي، وهذا ما سنتوقف عنده لاحقا.

الرواية:

"فراس حج محمد" يوضح أن كتابة الرواية مسألة صعبة، وتحتاج إلى مهارات استثنائية. في إحدى رسائله يرد على من يدعونه إلى كتابة الرواية بقوله: "أسأل نفسي لماذا الرواية؟ هل واجب عليّ إذ أحسن السرد أن أكتب رواية؟ ولماذا لا أصنع شكلي الخاص بي؟ لا أدري ما سيكون... ولماذا عليّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما

تشتهي الكتابة ذاتها؟ ولماذا عليّ الخضوع والخنوع اللاواعي لفكرة الكتابة لإرضاء الذوق الثقافي العام؟... أريد أن أكتب ما أحلم به من شيء حلمت به، لعله يكون مشروعا، أكره الانزلاق إلى ما يطلبه السوق الثقافي" ص 10، هذا المقطع يجيب على تساؤلات القراء الذي يريدون من الكاتب/ الأديب أن يكون تحت (الطلب) يلبي رغباتهم، لكن "فراس" يرد عليهم، بأن الكتابة هي (السيدة المطلقة) وهي من (تتحكم) فيما يقدمه، وهو يريد أن يكون ذاته المنفردة عن الآخرين، ولا يريد أن يكون تابعا/ خاضعا/ طائعا لأي كان، فالحرية أساس أية كتابة، كما أن الكتابة بحد ذاتها هي من يتحكم فيما يقدمه الكاتب/ الشاعر/ الروائي/ القاص.

اللافت في هذا المقطع أن "فراس" يؤكد ضرورة أن يكون الكاتب ذاته، إن كان على مستوى الشكل، الجنس الأدبي، اللغة، المضمون والفكرة، فكلها يجب أن تكون نابعة من الكتب وإلا سيمسى حاله كحال الغراب الذي حاول أن يتعلم طير الحمام، فلم يفلح، وعندما حاول استعادة طيرانه نسيه، هذا حال العديد من الكتاب الذين يحاولون تقليد الآخرين.

هناك عناصر يلجأ إليها الأدباء وقت الضيق/ الشدة يعبّرون بها ويعبرون فيها نحو الفرح، وهي المرأة، الكتابة، الطبيعة، التمرد، "فراس حج محمد" يؤكد حقيقة هذه العناصر من خلال حديثه عن الكتابة: "وعلمي أن الكتابة شفاء من الوهم بالوهم" ص 93، فالكتابة بحد ذاتها تمثل علاجاً ووسيلة شفاء، وهذا المقطع سنعتمده لاحقا، في البحث عن واقعية/ حقيقة المرسل لهنّ، وبين تخيلهن.

ويتحدث عن حال الكتابة والظرف الذي يجب أن تكون فيه: "إن فعل الكتابة يشبه تماما الفعل الجنسي، إنها عملية سرية، تحدث في الخفاء... كل الكتاب عندما يكتبون ينعزلون عن العالم، إنهم يدخلون طقوس المضاجعة بين القلم والورقة، لتحدث تلك العملية البارعة، المسماة الكتابة" ص 122، هذه الرؤية تمثل رؤية فيلسوف، رؤية حكيم، رؤية محترف كتابة، وهذه النظرة أيضا سنستفيد منها في إيضاح طبيعة المرسل لهن، هل هن نساء حقيقيات أم متخيلات؟

وعن الرسائل والشكل الذي استخدمه "فراس" ليرضي المرسل لها يقول: "إن الكتابة بحاجة إلى خبرة وتجربة، ومتعة في الصناعة والخلق، اصطدمي أكثر، لتنبجس

الأفكار حرة وشهية وطازجة... إن الإقناع يفترض أنك أصبحت داخل العمل، وأن القارئ يتخيل نفسه" ص 137، هذه (توجيهات/ النصائح) لا تأتي إلا ممن هو خبير ومحترف كتابة، فالعلاقة بين الكاتب والنص يجب أن تصل إلى حالة الحلول/ التماهي عندها يقتنع القارئ بما يقدم له، أو بالأقل تصله فكرة الكاتب بأفضل ما يكون، وهذا ما يجعل الرسائل ذات قيمة، بالمنسبة للقارئ وبالنسبة للمرسل لهن.

والكتابة عند فراس كالنبوّة، كالرسالة السماوية التي ينشرها الرسل دون أن يكون لهم هدف مادي/ تجاري، فهدفهم (إيصال) رسالتهم للآخرين وحسابهم، وثوابهم عند الله عز وجل. يرسل له أحد الأشخاص مادة مكتوبة، ويريد من "فراس" أن يقوم بصياغتها أدبيا، مقابل أجر مادي (محرز) يرد عليه فراس: "متى كانت الكتابة مشروعا اقتصاديا للكاتب الحقيقي؟... يا صديقي أنا لست تاجرا، أنا كاتب، لست كاتب عرائض قانونية لأحصل على أجر مادي فقط" ص 165، هذا الرد ليس على هذا الشخص فقط، بل هو رد على كل من يبيع قلمه بالمال، ليكون نارا على أهله وشعبه وأمته، فالكتابة يجب أن تبقى (نقية) بعيدة عن التلوث والبيع والشراء.

وهذا يقودنا إلى ضرورة أن يتم التعامل مع النص الأدبي ككتاب مقدس، لا يجوز الزيادة فيه أو النقصان منه، وإلا أمسى كتابا مشوها لا يعرف من أي أب/كاتبٍ جاء.

الجسد والكتابة:

يتعامل فرس مع جسد الأنثى كباعث/ محفز/ منشط/ مُوجد للكتابة، يقول في إحدى رسائله: "أحسّ بجسدي يلامس جسدك، عبرت رائحتك في أعماقي... بي رغبة شديدة في مضاجعتك... أستحضر رائحة أنوثتك كما أتصورها وأنت للتو مبتلة بماء الشهوة الدافئة... أيتها المنحوتة من صخر صبري فتتي الكلمات في لغتي، أعيدي اختلاق الزمن، واكتبي الحكاية من جديد" ص 81، فالجسد هنا له بعدان/ أثران، بعد جنسي، وبعد كتابة، فاللقاء الجسدي يثري اللغة عند فراس ويفجرها، وأيضا يعطي مساحة للأنثى لتكون جزءا من الكتابة ومشاركة فيها، وهذا ما نجده في هذه الرسائل التي وجدنا فيها ما كتبته له حبيباته.

الرسائل:

الرسائل بالنسبة لفراس مشروع أدبي، رغم أنه يحاول أن تكون (توثيقا) لعلاقاته الكثيرة مع النساء، فهو من خلال الرسائل يتماثل مع صانع العطر الذي يعتبر أجساد النساء أفضل مادة لصناعة العطر، "وفراس حج محمد" يعتبر النساء أفضل مادة للكتابة، فالكتابة بالنسبة له (غاية تبررها الوسيلة) تخاطبه إحدى النساء: "أنت تلحق الأذى بكل من عرفك" ص 235، وتقول له أخرى: "يا لك من كاتب، لم توفر أحدا، خف عنهم يا زلمة" ص 235، وهو يعترف ضمنا بحقيقة قولها: "يبدو أن كلامها صحيح نوعا ما، فالكتابة تثير المتاعب والمصاعب" ص 235، ومع هذا هو مصرّ على الكتابة حتى لو نالت ممن عرفهن من النساء، فالكتابة بالنسبة له هدف سامٍ، يجب على النساء أن يضحين بأنفسهن في سبيلها.

لكن بالنسبة له فهو (إله)، خالق للكتابة، ومن حقه أن يستخدم أية مواد يجدها مناسبة فيما يصنعه، يتحدث عن هذا الأمر من خلال هذا المقطع: "لم أشعر بالتعب وأنا أقرأ، ولذا قررت ألا أحذف تلك الرسائل... ألّا تمتلئ لغتي بالحنين... سأتخذ زينتي عند كل رسالة أكتبها، سأغتسل، وألبس ملابسي الأنيقة، وأتطيب، وأسمع قدرا كافيا من الموسيقى، وأدخن، أشرب فنجانا من القهوة بلذة النشوة الأولى، وأجلس إلى مكتبي وحاسوبي الشخصي، وأبدأ بالهذيان وثرثرة الكتابة كأنك هنا" ص 68، هذا شيء من حقيقة كتاب "الثرثرات المحبّبة، الرسائل" فهو مشروع أدبي أكثر منه حديث (عاشق وله)، عاشق (مجنون)، عاشق يردنه كل نساء الأرض ليكون لهن، فهو يظهر نفسه على أنه "جون دوان" عصره، لكنه في حقيقة الأمر يتخذ النساء مجرد مشروع كتابة ليس أكثر، مشروع أدبي له، وما هذا الكتاب وما فيه من شواهد إلا أحد الأدلة: "هي ذاتها التي تعتقد أنني "كاتب غير نبيل" لو قمت ونشرت ما بعثته لي من رسائل، ولو حرفا واحدا منها، سأقوم بنشرها بالتأكيد في الوقت المناسب في كتاب، فكل ما كتب لي فهو من حقي، وأتصرف فيه كيفما أرغب وأشاء" ص 235، هذه حقيقة "فراس" أنه (يقتل النساء) ليكتب بهن وعنهن، أليس كل ما يكتب عن المرأة مثيرا للقراء!؟ لهذا جعلهن مادته الأدبية، فمنهن يستخلص اللغة التي تثير الأخريات ليقعن في (حبائله) الأدبية، ومن ثم يستمر في الكتابة الأدبية، إنه صانع العطر الأدبي، فكلما قتل من النساء أكثر، كان جودة ما يكتبه ويقدمه أكثر.

التخيل:

من يقرأ الكتاب يتأكد أن التخيل كان حاضرا وبقوة فيه، فليست كل الرسائل حقيقية، وليست كل رسالة واقعية، هناك مساحة من التخيل أضافها "فراس" لتكون رساله متألقة أدبيا، وهذا ما قاله آنفا وبوضوح.

يخاطب فراس الحبيبة المتخيلة بلغة العاشق الوله، ليرفع من مكانة الكتاب الأدبية، وليزيد المتلقي إثارة ومتعة: "كلي مشتاق لكلك... إنني أتوجع يا وجعا لا أستطيع تحمله".

"ها نحن أيتها الحبيبة على مشارف الوعد، فلا تجعلي المسافة أطول مما هي، فتعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي... أشم رائحة النشوة في صدرك وفي وردتك الناضجة وفي سمرة جسدك المشوب بالزهرة الناعمة... لقد امتقعت بمائي مرتين وأنا أكتب لك" ص 243، هذه النشوة الجسدية والعاطفية تأتي من باب حرص الكاتب على تقديم ما هو متميز، ، لهذا (تخيل) حضورها ولقاءها فكانت هذه اللغة وسيلته لجذب القارئ لما يقوله في رسائله، وما حديثه عن تفريغه لمائه إلا من باب إحداث دهشة للقراء/ القارئات الذين سيغوصون بهذا الحديث الجاذب والمثير والممتع.

"فراس" قارئ نهم، ويعلم جيدا كيف يجذب القارئ لنصوصه وكتبه، وبما أن هناك جيلا من (المراهقين والمراهقات) يسعون وراء الإثارة، فقد أوجد مجموعة كبيرة من الرسائل تتحدث بوضوح عن اللقاء الجسدي: "وتتأبين عليّ في مساء مفخخ باشتياق رؤيتك عارية كقطعة ماس مبتلة بماء الشهوة الحارقة، فيا الله كم أشتاق رائحة فرجك، حلمت بك كثيرا، وتصورتك فيّ طويلا، تحسست جسمك كله، ردفيك العاليين... صدرك الفارة كصحن كنسية عالية، نهديك المنتبهين بحلمتين مولهتين" ص 183 و184، مثل هذه المشاهد لا يمكن أن تكون، أن تأتي ضمن رسالة يبعثها حبيب لحبيبته، مهما كانت العلاقة (حميمية بينهما) لكن "فراس" أوجد مثل هذه المشاهد من باب جذب القارئ والقارئة لكتابه، وجعلهما يغوصان فيما يقدمه من إثارة، فهدفه إيجاد كتاب جاذب، مدهش، صادم/ مثير مهما كانت الوسائل التي يستخدمها والأدوات التي تشكل مادته الأدبية، فإذا كان قد (كشف) نفسه للقراء في

سبيل وجود "الثرثرات المحبّبة" فلن يكون أمامه أية عوائق تحول دون قيامه بفعل الكتابة.

يبرر "فراس" كثرة الحبيبات اللواتي عشقهن، فهو كان يبحث عن حبيبته الأولى فيهن: "الخراب هذا، أنت من فعله والله، وكنت أحاول أن أنساك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحبب منهن أي واحدة" ص 185، فهو يعمل باحتراف في جعل كتابه "الرسائل" كتاباً مثيراً، استثنائياً، وهذه إحدى الوسائل التي يستطيع فيها (إبقاء) الحبيبة حاضرة، وجعل المتلقي متلهفا لمعرفة المزيد عن هذه العلاقة وهذه الحبيبة.

أفكار الكاتب عن الجنس:

فراس يعمل جاهدا على تقديم ما هو جديد، من هنا وضع رؤيته، فلسفته في العديد من الأشياء، فهو يرى الجنس وما فيه من (قسوة) برؤية أخرى: "فعندما يلج الحبيب إلى حبيبته عبر الرحم، في ممارسة الجنس، إنما هو يريد أن يلتحم بها روحيا وجسديا، وكأنهما يريدان أن يعودا إلى ما كان عليه قبل أن ينفصلا... لذلك إذا لم تتجاوب الروح مع الجسد ستكون العلاقة حيوانية مقرفة... أرأيت مثلا لماذا الاغتصاب جريمة إنسانية أولا قبل أي شيء؟ لأنها تدمر الذات، وفيها فعل إكراه وإجبار على إدخال ما هو غريب عن الروح إلى جسد يأباه هذا الجسد" ص 49، مثل هذه الرؤية تبين العلاقة السوية بين الحبيبين، ولماذا يسعيان إلى التماهي الجسدي، بينما في حالة الاغتصاب يكون الفعل من طرف واحد، وهذا ما يجعله مضرا نفسيا وجسديا للمفعول بها.

ويتوغل أكثر في هذا الرؤية بقوله: "فعندما يتعرى الرجل أمام المرأة أو تتعرى المرأة هي أمامه فذاك يعني أنه لا حواجز بينهما، سينهار الحاجز الديني، والاجتماعي، والجغرافي، وصولا إلى الحاجز اللغوي، عندئذ سيتحدثان ببساطة وأريحية دون أي تحذيرات أو محاذير" ص 163، هذا الغوص في الجنس يشير إلى أن الكاتب يفكر، يستنتج، يكتشف ما وراء الفعل وما دوافعه، وهذا ما يميز "فراس حج محمد" عن غيره.

ويستشهد بقول "باولو كويلو": "فالجنس بلا عاطفة عنف نمارسه على أنفسنا" ص 103، فالكاتب يسعى إلى أن يكون الجنس علاقة متبادلة متفق عليها بين الطرفين، وليست من طرف واحد.

المرأة جرس:

وعن رؤيته للمرأة يجدها جرساً جاذباً/ منبهاً للرجل، لا يمكن المرور عليها أو عندها أو من أمامها مرور الكرام: "في الواقع المرأة كلها جرس... عندما ترتدي فستانا قصيرا يبدو ساقاها متحدين كلسان الجرس، وذلك الفستان كأنه قبعة الجرس الخارجية... زغاريد النساء وكيف يبدو اللسان متردداً في جوف الفم، يتحول المشهد كله إلى قرع الجرس، والأدهى من ذلك فرج المرأة جرس، عند الممارسة جرس وعند الاشتهاء وتفتحه شعورا بالرغبة أيضا جرس... في الثديين الناعمين المتلألئين، إذن المرأة هي مجموعة أجراس" ص 74، لو جئنا بأي كاتب/ فنان لما استطاع أن يتوقف عند هذه المكتشفات الجديدة، المرأة مجموعة أجراس! من هنا تكمن عبقرية "فراس" الذي لا يمر على الأشياء/ المشاهد مرورا عابرا، بل هو المتأمل والمفكر، المستنتج ما هو جديد رغم أننا نمر عليه دون أن نعي أهميته، وما فيه من أفكار وأبعاد فلسفية.

فلسفة الأضداد:

يقول الله عز وجل في كتابه "يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون" سورة الروم (19)، والماركسية تعتمد في بنائها على وحدة وصراع الأضداد، فالجديد يخرج من رحم القديم ويحمل بين ثناياه شيئا منه "فراس حج محمد" يقدم رؤيته حول الأضداد بقوله: "فكيف يقولون إن الذكر ضد الأنثى؟ ما المبرر؟ نظرية خلق الإنسان ترى أن الأنثى مستلة من الذكر، فهي بعضه، تماما كما هي العلاقة بين الليل والنهار، وهل تلد المرأة ضدها عندما تنجب ذكرا؟ وهل الجن ضد الملائكة أم أنهم ضد البشر؟ هل الأحياء ضد الجمادات؟ وهل الجمادات خالية من الحياة؟ القرآن يقول إن كل الموجودات فيها حياة: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم" ص 199، أعتقد أن هذه الوقفة والأسئلة تشير إلى أن الكاتب لا تمر عليه شاردة أو واردة، إلا توقف عندها بالبحث والسؤال والتفكير، وهذا يشير إلى أننا أمام كاتب مفكر، يبحر في الأشياء التي

أمامه، فلا يمر/ يسلم منه أي شيء، دون أن يبحث فيه، وعنه، وكيف هو، وكيف كان.

وعن ضرورة فصل الفكرة عن الشخص الذي قالها يقول: "إن اللغة حكيمة أكثر من صاحبها" ص 30، أهمية المعنى تكمن في أننا نتعامل مع الأفكار التي تبقى نقية وبعيدة عن التلوث، بينما الأشخاص يمكن أن يبدلوا ويغيروا، فيقبى الاعتماد على الفكرة هو الأساس، لأنها يمكن أن تصبح/ تكون حجه على (انحراف) قائلها.

جذب القارئ إلى الكتاب:

- الحبّ

يستخدم الكاتب مجموعة محفزات تجذب القارئ لكتابه، منها حديثه عن الحب، يقول: "الحب أن تعيش سعيدا كل لحظة، تغتسل فيها مع من تحب، ويختلط الدم بالدم والماء بالماء، وصبح الجسدان جسدا واحدا، تصنعه كيمياء خاصة، يجعلكما كيانا واحدا معرفا بشيء واحد هو الحب" ص 104، فالكاتب يؤكد أن الحب مرتبط بالحياة الهنية، ويمكن الحصول عليه من خلال العلاقة الجسدية التي تعبر عن هذا الحب، وأيضا تدفعه إلى الأمام ليستمر (الحبيبان) في نهل السعادة واللذة، فالحب هنا هو وسيلة المحبين وغايتهم.

أما عن فكرة الحب فيقول: "أمام الحب يتلاشي كل شيء، ويتعرى المخلوق من كل مكتسباته، ليظهر على حقيقته محتاجا عاجزا ناقصا، يسعى إلى الاكتمال مع من أحب، فالجسد ليس عفونة يجب أن نتخلص منها، إنه بوابة الروح والامتزاج بها... لا شيء يجعلنا قادرين على أن نرى الأشياء على حقيقتها سوى الحب." ص 130، نجد اكتمال/ ذروة الحب تكمن في العلاقة بين الجسدية، وما المقدمات (العري) بين الحبيبين إلا مقدمة لتظهر الروح على حقيقتها، فالملابس تحد/ تمنع رؤية الحبيب والوصول إلى (روحه)، لهذا لا بد من التخلي عن كل ما يحجب الجسدين، ليتوحدا معا، ويصلا إلى الذروة، فالحب عند الكاتب مشاعر/ أفكار/ أقول تتوج بالتوحد الجسدي بين الحبيبين.

- اللغة والإثارة

أيضا يستخدم الكاتب لغة أدبية مطعمة بالرغبة الجسدية، حتى أنهما يتماهيان معا، بحيث لا نستطيع فصل جمالية اللغة عن إثارة المشهد الذي يقدمه: "الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تقاوم... ماذا تتوقعين أن يحدث عندما أرى صورتك وهي واصفة لكل هذا الجمال الذي لا يقاوم، يشعرني بالجوع إليك، كأني لم أجرب النساء قط، ولم أتذوق لهن طعما... أخشى أن أموت ولا أتذوق لك طعما، يا لها من غصة؛ ألّا يتذوق الحبيب حبيبته!" ص 222، نلاحظ أن هناك (صنارة) يضعها الكاتب في النهر/ البحيرة ليجذب إليها كل الوالهين، فالحبيب ينتشي بهذه اللغة وأيضا الحبيبة تنقاد وراءها لتتعرف حجم الشوق الذي يحمله الكاتب للقاء حبيبته.

- الحب الأول والخديعة

أيضا يتحدث الكاتب برؤية مثالية عن حبه وحبيبته الأولى، حتى أنه (يبرر) علاقاته اللاحقة بالنساء على أنه كان يهدف إلى (إيجاد) حبيبته الأولى فيهن: "كنت أحاول أن أنساك على أجساد أولئك النسوة اللواتي لم أحبب منهن أي واحدة" ص 185، هذا الكلام يتم (تسويقه) للوالهين فقط، فهو مثالي زيادة عن اللازم، فلو اقتصر الأمر على إقامة علاقة (صداقة) لكن الأمر طبيعي ومقبول، لكن أن يصل إلى علاقات جسدية كثيرة ومتعددة فهذا أمر لا يمكن هضمه.

يستمر "فراس" في اللعب على وتر الإثارة والحديث عن الحب الأول وكأنه الخلق الأول له ولها: "وكل ما قضيته مع أولئك النساء كان من أجل أن أقتلك في داخلي، لكنهن لم يستطعن فعل ذلك، ولا أنا استطعت أن أتخلص من ذلك" ص 186، إذا ما توقفنا عند هذا المشهد سيبدو للوهلة الأولى وكأنه (الحب الذي لا يزول أبدا) من هنا لا الكاتب استطاع أن ينسى، ولا النساء الكثر استطعن أن ينسينه الحبيبة الأولى التي بحث عنها في وبين الأخريات، إذا ما توقفنا عنده متأملين سنجد فيه (خدعة/ تضليلاً) يمارسه فراس، فلو كان هذا الكلام (واقعيا/ حقيقياً) لنزوى الكاتب في عزلة، أو لذهب إلى عناصر التخفيف/ الفرح الأخرى مثل الكتابة، ألم يقتل نساءه من أجل أن تكون "الثرثرات المحبّبة" حية بيننا؟ ولماذا لم يلجأ إلى الطبيعة؟ فهو يسكن في منطقة ريفية في غاية الجمال!؟ كل هذا يجعلنا نقول إن فراس يستخدم الحديث عن الحب لجذب القارئ إلى الكتاب ليس أكثر، فهدفه هو إيصال "الثرثرات" إلى

أوسع شريحة ممكنة، فقد وضع فيه جهدا ووقتا وأفكارا ولغة لا بد من التوقف عندها والتأمل فيها.

فراس يقتل/ يكشف نفسه:

يعترف "فراس" بأن الرسائل مشروع أدبي استهواه بعد أن قرأ مجموعة كبيرة من كتب الرسائل: "فقد قرأت رسائل جبران إلى مي زياد، ورسائل كافكا إلى ميلينا، ورسائل أنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، ورسائل أنور المعدي إلى فدوى طوقان..." لقد شغفتني كثيرا هذه الرسائل يا عزيزتي، وأحببتها حبا جما، على الرغم من أنها أحيانا لم تكن ذات لغة رفيعة أو اسلوب أدبي نقي" ص 159، إذا ما توقفنا هذا المقطع، سنجد فيه "فراس" الكاتب الذي يريد تقديم رسائل ذات قيمة أدبية وبلغة راقية، من هنا كانت رسائله كثيرة وطويلة ولأكثر من امرأة، وعلى مدار أعوام كثيرة؛ فأول رسالة كانت بتاريخ 2012/6/5 وآخر رسالة في2023/2/7، وحتى لو كانت هذه الرسائل/ الكتاب على أجساد النساء وعلى حساب (كشف) حقيقة فراس ذاته: "لست كاتبا "غير نبيل" لأني أفشي أسرار حياتي الشخصية في الكتابة، لم أترك شيئا منها إلا وتحدثت عنه، أنا كاتب "غير نبيل" لأنني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفية بكل حذافيرها، فأنا لم أقلد أي كاتب في مشاعره أو عواطفه، أو في صنعة الكتابة، صنعت لغتي من أعصابي، وحملتها تولهاتي وأحزاني" ص 12، إذن عمل الكاتب عل إحياء جنس أدبي قليل الاستخدام، حتى لو كان ذلك على حسابه الشخصي وعلى حساب نساء حبيبات على قلبه، فالكتابة بالنسبة له هدف يجب أن يضحى بالجميع في سبيله، وهذا ما فعله "فراس" في "الثرثرات المحبّبة، الرسائل"

وعن علاقته بالنساء، فمنهن من آذينه حينما رفضنه: "كل النساء اللواتي رغبت في الارتباط بهن وقد أصبحت موظفا نفرن مني نفورا شديدا، كوني فقيرا ومعاقا" ص 117، وهذا ما دفع فراس إلى أن تكون النساء عنده وسيلة/ أداة إلهام للكتابة ليس أكثر، فالكتابة بالنسبة له أبقى من النساء، فبها يكون ذاته كأديب، كشاعر، كناقد.

لغة فراس:

في الرسائل التي أرخها بتاريخ 2022/3/1 و3/11 و3/15 2022، صفحات (250-253) جعلها الكاتب على لسان الحبيبة، لكن نجد فيها لغة فراس وليست لغة الحبيبة: "أعرض عليك أن تأتي إليّ في شقتي لتقضي معي ما شئت من الوقت، حتى ترتوي مني وتشبع، وأعصرك في سريري كحبة ليمون وتعصرني كحبة برتقال شهية ناضجة، كرزتاي على صدري تنتصبان كلما قرأت جملة من هذا الشعر، ووردتي بين فخذي تبتل كلما مددت يدك نحو وردة حبيبتك. كم أشتاق لتكتب رداً على رسالتي، هل تخاف مني؟ ولن يطول بك التمتع حتى تهطل مطرا غزيرا يغسل لوعتي وحر اشتياقاتي.

لأعطيك نفسي راضية مرضية...أنا لست بخير" ص 250- 252، هذه اللغة لغة فراس، وليست لغة أية امرأة أخرى، فهطول المطر، والوردة، وكتب لي، وحتى لغة القرآن الكريم كانت حاضرة في هذه الرسائل، وهذه كلها لغة فراس وليست لغة الآخرين، إن كانوا إناثا أم ذكورا، وهذا ما يجعلنا نقول إن الرسائل فيها خيال وتخيل، والهدف منها هو تقديم مادة أدبية، بجنس أدبي قليل الاستخدام.

حقيقة "فراس"

الأدب يمتزج فيه الحقيقي مع الخيال، الواقعي مع الأدبي، فيخرج لنا بشيء جديد نستمتع به ونفكر فيه، لكن هناك أدباء يأخذون القليل من الواقع ويكثرون من الخيال، وكتاب "الثرثرات المحبّبة" أحد تلك الكتب، سنأخذ مقطعا يتحدث فيه الكاتب عن نفسه لنتعرف على حقيقة وطبيعة ونفسية الكاتب والكيفية التي يفكر بها، حيث يقدم نفسه "دون جوان" عصره، ويتحدث عن علاقة غير شرعية وغير سوية بين شاعر وحبيبته القديمة (انقضى أكثر من عشرين سنة على تلك العلاقة) حيث تزوجت وأنجبت وأصبحت ربة أسرة، لكنهما يلتقيان مجددا، فيقومان بما هو شاذ وقبيح: "هزني بعنف كبير من داخلي ما علمته من تطور العلاقة بين صديقي الشاعر وحبيبته المتزوجة، التي عرفت أنها تمارس الجنس معه، وتأتي إليه بين فترة وأخرى، وتقضي بين أحضانه أياما، تاركة بيتها وعملها وأولادها، وزوجها الذي أنقذها من ضياع محقق وقت أن قررت الهروب من إجبار أهلها على تزويجها من شخص لا تحبه، إن هذا الأمر سيئ جدا، سوءا لا يتصور، كلما تصورت أن هناك إنسانا سيتألم لو عرف الحقيقة، هل تصدقين أنني أوشكت على البكاء، وشعرت بالتفاهة إلى أقصى

حد، هل يعقل أن يقابل إنسان إنسانا آخر أحسن إليه إحسانا ليس له ثمن بهذا الرد وبهذه الخيانة، شخص أنقذك من الضياع، تخونه مع شخص عديم المشاعر، أناني لا يفكر إلا بشهوة نفسه" ص 92، هذا المقطع يكشف حقيقة "فراس" والطريقة التي يفكر بها، وكيف ينظر إلى الجنس، فداخله شخص نقي صافي يرفض الاقتراب من المحرمات/ المحظورات، وهو شخص يتأثر سلبا بالأحداث القبيحة التي تصيبه بالغثيان والإحباط، فهل يعقل لمن يملك هذه المشاعر/ الانفعالات أن يقدم على فعل ما يكره ويقرف ويشمئز منه؟

القيمة المعرفية في "الثرثرات المحبّبة"

- الأدباء والكتاب والكتب

يتناول الكاتب مجموعة كبيرة من الكتاب والأدباء والكتب، وهذا بحد ذاته يحسب للرسائل التي تعرف القراء بهؤلاء الكتاب، فالكاتب يتناول الغث والسمين، الجيد والرديء، يذكر كتاب "الشهقة الأولى" وكيف أنه تناول الرواية بحيث لم يجد فيها لا رواية ولا حتى أدباً، مما جعل من يراسلها تقول له: "يا حرامك دمرتها للمخلوقة، ستكون هذه شهقتها الأخيرة" ص 39، هذه المعرفة بالكتاب بالتأكيد ستدفع القارئ للتعرف عليه أو العزوف عنه، لكن لا ضرر من إبداء وجهة نظره، فهي حق له ما دام أن الكتاب عرض في المكتبات.

ويتحدث عن علاقة الأدباء/ الشعراء مع النساء، متخذا من الشاعر "محمد حلمي الريشة" نموذجاً: "عندما كان طالبا جامعيا هو وزوجته (فيما بعد) كتب لها ديوانا كاملا، باكورة شعره، وظلت تحتفظ به، حتى نشره في كتابه "قلب العقرب" ص 49، بهذا المقطع يعرفنا "فراس" على الشاعر، وعلى كتابه "قلب العقرب" وعلاقته الطيبة بزوجته.

ويحدثنا عن "إبراهيم مالك": "صاحب الكتاب الدوري الثقافي "كتابنا كتّابنا" ليخبرنا أنه نشر في العدد العاشر من الكتاب الرسائل الخمس الأولى، على أن يستكمل نشر بقية الرسائل في أعداد قادمة" ص 116، "فراس" يعرفنا أنه نشر جزءاً من رسائله في "كتابنا كتّابنا" وأيضا يعرفنا على هذا الإصدار وعلى من يقوم بإصداره،

مما يشير إلى حقيقة وواقعية هذه الرسائل كأدب رسائل، ومن يريد الاطلاع على ما نشر منها فيمكنه العودة إلى الكتاب.

- الأحزاب

يعطينا الكاتب رؤيته عن الأحزاب، وكيف أنها تحدّ من قدرات المبدع على التقدم والارتقاء بإبداعه بقوله: "ففكرة الانتماء للأحزاب السياسية خطر كبير على الكاتب" ص 148، هذا القول حقيقة مر بها العديد من الأدباء العرب وحتى العالميين، لكن، للموضوعية نقول إن العديد من تلك الأحزاب عملت على صقل شخصية الأديب ووضعه على أول درجة سلم الأدب والثقافة، فالأحزاب العربية ساهمت في تأسيس غالبية الكتاب والأدباء العرب، حتى أننا بالكاد نجد أديبا خارج نطاق الأحزاب، لكن بعد مرحلة معينة لا بد من الانفصال (تنظيميا) لكن القناعات السياسية تبقى حاضرة في وجدان الكاتب والأديب، فحاله كحال الابن عندما يكبر ويقرر الزواج وتشكيل أسرة خاصة به، هذه هو الواقع، الأحزاب مهمة في مرحلة التشكيل، لكن بعد النضوج لا بد من الانفصال.

يحاول الكاتب العودة إلى التجربة الحزبية، من خلال الانتقال إلى جزب يساري بعد أن كان في حزب إسلامي، يحدثنا عن هذه التجربة قائلا: "رحمني الله عندما خرجت من حزب التحرير، ولكنني لم أرحم نفسي عندما دخلت في حزب آخر، فأنا لا أتقن العمل الحزبي، ولا أجد جدوى منه، فما هو إلا عبث على عبث، ويرمي بنا في أغوار المجاهيل، ولن تفيد أحدا، لا وطنا ولا مواطنا" ص 173، هذه (التجني) على الأحزاب ناتج عن الواقع الفلسطيني اليومي، وما يمر به من (ضياع وتيه) بعد أن أصبحت الأحزاب يافطات أكثر منها أحزاباً فاعلة ومؤثرة، فهذا القول لا يمكن أن يؤخذ كقاعدة مطلقة، بل ضمن الحالة الزمانية والظرف الذي تمر به فلسطين وشعبها، وحتى المنطقة العربية، التي أصبح حال الأحزاب فيها كحال فلسطين إن لم يكن أسوأ، ففراس حج محمد ما كان ليكون ما هو عليه الآن دون حزب التحرير، لكن يؤس الواقع جعله يخرج بهذا القول.

- الجوائز

الجوائز، وفكرة الوصول السريع إلى القمة/ الغنى انتشرت من خلال (أوراق اليانصيب الخيري) حيث يشتري المواطن ورقة بمبلغ زهيد، ويأتيه الحظ بالفوز، فينتقل من الفقر والعوز إلى الغنى والكفاف، هذه الثقافة اتسعت وانتشرت وأخذت أكثر من شكل، وطالت كافة شرائح المواطنين، حتى أصحاب المحلات أخذوا يمارسونها على الزبائن، (اشترِ بقيمة خمسين ديناراً وادخل السحب على سيارة) والأدب دخل على الخط، خاصة بعد البطَر الذي يمر به الخليج العربي، فأصبحت الجوائز كثيرة وعديدة وتطال كافة الأجناس الأدبية، والفئات العمرية، يحدثنا "فراس" عن الجوائز وأثرها السلبي بقوله: "كثير من الكتاب لا يكتبون إلا من أجل الحصول على الجوائز، إنها مقبرة أخرى للكاتب، أحذرك من متابعة أوهامها". ص 142، عندما قال فراس إنها مقبرة للكاتب، استند على ما قاله سابقا عن الكتابة التي يرى ضرورة أن تخرج من داخل الأديب وليس من قلمه، فالتماهي بين الكاتب ونصه، وهو ما تجعله يصل إلى القارئ وتسهم في إيصال فكرته بأفضل ما يكون.

- النقاد

أمراض المثقفين كثيرة وعديدة، وتطال غالبية الشرائح والجهات التي تتعامل مع الكتاب والكتابة، ينقل لنا حديث (صديقته) عن علاقة (الناقد) مع الأنثى الكاتبة: "بعض شخصيات الصور كتب عن شخص، يدعي أنه ناقد ولا يفرق بينهن، إذ كلهن عنده "الكبيرة المبدعة" تخيل أنه سألني على الخاص: "هل أكتب عنك؟" رغم رفضي لعرضه وتأكيدي أنني لا أملك شيئا يكتب عنه، كتب منشورا وتجاهلته تماما، وألغيته من صفحتي" ص 153، هذا حال المثقفين والأدباء والنقاد، فبالكاد يعرفون أنثى حتى (ينهمروا) عليها ليغسلوها لتكون (نجمة أدبية) ترفع لها القبعات، متجاهلين أن هناك قامات وطاقة إبداعية لم يلتفتوا لها التفاتا، وهذا ما يجعل المشهد الثقافي بائساً.

- الاحتلال

بما أن الكاتب يعيش تحت أقذر وأطول احتلال عاشه شعب في العصر الحديث، فقد ظهر هذا الاحتلال فيما يكتب: "عليّ أن أجهز نفسي للعمل، الجيد في هذا اليوم أنه يوم عمل مكتبي، إن نجحنا في الوصول إلى العمل، ونجونا من الحواجز، ومن

الاجتماعات الفجائية سيكون هذا اليوم فيه بعض الجمال، أرجو ذلك" ص 197، رغم بساطة وصغر المقطع "نجونا من الحواجز" إلا أنه يعطي القارئ حجم الضغط الذي يشكله الاحتلال على الفلسطيني، فهو الذي يمنعه من التنقل والتواصل مع الآخرين، ويمنعه من الوصول لعمله، ويجعل يقضي وقته مهدورا أمام الحواجز الكثيرة والعديدة التي يقيمها.

- السلطة

السلطة أيضا لها نصيبها من الكتاب، فمثالبها كثيرة وعديدة، وفسادها متشعب ومتشابك، يحدثنا عن إجراءات التوظيف والمقابلات التي تتم للمتقدمين للوظائف: "تخيلي أن هناك قوائم سوداء توزع على لجان المقابلات للمعلمين الجدد مثلا ليتم تحطيم أشخاص معينين ليبدو أن المسألة طبيعية، وكأنهم يبحثون عن شرعنة الفساد، إنهم يفكرون كيف يخرج الفساد مؤدبا وخلوقا وشرعيا وقانونيا" ص 225، اللافت في هذا المقطع ليست فكرة تعرية الفساد فحسب، بل الطريقة الأدبية التي قدمت بها أيضا، "شرعنة الفساد، الفساد مؤدبا وخلوقا" وهذا ما يجعل صورة القائمين/ العاملين بهذه اللجان أكثر قبحا، فهم يستخدمون (أدوات/ إجراءات نظيفة) في إلحاق الظلم بالآخرين، وإعطاء من لا يستحقون حقوق غيرهم.

- رجال الدين

رغم أن الكاتب يحمل ثقافة دينية، وهذا ما نجده في أقوله وفي كتبه وأشعاره، إلا أنه ينتقد التفكير/ النهج السلبي عند من يدعون أنهم (علماء الأمة) مثلا عندما يتحدثون عن الجنة والحور العين: "نشر فيديو لأحد هؤلاء "الدعاة" يظهر فيه وهو يقول إنه لا شغل يشغلنا في الجنة عن ممارسة الجنس مع الحوريات، وكأن الجنة في هذا التصور أضحت "بيت دعارة" مع تحفظي الشديد على هذا الوصف، إن هذا الفيديو وكثير مثله هو السبب ربما في تلك الموجة الصارخة من الإلحاد التي تجتاح "الفيس بوك" ص 65، هذا التناول لطريقة تفكير هؤلاء المحرفين يدفع بالقارئ ليتوقف عند المسميات التي يسمعها يوما، (سبعين حورية) فالجنة بالنسبة لهم كما قال الكاتب مكان لممارسة الجنس، وكأن أهل الجنة عندهم شبق/ جوع جنسي ولا يفكرون بغيره، لكن من يتوقف عند الجنة سيجدها مكان للتمتع بجمالها "فلا تعلم

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون" فالجنة وما فيها من أنهار ونعيم أوجدها الله لأهلها لا تعد ولا تحصى، وهذا ما يسفه كلام هؤلاء المتوحشين جنسيا الذين يرونها مكانا مترعا بالنساء والشهوة.

أثر فراس في الأخرين:

"فراس" شاعر، وناثر، وناقد، ومعلم، ومشرف تربوي، وقد أنتج حتى الآن ما يزيد على الثلاثين مؤلفا، وله صفحة خاصة به على جوجل، ونشر أكثر من ألف مداخلة على الفضاء الإلكتروني، وهذا ما جعل أدبه متاحا للكثيرين من الأدباء والكتاب والمثقفين، يقول عن هذا الإرث: "كم أسعدني مثلا أن طالبة دكتوراه قد استعانت بمقالة لي حول رواية أحلام مستغانمي "الأسود يلق بك" وكانت رسالتها عن "النقد الأخلاقي" وقد سبق أن استعان أحد الباحثين نشر مقالة محكمة في مجلة محكمة في إحدى جامعات العراق الكردية بمقالة لي حول اللغة العربية" ص 112، هذا المقطع يقودنا إلى فكرة النبوة والرسالة التي تحدث عنها "فراس" وعن دور الكاتب، فجل هدفه تقديم معرفة/ خدمة للآخرين، وتقريبهم مما هو جيد ومفيد ممتعا أدبيا ومعرفيا.

وعندما يرى أحد طلابه قد أصبحا شاعرا يفرح وينتعش: "فرحت لقصيدته جدا، إنه واحد من الطلاب الذين أثمر فيهم التعليم، فصار شاعرا... وفاز على مستوى مديرية التربية والتعليم التابعين لها جنوب نابلس بمسابقة "الشعراء المعلمين" إن هذا الأمر مفرح جدا يا عزيزتي إنه الشاعر لطفي مسلم" ص 105، بهذا يكتمل دور الشاعر/ النبي، فقد أوجد من يحمل رسالته ويكمل دربه.

نبل الكاتب:

من يتابع كتب "فراس" يجدها تتضمن أسماء/ أقول/ صفات أصدقائه، وفي "الثرثرات المحبّبة" نجد مجموعة من الأصدقاء تم ذكرهم وتضمين الكتاب بأقوالهم، وأكثر من هذا جعل في خاتمة الكتاب (فصل) يتضمن العديد من التعليقات التي كتبوها عن الرسائل حينما نشرها على الفضاء الإلكتروني، فهناك أكثر من عشرين كاتبا وكاتبة تم تضمين الكتاب بتعليقاتهم: "لقد أحببت أن أكرم الكتاب الذين كتبوا لي وأكرم كتابي بهذه الطريقة من الاحتفاء" ص 213، هذا الأمر فعله في

هذا الكتاب والكتب السابقة، وهذه سابقة تحسب للكاتب الذي يثبت/ يوثق ما كتب عنه حتى لو كان ذلك سلبيا، وينتقص من مكانته كشاعر وكأديب، وبهذا يكون الكاتب ديمقراطيا يتيح المجال للآخرين ليتحدثوا عنه بحرية ودون قيود.

قراءة بنيوية نفسية في خاتمة كتاب "الثرثرات المحببة"

سيميائية الغضب وهيكلية النفس المقموعة

(ناشرون فلسطينيون)

تتجه هذه المقالة تحديداً نحو تفكيك خاتمة كتاب الرسائل "**الثرثرات المحببة**" للكاتب فراس حج محمد، هذه الخاتمة التي لم يحفل بها كل من كتب عن هذه الرسائل، كأنهم لم يصلوا إليها، أو لعلهم لم ينتبهوا إلى ما فيها من لغة صادمة، وقاسية، لا تتناسب وما سبقها من رسائل ودّ وحبّ، أفاض فيها الكتب بشرح عاطفته وأفكاره تجاه أولئك النساء اللواتي راسلنه وراسلهن، وهن سبع نساء: (أميرة الوجد (ش. ح)، صوفي، ف. ع، إ. س، ر.غ، ص. ز، ل. م)

هذا المنجز الأدبي للكاتب فراس حج محمد ظاهرة فنية تستحق التأمل المعمق، ليس فقط لغزارة إنتاجه التي تجاوزت الثلاثة وأربعين كتاباً منذ عام 2013، بل لاشتباك هذا المنتج مع أشد المناطق حساسية في الوعي الجمعي العربي، وتحديداً ثالوث (الدين، والجنس، والسياسة)، وفي كتابه هذا "**الثرثرات المحببة**"- الرسائل الصادر عن دار الفاروق للثقافة والنشر في مدينة نابلس عام 2024، يضعنا الكاتب أمام تجربة فريدة تنتمي لأدب الرسائل، حيث يتبادل البوح والحنين وشيئاً من الجنس مع مجموعة من المبدعات، لكنه يختتم هذا الفيض الوجداني بخاتمة صادمة ومستفزّة في حدتها وتشكيلاتها الصورية البلاغية، كأنه تعمّد أن يهدم كل ما كتبه دفعة واحدة، فبدا للقارئ أنها كتابة (كتابة الرسائل) غير ذات جدوى.

تسعى هذه المقالة إلى تفكيك هذه الخاتمة عبر أدوات المنهج البنيوي النفسي، محاولة سبر أغوار الموقف الوجداني للكاتب من المرأة، والتحقق من مدى صمود فرضية الميسجونية أو كره النساء أمام هذا النص الذي يبدو كلعنة لغوية موجهة للمرأة.

ينهي الكاتب رسائله بهذه الخاتمة: "***كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليبلْ في فمها الثعلب، وتلعب بنهديها الفئران، وتعشش تحت أبطيها***

العناكب، ولينم في فرجها الذباب، وليكن ظهرها مسرحا للجنادب، وبطنها مأوى للنمل، ولتمصّ دم فخذيها العقارب، وتصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة" .

لفهم هذه الخاتمة لا بد من تأصيل الأداة النقدية المستخدمة في التحليل، فالمنهج البنيوي النفسي- الدامج بين البنيوية والتحليل النفسي- يمثل قراءة نقدية ترى في النص نظاماً لغوياً مغلقاً يعيد إنتاج البنى النفسية العميقة للمبدع، حيث تنطلق البنيوية من فكرة أن النص وحدة محددة تنظم ذاتها بذاتها، حيث اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف، ومع ذلك، يضيف البعد النفسي- هنا أن هذه اللغة ذاتها محملة برغبات مكبوتة ورموز تعوض عما لم يستطع الكاتب تحقيقه في واقعه، فكان لا بد من اجتماع منهجين معاً ليكونا أقدر في الكشف عن أبعاد النص الدلالية.

إن التعامل مع النص الأدبي كعَرَض عصابي يتسامى بالرغبة المكبوتة في شكل رمزي مقبول، يتيح لنا فهم لماذا لجأ فراس حج محمد إلى صور الثعلب والعقارب والذباب، وغيرها في خاتمته، فالتحليل البنيوي يبدأ من بنية الكلمة وصيغتها ليصل إلى معنى المعنى أو الدلالة العميقة، وفي هذا السياق، تصبح الخاتمة بنية لسانية تعكس اضطراباً في العلاقة بين الأنا (الكاتب) والموضوع (المرأة)، وهي علاقة تتأرجح بين التقديس والتدنيس.

تبدأ الخاتمة بجملة شرطية قاطعة- مع ملاحظة حذف أداة الشرط- تضع قصائد العشق كمعيار للوجود الإنساني للمرأة: كل امرأة لا تهزها قصائد العشق ورسائل العاشق فليبلْ في فمها الثعلب...، من منظور بنيوي، نلاحظ هيمنة أفعال الأمر (الأفعال المضارعة المقترنة بلام الأمر) التي تضفي صفة القدرية والوجوب على العقوبات المقترحة، وتعد كل الجمل اللاحقة للجملة الابتدائية نتائج وجزاءات لفعل الشرط الكائن في الجملة الأولى، فكأننا أما جملة مفتاحية رئيسية، وكل جمل الخاتمة تابعة لها في المعنى والتلازم.

وفي هذه الجمل، ثمة بنية للعقاب الرمزي وتجلياتها الحسية، إذ يرتبط كل عضو أنثوي في المرأة بوكيل عقابي، وفعل ملازم، ما يفسر أو يشير إلى دلالة نفسية ورمزية، فالفم ارتبط بالثعلب وبفعل التبول، لما في هذا التلازم الثلاثي من إشارة إلى تدنيس وسيلة البيان والقبلة، وتمثل رد فعل على صمت المرأة، أمّا النهدان، فيرتبطان

بالفئران، وبفعل التلاعب، وفي ذلك تحويل رمز الأنوثة إلى عبث، بما فيه من سلب القدسية والمتعة والجمال عن هذين العضوين اللذين كانا موضع احتفال كبير للشاعر في قصائد كثيرة لعل أهمها "أغنيات إلى سمّو نهدك" و"نبوءة النهد الأخيرة"، ومقالته التأسيسية "أجمل ما في المرأة ثدياها".

كما يختار الكاتب من المناطق المخفية منطقة الإبطين، مشبها إياهما بشبكة عنكبوتية (قذرة) تعشش فيها العناكب، ما قد يوحي بالموت السريري والإهمال الوجودي، وأما الفرج- وهو عنوان اللذة الحسية عند كلا الطرفين المتراسلين وكثيرا ما أشارت إليه الرسائل سواء عند المرسل (الكاتب) أم عند بعض أولئك النساء، وخاصة صوفي، وأميرة الوجد- فقد ارتبط بالذباب وبفعل النوم، لتكون قمة التدنيس الرمزي، وتحويل منبع الحياة إلى مأوى للقذارة أيضاً.

لم تنسهِ هذه الأعضاء الأمامية أن يلتفت إلى عضو من أعضاء المرأة الخلفية، وهو الظهر الذي يشكل مساحة ممتدة تستوعب المساحة الأمامية، وخاصة الصدر والنهدين والبطن وصولا إلى الفرج، متجاوزاً ربما عن عمد الحديث عن المؤخرة. لقد جعلت الخاتمة هذا الظهر مسرحاً للجنادب، ليجرد ذلك الجسد من خصوصيته وجماليته ويحوله إلى أرض مشاع، ولإحداث السيطرة الكاملة على الجسد الأنثوي في مناطق غزارته الدالة على المتعة، يعود إلى البطن لتتكامل المساحتان؛ الظهر والبطن، فقد جعل هذه المنطقة مأوى للنمل، ليعبّر عن تلك الحيوية التي كان ربما يطمح إليها بتكوّن جنين من صلبه في أحشاء تلك النسوة أو إحداهن، وأخيراً يصل الدعاء على النساء إلى الفخذين حيث فعل مص العقارب للدم منهما، مصورا العلاقة كفعل افتراسي مؤلم وسُمّي.

تحيل هذه الستة مخلوقات (الثعلب، والفئران، والعناكب، والجنادب، والنمل، والعقارب) إلى ذاكرة أدبية مشبعة بالدلالات السلبية، فيستذكر الكاتب صورة الثعلبان الذي يبول على رأس الصنم في البيت المشهور: "أربّ يبول الثعلبان برأسه، لقذ ذل من بالت برأسه الثعالب"، وحضور الفأر المفسد كثيراً في الأدب العربي، كما أن العناكب ذات دلالة سيئة في عدم الاعتراف بالعشرة والألفة مع الشريك، أما الجندب فمن خصائصه أنه كلما اشتد الحر زاد صريره، وهو ما جعله رمزاً عند الأدباء للكائن الذي يجد لذته في المحنة التي هي الحرارة، والنمل وما عرف عنه من بخل

وحرص، والعقارب لما لها من تاريخ سيئ في اللدغ المذل، فالعقرب في المخيال الشعري العربي هي كائن تكتيكي؛ لا يواجه كالمفترسات الكبرى، بل يكمن ويترصد، ولذلك كانت الرمز الأقوى لوصف الخيانة والنميمة، ولعلّ كل كائن من هذه الكائنات يشير إلى واحدة من أولئك النسوة، اللواتي كنّ ستّ نساء أيضاً، إذا ما استثنينا (ص. ز) تلك المرأة التي راسلته وعرضت نفسها عليه ليضاجعها لكنه لم يأبه بها، وتجاهلها تماماً.

إن هذا التراكم الصوري المنفر يمثل انزياحاً حاداً عن لغة الكاتب الوجدانية المعتادة، فبينما يصف المرأة في نصوص أخرى بأنها "عنب شهي" "حلو المذاق"، نجد هنا تحولاً نحو تبشيع الجسد واختفاء جمالياته الشعرية والطبيعية، هذا التبشيع ليس فعلاً بيولوجياً، بل هو بنية لغوية تعويضية عن إحباط عاطفي ناتج عن عدم احتفال أولئك النساء بتلك الرسائل.

يكشف فراس حج محمد في حواراته أن الشعر سِفْر للحزن والتعاسة، وأن الكتابة بالنسبة له فعل تطهير من ثقل الأوجاع، فتبدو الخاتمة، بهذا المعنى، هي لحظة انفجار (الهو)- مستودع الغرائز المكبوتة- في وجه (الأنا الأعلى) الذي يمثل القيم الثقافية والتقدير الإنساني للمرأة.

يشير الكاتب إلى أنه توقف عن كتابة الرسائل، لأن المرسل إليه لم يكن يحفل بتلك الرسائل، وفي علم النفس، يؤدي الإحباط المستمر إلى العدوان، حيث إن الكاتب مهذب جداً وخلوق في واقعه بشهادة زملائه، كما جاء في إحدى القراءات النقدية للرسائل التي كتبها الدكتور سرمد التايه، فإنه ينقل هذا العدوان إلى اللغة، ليجعل من الخاتمة مذبحة لغوية للمرأة التي تجرأت على ممارسة الصمت أمام فصاحة الشاعر، إنها رغبة في إبادة الجمال الذي لم يعد متاحاً أو مستجيباً، فهذا التصنيم البارد والقاسي لهذا الجمال يجد له الكاتب هذا الرد القاسي، وكأننا أمام مبدأ تناسب رد الفعل مع الفعل نفسه، فلكل فعل رد فعل، مناسب له في المقدار، ومعاكس له في الاتجاه، كما في ذلك القانون الفيزيائي الشهير.

لم تكن الحيوانات والحشرات المستخدمة في النص عشوائية، فالثعلب يرمز للمكر الذي يدنس الفم، والمراوغة كانت في العشق فعلا شفويا فمويا، والعقارب ترمز

للغدر والألم الذي يصيب أشد المناطق حميمية وجمالية بعد الفرج (الفخذين)، والعناكب ترمز للقتل، حيث الأنثى تقتل ذكرها، لكنها هنا تستعجل فتقتله قبل التلقيح كما هو في علم الأحياء، وكذلك القول كما ذُكر أعلاه عن الجنادب والنمل والفئران، وتعكس هذه الصور بنية نفسية تحتية ترى في المرأة غير المتفاعلة جثة بيولوجية، لأن الحياة في مذهب الكاتب مرتبطة بـ الاهتزاز للجمال والشعر والتعاطف والمشاركة الوجدانية والحسية.

للوهلة الأولى، تبدو الخاتمة دليلاً دامغاً على أن الكاتب مصاب بالميسجونية التي تعني كره النساء وتحقيرهنّ، ومع ذلك، فإن التحليل البنيوي النفسي. يقتضي. وضع النص في سياق الكلية الإبداعية للكاتب، فثمة نوع من التناقض بين الخطاب النقدي والخطاب الإبداعي الانفعالي؛ ففي خطابه النقدي، يعد فراس حج محمد من أبرز المدافعين عن الإبداع النسائي، رافضاً تهميش المرأة أو التعامل معها كمفعول به تاريخي، وفي كتابه "**الكتابة في الوجه والمواجهة**"، يهاجم الذئاب الثقافية الذين يبتزون الكاتبات، هذا التناقض يشير إلى أن تلك الخاتمة البشعة ليست موقفاً فكرياً ثابتاً، بل هي حالة وجدانية متطرفة مرتبطة بلحظة الإبداع.

ولو أجرينا مقارنة بين الرؤية الكلية لفراس حج محمد وخاتمة "**الثرثرات المحببة**"، لتبين لنا وللقارئ الكريم حقيقة مواقف فراس حج محمد من المرأة، فهو يعرّف المرأة بأنها أصل الوجود ومنبع الجمال وسر الحياة، ويستخدم رمزية شهرزاد المخلّصة والذكية التي تروض التوحش الذكوري، ويتخذ موقفا متقدما من الجسد الأنثوي فيحتفي بالجمال والارتواء العذري والحسي.، ليصل في نهاية موقفه الذي أودعه في كتبه النقدية أن الهدف من الكتابة هو التحرر، والمواجهة، وبناء الهوية.

في مقابل ذلك كله، تظهر الخاتمة موقفا معاكساً، حيث التدنيس المتعمد عبر صور التحلل والكائنات ذات المدلول السلبي، فالأنثى تستحق اللعنة بسبب صمتها، وبالتالي فقد ظهرت كائناً بيولوجيا مستباحاً للحشرات إذا لم تتأثر بالشعر، ولم ترقَ إلى ما كان يطمح إليه الشاعر في مراسلاته الحارة والمكثفة، ليصل إلى هدف خاص من الكتابة متمثلا في الانتقام الرمزي والتطهير من ألم الرفض.

إن هذا التباين يؤكد أن الكاتب يعيش صراعاً بين المثقف التنويري الذي يقدس المرأة، وبين الشاعر الرومانسي الجريح الذي لا يقبل من المحبوبة بأقل من التماهي الكامل معه، ومع قصائده وما يكتبه، فكما قال "من حبّ ذاق"، وقد بقي محروماً لم يذق شيئاً، فالخاتمة- إذن- هي سقوط مؤقت في غياهب اللاوعي الغاضب، وليست بياناً ميسجونياً مؤسسياً.

تنتهي الخاتمة بجملة "**تصبح حديث الأساطير، ولعنة الكتابة**"، هنا نجد اعترافاً صريحاً بأن الكتابة ذاتها يمكن أن تكون سلاحاً مدمراً، ومن منظور بنيوي، الكتابة عند فراس حج محمد هي فعل وجودي؛ فإذا لم تحقق الكتابة هدفها في هزّ المرأة، فإنها تتحول إلى لعنة تطارد الطرفين، إن الكتابة هنا كانت فعل تدمير لمواطن الجمال الأنثوي بفعل كائنات بغيضة وغير محبوبة، فصار التدمير ثلاثياً، تدمير الذات، واللغة الجمالية، والمرأة العاشقة.

يرى الناقد رائد الحواري أن كتابات فراس حج محمد" تهدف إلى التطهير من ثقل الفعل نفسياً"، وفي الخاتمة، يمارس الكاتب عملية إسقاط لمشاعره السلبية تجاه المرأة الجاحدة لفضله الشعري، لتبدو الكتابة هنا تبرئه من الفعل- العدوان الواقعي- وتحوله إلى اعتراف لغوي يخلصه مما يثقله، إنها عملية انتقام بلاغي تجعل من المرأة أساطير في القبح والخراب، رداً على عدم رغبتها في أن تكون أسطورة في الحب.

في كتابه "**سر الجملة الاسمية**"، يؤكد الكاتب قدرة الاسم على بناء نصوص كاملة المعنى، لكن في الخاتمة، نلاحظ انفجاراً في الأفعال (يبول، تلعب، تعشش، ينام، يكون، تمص)، هذا التحول من سكونية الاسم التي تليق بالحب المستقر إلى حركية الفعل العقابي يعكس اضطراباً في البنية الوجدانية للكاتب، وهو لم يعد يصف حالة، بل يخلق مصيراً مفجعاً عبر اللغة السردية المتوترة التي تناسبها الأفعال لا الأسماء.

لا يمكن فصل خاتمة "**الثرثرات المحببة**" عن تجربة الكاتب في كتابه "**نسوة في المدينة**"، حيث الجرأة في تصوير الجسد والوصول لموضوعات غير مألوفة، إذ يعترف الكاتب في مقدمة هذا الكتاب "أن بعض الحكايات كانت مملة حد المرض النفسي" فلم يذكرها، أما في الخاتمة، فهو يواجه المرأة المملة التي لا تهزها القصائد- يواجهها بأبشع الصور.

وُصف أدب فراس حج محمد بأنه وليمة فكرية فيها كل أصناف المتعة الروحية والأدبية، لكن الخاتمة تقدم وليمة مسمومة، الجلد الذي يجب أن يُتحسس باللمس وبالتمتع البصري يصبح مسرحاً للجنادب، والفم موطن الجمال في الحديث والتقبيل يصبح مكاناً للبول، والفرج والنهدان والفخذان مواطن اللذة الحسية الكاملة تصبح أعضاء للقذارة والألم العنيف، والبطن الذي يجب أن يكون مأوى للحياة، يصبح مأوى للنمل، إن الكاتب يمارس تعطيلاً متعامداً للحواس الجمالية المُتَعية للمرأة؛ فالعين لا ترى، والأذن لا تسمع القصائد، والجلد لا يشعر إلا بالعقارب، ومع كذلك يتعطل التمتع الجنسي، هذا التعطيل الحسي هو العقاب المناسب في نظر الشاعر لمن عطلت حاسة التلقي لديها تجاه شعره ورسائله وتوسلاته العاطفية.

وصف بعض النقاد فراس حج محمد بالمشاكس الذي يجيد جرأة الطرح، ويرى آخرون أن نصوصه مجنونة وتتجاوز الحدود، ومن وجهة نظر المنهج البنيوي النفسي، هذه المشاكسة هي قناع يخفي خلفه رغبة عميقة في الاعتراف، فالكاتب يريد من القارئ- والمرأة- أن يخترق مسافات الحكايات الأخرى التي لم يروها.

الخاتمة هي الفخ الأخير الذي نصبه الكاتب؛ فهي تستفز القارئ لدرجة تجعله يتساءل عن أخلاقية الكاتب، لكن الكاتب يرى أن الصدق الفني يتطلب تعرية النفس من ثوب النبل الزائف، فهو يقول لن أكون رجلاً نبيلاً إذاً إذا كان الثمن هو إخفاء الحقيقة النفسية البشعة لرد الفعل تجاه الخذلان.

بناءً على ما تقدّم من التحليل القائم على المنهج البنيوي النفسي لخاتمة "**الثرثرات المحببة**" ومقارنتها بالبنية الكلية لمنتج فراس حج محمد الإبداعي والنقدي، نصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: الموقف الوجداني من المرأة ليس موقفاً كارهياً بالمعنى التقليدي (الميسجونية)، بل هو موقف عشقي متطرف محكوم بمنطق "**الكل أو لا شيء**"، المرأة عند صاحب الرسائل هي إما إلهة ملهمة تهتز لكل حرف، أو جرم مادي يستحق التلاشي والتدنيس إذا ما فقدت حساسيتها الجمالية.

ثانياً: الخاتمة تمثل لحظة انهيار الأنا أمام سطوة الهو الغريزي الذي لا يحتمل الرفض، وما الصور المقززة إلا انزياحات لغوية تعبر عن حجم الجرح النرجسي. الذي سببه صمت النساء المرسل إليهن.

ثالثاً: استخدام اللعنة والصور الحشرية والحيوانية هو استعادة لآليات الهجاء القديم في التراث العربي، لكن بلباس سيكولوجي حديث يهدف إلى التطهير النفسي. للكاتب من عبء الانتظار العبثي بعد أن فقد الأمل باستعادة العلاقة العاطفية، وخسرها إلى الأبد، إنه تحول من الغزَلي إلى الهجائي في سياق الغزل نفسه، وهذا يبدو من الأمور اللافتة في هذا الكتاب، وتكشف عنه الخاتمة.

رابعاً: تظل تهمة الميسجونية ضعيفة أمام مشروع الكاتب الذي كرس فيه عشرات الكتابات للدفاع عن حقوق المرأة المبدعة ومواجهة اضطهادها، فالخاتمة هي استثناء وجداني يثبت القاعدة؛ فالغضب العارم لا يأتي إلا من حب عارم أجهضه الصمت.

خامساً: إن لعنة الكتابة التي توعد بها الكاتب هي في الحقيقة لعنته هو أيضاً؛ فهو الكاتب الذي لا يستطيع الانفكاك عن هوسه بالأنثى، وهو الذي يجد نفسه مضطراً لتحويل أجمل عواطفه إلى أقبح صوره اللغوية كفعل انتحار بلاغي أمام برود المرأة العاشقة التي عاقبته بالصمت المطبق، ولم ترأف لحالته البائسة، وهذا ربما ما جعله يعلن توقفه ليس عن كتابة الرسائل وحسب، وإنما عن كتابة الشعر أيضاً.

في الختام، تظل خاتمة رسائل فراس حج محمد **"الثرثرات المحببة"** نصاً إشكالياً يضع القارئ والناقد أمام مرآة النفس البشرية في أشد لحظاتها عرياً وانكساراً، إنها ليست صرخة رجل كارهٍ للنساء، إنما في حقيقة الأمر صرخة عاشق مهزوم وجد في تبشيع ملهمته وسيلة وحيدة للبقاء على قيد الإبداع، لعله يرضي نفسه الأمّارة بالحب والسوء معاً.

اللسع الحامي للثرثرات المُحبَّبة لفراس حج محمد

بقلم: د. سرمد فوزي التايه

كلما اعتقدنا أننا بِتنا قريبين من فراس حج محمد، وأننا صرنا نعرف تفاصيله وتفاصيل حياته المكنونة منها أو المستورة أو المنشورة، المُباحةِ أو السرِّيَّة، ما خفي منها أو ما أُذيع على العلن؛ نكتشف أننا ما زلنا نجهل الكثير عن كُنه، وخبايا، وخفايا، ودفائن هذا الإنسان والكاتب والشاعر الواضح، الصريح، المُشاكس، المُزعج، المُدهش، الجريء، البسيط غير المُتكلِّف، والكثير الكثير من الأوصاف التي أعرفها أنا عنه شخصياً خلال معرفتي به وزمالتي له لقرابة ثلاثة عقود من الزمان؛ ابتداءً من أيام الجامعة وصولاً لأيام العمل معاً في سلك التربية والتعليم، ناهيك عن اطلاعي على بعضٍ من شخصيته من خلال قراءة العديد من كتبه وكتاباته التي أهداها إياي على مراحل وفترات زمنية مُتباينة، أو ما حُزتُه منها من خلال أصدقاء مشتركين لنا، فكنت أتناولها بدايةً كأي قارئ لأي كتاب إلى أن اكتشفت أنها غير الكتب الأخرى؛ إذ لا يمكن قراءتها بصورة عادية عابرة؛ فهي بحاجة إلى التَّعمُّق بها ونبش جذورها بصورةٍ مُبالغٍ فيها لما تحويه من غرائبَ، وعجائبَ، ويومياتٍ، وتناقضاتٍ، وبوحٍ، وسفورٍ، ومُجونٍ، ودُموعٍ، وأسى، وألمٍ، وقهرٍ، وحياة بكل تجلياتها وتفصيلاتها ومعانيها.

لقد وجدت في كتابه **(الثرثرات المُحبَّبة)[*]** الصادر عن دار الفاروق عام 2024، فراس حج محمد كما هو دون مواربةٍ، أو تغطيةٍ، أو سترٍ، أو تعتيمٍ، أو تشويش؛ فقد قام– سامحه الله- بتجريد نفسه وتعريتها من كل ما غطاها وجلّاها حتى أزال عنها الحجاب واللباس الذي واراها ووارى سوأته؛ ليُبرز تلك السوأة ويُبينها ويكشفها للعيان دون خوفٍ أو وجلٍ أو فزعٍ أو توجُّس! تاركاً العنان لمن أراد أن يُبحر في خصوصياته، ويغوص في

يومياته بأن يفعل ما يشاء وما يُريد عن طيب خاطر منه دون أن يجد أو يواجه أي مانعٍ، أو ملامةٍ، أو تحفُّظٍ، أو قيود.

في هذا الكتاب الذي يقع في 292 صفحة يقوم الكاتب بعد الإهداء والمقدمات بتوضيح لماذا توقف عن كتابة الرسائل، ثم ينتقل للحديث عن معنى "النُبل" ويُصرُّ بعنوان الجزء الأول القول إنه "لن يكون رجلاً نبيلاً"، ثم يستهل برسالةٍ إلى أميرة الوجد (ش. ح)، ثم رسائل (2016 و2018)، تلتها رسائل (2019)، ثم رسائل (2020)، وبعدها رسائل (2021)، وبعد ذلك رسائل (2022)، لينتقل بعدها إلى ثلاث رسائل من (ص. ز)، ورسالة صوفي، ثم قصيدة ورسالة، وأخيراً جزء مُتعلق بتعليقات جمهوره على رسائله، وختاماً المقال حول ما جاء في قصيدة المحاكاة "ما حاجتي لرجل".

وفي شيء من التمحيص، والتشريح، والتحقيق، والتدقيق بما جاء به هذا الكتاب، نجد أن الكاتب قد وضع في افتتاحية كتابه هذا توضيحاً منه لماذا توقّف عن كتابة الرسائل، فيُبرّر ذلك في صفحة 10 لماذا يكتب الرسائل ولا يكتب الرواية ليقول: "إنَّ كتابة الرواية كتابة لقيطة في حصن الرواية، الرواية لن تُعمِّر طويلاً، فلولا مجموعة من الجوائز لهذا الجنس لم تجد هذه المواليد المُشوَّهة". من هنا، فإنه يرى حريته في كتابة الرسائل التي يستفيض بها ويبتعد عن كتابة الرواية ليُؤكد ويقول: "لماذا عليَّ أن أهجر حريتي في الكتابة كما تشتهي الكتابة ذاتها؟"

أما في الموضوع الثاني الذي سطره حج محمد بين جنبات هذا العمل، فقد كان حديثه عن معنى النُبل تحت عنوان **"لن أكون رجلا نبيلاً".** وعند الوقوف على هذا الموضوع، ولماذا اختار هذه الاستهلالية والذي قد يجد القارئ غرابة فيها وبطرحها، ندرك جلياً أنَّ هذا المطروح هنا وبهذه الصيغة كان نتيجة ألمٍ شديد، وجُرحٍ غائر به صديد قد ألمَّ به

وداهمه بغته عندما راسلته إحداهن لتقول له: "ينبغي أن تكون نبيلاً"! لتجد أنّ تلك الجملة قد أصابته بمقتل وبعصبٍ رئيسي؛ لتثور ثائرته، ويهيج ويموج، ويقول مدافعاً عن نفسه: لستُ كاتباً "غير نبيل" لأني أفشى أسرار حياتي الشخصية في الكتابة، لم أترك شيئاً إلا وتحدَّثتُ عنه". ثم يستكمل القول: "أنا كاتبٌ غير نبيل لأني كتبت بإخلاص تجربتي العاطفية بكل حذافيرها"، ويؤكد في نهاية الفقرة: "ها أنا كاتب غير نبيل للأسف عند كاتبة الرسالة وعند كثير من القراء"، ثم تراه يُعزّي نفسه أو يلومها وهو يقول: "لم يخسر أحد من الكتابة كما خسرت نفسي"، ويختتم بهذا السياق ويقول: "إنني أؤكد أن ليس لي نصيب من مظاهر النُبل جميعها، لا في الذات ولا في التعامل ولا في العمل، فأي كاتب وأي رجل "غير نبيل" هو أنا إذاً؟ وعلى ذلك فمشروع "الرسائل" هذا الذي أصبح ناجزاً هو مشروع غير نبيل.

وبما أنّ فراس غير نبيل، فتحصيل حاصل أن تكون شخصيته مؤذية، ويكون هو شخصاً مُؤذياً مُزعجاً غير مرغوب به ولا مطلوب حضوره، وقد ظهر ذلك بقوله في صفحة 235: "مهمتي أن أُوذي كل من عرفت، هكذا تقول لي امرأة غاضبة. تبعث لي برسالة "حقودة" تقول في جزء منها: "أنت تلحق الأذى بكل من عرفك". كما أنّ كاتبة وصديقة أخرى تقول له: "يا لك من كاتب، لم تُوفّر أحداً"، وتقول أخرى والتي تعتبر نفسها ضحية من ضحاياه: "كاتب مؤذٍ جداً"! وهنا يعترف ويقول: "الغريب أنني شخص مُؤذٍ، هكذا قال لي أصدقاء كثيرون". ويعود ويقول: "أنا مُؤذٍ جداً بالنسبة لها". ويستكمل: "لقد غدت الكتابة عنها كتابة تجلب لها التعاسة"، ويختتم بالحديث: "لقد كانت هي أيضاً امرأة مُؤذية وأنا كنتُ كاتباً مُؤذيا"، "هي ذاتها تعتقد أنني كاتب غير نبيل". وهنا نجد كم كان حجم الحزن والمعاناة والجراح التي تسببت له تلك الكلمة، لتجده

يتحدث عن الإيذاء في الصفحات (235، 236، 237) وحدها إحدى وعشرين مرة!

في الطرح الآخر ضمن هذا الكتاب كانت **رسائل إلى أميرة الوجد (ش. ح).** وقد بلغ عدد الرسائل المُرسلة منها له ثلاث رسائل، فيما أرسل هو لها أربع رسائل تكللت باللغة الجزلة والجميلة، والمشاعر الفياضة النابعة من أعماق فراس وذلك عندما قال لها في صفحة 17: "عندما أفتح كتاب الله لأقرأ فيه، تحاصرينني في كل دقة قلب"، ثم يقول بنفس الصفحة: "سأظل مُشتاقاً لكل التفاصيل التي كانت تسافر في دمائنا، وتشرح عنا حُبّنا وحنيننا، وتحفر روحنا على جدار الوقت كي لا ينسى أحدنا أو كلانا تلك الروح التي اشتعلت بنا في كل لقاء، ونمت وأنبتت فيّ الحُبّ سبع مسافات خضر تفوح بنا في كل حين"، وأيضاً بنفس الصفحة: "يا غيمةً مُشبعةً بأنا، بماء الروح، تسكبينك فيَّ كأساً من ضياء ورؤى"، وفي صفحة 18 يقول: "فوضعتُ التراب في فمي وفمك حتى لا تُزهر النبتة على أطراف أصابعنا، وقد وجدت منبتها التي طلبته منذ سنين"، ومرة أخرى في صفحة 19: "أتنفسك وجداً وتتنفسني عبقاً أرجوانياً، فأنساني بينك، لأجد نفسي وقد تشكّلت نقطة حُب بين نقطتين هناك تُشكلان نهراً من أناي وأناك المُتوحدين على صدرٍ شهي"، ثم القول: "كم تهيأتُ اليوم لأكون بينك في خلاياك النادية، لتكون بيني في خلاياي المستطيلة المنادية"، وأخيراً: "ماذا فعلت بنا الأوقات ففتّت أرواحنا وشرذمت خلايانا، فرجعنا دوننا".

أما في صفحة 21 فقد ظهر الابتذال والمجون السافر مع (ش. ح)، ليرد عليها هو في قراءته الخاصة لرسالتها بذات المجون. ثم يستذكر أيامه الماجنة مع محبوبته في صفحة 24 ليذكر كل عضو فيها دون حياءٍ أو خجلٍ أو خشية. لكن على النقيض من ذلك وفي ذات الرسائل، يظهر لنا

الإيمان العميق الذي يتحلى به وذلك عندما قال في صفحة 23: "لا أفكر بشيء وأنا في غمرة الصلاة هذا اليوم إلا بهذا: يا رب لا تجعلني سبباً في إزعاج أي إنسان، وامنحني القوة لأكون إنساناً جيداً يُدخل السرور على قلب كل من له علاقة معي". ثم يقول بذات الصفحة: "تذكرتُ أياماً سابقة كيف كنتُ فيها فظّاً غليظ القلب مهووساً استجمع كل قدرة لشيطاني ليتغلب على ما تبقى في داخلي من نور". ويستكمل في اعترافٍ خطيرٍ منه لنفسٍ لوامة: "أنظر الآن إلى مساربي الداخلية، العتمة الكثَّة، ذات نتوءاتٍ مُزعجة، أحاول استجلاء روحي لعلها تنظف مما علق بها من أدران أرضيتي المُتَّسخة بكل أنواع الهلام الحقير".

وبتفحص ما جاء به الكاتب في متن هذا الكتاب والذي حاز على النصيب الأوفر منه، فقد كان فصل **رسائل (2016 و2018)** والذي بلغ مائة وإحدى وثلاثين صفحة، فيها خمس وستون رسالة منه إلى محبوبته؛ بعضها كانت خلال أيام معدودة وبعضها الآخر تراوح بين شهر أو أكثر. أما رسائل محبوباته له في هذه الفترة الزمنية، فكانت رسالة واحدة من (ل. م)، وإحدى عشر رسالة من (ف. ع). وبذات السياق، فقد كانت هناك **رسائل (2019)** بإحدى عشر رسالة منه لـ (ف. ع) والتي بادلته هي بسبع رسائل، ثم كان خمس رسائل منه ضمن **رسائل (2020)** لـ(ف. ع) أيضاً والتي ردَّت عليه برسالةٍ واحدة. ثم ينتقل للحديث عن **رسائل (2021)** والتي بلغت ثلاثين رسالة مُرسلة منه لمحبوباته أو صديقاته (ر. غ)، (أ. س)، (ف. ع) ليكون الرد عليه منهن بأربع عشرة رسالة، ثم يعود لعرض **رسائل (2022)** ليكون حصيلة ذلك العام رسالتين موجهتين منه لإحداهن بادلته (ص. ز) بثلاث رسائل. وفي الختام، كان هناك جزءاً أطلق عليه اسم **رسائل صوفي،** وقد تضمن أربع رسائل من صوفي لفراس ليرد هو عليها برسالة يتيمة. ثم أخيراً كان هناك فصل مُتعلق **بقصيدة ورسالة**.

بالرجوع إلى كمّ هذه الرسائل، وبعد فحصها، وحلحة تركيباتها، وتفكيك جزيئاتها، يتضح لنا أنَّ جُلّها كانت مُخصصة للنساء دون أن يكون هناك حظ لذكرٍ واحدٍ على أقل تقدير. وقد تجلى ذلك وتم التأكد منه بداية بما كان من الإهداء في بداية هذا العمل الأدبي والذي قال فيه: "إلى كل امرأة راسلتها وراسلتني مع خالص الحُب والتقدير". وليس دفاعاً عن فراس هنا ولا إشهاراً للسيف في وجهة، إلا أنه وحسب رأيي المتواضع، فإن الرسائل عادة ما تكون من القلب إلى القلب لا من القلم إلى الورقة، ولأن فراس قلبه مُتعلق بمحبوباته ونسائه الواقعيات منهن أو الافتراضيات، فكان لا بد له من أن يُخصص كل هذا العمل لهن حتى يلج به قلوبهن ويتربع على عروشهن. وما أكد ذلك، ما استند إليه مما كان من الأدباء العرب والغرب والذين ساروا على هذا النهج وهذا الطريق فيما مضى، فسار هو على نهجهم وخطاهم؛ فقال في الحديث عن هؤلاء الثلة ورسائلهم واقتدائه بهم في صفحة 84: "إنه ليحلو لي على نحو استثنائي الحديث عن المُحبين، فهم أصدقائي وعشيرتي، وتربطني بهم أكثر من رابطة، فهم مرهفون رهافة تبدو طاغية ومؤثرة". وهنا نجده يتحدث عن رسائل هؤلاء المرهفين سيراً على خطاهم أو اتقاءً لشرور المُنتقدين له والمُعيبين على صنعته، فيذكر هنا رسائل فدوى طوقان وسامي حداد، وغسان كنفاني وغادة السمان، وآنسي الحاج وغادة السمان أيضاً، والفيلسوف الألماني مارتين هيدجر والفيلسوفة اليهودية حنا آرندت، وفرانز كافكا وملينا؛ ليؤكد أنّ كل هؤلاء كتبوا رسائل حُب وغرام. ثم يعود مرة أخرى في صفحة 159 ليؤكد ذلك بالحديث عن رسائل هؤلاء الكُتاب لمحبوباتهم فيذكر رسائل جبران خليل جبران إلى مي زيادة، ومرة أخرى رسائل كافكا إلى ميلينا، وآنسي الحاج وغسان كنفاني إلى غادة السمان، وأنور المعداوي إلى فدوى طوقان، وحنة آرندت ومارتن هيدغر، وفرناندو

بيسوا إلى حبيبته، واليخاندرا بيثارنيك إلى مُعالجها النفسي ليون أوستروف.

وعلى النقيض مما قام به هو، يقول فراس في صفحة 166: "إنّ هناك رسائل من كُتاب وأدباء عالميين إلى ذكور وليس إلى إناث رغم أن بعضها افتراضي مثل رسائل يوسا إلى روائي ناشئ، ورسائل محمود درويش إلى شاعر شاب، ورسائل الشاعر ريلكة التي وجهها لشاعر شاب يدعى فرانتز كزافر كابوس. ويستكمل في صفحة 167 فيقول: ثمة رسائل بين أديبين وليس بين كاتب وكاتبة؛ فهناك رسائل سميح القاسم ومحمود درويش، وقديماً رسائل جلال الدين الرومي إلى شمس التبريزي، ورسائل ريلكة إلى شاعر شاب، كما أنّ هناك رسائل بين أديبتين كما هو الحال بين فدوى طوقان وثريا حداد.

في ملاحظةٍ جوهريةٍ بارزةٍ عن رسائل فراس حج محمد إلى محبوبته أو محبوباته، أنّ تلك الرسائل قد امتازت وبشكل لافت بابتدائها وانتهائها بالغزل الجميل وكلمات الحُب الصادق والصافي أحياناً، وبالغزل الفاحش والكلام المبتذل أحياناً أكثر، وبسمةٍ عامة ظاهرة وشائعة؛ وإذا أردنا أن نحصد جزءاً يسيراً مما قاله في تلك الرسائل وعلى سبيل المثال لا الإجمال نجده يقول في صفحة 47 في نهاية إحدى رسائله: "دمتِ جنّة في أرض أشواقي، باسمة كنجمة، باسقة كنخلة، مثمرة كشجرة دائمة الخضرة"، وفي نهاية رسالةٍ أخرى في صفحة 65: "فالروح تسعد كلما نهلت من خمرة حرفك"، ويقول في نهاية رسالة بصفحة 126: "دمت أجمل من الجمال، وأعمق من الفلسفة، أيتها الهادية إلى متون الفلسفة الروحية الجميلة"، وأيضاً في نهاية رسالة في صفحة 172: "لك القلب حتى ترضي، ولك الروح حتى تسعدي، ولك الشعر كله يا رب الشعر".

أما في الكلام الفاحش، والأيروتيكية، والنشوة والشهوة والشهوانية، نستطلعه يقول في افتتاحية إحدى رسائله في صفحة 80: "طبتِ شهوة وجنون حب"، ثم يقول في صفحة 122: "جميلتي اللذيذة، ونص كتاباتي الأشهى، أسعدت نشوة وشهوة وكتابة"، كما قال في افتتاحية رسالته بنفس الصفحة: "شاعرتي الجميلة، وجميلتي الناعمة كالحرير، حياك وحي الشعر وبياك أيتها الشهية"، وفي بداية رسالة بصفحة 160: "أسعدت أوقاتاً ونشوةً أيتها الكاملة في شهوتها وجنون حُبّها"، ويُبرّر حديثة هذا بالقول في نهاية رسالة في صفحة 164: "أُحبك أيتها الجميلة وقليل من العبث مع النساء لا يفسد للحُب قضية"، ثم تراه يختتم رسالة له في صفحة 212 قائلاً: "إلى اللقاء أيتها الغنية بشهوة الجنون المُتّقد"، ثم في صفحة 222: "الشهية اللذيذة الجميلة التي لا تُقاوم". وطبعاً غير ذلك الكثير.

وبالغوص في عنوان "الثرثرات المُحبّبة"، نجد أنها بالفعل ثرثرات مُحببة لشخص فراس، كيف لا وقد ذكر هذه الكلمة وتشكيلاتها جذرها (ثرثر) في كتابه هذا ما يزيد عن خمس وعشرين مرة! لتكون هذه الكلمة جوهر الكتاب وفحواه وأصل محتواه. هذا وقد تباينت هذه الثرثرات وتعددت حتى شكَّلت جسم هذا الكتاب ومتنه وأصله بموضوعاته المُتعدّدة التي تعدَّدت وتنوَّعت وتفرَّعت وأخذ يطرق أبوابها باباً وراء باب، وقد تجاوزت خمسة وثلاثين موضوعاً راح يدور في رحاها ويُحدّث عنها بإسهابٍ وتكرارٍ أحياناً، وباقتضابٍ وإيجازٍ أحياناً أخرى؛ فقد تحدَّث على سبيل المثال عن الحُب الخالص والنقي والتَّعلق بمحبوبته، كما تحدَّث عن المجون والجنس والأيروسية وتأليه المرأة، وتطرق للهموم والديون والبؤس والتشاؤم والحالات النفسية التي كان يمر بها، غير مهمل الحديث المُتكرر عن الإعاقة التي يُعانيها، إلى جانب تناوله الحديث عن

الأسرة التي ينتمي إليها، والعمل بالإشراف التربوي الذي يمارسه، كما تطرق ملياً للكتابة وجدواها وإيمانه بها، ناهيك عن تعرُّضه بإسهاب للثقافة، والأدب، والكُتّاب، واتحادهم، ووزارة الثقافة، والناشرين، والجوائز الأدبية ومعضلتها، لتراه يُعرِّج بعدها على السياسة، والسلطة، والعمل الوطني، والقضية الفلسطينية. كما أنه لم يغفل الحديث وبأكثر من مرة وأكثر من موضع عن الصور والتَّعلُّق بها، غير مُتناسٍ الموضوعات الدينية، وفلسفة الإلحاد، والموت، وإلى غير ذلك الكثير من الموضوعات دون أن ينسى أو يتناسى أصدقاءه، وتحديداً صديقه الكاتب والناقد رائد الحواري الذي يُحب أن يُسميه الطليعي، والذي كان له النصيب الأوفر من الذكر بين دفتي هذا العمل، إضافة إلى صديقه المحامي والكاتب الحيفاوي حسن عبادي. هذا وقد أرهقنا كثيراً عندما راح يُظهر التناقض بحديثه حينما يفخر ويعتد بنفسه تارة، ويجلدها تارة أخرى على وقع من السوداوية والإحساس بالذنب لما اقترفت يداه وعيناه وحواسه جميعاً.

لقد كان حج محمد مُقتنعاً تمام الاقتناع بما كتب ونشر ضمن أروقة هذه الأوراق دون أن يخشى لومة لائم، أو سطوة حاكم، أو نقد مُنتقد، أو ظُلم ظالم؛ فوجدناه يقول بهذا الصدد وبكل قناعةٍ وبصوتٍ جهوريٍ عالٍ في مُحكم تعليقه على رسائل جمهوره في صفحة 274 عن أدب الرسائل: "إنه فنٌ قديم، فيه يخرج الكاتب عن التزامه بحرفية الكتابة ليكتب بأريحية، وهو يندرج ضمن أدب البوح والاعتراف، وعادة ما يكون الأسلوب غير مُتقن، لأن من كتبه لم يُفكر بنشره، وما نُشر منه نُشر بعد وفاة كاتبه". ويستكمل: "تُتيح لي كتابة الرسائل الإطناب والانتقال من موضوع إلى آخر بحُرية أكثر من المقال".

وبالرجوع إلى فلسفته بهذا الشأن وهذا المضمار، فقد رأينا بأم أعيننا ما سطَّره هنا عن المجون والسفور والفُحش والفسوق والتي غزت رسائله

بكل شراسةٍ ودون هوادةٍ أو مُهادنةٍ أو مُداراه؛ لتكون تلك الثرثرات غير مُحبّبة لي على الأقل بوجه خاص، غير أنها قد تكون مُحببة ومرغوباً بها له ولمحبوباته وللكثير من جمهوره العريض؛ فقد أتى على كل شيء مُتعلّق بالجنس والأيروسية دون مواربة، أو اتقاء، أو سترٍ، أو تستُّر، حتى أنه قال مُعترفاً بذلك في صفحة 47: "أصبحت فيها ماجنا بشكل مُرعب ومُخيف". كما أنه ذكر العلاقة الحميمية والعلاقة الجنسية في صفحة 49 مُبرراً ذلك بأن الروح هي من تطلب ذلك فيقول: "ممارسة الجنس بحُب حتى خارج العلاقة الشرعية سيكون لها لذّة النشوة غير المُتناهية ما دامت الروح هي التي تطلبه". وزيادة على ذلك يقول في صفحة 50 إنه تعرف على نبتة في فلسطين تسمى (الآيروس النصراوي) ليؤكد أنّ هذا المصطلح ليس محصوراً بالبشر ولا حكراً عليهم فحسب، وإنما النباتات لها حظها منه أيضاً.

في هذا المقام، وفي هذا المقال، يقول كاتبنا الكثير وأكثر مما ينبغي أن يُقال، ولا يتسع المجال هنا لذكر كل ما خطر بباله وقال لكثرته واكتظاظه وازدحامه؛ فإذا أردنا التّبحُّر في هذا الشأن، فإن ذلك يتطلب كتابة مقال عريض خاص بهذا الموضوع، إلا أننا سنستعرض جزءاً يسيراً مما قال وثرثر، فعثرنا عليه دون تعبٍ منا أو تمحيص؛ فقد ورد قوله في صفحة 107 أنه عندما أخذته سِنةٌ من النوم فرأى محبوبته بكاملها حتى راح يصف أعضاءها عضواً عضواً ويذكر ما جرى بينهما بعد ذلك. ثم تراه يقول في صفحة 194: "على مدار الأيام السابقة حلمتُ بكِ وحلمتُ بنساءٍ أخريات، أصحو من مناماتي مهجوساً بك. ضاجعتك وضاجعتهن في تلك المنامات". ويستكمل في الفقرة التالية: "أفكر أنني لن أعود إليك إلا إذا كان لقاء المصالحة بيننا على مائدةٍ شهيةٍ طويلةٍ نتناول معاً أجسادنا بكل عنفوان".

وفي ذات السياق وفي صفحة 183 تحديداً والتي جعلها افتتاحية لرسائل (2020) فيقول: "من حليبك تُخلق ملايين الكائنات، وتتفتح بضحكتك الأزهار، وتتشبع بشهوتك شهوة الإلهات والحوريات، يا لك من امرأة بحر لذة لا ينتهي، وبركان شهوة لا عاصم منه إلا به". ثم في نفس الصفحة: "تراوديني عن فمي المعطوب بالقبلة المشبعة المحتدمة"، ثم يستكمل كلامه المُبتذل بصورةٍ فاحشةٍ فاضحةٍ ويقول في صفحة 190: "كم أتمنى أن أتذوق طعم لذتك ونشوة شهوتك، لكنك ما زلت تتمنعين وترفضين"، وبنهاية صفحة 222: "كم أنت امرأة شهية، بعيدا عن حشري بقائمة الذكور والنسوية، في لحظة أنسى من أنا، وأرتد إلى طبيعتي الوحشية غير المُهذبة، وأفكر في افتراسك دون أدنى رحمة". ويكمل: "لا أرى إلا الشياطين تأزني أزاً لآخذك دفعة واحدة دون مقدمات"، وفي صفحة 223: "أنا لا أشتهيك وحسب، بل لا أعرف إلا أن أشتهيك كل الوقت"، ثم في صفحة 230: "ربما لم يعجبك أنني أشتهيك، وأطلب ممارسة الحب معك، وتخافين من ذلك، لماذا تخافين من الكتابة إليَّ وممارسة الحب معي؟ فهل ستجعلك الكتابة هامشاً وحواشي كما توقعتِ. إنكِ أهم متنٍ في مشروع الكتابة، فكيف تتحولين إلى حاشية هامشية".

ليس كل ما كتب هذا الكاتب "الفتى الطريد المشاكس" كما يقول عنه إبراهيم جوهر في صفحة 276 يُعيبه أو يضعه في قفص الاتهام لينال عقابه وعقوبته أمام العالمين، فهو عنده "جميلٌ ومُدهش" و" يكتب بوعيٍ وحُزنٍ كبيرين ليُعري المرحلة التي يراها الناس عارية لكنها تُصرّ على أنها ترفل بثياب التفاؤل والبهجة"، فهو "حالة مُتشظية" و"أفكاره جنونية" كما قال عنه شريف سمحان بنفس الصفحة، وأنه "كاتبٌ مُتجدد ومُتمكن من أدواته ومُفرداته وتطويعه للنص". وأنا هنا أوافق

هذين الرأيين لما عاينته بأم عيني من جميل ما كتب كاتبنا بلغته الجزلة، ومشاعرة الدافقة الفياضة النابعة من الأعماق، إضافة إلى أحاسيسه المُرهفة التي ركب مركبها وقاد دفتها مُستعيناً برنين حروفها حتى أوصلته إلى الشاطئ الذي يُريد هو بالتحديد؛ فنجده يقول في هذا الصدد وبكل صدق في صفحة 28: "تحتلين كل مساحة من كياني بعد أن عجنتِ تلك الخلايا الناعمة بجسدي المُتيبّس، فانبثقت أولى القصائد تصف ذلك المعروف لديّ المُعرَّف بقطعة سكر وكأس سُكْر"، وفي صفحة 29: "أعلم أنَّ ما بين الموعد والموعود وقت يموت"، وفي صفحة 30: "اكتملتِ وحدك ونقصتُ وحدي"، وفي ص 52: "إنَّ الكلمات خادعة، خائنة، وربما خانعة، خاسرة، خائبة، وبغض النظر عن خاءاتي المتكاثرة، ربما سيكون لها بعض نفع، فرب نافعة ضارة"، وفي صفحة 58: "ما زال سحرها الغيبي يأكلني يومياً ويقتات على روحي"، وبنفس الصفحة: "كيف كانت ذاتي تنسلخ من ذاتي ذاتاً أخرى، بل ذوات تتفتت كائنات نشوى راقصة فرحاً بذلك الجمال"، وفي صفحة 59: "أنتِ الحبيبة التي أشتاق رشفة من كأس خمرتها لعلي أهدِّئ ولو قليلاً من صهيل الجنون في دمائي المُتصببة عشقاً وشوقاً وأرقاً"، وفي صفحة 104: "لا أريد إلا أن أحيا بالموت فيك، ولا أموت إلا بالحياة فيك"، وفي صفحة 228: "كنتِ أول حرف وبوح بامرأة الشوق واللظى والحنين، كنت من أول ليلة ياسمينة للفرح المُقدس والنشوة المُعدة بأرجوانية الصفائح الإلكترونية، كنتِ أنثاي وكنتُ إنسانك حاضرك ومستقبلك، كنتُ لكِ وكنتِ لي، تذكرين جيداً كيف كنا وكيف أنتِ الآن تهربين من معمعة الصدى الصارخ في كل كيان الكون بأن جريمة عاطفية تُرتكب بحق ذلك المصلوب في الريح، أتدرين من هو ذلك المنقوع في رماد ارتعاشه؟ إنه أنا"، وفي صفحة 234: "ولكنا خلقنا اللحظة التي فيها نحترق سوياً في مراشف العشق الندية التي تُحولنا إلى نبتتين خضراوين نابتتين على أطرافنا"، وبنفس الصفحة أيضاً:

"تعالي لتصوغي لغتي على شفتيك قبلة وقصيدة ولحظة فرح فردوسية لا تنتهي"، وفي صفحة 247: "أعود اليك وتعودين إليّ كلما ضاقت النفس بأسرارها، لأجدك حضناً دافئاً، يحضنه الصباح، ويخصه بكل بوح جميل في معناه، مسافر نحو دهاليز النفس، يفتش عن كل بارقة نور تسطع هناك، لتلقاني وقد تهيأت لأكونك وردة تضمينها إلى ورود بساتين العاشقين، فتروينها بكأس خمرة المُعتقة الحنين" ويستكمل: "أعود اليك كطفل بريء إلا من غواية الحب العفيف الذي يطلبك كل صباح ليراك أسنى وأبهج وأكمل"، أما في صفحة 248 فيقول: "فما هو أنا غير ذلك العمر المتراكب في ذاتي ووجداني وعقلي، صقلته التجارب ونحتته الظروف ليخرج في نهاية المطاف أنا بصيغة ما"، وأيضاً بنفس الصفحة: "يكتبنا الزمان بسفره كما يحلو له القدر، وهل لنا أن نعترض؟" وأيضاً: "من منا لا ينظر إلى سنيّ عُمره المقطوعة كأنها غابر وعابر وشيء ما".

وفي التشخيص الواقعي والنهائي للحالة التي اعترت فراس والتي رحنا نتفحصها روياً على وقع ما خطّه قلمه بتلك الرسائل لمكونات هذا الكتاب، نُجمل ونقول: إنْ ليس فراس بالرجل السيء، وليس مؤذيا ولا غير نبيل كما قيل عنه. ورغم تحفظي على الكثير من مواضيعه المطروحة في رسائله الأيروسية التي جاء بها مُتبّعا للمنهج الأيروتيكي والذي يتحفّظ عليه الكثير وينتقده الأكثر كما بدا في رأي (سماح خليفة) التي انتقدته وقالت في صفحة 274 ضمن فصل (التعليقات على الرسائل): "إنّ ما كتبته سابقاً بخصوص المرأة أو الأنثى يكاد يكون مُتشابهاً أو ربما هُيئ للقارئ ذلك، ولذلك أصاب القارئ بعض الملل من جراء ذلك"، كما قالت (نور التوحيد يمك): "لستُ أدري ماذا يُسمى هذا اللون الأدبي، ربما هو بوح محشو في رسالة أو أنه فنٌ أعمق منه، وأن ما يُسميه هو تحرراً في كتاباته يُطلق عليه السواد الأعظم من القراء في دولتنا (انحرافا) خاصة

أننا بلد محافظ موشوم بالحياء، لا ننكر أنه موهوب وإبداعه يسبق زمانه، لكن كتاباته كما قلت مُتحررة، ولن تجد بسهولة تقبُّلاً لها لدى القُراء".

وفي هذا الشأن، ورغم كل شيء خاضه بين جنبات هذا الأدب، نرى أن الكثير من جمهوره القُراء والكُتاب والأدباء راحوا يمتدحونه ويطرون على كتاباته، ونذكر منهم سامح أبو هنود، مريم ربيع، مادونا عسكر، خلود نزال، ونزهة الرملاوي، كما امتدحته إحدى صديقاته (ع. ح) في صفحة 277 قائلة: "إنه يمتلك ناظوراً له قدرة على التسلل لأعضاء الجسد لأخذ صورة تشخيصية لها، إضافة إلى صورة طبقية للدماغ، قادر على فض عُري الروح، وعلى رؤية نفسك عارياً أمام المرآة مع بعض النتوءات والتضاريس والتشوهات غير المرغوبة في الجسد، وهذا شيء لا يجسر عليه أحد. وليس صديقته (ع. ح) هي فقط من تقول ذلك فحسب، بل إنّ إبراهيم سرحان يقول له: "تتحفنا دائماً بإبداعاتك وينتابنا إحساس أن ما عجزنا عن استخراجه من قلوبنا قد أتى لنا جاهزاً وعلى طبقٍ من ذهبٍ من خلال بلاغتك وصورك البيانية الرائعة". فيما تُؤكد ماجدة الفرجاني القول: "لولا نظرياتك العلمية المدروسة جيداً وبعض كتاباتك وأشعارك الجيدة فلن تجد قارئاً واحداً"، أما جمانة العتبة فتقول: "لا زلت أرى فيك كاتباً فذاً ورائعاً رغم اعتراضي على بعض النصوص والأشعار". وتستكمل: "الأهم بأنك تُسطّر بقلمك ما ينبش أفكاراً لم يتسابق إليها كُتاب آخرين، فأنت مُميَّزٌ بكل كتاباتك". وتختم كلامها: "هناك من ينتظر منك الأفكار الجديدة والجميلة، فلك الحق أن تكتب عن الحق والخير والجمال. سأبقى أقفز عما يُزعجني وأعمل على قراءة باقي النصوص". ويقول زياد الجيوسي: "يا صاحبي أنت مُشاكس، ولست شريراً"، وتقول زهراء فاضلي: "شخصيتك الواضحة والصريحة انعكست على كتاباتك

وجعلت الوضوح يتسيد على ناصية الكتابة لديك، أي عندما كنت أقرأ ما أرسلته لي، كنتُ أراك دون قناع لا توظيف رمز، لتقي نفسك من الآثار المُوبقة، وهذا ما يجعلني أخاف عليك من قلمك". وتختم قولها: "الأمر إليك، وافعل ما تراه صواباً بشرط ألا تُسبب الأذى لنفسك ولمن يحتاجون لحضورك بجانبهم". وتقول منى النابلسي: "أنت كلما احترقت أشرقت أم أنك كلما أشرقت احترقت؟ ستقتلك الكتابة، أرجو لك موتاً مُدهشاً وحياة أبهى من الحياة". وهذا صديق له على الفيس بوك يُجمل القول عنه: "كنتُ أظن أنّ الأطباء فقط يكتبون وصفات تُصرف من الصيدلية، إلا أنني اكتشفتُ أن الشعراء والكُتاب أيضاً أطباء". فيما تقول قمر عبد الرحمن أيضاً: "لو كان هناك من يُقدِّر الأدب كما يجب، لكنتَ بلا مُنازع شكسبير فلسطين. وتستكمل: "لا تستعجل، ربما المجد الحقيقي بعد الرحيل، وهذا مُفرحٌ ومُبكٍ في ذات الوقت".

وفي الخلاصة نقول: إنَّ الحالة والهالة والمآلة التي جاء بها فراس حج محمد هي حالة فريدة في جوهرها ومظهرها ومغزاها ومستواها أكاد أُجزم أنه لم ينازعه عليها أحد، ولم يقتفِ أثره أيّ كان؛ فقد تطرَّق في كتابه هذا إلى كل مُعتركات الحياة اليومية وما عاينه وما عاناه على هامشها وفي متنها وصُلبها وبين جنباتها؛ وناهيك عما تناوله من موضوعاته الشتى المتضاربة الاتجاهات بثرثراته المُحببة وغير المُحببة، إلا أنه قد أبدع لغةً ومشاعر، وعزف نشيداً فريداً من نوعه، واقتبس من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستعان بأقوال الصحابة، ولقَّح رسائله بالشعر أحياناً، وشرَّق وغرَّب بأحاديثه وهو على قناعةٍ تامةٍ بما يكتب؛ حتى بات كل موضوع قد تطرَّق له ضمن هذه الرسائل يصلح لأن يُكتب عنه مجلد، أو رسالة ماجستير، أو أطروحة دكتوراه، أو حتى في أضعف الإيمان، مقالة نقدية مُستثقلة، بليغةٍ، زخمةٍ، ومُكتنزة.

"إن حُبّاً دون رسالة هو حبٌّ لا يمكن أن يكون".

جان ماري بوبار

"الرسائل علامات انفصال، علامات نكتبها للضرورة لأننا بعيدان الواحد عن الآخر".

فرناندو بيسوا إلى حبيبته أوفيليا

"كم خسرنا حين توقفنا عن كتابة الرسائل، لا يمكنك إعادة قراءة مكالمة هاتفية".

ليز كاربينتير

يحكى أن رجلا أحب امرأة صادقة وجميلة، فبادلها الوفاء، وعاهدها أن يقيم على محبته لها، ولحين من الزمن مضى كل شيء على ما يرام، وعاشت الفتاة بخير ووئام، ثم حصل ما جعل الرجل ينشغل عنها فتركها، وجعلت تنتظره طويلا لكنه لم يعد، وأخذ محبوها يشفقون لها بينما يهزأ بها العذال الذين جعلوا يشيرون إليها قائلين: "ها قد نبذك ولن يعود مطلقا". فالتمست الفتاة حجرتها، وراحت تقرأ في السر الرسائل التي كان حبيبها يكتبها لها، وكان في تلك الرسائل يعدها بالبقاء دوما على العهد، فراحت تقرأ وتبكي، لكنها وجدت فيها شيئا من العزاء والسلوى لقلبها، فكفكفت دموعها وأوصدت في وجه الشك قلبها.

وفي إطلالة يوم مشرق مفرح، إذا بالرجل الذي أحبته يعود، ولما دري بأن الناس كانوا يشككون سألها كيف حافظت على وفائها فأرته رسائله وأكدت له ثقته المطلقة.

(منقول من أحد المصادر)

ISBN 978-9950-381-14-8

يطلب من

دار الفاروق للثقافة والنشر

شارع جمال عبد الناصر - نابلس - فلسطين

تلفون: 00970/9/2313969

Email: abu_rafat_be@hotmail.com